الفصل الأول

منهجه في تفسير القرآن الكريم

عــنى محمــد فريد وجدي عناية فائقة بتفسير القرآن الكريم. وقد ظهر هذا الاهتمام في صور شتى منها :-

١- وضــع تفسيراً مستقلاً يحمل عنوان "المصحف المفسر" وقد كان مسمى "بصفوة العرفان فى تفسير القرآن ".

٢- المقالات التفسيرية التى ألحقها بمقدمة تفسيره.

٣- الآيات المتفرقة التى أوردها فى كتبه وأبحاثه ، فاهتم بتفسيرها لاستناده عليها فى مناقشة قضايا الإسلام المختلفة.

ونـــتوقف عند مؤلفه المصحف المفسر ؛ لنتعرف على سبب التأليف والهدف منه، ثم نلتقي مــع بعض النماذج التى توضح لنا منهجه فى التأليف ، وإلى أى مدى التزم "فريد وجدى" بما وضـــعه لنفســه فى خطة بحثه ، وصلة هذا بمدرسة محمد عبده الذى يعد محمد فريد وجدى تــلميذاً أصيلاً لهذه المدرسة، فهل التزم بكل خطوط هذا المنهج ، أم تميز بشخصية منفردة لا تخفى بين طياتها ملامح هذه المدرسة. ؟

- **بداية التأليف والنشر :-**

لا يوجد لدينا تاريخ متفق عليه لبدء طبع المصحف المفسر والمقدمة الملحقه به.

وسندع الأستاذ طه الحاجرى[1] يوضح لنا هذا الأمر :- يقول "فى شهر شوال ١٣٢١هــ ، أو فيمــا بين أواخر ديسمبر (١٩٠٣) وأوائل يناير ١٩٠٤ ، بدأت تظهر ...... كراسة جديدة تحمــل اســم صفوة العرفان فى تفسير القرآن ، وأخذت تظهر شهرياً ...... وهذا الكتاب كان يــتألف ، بعد تمام ظهوره ، من مقدمة طويلة تقع فى ١٨٠ صفحة كبيرة ، وقد طبعت على حدة ، ومن التفسير الموضوع على هامش المصحف،والذى أخذ أخيراً حين أعيد طبعه ، اسم "المصـــحف المفســـر" وقد تم ظهور المقدمة أولاً وإن كنا لا ندرى متى كان ذلك ، فالتاريخ المثبت فى صدرها هو تاريخ البدء فى طبعها.إلا أننا نجد المؤلف يورد فى صفحة ١٤٠ منها فصـــلاً مـــن رســـالته التى وضعها بالفرنسية لمؤتمر الأديان الذى قيل إنه انعقد باليابان سنة ١٩٠٦ كما يقول ...... فنعلم من ذلك أن إيراده هذا الفصل فى هذه المقدمة ؛ إنما كان بعد هذا العام ، وأن طبع هذه المقدمة قد استغرق أكثر من ثلاثة أعوام .... ثم نجد فى أواخر سنة ١٩٠٧ إعلاناً عن التفسير ، مضمنا الإعلان عن المقدمة ، فذلك فيما نرجح هو تاريخ الانتهاء من هذا الكتاب."

---

(١) (محمد طه الحاجرى – محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ٨٨ : ٩٤ (رأيه فى تاريخ الطبع)، جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

وضــــح فــريد وجــدى فى المقدمة منهجه فى التفسير استهلها بالكلام عن الأمة العربية فى الجاهلية ليخلص من ذلك إلى بيان ما أتيح لها من نهضة بسبب القرآن موضحاً أهميته يقول:[١]

" القرآن الكريم كتاب إلهى ، ووحى سماوى ، نزل به الروح الأمين ، على قلب خاتم النبين ، ليــحي به قلوباً أماتتها الشهوات ، وينقذ من الحيرة عقولاً سممتها الشكوك والشبهات ، ويحــل مـــن الأغلال أفكاراً قيدتها الخرافات ، وسجنتها التخرصات، ويسترد للنفوس حقوقاً اغتصـــبها القادات وسلبها السادات ويقيم به دولة الكمالات ..... ويسلك بالأرواح به مسالك الإيمـــان ، المستند على بدائه الحس والعيان، هذه بعض وظيفة القرآن الشريف التى أداها لبــنى الإنســان، كمـــا شـــهد به أعداء القرآن بل وأعداء الأديان . فأين نحن من فهم هذه الأســرار ، والإشــراف على ما أودعت آياته من الأنواء ، وما ضمنت من الحقائق الكبار ، والمعارف الغزار"

ويوضح فريد وجدى أسباب ذلك[٢] :- **"أننا لا نفهم مراميه العالية ، ومغازيه السامية ومـــن جـــراء العجمة التى طرأت على لغتنا لاختلاطتنا بالأمم جيلاً بعد جيل. وقبيلاً بعد قبيل ...... وأضـــف إليـــه تساهل بعض العلماء فى مسألة قراءته بغير تدبر... ولو فرضنا القارئ فقيهاً فى اللغة وأدرك معانى الكلمات كلها؛ فلا يستطيع أن يفهم القرآن على حقيقته أصلاً إلا بإلمامه بأسباب نزول الآيات الكريمة..." -**

والنتيجة التى يصل إليها وجدى هى :-

"هذه الحاجة الشديدة من الأمة بعثت فينا روح الإقدام لوضع تفسير للقرآن الكريم"

هـــذه بعض الأسباب التى دفعت فريد وجدى إلى وضع تفسير للقرآن. والسؤال الجدير بالذكر فى هذا المقام : كيف بدأ هذا الشعور بالحاجة يلح عليه ؟ ومتى كان ذلك؟

يقول[٣]

"فـــإنى حوالى سنة ١٣٢٣هـــ حاولت أن أقرأ القرآن قراءة تدبر وفهم كما أمر به موحيــــه سبحانه وتعالى ، فأعوزنى أن أجد من التفاسير ما يبلغنى أمنيتى من أقرب الطرق وأســـهلها ، فـــإن المطولات لا يتسع لتلاوتها وقت أمثالى من المشتغلين بفروع كثيرة من العلم، والمختصرات قصد بها حلول المسائل الفنية من التفسير . وكان مرادى تفسيراً يعطى للألفـــاظ العـــربية حقها من البيان ويعرض للمعني عبارة خالية من المسائل الفنية مع بيان أسباب نزول الآيات ليجلي للقارئ المعني بكل جلاله. فأخذت أضع تفسيراً لنفسي ،وشرعت

---

(١) محمد فريد وجدى : المقدمة المصحف المفسر ، ص ٦ ، ط دار الشعب بالقاهرة ، ١٩٧٧م

(٢) المصدر السابق : ص ٦

(٣) المصدر السابق : المقدمة

اكتـــبه علي هامش مصحف ،لأتّخذه عمدةً في تلاوتي للكلام الكريم .وقبل أن أتمه أدركت أن هـــذا العمـــل طلـــبة كل تالٍ للقرآن العظيم .فرأيت أن أتم ذلك التفسير واطبعه ليعم انتشاره ،ففعـــلت، وهو هذا الكتاب الذى أقدمه للقراء راجياً أن أكون بهذا العمل سبباً في نشر معنى كـــتاب الله بين ناس لم يكونوا ليبلغوه فى حياتهم ؟ إما لأن أعمالهم لا تمكنهم من الإطلاع علي التفاسير ؟وإما لأن مادتهم العلمية لا تسمح لهم بإدراك أغراض المؤلفين السابقين"

ويوضح فريد وجدى الطريقة التى أخرج بها تفسيره [١]"ثم إنى رأيت تتميماً للفائدة أن أجعلـــه على شكل المصاحف العادية ،فجعلت تفسير كل صفحة فى هامشها ،ليسهل الرجوع إلى معنى أى لفظ أو أية آية فى حال التلاوة "

و يوضـــح فـــريد وجدى هدفه من هذا التفسير قائلاً"إنى لأرجو من وراء هذا أن يعم انتشـــاره "فيشـــيع بهـــذه الوسيلة العلم بمعانى الكتاب العزيز ، وتتحرك فى النفوس عوامل الرغـــبة فى العمل بها لاسترداد مجد هذه الأمة المضاع ، بمثولنا وسط الأمم الراقية :نعمل كما تعمل لرفع منار الإنسانية ، وتشييد صروح العمران و المدنية"

ويـــبين فريد وجدى المصادر التى استعان بها فى تفسيره يقول[٢] "هنا يجب على أن أنبه إلى أنى استخلصت هذا التفسير من الآراء المجمع عليها لدى أئمة المفسرين و أقطاب أهـــل السنة ، فلم أخرج به عن سنتهم قيد شعرة ليوافق مذهباً من المذاهب ، أو يؤيد رأياً من الآراء الفردية ، ولو اضطرنى الكلام فى بعض الآيات على أن أورد رأياً لى أو لأحد من غير أهل السنة ، نبهت إليه وعزوته لقائله حتى يكون القارئ على بينة من أمره "

و يشـــير فـــريد وجـــدى إلى المنهج الذى اتبعه فى تفسيره يقول[٣] "وقد راعيت فى تفسيرى هذا:-

١- أن أعنى باللغة عناية لم يعن بها مفسر من السابقين ، فإنهم فيما يظهر لغزارة مادتهم الـــلغوية لم يلموا من لغة القرآن إلا بالغريب الذى يعلو عن متناول كثير من الخاصة ولكنى رأيـــت أن الكتاب الكريم قد جمع أوجه كلمات اللغة العربية ، وعقائل مفرداتها.و نحن أحوج مـــا نكـــون إلى التقوى فيها لنحفظ وجودها من عبث العُجمة بها. فشرحنا المفردات شرحاً وافياً و دللنا على أصولها و أتينا بمشتقاتها . و التزمنا أن نشرح اللفظ حيث وجدناه ، ولو صادفناه فى كل صفحة من صفحات المصحف.وهذا أيضاً لم يعمله مفسر من المتقدمين .فإنه مـــتى أتى عـــلى شـــرح اللفظ فى سورة من السور ، ثم صادفه فى سورة أخرى أهمله من الشرح اعتماداً على سبق الكلام فيه."

---

[١] محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : المقدمة .

[٢] المصدر السابق

[٣] المصدر السابق

٢-"الإشـــارة عقب الآيات إلى أسباب نزولها و الحادثة التى تقدمتها ،وبما أن نزول القرآن عقب الحوادث كان القصد منه تثبيت النبى عليه الصلاة و السلام و المؤمنين، وهذا لايتم إلا بـــالدعوة إلى ســـبيل النظام الإجتماعى و الكمال العمرانى .أو إلى أصول مكارم الأخلاق و تهذيب النفس".

٣-"فسنشـــير إن شاء الله عقب الحوادث الاجتماعية الكبرى وقوانين التهذيب الكلية إلى ما يقابـــلها مـــن العـــلوم العمرانية الحديثة و علم النفس الجديد ليتجلى لقارئ القرآن إعجازه العـــلمى و اشـــتماله عـــلى أصـــول العـــلوم العالية و سبقه العالم أجمع إلى تقرير الحقائق العمرانية و الفلسفية الكبرى "

٤-"الإشارة إلى الآيات الناسخة و الآيات المنسوخة و بيان أسباب ذلك و حكاية الواقعة التى استلزمت النسخ ، وذلك عقب تفسيرها في محلها."

أمـــا مقدمة التفسير المستقلة فتشتمل على[1]**"مقدمة فيها تاريخ القرآن الكريم و كيفية نزو له وتعـــدد قـــراءاته و كيفية حفظه وترتيبه و استنساخه و استلفات القارئ لمعجزاته العلمية الكبرى التى تشهد له بالصراحة التامة بأنه كلام الله المنزل على رسول الله صلى الله عـــليه و سلم وإقامة الأدلة العلمية على حفظه من التبديل و التحريف ، و نقل شهادات كبار رجـــال العلم الأجانب على ذلك و شهادة بعض أكابر الفلاسفة الأوربيين الذين يعتقدون أنه كـــتاب سماوى ، و سبب عقيدتهم هذه مع أنهم لايعرفون العربية و لا يدركون إعجازه من جهـــة البلاغة ، ويسبق ذلك فذلكة فى فلسفة الأديان و ما آل الناس إليه فى هذا العصر من جهة التدين وإلى أى غاية هم مسوقون."**

وقبل أن نرى معاً مدى التزام فريد وجدى بمنهجه سنطل إطلالة سريعة على الوسائل الـــتى يستعين بها أى مفسر للقرآن الكريم حيث إنها تعد لدى بعض العلماء من الضروريات التى يجب أن يلم بها كل مفسر .يقول د.أحمد جمال العمرى [2]

"إن العملية التفسيرية[3]التوضيحية لابد أن تشمل أموراً ضرورية فى مقدمتها:

---

(١) محمد فريد وجدى : مقدمة المصحف المفسر: ص٧ .

(٢) د. أحمد جمال العمرى :دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى :ص ٢٦،٢٧،٢٨ط (١٩٨٦م-١٤٠٦هـ).الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

(٣) نبذة مختصرة عن التفسير .

"التفسير هو كشف المعنى وإبانته و الفعل فسر يطلق على الشروح التى تكتب على المؤلفات العلمية و الفلسفية و هو يرادف الشرح. يطلق على الشروح اليونانية والعربية ."

"وفى الإسلام تدل كلمة تفسير على تفسير القرآن بصفة خاصة وعلى علم التفسير نفسه الذى يعرف باسم علم القرآن والتفسير "

"و علم التفسير قديم قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام و يروى أن ابن عباس المتوفى عام ٦٨هـ كان حجة فى التفسير و نسبوا إليه تفسيراً محفوظاً بالمكتبة الحميدية باستنابول " =

١-العمـــل على ربط معانى القرآن بما ورد فى السنة المطهرة الصحيحة من بيانه.وفى ذلك استعانة بالمبين للقرآن،وهو الحديث"

٢-"مراعاة القراءات إذ بمعرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض "

٣-"إبراز الجوانب الجمالية .. البيانية و البلاغية للقرآن.و هذه من الأمور الممتعة ،التى تربط قارئ القرآن بمعانى القرآن ،و بالقيم الجمالية فيه."

٤-"معرفة أسباب النزول .. إذ إن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية"

٥-"معرفة علم القصص .. لأن معرفة القصة القرآنية تفصيلاً ؛ يعين على توضيح ما أجمل منها فى القرآن "

٦-"معـــرفة الناسخ والمنسوخ.. وبه يعلم المحكم من غيره ، ومن فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم منسوخ ، فيقع فى الضلال و الإضلال "

٧-"عـــلم الموهـــبة :و الموهـــبة علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة فى القرآن بقوله تعالى(١)" ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾

٨- " فـــإن القرآن الكريم قد اشتمل على أخبار الأمم الماضية ، وسيرهم وحوادثـهم ؛ وهى أمور تقتضى الإلمام بعلمى التاريخ ، وتقويم البلدان ......"

وقد قدم الشيخ رشيد رضا - لتفسيره بمقدمة .. استقاها من دروس أستاذه الشيخ محمد عبده وهذا بعض منها ... يقول (٢)

"للتفســير مـــراتب ، أدناها : أن يتبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ويصرف النفس عن الشر.. أما المرتبة العليا : فهى لا تتم إلا بأمور أحدها - فهم حقائق الألفاظ المفردة ، التى أودعها القرآن يقصد اللغة واستعمالها فى عصر الرسول لا فى عصرنا الحالى".

"ثانياً : علم الإعراب - وعلم الأساليب (المعانى والبيان)"

ثالثاً : علم أحوال البشر - "يحتاج هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه"

رابعاً: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن (معرفة أحوال العرب زمن الرسول)

خامساً: العلم بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..."

هل التزم محمد فريد وجدى بهذه الضروريات من وسائل؟

="وواضع التفسير بمعنى جامعه لا مدونه الإمام مالك بن أنس الأصبحى إمام دار الهجرة و هكذا تتصل نشأة التفسير بتاريخ تدوين الأحاديث ."

من دائرة المعارف الإسلامية: مادة تفسير : ج ٩ ،تعليق أمين الخولى ،ص ٤٠٩ : ٤١٢ ط دار الشعب .

(١) سورة البقرة : من آية ٢٨٢

(٢) - د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى : ص ٢٩

إن الإجابة على هذا التساؤل تلزم عرضاً لبعض النماذج المتنوعة من تفسيره.أما عن طـريقة عرض هذه الأمثلة سألتزم طريقة فريد وجدى فى عرض تفسيره أى نأتى بالآية أولاً ثم نحدد الجزء المفسر ونقسمه إلى تفسير بالألفاظ أو بالمعانى.

والوسائل التى سنعرض لها هى بالترتيب :- ١- القرآن ٢- الحديث الشريف
٣- أسباب النزول ٤- القراءات ٥- الناسخ والمنسوخ ٦- التأويل
٧- الفقه ٨- البلاغة ٩- اللغة ١٠-اللغة والاصطلاح الدينى

وتفسير فريد وجدى جمع بين منهجى التفسير بالمنقول والتفسير بالمعقول.(١)

أولاً : القـــرآن

- قوله تعالى(٢) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

"تفســير الألفــاظ : **"لا مــبدل لكـلماته"** ، أى **لا محرف لها . وهذا وعد آخر بأن القرآن لا يستطيع أن يحرفه أحد إلى جانب قوله تعالي"** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ " (٣)

استدل وجدى بهذه الآية لتأكيد إعجاز القرآن وخلوده إلى يوم القيامة دون تحريف"

- وقوله تعالى(٤) ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

"تفسير الألفاظ : **(وثقالاً) أى ركبانا أو مرضى . ويؤيده ما روى أن ابن مكتوم ،وكان كفيف البصر ، قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أعلى أن أنفر؟ قال: نعم. فنزل قوله تعالى "** ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ "(٥) وهــذه الـرواية يتداخل فيها القرآن مع الحديث مع أسباب النزول وأتى بها ليرجح أحد المعنيين"

---

(١) التفسير المأثور :"يشمل التفسير المأثور ما جاء فى القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته . وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص القرآن الكريم." .

من محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون : حــ١ ، ص١٥١ ، ط١٣٨١هــ ، ١٩٦١م – دار الكتب الحديثة.

"وقيمة التفسير المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم هو المصدر الثاني للتفسير ؛ فهو المشروع من قبل ربه وهو الواسطة التبليغية والمنهج السلوكى .."

من د. أحمد زغلول صادق : المنهج الجديد فى مناهج المفسرين : حـ١ ص٨٠ ، ط١٤٠٧هــ – ١٩٨٧م .

"التفسير بالرأى : هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم فى القول ومعرفته لألفاظ العربية ووجوهدلالتها واستعانته فى ذلك بالشعر الجاهلى ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، وغير ذلك من الأدوات التى يحتاج إليها المفسر".

محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون : حــ١ ، ص٢٥٥ .

(٢)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الأنعام ، آية١١٥ ، حــ٧ ، ص ١٨١-١٨٢.

(٣) سورة الحجر : آية ٩ .

(٤)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة التوبة ، من آية ٤١ ، جـــ ١٠ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٥)سورة: الفتح : من آية ١٧ .

- قوله تعالى (١) "وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

"تفسـير الألفـاظ : "أى أوحينا إليه أن هؤلاء سيستأصلون وهم داخلون فى الصبح. القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً ، وكل واحد منها على وجهين إلهى وبشرى ، فمن القول الإلهى قوله : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ "(٢) ومنه الآية التى نحن بصددها" وضح وجدى أحد استخدمات لفظ قضى.

- قوله تعالى(٣)" وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا

"تفسـير الألفاظ : (نديا) أى مجلسا ومجتمعا ، ومثل ندى النادى والمنتدى، وأطلق ذلك على الجليس"

أيضاً قال تعالى " فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ "(٤) ، أى جليسه"

- قوله تعالى(٥) " وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ

"تفسـير المعانى : .. يدعو إلى أبعد غايات الكمالات النفسية وأرفعها ، بالدعوة إلى مقابلة السيئة بالحسنة ، فإن هذه منزلة الكملة العارفين التى قال فيها : " وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ "(٦)

- قوله تعالى(٧) " وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ "

تفسـير المعـانى : إنا أنزلنا هذا القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان، وما أدراك ما ليلة القـدر؟ ليلة القدر أفضل من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها إلى سماء الدنيا أو إلى الأرض حـافين حول الخلق بإذن ربهم من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة سلام هى ، أى لا يقدر الله فيها إلا السلامة ، حتى مطلع الفجر."

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الحجر : آية ٦٦ ، حـ ٤ ، ص٣٤٢

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣

(٣)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة مريم ، آية ٧٣ ، حـ١٦ ، ص ٤٠٣.

(٤)سورة : العلق : آية ١٧

(٥) المصدر السابق : سورة الرعد : آية ٢٢ ، حـ١٣،ص٣٢٥.

(٦) سورة فصلت : آية ٣٥

(٧) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة القدر ، حـ ٣٠ ، ٨١٥

"ليلة القدر فى أوتار العشر الأواخر من رمضان ، ولعلها السابعة منها ، وسميت بذلك لشرفها"

"أو لتقدير الأمور فيها ... كقوله تعالى[1] " فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

وإنزال القرآن فيها أى ابتداء إنزاله فيها."

ثانياً: الحديث

- قوله تعالى[2] " وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ

"تفسير الألفاظ : (تحشرون) الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها".

"وفى الحديث : النساء لا يحشرن أى لا يخرجن إلى الغزو"

- قوله تعالى[3] " التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ

" "تفسير الألفاظ : (السائحون) أى الصائمون لقول رسول الله: سياحة أمتى الصوم. وقيل هم المسافرون للجهاد أو لطلب العلم."

-قوله تعالى[4] " وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

"تفسير الألفاظ : (جنات عدن) عن النبى صلى الله عليه وسلم : عدن دار الله التى لم ترها عين قط ولم تخطرعلى قلب بشر ، لا يسكنها غير النبيين والصديقين والشهداء"

- قوله تعالى[5] " تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

"تفسير المعانى : ولكن أيها المؤمنون هذه أمة قد مضت لسبيلها بما كسبت من خير وشر ولكم ما تكسبونه منهما ، لا تسألون عما كانوا يعملون. والمعنى أن انتسابكم لا يجديكم نفعاً ولا ينجيكم من عذاب الله إن أسأتم. لستم بمسئولين عنهم ؛ فأعملوا لأنفسكم ولا تمنوها الأمانى الكاذبة . فإن الله لا يحابى أحداً من العالمين."

"وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم، يعنى يوم القيامة"

---

(١) سورة الدخان : آية ٤

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة آل عمران ،من آية ١٥٨ ، جـ٤،ص ٨٩.

(٣) المصدر السابق : سورة التوبة : من آية ١١٢ ، جـ١١ ، ص٢٦١.

(٤) المصدر السابق : سورة التوبة : آية ٧٢ ، جـ١٠،ص ٢٥٢

(٥)المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ١٣٤ ، جـ١ ، ص ٢٦.

- قوله تعالى[1] " فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "

"تفسير المعانى : لما نزلت هذه الآيات أرسل النبى ليعلنها يوم الحج الأكبر بمكة ، فكان مما قاله : أمرت بأربع ، أن لا يقرب البيت بعد هذا اليوم مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده"

ثالثاً : أسباب النـــزول

- قوله تعالى[2] " ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "

"تفسير الألفاظ : أى ثم أنزلوا من عرفة حيث ينزل الناس لا من المزدلفة لتترفعوا عن الخلق والخطاب لقريش فقد كانت تترفع عن الناس فنزلت هذه الآية لردعها عن ذلك."

- وقوله تعالى[3] " وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "

"تفسير المعانى : قوله " ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم" نزلت فى أبى بكر لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه الكذب على عائشة."

"وقيل بل نزلت فى عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم ختنه ولا يصلح بينه وبين أخته."

وهنا لم يحدد أى الروايتين أصح.

- وقوله تعالى[4] " وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا "

" تفسير الألفاظ : "وما نتنزل إلا بأمر ربك" هذه حكاية قول جبريل لما استبطأه رسول الله" . - ثم وضح باقى القصة فى تفسير المعانى - "هذه الآية نزلت حين استبطأ رسول الله جبريل لما سئل عن قصة أهل الكهف وخشى أن يكون انقطع عنه الوحى"

- وقوله تعالى[5] " إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "

---

(١) محمد فريد وجدى :المصحف المفسر: سورة التوبة : آية ٥ ، جـ١٠ ص ٢٤٠

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٩٩ ، جـ٢ ص ٣٩

(٣) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٢٢٤ ، جـ٢ ، ص ٤٥

(٤) المصدر السابق : سورة مريم : آية ٦٤ ، جـ١٦ ، ص ٤٠٢.

(٥) المصدر السابق : سورة الأنفال : آية ٩ : ١٤ ، جـ٩ ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨

"تفســـير المعانى : شرح تمهيدى - كان بلغ رسول الله أن إبلا عليها تجارة لقريش ومعها قافلة من الشام قافلة لمكة ومعها أربعون رجلاً ؛ فندب أصحابه لغنمها ، فخرج معه ثلاثمائـــة رجل وبضعة عشر رجلاً فلما كانوا ببعض الطريق. بلغهم أن القافلة أفلتت منهم. وفى هـــذه الأثـــناء بلغ قريشاً أن رسول الله قد تصدى لأبلهم ؛ فندب أبو سفيان لقتاله فلباه نحـــو ســـبعمائة ، فقصد بهم المدينة وأدرك النبى قبل قفوله إلى المدينة. وكان الله قد وعد رســـوله إحـــدى الطائفتين . إما جيش قريش وإما الأبل . فلما أفلتت تعين أن تكون الطائفة الموعـــود بهـــا هى جيش قريش فطلب إلى أصحابه مقاتلته ، فقال بعضهم إننا خرجنا لغنم الإبـــل لا لـــلحرب فـــلم نستعد لها فغضب النبى. ثم خضعوا لأمره ، وحدثت الوقعة المسماة بوقعة بدر ، التى قتل فيها من زعماء المشركين أربعون وأسر أربعون. وقد أمدهم الله فيها بألف من الملائكة."

- قوله تعالى[1] " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا "

"تفســـير المعانى : نزلت هذه الآية تبشيراً لهم . وقد كانوا بعد هجرتهم إلى المدينة يبيـــتون ويصـــبحون فى أسلحتهم خوفاً من مباغتة المشركين لهم". وهو لا يكتفى بتوضيح سبب النزول ، بل يوضح أثرها على الإسلام يقول "فكانت هذه الآية من أكبر أعلام النبوة إذا أنبأت عن غيب ما كان يتوقعه أحد"

- قوله تعالى[2] " الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

تفســـير المعانى : نزلت هذه الآيات حين غزا الفرس الرومان فغلبوهم ، ففرح بذلك مشـــركو العرب ، إذ قالوا إن الفرس لا كتاب لهم مثلنا ، والرومان أهل كتاب مثلكم ، لأنهم كانوا نصارى ، ولننتصرن عليكم كما انتصر الفرس ...... فحلف أبو بكر بعد ما جاء الوحى بهـــذه الآيـــة أن الرومان سيعودون فينتصرون. فقالوا له اجعل لنا موعداً فقدر لذلك ثلاث ســـنين فقال له النبى :زد فى الرهان ومد الأجل ، فإن بضع تعنى من ثلاث إلى تسع ، ففعل وانتصر الرومان فى السنة التاسعة"

- قوله تعالى[3] " عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾

---

(١)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النور ،من آية ٥٥ ، جـــ١٨ ، ص٤٦٧.

(٢) المصدر السابق : سورة الروم : آية ١-٥ ، جـــ٢١ ، ص ٥٣٠ — ٥٣١.

(٣)المصدر السابق : سورة عبس ، آية ١ : ٤ ، جـــ٣٠ ، ص ٧٩١.

" تفسير المعانى : تمهيد : كان الصاحبى ابن أم مكتوم كفيف البصر فجاء إلى النبى يوماً وهو مشغول بكبراء قريش ، يدعوهم للإسلام ، فقطع عليه كلامه وهو يقول: علمنى مما علمك الله. كرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم ، فكره رسول الله منه ذلك ، فنزلت هذه الآية تنكر على رسول الله عبوسه وإعراضه قائلاً له : ما يدريك ، لعله يريد أن يتعظ فتنفعه موعظتك؟"

ب- القصص

هى إخبار للأمم الماضية وقد وضعتها تحت أسباب النزول فبها سبب لذكرها فى القرآن وإن كان للعبرة والعظة من الماضى.

- قوله تعالى(1) " وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ

"تفسير المعانى : كان السبب فى أمرهم أن يذبحوا بقرة أن رجلاً منهم قتل رجلاً وبادر بالشكوى لموسى ، فبحث موسى عن القاتل فلم يهتد إليه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة وأن يضربوا القتيل بعضو منها ، فلما فعلوه أحياه الله وأخبرهم عن قاتله ، فإذا به ذلك الرجل الذى بادر بالشكوى"

- قوله تعالى(2) ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ

"تفسير المعانى : قيل إنهم لما طلبوا أن يروا الله جهرة - وكانوا سبعين رجلاً من بنى إسرائيل نزلت عليهم صاعقة فأحرقتهم ثم أحياهم بعد موتهم. ويذكرهم الله بما تفضل عليهم من المن والسمانى ليقيهم الهلاك فى تلك البقعة المجدبة ؛ فكفروا بكل هذه النعم فقطعت عنهم جميعا ، ويذكرهم بما فعله آباؤهم حين أمرهم بدخول بيت المقدس أو مدينة أريحا ، بعد خروجهم من التيه وهم ساجدون يسألون الله أن يحط عنهم ذنوبهم ويغفر لهم عنادهم واعداً إياهم بالمكافأة وحسن الجزاء"

- قوله تعالى(3) " ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

---

(1) محمد فريد : المصحف المفسر : سورة البقرة : آية ٦٧ وما يليها ، جـ١ ، ص ١٣،١٤.

(2) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٥٦،٥٨، جـ١ ، ص ١١

(3) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٢٤٣ ، جـ١ ، ص٥٠

"تفســـير المعانى : قال المفسرون إن الذين خرجوا من ديارهم ألوفاً هم قوم من بنى إسرائيل أصاب قريتهم طاعون فخرجوا هاربين منه فأماتهم الله جميعا ثم أحياهم ليعتبروا"

"ولكن وجدى يرى رأياً آخر يقول : **"الآية تحتمل معنى أرفع من هذا ، وهو أنهم لما تولاهم الذعر لدرجة أنهم أفقروا قريتهم وعطلوا أعمالهم هرباً من الموت ، أماتهم الله موتاً أدبياً ثم بعـــث إلى نفوســـهم عواطـــف عالية فحيوا حياة اجتماعية أخرى فلما أراهم أن الهرب من الموت موت فى الواقع أمرهم بالقتال ليحفظوا وجودهم من المبيدات"**

لـــم يقتنع وجدى بالقصة التى قصها المفسرون فأول الآية تأويلاً نراه بعيداً عن ظاهر الآية قد تحتمله أو لا ، ولكنه اجتهاد.

ثالثاً : القـــراءات.

- قال تعالى[1] **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**

" تفسير الألفاظ : "لما آتيتكم من كتاب وحكمة"

"الـــلام فى لمـــا موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستخلاف وما تحتمل الشرطية.وقرأ حمـــزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجئ رسول مصدق أخذ الله الميثاق عليكم"

"وقيل ما موصولة بمعنى الذى ، أخذ الله الميثاق عليكم الذى أتاكموه من كتاب وحكمة"

- قوله تعالى[2] " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ**

"تفسير الألفاظ : (أوعدل ذلك) أى أو ما ساواه ، وقرئ ، عدل بكسر العين، وهو ما عدل بالشئ فى المقدار"

- قوله تعالى[3] " **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾**

"تفسير الألفاظ : (قالوا أرجه ، أى أرجئه بمعنى أخر أمره وقد قرأها أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب. يقال أرجأه يرجئه إرجاء أى آخره"

- قوله تعالى[4] " **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾**

---

(١)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر :سورة آل عمران : من آية ٨١ ، حـــ ٣ ، ص ٧٦.

(٢)المصدر السابق : سورة المائدة ، آية ٩٥ ، حــ٧ ، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق : سورة الأعراف : آية ١١١، حـــ٩ ، ص٢١٠

(٤) المصدر السابق : سورة النحل : آية ٧ ، حـــ١٤ ، ص ٣٤٦.

" تفســير الألفــاظ : (إلا بشق الأنفس) أى إلا بكلفة ومشقة. وفيها قــراءتان إحداهمــا : بالفــتح أى بشَق الأنفس ، والأخرى : بالكسر أى بشِق الأنفس فعلى الأولى يكون شَق مصدر شق الأمر عليه أى صعب .وعلى الثانى يكون شِق بمعنى نصف ، فــإن للشــىء شــقين أى نصفين ، ويكون المعنى لستم ببالغيه إلا بذهاب نصف قوة الأنفس بالتعب"

- قوله تعالى[1]: " وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ

"تفسير الألفاظ : (مودة بينكم) أى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها .والمفعول الثانى لاتخذتم محذوف. وقرأها ابن عامر وأبو بكر مودة بينكم"

- قوله تعالى[2]: " وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

"تفســير الألفــاظ (حملته أمه كرهاً) أى ذات كره أو حملا ذا كره. والكره المشقة وقرئ كَرْها بالفتح وهما لغتان كالفُقر والفَقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر"

قوله تعالى[3]: " قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾

"تفســير المعــانى: قــال "آمنكم عليه إلا كما ائتمنكم على أخيه من قبل ، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين وقرئ فالله خير حفظاً ، وقرئ أيضاً فالله خير حافظ ، وقرئ فالله خير الحافظين."

خامساً: الناسخ والمنسوخ

- وقوله تعالى[4]: " كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ "

"تفســير المعانى : فرض الله عليكم إذا أوشك أحدكم على الموت ، وكان ذا مال أن يوصى بثلثه لوالديه وأقربائه بالعدل والمساواة .وكان هذا الحكم سارياً فى أول الإسلام قبل تعييــن المواريث فلما نزلت آيات المواريث نسخ هذا الحكم" وهو لم يذكر الآية الناسخة ، بل اكتفى بالإشارة."

قال تعالى[5] " أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

(١)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة العنكبوت ، من آية ٢٥ ، حـ ٢٠ ، ص ٥٢٤.

(٢) المصدر السابق : سورة الأحقاف : آية ١٥ ، حـ٢٦ ، ص ٦٦٨.

(٣) المصدر السابق : سورة يوسف : آية ٦٤ ، حـ١٣ ، ص ٣١٢.

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة ، من آية ١٨٠ ، حـ٢ ، ص ٣٤،٣٥ .

(٥) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٨٤ ، حـ٢ ، ص ٣٥

فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

"تفسير المعانى : فإذا أطاق أحدكم الصيام ولم يرد الصيام فعليه فدية طعام مسكين، نصف صاع من قمح أو صاع من غيره فمن زاد فى الفدية فهو خير له إن كنتم تعلمون. كـان هذا فى أول الأمر ثم نسخ وفرض الصيام بلا رخصة على كل قادر عليه كما يرى فى الآية التالية."(١)

قوله تعالى(٢) " وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ

تفسير الألفاظ : "(متاعا إلى الحول غير إخراج) أى أن المتوفى يوصى قبل موته أن تمـتع امرأته حولاً كاملاً بالسكنى والنفقة غير مخرجة من بيت زوجها مدة الحول. وقد كان هذا فى أول الإسلام قبل أن تورث المرأة فلما ورثها الشرع نسخت هذه المدة ، وأبدلت مدة العدة بها أى أربعة أشهر وعشرة أيام"(٣)

– قوله تعالى:(٤)" إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

تفسير المعانى : "إن الذين هاجروا أوطانهم وجاهدوا الأعداء بأموالهم وأنفسهم فى سـبيل الله والذين آووا ونصروا، أولئك بعضهم أولياء بعض فى الميراث. وكان المهاجرون والأنصـار يـتوارثون بالهجـرة والنصرة دون القرابة، ثم نسخ هذا الحكم بقوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض."

وقـد كرر ذلك عند الآية الناسخة(٥) يقول فى تفسير الألفاظ : "(وأولوا الأرحام بعضُهم أولى بِـبَعْضٍ) أى والأقارب بعضهم أولى ببعض من الأجانب ، وهذه الآية نسخت عادتهم الأولى فى التوارث بالهجرة والنصرة."

– قوله تعالى(٦)" ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ

(١) الآية التالية هى قوله تعالى : "شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر"

(٢) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ٢٤٠ ، جـ٢ ، ص ٤٩.

(٣) يشير إلى آية ٢٣٤ فى نفس السورة

(٤) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الأنفال ، آية ٧٢ ، جـ١٠ ، ص ٢٣٨.

(٥)المصدر السابق : سورة الأنفال : آية ٧٥ ، جـ١٠ ، ص ٢٣٩.

(٦)المصدر السابق : سورة المزمل ، آية ٢٠،جـ٢٩ ، ص ٧٧٥.

تفسـير المعانى : "قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور ، فعسر عليهم القيام بـه فنسـخ بالآية، المخففة له، وهى (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) ، ثم نسخ بتاتاً بالصلاة المفروضة ولكنه لم يذكر الآية الناسخة واكتفى بالإشارة إليها."

سادساً : التأويـل

- قوله تعالى[١]" وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

تفسير الألفاظ : "أى استوعب كرسيه الكون كله. والكرسى معروف. قيل كرسى فى الحقيقـة" ويعترض وجدى قائلاً "وأنما هذا تصوير لعظمته. وقيل كرسيه مجاز عن علمه أو ملكه"

- قوله تعالى[٢]" ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

تفسـير الألفـاظ : (ثم استوى على العرش) أى ثم جلس على العرش ، والجلوس محال على الله. فيكون تأويله ثم استوى على الملك يَرُبُّه ويدبره" وفى تفسير آخر يقول[٣] : "اسـتَوَىٰ أى استقر والعرش سرير الملك والاستقرار محال على الله" ويصرف ظاهر الآية عن طريق البلاغة "فالعبارة كناية عن استيلائه على الملك وتصرفه فيه"

وفي تفسير "قوله تعالى[٤] إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ تـرك الأمـر لعلماء السنة يقول"(ثم استوى على العرش) أى ثم جلس على سرير الملك وبمـا أن الله ليـس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يؤخذ هذا الكلام على ظاهره ، بل يجب تأويلـه. وقد سلك علماء السنة هذا المسلك فقالوا : إن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيـف أى أن له تعـالى اسـتواء على العرش على الوجه الذى عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن. وقالوا : العرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام"

- قوله تعالى[٥]" وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ".

تفسـير الألفاظ : "المكر هو الاحتيال ، وهو مستحيل على الله ، وإنما أسنده الله إلى نفسه فى الآية للمشاكلة بين اللفظين. أما فى حقه تعالى فيفسر بالتدبير. فيكون المعنى: وقد مكروا ، ودبر الله ما يبطل مكرهم ويوافق الحكمة الإلهية."

---

(١) محمد فريد وجدى :المصحف المفسر : سورة البقرة : من آية ٢٥٥ ، حـ٢ ، ص ٥٣.

(٢)المصدر السابق : سورة الرعد ، من آية ٢ ، حـ ١٣ ، ص ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق : سورة الفرقان : آية ٥٩ ، حـ١٩ ، ص ٤٧٧.

(٤) المصدر السابق : سورة الأعراف ، من آية ٥٤ ، حـ٩ ، ص ٢٠١.

(٥) المصدر السابق : سورة إبراهيم : آية ٤٦ ، حـ ١٣ ، ص ٣٣٦.

- قوله تعالى[1]" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ "

تفسير المعانى : وأطاعوا أمر الله فى السجود له ، سجود إجلال لا عبادة ، إلا إبليس ؛ فإنه أبى واستكبر وكان من الكافرين. ربما يكبر على التالى للقرآن أن يعتقد أن الملائكة يجادلون الله. والحقيقة أن هذا تمثيل لحال الملائكة عندما علموا فى عالمهم الروحانى بأن كائناً سيظهر على الأرض يكون من أمره ما يكون من الفساد ، فجاشت فى صدورهم هذه الاعتراضات ، وألهمهم الله الرد عليها على نحو ما تراه" ويوضح وجدى سبب هذا التعليل - "هذا تأويل واجب لأن الله لا يُرى. ولا للملأ الأعلى ... بنص القرآن"

- قوله تعالى[2]" ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا "

تفسير الألفاظ : "(لا يستحى) من الحياء ، وهو انقباض النفس عن إتيان أمر مخافة الذم. وهو بهذا المعنى مستحيل على الله لأنه منزه عن الانفعالات. فالمراد به الامتناع. والمعنى إن الله لا يمتنع أن يضرب مثلا."

سابعاً : الآراء الفقهية

قوله تعالى[3]" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ " تفسير المعانى : قال الأصوليون : قوله الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى لا يدل على منع قتل الحر بالعبد والرجل بالمرأة والمؤمن بالكافر. وإنما نزلت لما تحاكم حيان من العرب إلى الرسول وكانت بينهما حروب ، فاقسم أحد الحيين أن يقتل بكل عبد حراً وبكل أنثى ذكراً ، فنزلت تأمرهم بأن يكون الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ..."

قوله تعالى:[4]" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ "

تفسير المعانى : "إن أول بيت بنى لعبادة الله هو الذى ببكة ، قيل هو أولها من حيث القدم وقيل من حيث الشرف ، فيه آيات واضحات ، منها : مقام إبراهيم ، ومنها : أن من دخله يأمن على نفسه ولا يتعرض له أحد. عند أبى حنيفة من دخل لا يقبض عليه ولو كان قاتلاً ، بل يلجأ إلى الخروج"

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة البقرة : آية ٣٤ ، حـ١ ، ص٨.

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة : من آية ٢٦ ، حـ١ ، ص ٦،٧.

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٧٨ ، حـ٢ ، ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق : سورة آل عمران ، آية ٩٦ ، حـ٣ ، ص ٧٨.

- قوله تعالى :(١)" ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)﴾

" تفسير المعانى : المعنى الظاهر أن الله أراد لهم أن يزدادوا إثما فامهلهم ليتمادوا ويتسكعوا فى ضلالهم ، ولكن ذهب المعتزلة إلى أن قوله تعالى (إنما نملى لهم خير لأنفسهم) جملة معترضة والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا إنمانملى لهم ليزدادوا إثماً ، بل ليتوبوا ويدخلوا فى الإيمان ، فقرأوا الجملة المعترضة بكسر ألف إنما وقرأوا قوله تعالى إنما نملى لهم ليزدادوا إثما بفتح ألف إنما. ثم ذكر الله أنه يبتلى المؤمنين بالشدائد ليميز الخبيث من الطيب."

- قوله تعالى (٢): ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾

" تفسير المعانى : نقول. الرؤيا التي رآها إبراهيم تتعلق بابنه إسماعيل فهو الملقب بالذبيح وقال بعضهم : بل الرؤيا تتعلق بابنه إسحاق. والقول أرجح وعليه جمهور المسلمين"وهو قد رجح أحد الأراء ودعمه برأى جمهور المسلمين.

ثامناً : البلاغـــة

- قوله تعالى(٣)" ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ "

تفسير الألفاظ : (بحبل الله) "أى بالإسلام أو بالقرآن . استعار كلمة الحبل حيث إن التمسك بالحبل سبب السلامة"

- قوله تعالى(٤)" ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨)﴾ "

تفسير الألفاظ: "لئن بسطت إلى يدك. أى لئن بطشت بى ، فإن بسط اليد كناية عن البطش"

- قوله تعالى(٥)" ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾

تفسير الألفاظ " (وبلغت القلوب الحناجر) "هذا كناية عن شدة الرعب ، فإن الخائف يخفق قلبه حتى يخيل له أنه قد بلغ إلى حنجرته وهى منتهى الحلقوم."

- قوله تعالى(٦)" ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

---

(١) محمد فريد وجدى :المصحف المفسر : سورة آل عمران : آية ١٧٨ ، حـ٤ ، ص ٩٢.

(٢) المصدر السابق : سور الصافات : آية ١٠٢ : ١٠٧ ، حـ ٢٣ ، ص ٥٩٣ ، ٥٩٤.

(٣)المصدر السابق : سورة آل عمران ، من آية ١٠٣ ، حـ ٤، ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق : سورة المائدة : آية ٢٨ ، حـ٦ ، ص ١٤١ ، ١٤٢.

(٥) المصدر السابق : سورة الأحزاب : من آية ١٠ ، حـ٢١ ، ص ٥٥.

(٦) المصدر السابق : سورة آل عمران : آية ٣٧ ، جـ ٣ ص ٦٨ ، ٦٩

تفسير الألفاظ : " وأنبتها نباتا حسناً "شبهها فى نموها وترعرعها بالزرع ، والكلام مجازفى تربيتها بما يصلحها فى جميع أحوالها."

- قوله تعالى[1]" وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ "

تفسير الألفاظ : (وتذهب ريحكم) " أى وتذهب دولتكم . والريح مستعارة للدولة .. حيث إنها فى سريان أمرها ونفوذ سلطانها تشبه الريح فى هبوبها وامتدادها."

- قوله تعالى[2]" وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

تفسير الألفاظ : "أى وأوحينا إليه أن هؤلاء سيتأصلون وهم داخلون فى الصبح والدابر الأصل ، وقطع الدابر كناية عن الاستئصال."

- وقوله تعالى[3]" ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

تفسير المعانى : "والمراد من هذا التعبير تصوير تأثير قدرته وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بالأمر المطاع وإجابة المطيع."

تاسعاً : اللغـــة

قوله تعالى[4]" أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ

تفســـير الألفـــاظ : (الخاسرون) "أى المضيعون ، يقال خسر يخسر خسرا وخسراناً وخسارة ضد ربح"

- قوله تعالى[5]" وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾

" تفسير الألفاظ : (الطاغوت) الشيطان وكل ما عبد من دون الله ، مشتق من الطغيان وهو تجاوز الحد."

- قوله تعالى[6]" وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾

---

(١) محمد فريد وجدى :المصحف المفسر: سورة الأنفال ، آية ٤٦ ، حـــ١٠ ، ص ٢٣٤.

(٢) المصدر السابق : سورة الحجر : آية ٦٦ ، حـــ ١٤ ، ص ، ٣٤٢

(٣) المصدر السابق : سورة فصلت : آية ١١ ، حـــ٢٤ ، ص ٦٣١.

(٤) المصدر السابق : سورة المجادلة : من آية ١٩ ، حـــ ٢٨ ، ص ٧٢٨.

(٥) المصدر السابق : سورة الزمر ، آية ١٧ ، حـــ٢٣ ، ص ٦٠٨.

(٦) المصدر السابق :سورة النبأ ، آية ٢٨ ، حـــ٣٠ ، ص ٧٨٨.

تفسير الألفاظ : (كذابا) "أى تكذيبا ، وفعال بمعنى تفعيل شائع فى العربية"

- قوله تعالى[1]" أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ

تفسـير الألفـاظ :" قيـل أم هـنا منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ، أى ما كنتم حاضـرين إذ حضـر يعقوب الموت. وقيل هى متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شهداء" عرض الرأي والرأى الآخر دون ترجيح أو تفصيل.

- قوله تعالى[2]" أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

تفسـير المعانى : (أفمن حق عليه كلمة العذاب) " هذه جملة شرطية معطوفة على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم ، فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه."

عاشراً : التفسير والاصطلاح الدينى

لـم يغفـل فـريد وجدى الإشارة إلى تغير دلالات بعض الألفاظ بعد ظهور الإسلام وتحولها إلى مصطلح دينى

- قوله تعالى[3]" وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ "

تفسـير الألفـاظ : "ابتلى ، الابتلاء فى الأصل التكليف بالأمر الشاق. ثم أطلق على الاختبار."

- قوله تعالى[4]" وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ "

تفسـير الألفاظ : "الجنة هى الروضة. وفى الاصطلاح الدينى الدار التى أعدت للصالحين فى عالم الآخرة."

- قوله تعالى[5]" إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا "

تفسير الألفاظ : (اعتمر) أى زار

"والاعتمار فى الاصطلاح الدينى هو الحج ، ولكن بغير وقوف بعرفة"

- قوله تعالى[6]: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة البقرة : آية ١٣٣ ، جـ١ ، ص ٢٥

(٢) المصدر السابق : سورة الزمر : آية ١٩ ، جـ٢٣ ، ٦٠٨.

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٢٤ ، جـ١ ، ص ٢٤.

(٤)المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ٣٥ ، جـ١ ، ص ٨.

(٥) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٥٨ ، جـ٢ ، ص ٣٠.

(٦) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ١٥٣ ، جـ٢ ، ص ٣٠.

تفســـير الألفـــاظ : "والصلاة هى فى اللغة الدعاء والدين والرحمة والاستغفار" وفى الاصطلاح "عبادة فيها ركوع وسجود وحركات يعرفها المسلمون."

"والصلاة بمعنى الدعاء لا تكون إلا فى الخير ، وأما الدعاء فيكون فى الخير والشر"

- قوله تعالى[1]: " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

تفســـير الألفـــاظ: (وما أهل لغير الله به) "أى وما ذكر اسم غير اسم الله عند ذبحه. أصل الأهلال الصياح لرؤية الهلال ، ثم أطلق على تكبير الله"

ولم يكتف فريد وجدى ببيان الاستعمالات الشائعة فى اللغة أو الاصطلاح الدينى ، بل من الطريف أنه أهتم بتوضيح بعض الألفاظ ودلالتها فى اللغة العامية المصرية مثال :-

وقوله تعالى[2]" وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ "

تفســـير المعانى : "وأنبتنا لكم أيضاً شجرة تخرج من طور سيناء هى شجرة الزيتون تنـبت ثمـــراتها مصـــحوبة بالـــزيت وآدم للآكلين . ثم يعلق موضحاً (وهو الغموس بلغتنا المصرية)"

- قوله تعالى[3]" قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ "

تفسير الألفاظ : (يتيهون) "أى يضلون وهو ما يعبر عنه فى اللغة العامية بيتوهون."

وتكملة لبيان الصورة نعرض لبعض النماذج التى احتواها التفسير وتعد من خصائصه وتبين مدى التزام فريد وجدى بالمنهج الذى وضعه لنفسه :-

أولاً : المقاصد الشرعية

اســـتحوذ أمـــر اســـتلهام أسرار التشريع على فريد وجدى ؛ فاهتم بالنظر إلى أهداف القـــرآن وغاياتـــه وعـــنى بمغزى الحكمة فى تشريعاته الفقهية لما فى ذلك من صلاح الناس ومجتماعاتهم. ومن ذلك :-

- قوله تعالى[4]" مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ " - عـــلق عليها وجدى موضحاً حكمة النسخ بقوله "تقول إن النسخ ضـــرورى فى الأحكـــام بســـبب تطور الأمم وترقيها أو تدليها ، وأن الإسلام دين عملى فلا مناص له من مسايرة المجتمع الإنسانى فى تقلباته حتى يبلغ به كماله ، أليس هذا أولى من بقاء الأحكام على حالة واحدة فيضطر الآخذون بالدين لتركها واللجأ إلى تشريع أجنبى"

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة النحل : آية ١١٥ ، حـــ ١٤ ، ص ٣٦٢.

(٢)المصدر السابق : سورة المؤمنون آية ٢٠ ، حـــ ١٨ ، ص ٤٤٧.

(٣)المصدر السابق : سورة المائدة : آية ٢٦ ، حـــ٦ ، ص ١٤١.

(٤)المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ١٠٦ ، حـــ١ ، ص ٢١.

- قوله تعالى (1)" لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ

تفســير المعانى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) .. أى بالتجارة فى أثـناء شهور الحج. وقد كانوا فى الجاهلية يقيمون أسواقاً للتجارة فلما جاء الإسلام تأثموا من ذلك فنزلت هذه الآية تبيح لهم الإتجار فى شهر الحج.

ثم يوضح وجدى الغرض من هذا التشريع " **وهذا إشعار لهم أن هذا الدين لم يفرض عليهم ليحرمهم من الكسب ويعطل مواهبهم ، ولكن ليهديهم أقوام السبل ويحفزهم إلى أسمى الغايات"**

- وقوله تعالى(2)" وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (8) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)

وبعــد الشرح يعقب وجدى قائلاً **"هذا أبلغ وأكمل ما عرف فى الشرائع من الحث على حفظ حقوق اليتامى والقيام على تربيتهم "**

- قوله تعالى(3)" وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا

تفســير المعانى : "واللاتى يأتين بفاحشة من نسائكم - المراد بالفاحشة هو الزنا - فاطلــبوا ممــن اتهمهــن أربعــة شــهداء. إن طلب أربعة شهداء رؤية فى تهمة الزنا من المقــرارات الــبالغة حــد الحكمة فإن هذه الجريمة من أشنع الجرائم وثبوتها يجر إلى أشد العقوبات، فالاحتياط فى إثباتها إلى هذا القدر عدل ليس وراءه مرمى"

- قوله تعالى(4)" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101)

تفسير المعانى : "الآية نزلت حين سأل سراقة بن مالك ، وقد أوحيت إلى رسول الله آيــة الحــج ، قائلا : أكل عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ســؤاله ثلاثــاً : فقــال : لا ولو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، فاتركونى ما تركتكم. ونزلت هذه الآية. ثم يوضح المقصد الشرعى قائلاً :-

---

(1) المصدر السابق : سورة البقرة : آية 198 ، حـــ2 ، ص 39.

(2) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النساء ، آية 8 :10 ، حـــ4 ، ص 99.

(3) المصدر السابق : سورة النساء آية 15 ، حـــ4 ، ص 101.

(4) المصدر السابق : سورة المائدة، آية 101 ، حـــ7 ، ص 157.

"هــذه مــن حكم الإسلام البالغة ، فإنه سلك فى تيسير الدين على الناس كل طريق حتى سد عـليهم طــريق الســؤال خشــية مــن تقييد الأمور وتعقيدها ، فأين هذا من أسلوب الذين يفترضون ما لا يكون ويجيبون عنه!"

- قوله تعالى[1]" وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ

تفســير المعــانى : "لقد اختصت الديانة الإسلامية بالتكفل بسعادة الحياتين وحققتها لذويهــا فى الواقع فى صدر الإسلام، وهذا الحدث الجلل لم يتفق لأمة من أمم المعمور إلى اليــوم ، ولو استقام المسلمون على سنة كتابهم لاستردوا مكانتهم التى بهرت العالم قروناً طويلة "

ولا يخــفى دعــوة الإصلاح الاجتماعى عن طريق التمسك بالإسلام التى تنطق بها حروف وجدى .

- قوله تعالى[2]" نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣﴾ "

تفسير المعانى : "لقد تكرر ذكر موسى وفرعون فى القرآن على وجوه شتى لأن فى تاريخهمــا عبرة العرب وزجراً لهم عن التمادى فى إهمال الدعوة الإسلامية" .وهنا قد يبين فائدة تكرار القصص فى القرآن .

ثانياً : العلم والإعجاز العلمى

عاصر فريد وجدى توظيف العلوم المختلفة فى التفسير ؛ فاهتم ببيان أوجه الإعجاز العلمى فى القرآن، كما عنى بعلمى النفس والاجتماع فى تفسير الآيات.

- قوله تعالى[3]" وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾

تفسير المعانى : "واذكر إذ طلب إبراهيم أن يريه الله كيف يحيى الموتى ؛ فأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيضمهن إليه ثم يقطعهن ويجعل على كل جبل جزء منهن ثم يناديهن فيأتيه مسرعات إن الله عزيز حكيم" ثم بعد الشرح يطل بإطلالة علمية يقرب فيها إلى الأذهان معجزة إبراهيم.

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة النساء : آية ١٢٨: ١٣٠ ، حـــ٥ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥.

(٢) المصدر السابق : سورة القصص ، آية ٣ ، حـــ٢٠ ، ص ٥٠٦.

(٣) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ٢٦٠ ، حـــ٣ ، ص ٥٥

"إن إشـــارة الكتاب الكريم إلى معجزة إبراهيم هذه تشير إلى أنه فى الإنسان قوى إلهية فى إمكانها بتوفيق الله أن تبعث الحياة فى الجمادات. وقد دلت الأبحاث فى المغناطيس الحيوانى فى هذا العصر على ما يجعل هذه المعجزة معقولة علمياً."[1]

- قوله تعالى[2]" قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ "

تفسير المعانى : "تقول اختلف الناس فى الجن ، فمن قائل إنه لا جن ، وإنما كل ما يتصـــل بنا من العالم الروحانى فهو من الأرواح الأدمية ، ومن قائل إنهم عالم قائم بنفسه. ويفهـــم من روح القرآن تأييده لهذا الرآى .. ولعل الأبحاث التى يجريها العلماء فى تحقيق المسائل الروحية تفضى إلى علم صحيح يركن إليه فى أصل الجن[3]"

- قوله تعالى[4]" قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

تفســـير المعانى :" قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم (يريد بالحق القرآن) فمـــن اهتدى به فإنما يهتدى لنفسه لأن نفعه عائد عليها دون سائر الناس ، ومن ضل فإنما يضل عليها لأن التبعة واقعة عليها دون سائر الخلق ، وما أنا عليكم بوكيل" . ثم يوضح أثراً مـــن آثار علم النفس فى القرآن يقول : "قوله تعالى : فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، نعده نحن أصلاً عظيماً من أصول تربية النفس. تربية حرة مطلقة لإشعاره إياها بأن كل أعمالها عائدة عليها وكل شر تفعله مرتد إليها ، لا تأثير لاعتبار آخر فى ذلك."

- قوله تعالى[5] ' وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

تفسير المعانى : وبعد تفسير وجدى للآية أشار إلى ما تحتويه من أسس علم الاجتماع يقـــول :-"يشـــير إلى ناموس اجتماعى كبير وهو ضرورة الخلاف بين الناس فى عقائدهم وعوائدهم وميولهم ليجرى كل منهم على شاكلته فيبلغ من ناحيتها أبعد الغايات فيصل العالم

---

(١)إن هذه المعجزة خاصة بإحياء الموتى والتنويم المغناطيسى لا يعنى أن العلم لديه هذه القدرة ، وإن كنا نقبلها فعلى سبيل تقريب المعجزة إلى الأذهان.

(٢)محمد فريد وجدى :المصحف المفسر : سورة الجن ، آية ٢٠١ ، جـــ ٢٩ ، ٧٧٠.

(٣)حتى مسألة الجن يخضعها فريد وجدى إلى الأبحاث العلمية ، ربما هى عادته فى محاولة لتقريب الأمور الغيبية إلى العقل ، وقد أثار هذا جدلاً بينه وبين بعض العلماء أمثال مصطفى صبرى (مفتى الديار التركية السابق). انظر القول الفصل- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين.

(٤)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة يونس ، آية ١٠٨ ، جـــ١١ ، ص ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق : سورة هود ، آية ١٨ ، جـــ١٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢.

يســيراً يسيراً إلى كماله المنتظر بالجمع بين هذه المحصولات المادية والمعنوية المتباينة. وهذه من المعجزات العلمية لهذا القرآن نضيفها إلى الكثير مما عرف منها اليوم."

- قوله تعالى[1]" وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ "

تفسير المعانى : "وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق لكم مالا تعلمون من تسخير قوى البخار والكهرباء وغيرهما.

وهــذه مــن أغرب معجزات القرآن ، فإن فيه تنبوءً صريحاً بما اخترع فى القرنين التاسع عشر والعشرين" .

- قوله تعالى[2] أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

تفســير المعــانى " ألــم ير الكافرون أن السموات والأرض كانتا جميعاً كتلة واحدة ففصــلنا بعضها عن بعض ، وجعلناها كواكب وشمسا وتوابع ، وجعلنا من الماء كل حيوان ونــبات أفــلا يؤمــنون؟ نقول هذا من أغرب معجزات القرآن ، فإن العلم الحديث يقرر ذلك حرفياً" .

- قوله تعالى[3]" وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ "

تفســير المعــانى :" وآتيناهم دلائل من أمر الدين فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العــلم ، لأن العلم بطبيعته مثير للخلاف ، والدين لا يصح أن يكون محلاً للنزاع لأنه بسيط موافــق لــبداهة العقــل فــلا يجــوز خــلطه بمسائل العلم فيعتريه ما يعتريها من الشكوك والإشكالات" .

ظاهر الكلام فصل بين الدين والعلم وإن كان فريد وجدى كما سبق يسخر العلم لخدمة الدين .

ثالثاً : المرأة فى الإسلام

لم يغفل فريد وجدى وهو من مدرسة محمد عبده أن يشير إلى اهتمام الإسلام بالمرأة ومدى رعايته لها.

- قوله تعالى[4]" ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر: سورة النحل : آية ٨ ، جــ ١٤ ، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق : سورة الأنبياء : آية ٣٠ ، جــ١٧ ، ص ٤٢٣.

(٣)المصدر السابق : سورة الجاثية ، آية ١٧ ، جــ٢٥ ، ص ٦٦٢.

(٤) المصدر السابق : سورة البقرة : آية ٢٢٨ ، جــ٢ ، ص ٤٦.

ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ

تفسير المعانى : الطلاق مرتان وليس بعدهما إلا المعاشرة بالمعروف أو الفراق بالمعروف.ولا يحل للرجل أن يأخذ من مهر إمرأته شيئاً إلا أن خشيا أن لا يقيما حدود الزوجية وأرادت المرأة أن تفدى نفسها بمال تدفعه للرجل فى مقابل تطليقها فيحل له أخذه إذ ذاك[1]

ويقارن وجدى بين حال المرأة فى الإسلام وحالها من قبل فى الجاهلية يقول :-

"هذه الأحكام تعتبر غاية فى رعاية حقوق النساء ؛ فإنها صريحة فى الاعتراف لهن بحقوق على الرجال وتنص على وجوب احترامها ، أين هذا مما كانت عليه فى الجاهلية حيث كانت تورث كبعض الأمتعة ولا تجد من ترفع إليه ظلامتها!"

- قوله تعالى[2]" وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

تفسير المعانى : "فى هذه الآية من رعاية حقوق المرأة مالا يعرف فى غير الشريعة الإسلامية، فإن المرأة كانت فى تلك العصور محرومة من كل حق فى كل أمة ، بل كانت أسيرة لا تملك لنفسها عدلاً ولا صرفاً حتى أشرق شرع الله فخلصها مما كانت فيه ."

- قوله تعالى[3]" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَ "

تفسير المعانى : "تقول إن أعداء الإسلام يفترون عليه بأنه لم يحفل بالنساء، وبأنه عدهن من الأشياء لا الأحياء وأنت ترى أن الكتاب الكريم ينوه بهن فى كل فرصة ويجعل لمبايعتهن الرسول شأناً ، فينص عليه فى آيات خاصة شأن الحوادث ذات الخطر وكفى بهذا تكذيباً للمتقولين على الإسلام" (يقصد اتهامات المستشرقين بأن الإسلام أبخس المرأة حقها)

رابعاً : التكرار

يقترب التكرار إلى المظاهر الشكلية فى تفسيره أكثر من الضمنية. فهو كما قال فى مقدمة تفسيره سيلتزم تكرار تفسير اللفظ كلما تكرر اللفظ.

وسنكتفى بتتبع فريد وجدى فى تفسيره للحروف المقطعة فقد ذكرت فى سبع وعشرين سورة ،

---

(١) يشير إلى قضية "الخلع"

(٢) المصدر السابق : سورة البقرة ، آية ٢٣٣ ، حـ٢ ، ص ٤٧ ، ٤٨.

(٣)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة الممتحنة : آية ١٢ ، حـ٢٨ ، ص ٧٣٧.

هى عـلى الـتوالى[1] (البقرة (آلم) – آل عمران (آلم) – الأعراف (آلمص) يونس(آلر) هود (آلـر)– يوسف (آلر) – الرعد (آلمر)– إبراهيم (آلر) – الحجر (آلر) مريم (كهيعص) – طه (طـه) – الشعراء (طسم) – النمل (طس) – القصص (طسم) العنكبوت (آلم) – الروم (آلم) – لقمان (آلم) – السجدة (آلم) – يس (يس) غافر (حم) –الشورى (حم) – الزخرف (حم) – الدخان (حم) – الجاثية (حم) الأحقاف (حم) – ق (ق) – القلم (ن).

وقد كرر فريد وجدى ما قاله فى تفسير هذه الحروف مثال ما ذكره فى سورة البقرة .

– قوله تعالى[2]" (آلم) **قال: هذه الأحرف وغيرها مما افتتحت به بعض السور.**

قيـل إنها من الأسرار المحبوبة ، وقيل هى أسماء لله تعالى ، وقيل هى إيمان لله عز وجل وقيل هى إشارة لابتداء كلام وانتهاء كلام ، وذهب الأكثر إلى أنها أسماء السور"

ولم يختلف الكلام الذى ذكره فريد وجدى فى التكرار مع تلك الحروف سوى ما ذكره من أنها **(رموز لا يدريها إلا الله ورسوله[3]أو أنها (أسرار بين الله ورسوله)[4]**

- ولم يستخدم إلا حالة قط فى أى من الحروف فكلما جاءت سورة بها حروف مقطعة أعاد الكـلام الـلهم إلا فى الحـروف [حم] فقد جاءت فى سور متوالية هى (غافر – الشورى الزخـرف – الدخـان– الجاثيـة – الأحقاف) فنكر التفسير فى غافر ثم أحال باقى السور عليها[5].

وما أتى برأى مخالف فى الحروف المقطعة إلا فى يس – وطه.

---

(١) المصدر السابق : أرقام الصفحات لتلك السور هى على التوالى : ص٣ : ص٦٢–ص١٩٢ –ص٢٦٢– ٢٨٣–٣٠٢–٣٢٠–٣٢٩–٣٣٧–٣٩٦–٤٠٦–٤٧٩–٤٩٤–٥٠٩–٥٢٠–٥٣٠–٥٣٩–٥٤٤–٥٧٩–٦١٧–٦٣٨–٦٤٧–٦٥٦–٦٦٠–٦٦٥–٦٨٨–٧٥٧.

ومن النماذج الأخرى : قوله تعالى فى سورة النساء ، آية ١٢٩ ،جـ٥ ،ص ١٢٤.

"ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة"

تفسير الألفاظ (فتذروها) فتركوها ، وهذا الفعل لا يستعمل إلا فى المضارع والأمر وقد تكرر استخدام هذا الفعل فى القرآن الكريم.

وكرر فريد وجدى تفسيره لم ينقص ولم يزيد مثل ما ذكره فى سورة الأنعام : آية ٧٠، جـ٤ ، ص ١٧٣ وسورة نوح : آية ٢٣ ، جـ٢٩ ، ص٧٦٩.

(٢)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة البقرة ، آية ١، جـ١ ، ص٣.

(٣) المصدر السابق : سورة يونس : جـ١١ ، ص ٢٦٥.

(٤) المصدر السابق : سورة الرعد : جـ ١٣ ، ص ٣٢٠.

(٥) مثال فى سورة الزخرف : جـ٢٥ ، ص ٤٧ ٦ ، عند تفسير "حم" قال وجدى "انظر معناها فى صفحة ٦١٧".

قـــال فى طه[1]... " طه قيل معناه يا رجل على لغة بنى عك ، وقيل أصله طاها على أنـــه أمر لرسول الله بأن يطأ الأرض بقدميه ؛ فإنه كان يقوم فى تهجده على إحدى رجليه ، وقد إبدلت الألف من الهمزة ، والهاء كناية عن الأرض. لكن يرد ذلك رسمها"

وهـــذا مخـــالف لأراء كثيرين من المفسرين الذين يروا أن طه من الحروف المقطعة أمـــثال أحمد المراغى يقول[2]"طه تقدم أن قلنا إن أصح الآراء فى الحروف المقطعة التى فى أوائـــل الســـور أنها حروف تنبيه كألا ويا ونحوهما ، مما يذكر فى أوائل الجمل لقصد تنبيه المخـــاطب إلى ما يلقى بعدها لأهميته وإرادة إصغائه إليه نحو ما جاء فى قوله تعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[3]وينطق بأسمائها حين القراءة فيقال (طاها)

وفى ســـورة يس[4]"قيل مثل يس كمثل الم وكهيعص من الأحرف التى تبدأ بعض السور وقيل معناه يا إنسان بلغه بنى طئ على أن أصله يا سينين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به"

ومن خلال النماذج السابقة التى تم الاستشهاد بها نخلص إلى بعض الملاحظات حول تفسير محمد فريد وجدى ، وهى مقسمة للآتى :-

أولاً: ملاحظات حول أدوات التفسير ووسائله.

ثانياً : ملاحظات حول الخصائص التى يتميز بها تفسيره.

ثالثاً : ملاحظات عامة.

أولاً : ملاحظات حول أدوات التفسير ووسائله

أولاً : القرآن

استعان فريد وجدى بالقرآن لتفسير معنى أو لتوضيح لفظة أو لتأييد حكماً ، ولكنه لم يحدد رقم الآية ولا اسم السورة.

ثانياً : الحديث الشريف

لـــم يستدل بالحديث كثيراً وما ذكره كان لتوضيح دلالات الألفاظ أو المعانى وينقصه توثيـــق الحديث. ولم يذكر السلسلة السندية ولو فى الهامش.

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة طه ، جـــ ١٦ ، ص ٤٠٦.

(٢)أحمد مصطفى المراغى : تفسير المراغى : ص ٩٤ ، المجلد الخامس ، سورة طه ، دار إحياء التراث العربى بيروت ط الثانية سنة ١٩٨٥م.

(٣) سورة يونس : آية ٦٢.

(٤)محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة يس ، جـــ٢٢ ، ص ٥٧٩.

ثالثاً : أسباب النزول

- اهـــتم فـــريد وجـــدى بأســـباب النزول اهتماماً بالغاً حتى أن المتتبع له لن يجد مشقة فى استخراج الشواهد عكس مسائل الفقه أو الحديث مثلاً.

وهـــو يأتى بسبب النزول دون أن ينبه القارئ إلى هذا فى بعض الأحيان. وقد يأتى بعدة آراء دون ترجيح لها حيناً ومرجحاً لأحد الآراء حيناً آخر.

- **القصص**

عنى وجدى بإيراد أخبار الأمم السابقة بالإيجاز تارة وبالتفصيل تارة ولم ينس توضيح العبرة المقصودة فى هذا أو ذاك.

رابعاً : القراءات

اشـــتمل تفســـير الألفـــاظ لدى فريد وجدى على كثير من أوجه القراءة المختلفة دون تفصـــيل أو تحديد لأسماء القراء أحياناً. وكذلك اشتمل تفسيره للمعانى على أوجه القراءة حين يقارن بين دلالة لفظة وأخرى.

خامساً : الناسخ والمنسوخ

وقـــف فريد وجدى عند الآيات المنسوخة خاصة ، وأشار إلى الآية الناسخة إما بذكر الحكـــم الناسخ وحسب أو بذكر الآية الناسخة ، وكان يكتفى أحياناً بمجرد الإشارة إلى أن هذا الحكـــم تـــم نســـخه ولا يذكر الحكم المنسوخ ولا الآية أو السورة. وقليلاً ما يشير عند الآية الناسخة إنها نسخت حكماً آخر.

سادساً : التأويل

أول فـــريد وجدى بعض الألفاظ لما تشتمل عليه من دلالات يراها تمس تنزيه الله من كل نقص وعيب ويعلل إتيانها فى القرآن على هذه الصورة لأسباب بلاغية أو لغوية ، مكرراً تأويله وتعليله لها كلما تكرر اللفظ وإن اختلفت الصياغة **(مثل لفظ العرش ، مكر الله).**

سابعاً : الفقه

هـــناك بعض الآيات التى استوقفت فريد وجدى حول قضايا فقهية استشهد فيها بآراء للمعـــتزلة وأخـــرى للأصوليين ، وبعض الآراء المختلفة حول تفسير آية أو دلالة لفظ. وهذه الوقفات لم تكن كثيرة ، بل تكاد تعد فى تفسيره ككل.

ثامناً : البلاغة

تنتشـــر الاســـتدلالات الـــبلاغية بكثرة فى تفسير فريد وجدى لا سيما تفسيره للألفاظ موضـــحاً أوجـــه الاستدلال وتأثيرها على المعنى مستشهداً أحياناً بأقوال العرب واستعمالاتهم لتؤكد رأيه مكتفياً فى بعض المواضع بالإشارة إلى الموضع البلاغى دون تفصيل.

تاسعاً : اللغة

احتـــلت الـــلغة جزءً كبيراً من تفسير فريد وجدى لأهميتها فى تحديد المعنى فحرص على إيراد المرادفات مع الترجيح أحياناً كما حرص على توضيح تصريف الألفاظ واشتقاقتها فى الـــنحو واســـتعمالاتها المختـــلفة كاستخدام اللفظ فى الفعل الماضى والمضارع وتوضيح اختلاف مدلول اللفظ حسب موقعه الإعرابى. وقد يأتى ببعض الآراء المتعددة فى مسألة نحوية دون تفصيل فيها أو ترجيح.

عاشراً : الاصطلاح الدينى

اهـــتم فريد وجدى بتتبع تطور اللفظ وتغيره مع الاصطلاح الدينى. وهذا لأهميته فى ثقافـــة المســـلم (كما رأينا أن وجدى لا يغفل اللغة العامية المصرية فيبسط الألفاظ للعامة من القراء)

ثانياً : ملاحظات حول خصائص التفسير لدى وجدى.

أولاً : المقاصد الشرعية

أننا حين نبدى ملاحظاتنا عن استلهام أسرار التشريع لدى فريد وجدى نتذكر قول محمد حسين الذهـــبى يقـــول[1]" نجـــد أن الأستاذ الأكبر (يقصد محمد عبده) يهتم فى تفسيره اهتماماً كبيراً بإظهـــار ســـر التشريع الإسلامى وحكمة التكليف الإلهى ليظهر محاسن الإسلام ويكشف عن هدايته للناس" ولا عجب إن انطبق هذا على محمد فريد وجدى فهو من مدرسة محمد عبده فلم يـــدع آية يوضح من خلالها عظمة الإسلام إلا وأمسك بها وجعلها دليلاً على صدق حديثه لما فى الإسلام من رفع شأن للعالم أجمع

ثانياً : العلم والإعجاز العلمى

مـــن أهم القضايا التى ولع فريد وجدى بها ؛ الربط بين العلم والدين ، وظهر هذا فى مؤلفاته المختلفة فكان منطقياً أن تتضح هذه القضية من خلال تفسيره للقرآن الكريم ، فيسعى تارة لتقريب المعجزات عن طريق العلم وأحدث ما توصل إليه ، وتارة يوضح أوجه الإعجاز فى آيات الذكر الحكيم لما تشتمل عليه من أسس علمى النفس والاجتماع.

ثالثاً : المرأة فى الإسلام

"تـــناول رجـــال المدرســـة الاجتماعية[2](مدرسة محمد عبده) آيات من القرآن الكريم حاولوا أن يصلحوا على ضوئها وأن يبثوا من خلال تفسيرها ما يرون فيه إصلاحاً لأوضاع

---

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون : حـــ٣ ، ص ٢٦٣.

(٢) فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر : ص ٧٩٤ ، م٢

المــرأة" الــتزم فريد وجدى بهذا الدور ؛ فأخذ يبين رعاية الإسلام لحقوق المرأة ، راداً بذلك على شبهات المستشرقين فى شيء من سهولة اللفظ وبساطة الأسلوب.

رابعاً : التكرار

صدق فريد وجدى فى تنفيذ ما وعد به فى منهجه ، فقد تكرر إيراده لتفسير اللفظ مهما تكــرر اللفظ ، وذلك حتى يسهل على التالى للقرآن أن يجد المعنى كيفما قرأ وأراد فلن يفوته تفسير لفظ ذكر فى أول سورة فى المصحف إن قرأه فى نهايته.

ثالثاً : ملاحظات عامة على تفسير فريد وجدى

١- التزم غالباً بالمنهج الذى وضعه لنفسه إلا فى حالات قليلة.

٢- حاول توصيل وجهة نظره دون أن يتدخل كثيراً فى معانى القرآن.

٣- اهــتم بالأساســيات التى تساعد على التفسير السهل الميسر مثل : اللغة وأسباب النزول والناســخ والمنسوخ ، وغيرها من وسائل التفسير بالمأثور، كما لم يخف كما سبق ذكره. وجــود الجانب العقلى فى تفسيره مثل : التأويل واعتماده على العلم ومعجزاته. ولم يغفل الجانب الاجتماعى الذى تميزت به مدرسة محمد عبده كاهتمامه بالمرأة.

ملاحظات شكلية فى طريقة التفسير أوفى صياغته.

كما ذكر فريد وجدى فى منهجه ؛ فهو يأتى بالآيات على شكل المصحف ثم يأتى فى الهوامش بتفسير الألفاظ ثم بتفسير المعانى

وما خالف هذا المنهج فى تفسيره كله إلا فى عدة مواضع يمكن حصرها :-

١- اكتفائه بتفسير الألفاظ ولا يذكر تفسير المعانى(١)

٢- أن يأتى بتفسير الألفاظ والمعانى مندمجين معاً(٢)

٣- أن يكتفى بما ذكره فى التمهيد أو أسباب النزول ويشير إلى وضوح الباقى

٤- أن يأتى بتفسير للألفاظ داخل تفسير المعانى(٣)

- وهو عادة يذكر تفسير الألفاظ الموجودة فى الصفحة كلها حتى ولو كانت لأكثر من سورة ولا يضــع فواصــل لتبين نهاية سورة أو بداية أخرى سواء فى تفسير الألفاظ أو المعانى وكأنها وحدة واحدة لا وجود لفواصل ولا مسميات.

وبعــد إيراد الملاحظات على تفسير فريد وجدى التى تعد تقييماً له - نطوف سريعاً مع بعض الآراء حول المصحف المفسر وأسلوب فريد وجدى فيه.

---

(١) محمد فريد وجدى :المصحف المفسر : مثل : سورة الأعراف : جـ ٩ ، ٢٢٣ ، سورة يوسف ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق : سورة القلم ، الحاقة ، المعارج ، جـ٢٩ ، ص ٧٥٨ :٧٦٧

(٣) المصدر السابق : سورة الأنبياء : جـ١٧ ، ص ٤٥٧.

لقد سبق وذكرنا أن تفسيره يجمع بين الجانب النقلى والجانب العقلى مع الاهتمام بالجانب الاجتماعى الذى ميز مدرسة محمد عبده ، ولكن د. "جمال العمرى" يضع تفسير وجدى تحت إسم آخر[1] فكما بدا من النماذج السابقة أن فريد وجدى يمتع القارئ بأسلوب ميسر. ينثر القرآن بألفاظ سهلة ، تؤدى المعنى ، قريبة من ألفاظ القرآن . وهذا ما يتفق مع ما سماه د.جمال بالتفسير الإجمالى . ولأترك له الساحة ليعرفنا بهذا النوع من التفسير يقول :-[2]

التفسير الإجمالى "هو الذى يعمد فيه الباحث المفسر ، إلى الآيات القرآنية على ترتيب تلاوتها، أو وضعها فى المصحف ، فيقصد إلى معانى جملها ، متتبعاً ما ترمى إليه من مقاصد ، وما تهدف إليه الجمل من أهداف، ويتوخى المفسر فى عرضه لهذه المعانى ، وضعها فى إطار من العبارات التى يصوغها من ألفاظه، ووضعها فى قوالب تقربها من الأفهام ، وتجعلها مفهومة متداركة من القارئين أو السامعين."

"والمفسر فى هذا المنهج الإجمالى ، إذ يسير على منهج القرآن فى ترتيبه ، يجعل المعانى بعضها متصلاً ببعض. وهو إذ يلفظ بعبارته التى صاغها من ألفاظه ، يأتى بين الحين والحين بلفظ من ألفاظ القرآن، حتى يشعر السامع أنه لم يكن بعيداً - فى تعبيره- عن سياق القرآن ، وحتى يحقق التفسير من جانب ، ويكون رابطاً نفسه بنظم القرآن من جانب آخر ، ويكون فى الموضوع الذى يغرب ، أو يصعب فيه لفظ القرآن ، آتيا بلفظ يكون أوضح عند السامعين ، وأيسر فى الفهم عند القارئين ، وفى المواضع التى يعبر فيها بألفاظ القرآن تكون تلك الألفاظ واضحة المعنى، بّينة المقصود ، وبذلك يكون فيما جاء به من ألفاظ موضحاً للمقصود.[3]

"وهذا اللون من التفسير الإجمالى ، أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية التى لا يتقيد فيها المترجم بالألفاظ والجمل ، وإنما يقصد بها إلى توضيح المعنى ، وإبراز مراميه وتجليتها فى بيان المقصود من جملها وتركيبها."

---

(١) إن كنت اعتقد أن رأىّ السابق يشمل المضمون ، أما رأى د. جمال يستوعب الشكل أكثر من المضمون وإن كان لا يعقله.

(٢) د. أحمد جمال العمرى : دراسات فى التفسير الموضوعى للقصص القرآنى :ص ٤١.

(٣) ونؤيد رأى د. "أحمد جمال العمرى" بهذا النموذج من تفسير فريد وجدى الذى يتضح فيه سرده للآيات واضعاً بدل المعنى الغامض معنى مفهوم. قوله تعالى "يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم. والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحاب الجحيم"

تفسير المعانى : يأيها المؤمنون اجتهدوا فى القيام بعهود الله شاهدين بالقسط أى بالعدل ، ولا تحملنكم كراهتكم لقوم على أن لا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى واحذروا الله إن الله خبير بما تعملون . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بمغفرة وأجر كبير. وأما الذين كفروا وكذبوا بآيات الله فلهم عذاب الجحيم" محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : سورة المائدة ، آية ٨ :١٠ ، جـ ٦ ، ص ١٣٧.

"وقد يضيف إلى ذلك تلميحات من إيجاز لحادثة تاريخية ، أو سبب نزول أو حديث نبوى ، أو أثر عن السلف ، حتى يحقق بهذه الإضافات الفائدة المرجوه من تفسيره"

ثم يحدد د. جمال الفئة التى تشتهر بهذا التفسير يقول "وهذا النوع من التفسير شفهى معظمه ، وأكثر المفسرين على هذا النمط هم المحدثون ، رواد الإذاعة والتليفزيون خاصة فيما يتصل بتقدمة التلاوة. و القصد منه ، إعطاء فكرة إجمالية عما سيتلوه القارئ من القرآن الكريم ، حتى يكون السامع للقرآن مدركاً لمعانيه ، واعياً لمقاصده ، ملماً بأطرافه ، مدركاً لمغزاه ، وبذلك لا يكون سماع القرآن مقصراً على جمال المقاطع ، وإيقاع النغم ، وإنما يكون المستمع واعياً بالمقروء ، وإن كان إجمالاً ... وهذا التفسير الإجمالى وليد العصر الحاضر . ومن أمثلته فى القديم تفسير الجلالين للسيوطى ، وتفسير محمد فريد وجدى فى الحديث"

أما د. محمد إبراهيم شريف فيرى أن محمد فريد وجدى باعتباره مفسراً اتبع المنهج الهدائى يقول[1] :- "كان محمد فريد وجدى صاحب رسالة محددة ألقت به كمفسر فى طريق الاتجاه الهدائى مع غيره من المفسرين ، وكان رائد مدرسة فكرية تجمع بين القديم والجديد فى صعيد واحد وتزاوج بين الحضارة والدين على منهج يختلف عن منهج الباحثين من رجال الدين أو العلم على السواء"

"ويمكن أن نقول إنه بهذا المنهج الذى اتبعه فيه كثير من التلاميذ، قد كون مدرسة متميزة نوعاً ما ،ولكنها لم تخرج عن اتجاهها الهدائى ، فقد آمن بإنسانية الفكر البشرى ،وجعل هدفه المواءمة بين الفكرة الإسلامية وأصول المدنية العصرية .

وقد جاءت آراء فريد وجدى واتجاهاته الإصلاحية مضمنة فى بعض كتبه مثل :"المدنية والإسلام" والوجديات ودائرة معارفه ،كما ضمن تفسيره ومقدماته روحه التجديدية"[2]

ويوضح د.طه الحاجرى رأيه فى مقدمة تفسير فريد وجدى المستقلة يقول:-[3] " المقدمه.. بدأها بما سماه " فذلكة فىفلسفة الأديان..وقد استغرقت هذه الفذلكة معظمها . وغلبت عليه فيها روح الأبحاث التى كان يعالجها فى الحديقة الفكرية" وما كان يعالجه من ذلك فى "الإسلام فى عصر العلم " بما يتصل بفلسفة الأديان ، ومراحل الإيمان وخصائص الإسلام وما إلى ذلك، فإذا هو مستغرق فيها مسترسل معها ، حتى إذا ما كان عليه أن يتكلم فى تاريخ القرآن وكيفية نزوله، وقراءاته وما إلى ذلك مما ذكره فى منهجه لم يأت بجديد ، ولم يكد يزيد

---

(١) د. محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن : ص ٤٦٨ ، ط١ (١٤٠٢هـ — ١٩٨٢) دار التراث القاهرة.

(٢) المصدر السابق :ص ٤٦٩.

(٣) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وأثاره : ص ٩٠.

فى مثل ما جاء منه فى كتاب ككتاب الإتقان للسيوطى دون أن يبدو له فيه جهد خاص يستحق التنويه"(١)

وأرى أن لا غـرابة فى رأى د. طه الحاجرى فقد أوضح د. أحمد جمال الصلة بين السـيوطى وفـريد وجدى فهما يتبعان نفس المنهج الإجمالى وإن كان د. طه الحاجرى عاب بعـض التقصـير عـلى فريد فى المقدمة ، فقد مدح التزامه بالمنهج الذى وضعه فى تفسيره المصحف المفسر يقول(٢):-

"فإنـه فى التفسير حقق ما رسمه ، ووقف عند حدود ما التزمه ، فجاء مؤدياً للغرض الـذى أراده له أداءً كافيـاً، من ناحية العناية بتفسير المعانى تفسيراً يجمع إلى الدقة والقصد القـرب واليسـر ، ومـن ناحية العناية اللغوية بتفسير الألفاظ ، كما تجنب إقحام التفسير فى معترك المذاهب ومزدحم الآراء، فوقف عند التفسير السائد ، دون أن يعرض لرأى خاص إلا أن يضطره الكلام إليه ، فينبه إلى ذلك . وقد وقع ذلك فى مواضع قليلة"

وللدكتور محمد رجب البيومى رأى موجز فى تفسير فريد وجدى يقول(٣): "وقد لمس حاجـة عصـره إلى تفسير مناسب يقرب كتاب الله من الأذهان، إذ أن التفاسير المتداولة تتيه القـارئ فى أودية من العلوم : عربية وفقهية ومذهبية ، فتنأى به عن الروح الحى المتألق فى كتاب الله ، لذلك نهض بواجبه فى التفسير نهوض من يدرك أهمية عمله ، فذاع تفسيره الموجز وترجم إلى لغات كثيرة وتناقله جمهور المسلمين فى شتى بلادهم النازحة شاكرين"

ونختم بآراء العلماء فى المصحف المفسر برأى أ. أنور الجندى يقول:(١)

"ولا يـزال القـرآن المفسـر باقياً إلى اليوم يعاد طبعه ، ولا تزال مقدمته تشهد بأن (فريد وجـدى) اسـتكمل فى هذه المرحلة من حياته أسلحة البحث العلمى وأدواته ، وأنه قد تهيأ فعلاً لأداء رسـالته الـتى عـاش لها. ولم يخرج عن نطاقها ولم يتوقف، ولم تزده الأحداث والتطورات العلمية والمذاهـب المستحدثة إلا إيماناً بها ، واقتناعاً بأنه على الحق ، وأن الإنسانية تتجه إلى فكرة الدين لا محالة ، بعد أن تنتهى مرحلة الفلسفة المادية ، وأنه لا سبيل إلى حل أزمتها الاجتماعية والإنسانية إلا باعتناق الإسلام."

---

(١) حقاً لم يزد فريد وجدى فى المسائل المتعلقة بعلوم القرآن كما ذكر د. الحاجرى لأنها مسائل لاتحتاج لإضافة أو نقاش ولكن مما لاشك فيه أنه اهتم بما سواها كمقالاته التفسيرية مثل (الأديان فى نظر القرآن–الشريعة فى نظر القرآن) ومناقشاته المنطقية مثل (الإسلام هو دين الفطرة) وأثر الرقى المادى والشكوك فى الدين ، وغيرها مما لايتسع المجال لمناقشته أو الاستشهاد به ولكن سيرد ذكر نموذج فى مبحث الوحدة الموضوعية فى الفصل الثانى .

(٢) أ. محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص٩١ :٩٢.

(٣) محمد رجب البيومى : مناقشات وردود : المقدمة ، ص١٠ ، ط١ (١٤١٥هـ – ١٩٩٥) الدار المصرية اللبنانية

(٤) أنور الجندى : محمد فريد وجدى : رائد التوفيق بين العلم والدين ، ص٢٧ ، ط١٩٧٤. الهيئة المصرية العامة للكتاب

وآراء العــلماء السابقة تذكرنا بما مدح به أ. محمد حسين الذهبى مدرسة محمد عبده فقد ذكر من محاسنها[1]"أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب... لم تخض فى تعيين ما أبهمه القرآن ... أبعدت التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون .. نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجــتماعياً فكشفت عن بلاغة للقرآن وإعجازه وأوضحت معانيه ومراميه ، وأظهرت ما فيه من سنن الكــون الأعظم ونظم الاجتماع ، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ومشاكل الأمم عامة ، بما أرشــد إليه القرآن، من هداية وتعاليم جمعت بين خيرى الدنيا والآخرة ، ووفقت بين القرآن وما أثبته العــلم من نظريات صحيحة وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد ، الذى يستطيع أن يساير التطور الزمنى والبشرى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ودفعت ما ورد فى شبه على القرآن ..."[2]

الخلاصــــــة :

- اهتم محمد فريد وجدى بتفسير ميسر للقرآن الكريم ، عنى فيه بعديد من الجوانب اللغوية والفقهية والتشريعية والنفسية والاجتماعية.
- جــاء تفســيره عــلى صورة حواشى حول المصحف ليسهل للقارئ الفائدة وقد تم عرض فصل تفسير القرآن على النحو التالى :-

١- بداية التأليف والنشر .

٢- منهجه فى التفسير كما وضحه فى المقدمة.

٣- الوسائل التى يستعين بها المفسر للقرآن الكريم وهى [القرآن - الحديث النبوى - أسباب النزول - القــراءات - الناسخ والمنسوخ - التأويل - الفقه - البلاغة - اللغة - الاصطلاح الدينى] مع نماذج من تفسير فريد وجدى.

---

(١)محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون: ص٢١٤ :٢١٥ ، حـــ٣ .

(٢) أوضح أ. عبد الله محمود شحاته الأسس التى قام عليها منهج الشيخ محمد عبده :-

الأساس الأول – اعتبار السورة وحدة متناسقة.

الأساس الثانى – عموم القرآن وشموله.

الأساس الثالث – القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع.

الأساس الرابع – محاربة التقليد.

الأساس الخامس – إعمال النظر والفكر واستخدام المنهج العلمى فى البحث والاستنباط.

الأساس السادس – تحكيم العقل والاعتماد عليه فى فهم آيات القرآن [وقد اعتبر البعض أن هذا الأساس من عيوب مدرسة محمد عبده انظر (د. فهد عبد الرحمن فهد سليمان الرومى – اتجاهات التفسير فى القرآن الرابع عشر حـــ٢ ص٧٠٣ : ٨٥٩ ط ١٤٠٧هـــ – ١٩٨٦) منهج المدرسة العقلية فى التفسير ط٣ ١٤٠٧ مؤسسة الرسالة].

الأساس السابع – ترك الإطناب فى الكلام عما ورد فى القرآن بصورة مبهمة.

الأساس الثامن – التحفظ فى الأخذ بما سمى بالتفسير المأثور والتحذير من الإسرائيليات.

الأساس التاسع – اهتمامه بتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس من هدى القرآن

من كتاب منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم – ص ٣٢ – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة (١٣٨٢ هـــ – ١٩٦٣م)

٤- بعض الخصائص التى ميزت تفسيره وهى [المقاصد الشرعية - العلم والإعجاز العلمى - المرأة فى الإسلام - التكرار] مع نماذج من تفسيره.

٥- الملاحظـــات على تفسيره من خلال النماذج السابقة واعتبار فريد وجدى جامعاً بين منهجى النقل والعقل مع الاهتمام بالجانب الاجتماعى الذى يميز مدرسة محمد عبده.

٦- آراء العـــلماء فى تفســـير محمد فريد وجدى وقد وصف أحدهم منهجه بالمنهج الإجمالى ووصفه آخر بالمنهج الهدائى.

الفصل الثانى

مباحث قرآنية

فصل مباحث قرآنية

مـــباحث تتعلق بآى القرآن الكريم من ناحية التفسير أو الإعجاز ، تدور حول القرآن الكريم ، وترتيبها كالتالى[1] :-

أولاً : معجزة الإسراء والمعراج

وسوف أذكر تفسير الآية ، ومناقشة المعجزة وكيفيتها ، والحكمة المستنبطة منها.

ثانياً : الإعجاز القرآنى

وســـوف أشـــير إلى آراء العـــلماء فى أوجـــه الإعجاز بإيجاز والتركيز على التأثير الروحى والإعجاز النفسى ، وهو قول فريد وجدى فى الإعجاز.

ثالثاً : الوحدة الموضوعية

متعـــلق بـــترتيب المصـــحف الشريف ، واتهامات المستشرقين للقرآن بعدم التناسق والترتيب - وآراء العلماء مع توضيح رأى فريد وجدى.

رابعاً : ترجمة القرآن

قضية دارت فى العصر الحديث ، وأثارت جدلاً عنيفاً بين العلماء ، لاختلاف آرائهم فسأشـــير إلى هـــذا التباين مع إبراز رأى فريد وجدى وأثره وما آل إليه فى النهاية من جواز الترجمة.

---

[1] حاولت أن يكون ترتيب المباحث حسب ظهور القضية أى ترتيب زمنى حتى وإن أخل هذا بالترتيب الكمى للمبحث.

المبحث الأول

معجزة الإسراء والمعراج

معجزة الإسراء والمعراج

إن قضية الإسراء والمعراج من القضايا الدينية التى أثارت جدلاً ونقاشاً بين المشركين والمسلمين على حد سواء إبان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فور إعلانه النبأ ، وتكذيب قومه له لإنجازه رحلة الإسراء والمعراج فى هذا الوقت الوجيز.

كما تباينوا وفق كل عصر وتطوراته حول موضع الاختلاف فخرجت القضية من كونها مسألة إيمانية إلى الشكل والقشور الخارجية.

قسم أ. سعيد محمد حسن الآراء المتباينة إزاء معجزة الإسراء والمعراج إلى ثلاث مراحل ، ففى المرحلة الأولى (القرن الأول الهجرى)(١)

"كان الفكر الإسلامى إلهياً محضاً لا اعتبار فيه إلا لما جاء بكتاب الله وما ثبت عن رسول الله"(٢) "والذين تعجبوا من الحدث أوشكوا فى الخبر كانوا من المشركين ؛ فقد رأوا فيه فرصة سانحة للقضاء على محمد وتدمير دعوته، أما المسلمين فقد صدَّقوا وآمنوا ، لأنهم ردوا الأمر كله لله ، فأصبح التثبت من مصدر الخبر هو محور اهتمامهم. فلم يتطرقوا إلى بحث مضمون الحدث : ممكن هو أم مستحيل ولم يتساءلوا عن الحكمة منه ولم كان؟ ولم يشغلوا أنفسهم بكيفيته ، أكان رؤيا بالروح أم حقيقة بالجسد"(٣)

- **المرحلة الثانية(٤)"القرن الثانى والثالث الهجرى":-**

"كانت العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه قد نمت وترعرعت ، وإلى جانبها لاحت على استحياء العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وفلك وهندسة... والعقل كان قد تحرر من أسر الهيبة والجمود - فالمسلمون يطرحون التساؤلات ويتدبرون الأحداث ويفسرون النصوص"

إن التساؤل عن الكيفية التى تمت بها رحلة الإسراء كان متناسباً مع التدرج الفكرى لعلماء المرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة فيصفها أ. سعيد محمد حسن بالجمود(٥)

"الاهتمام فيما بعد القرن الثالث الهجرى - كان موجهاً فى الغالب إلى دراسة العلوم العقلية مع التركيز على الفلسفة بوجه خاص ، أما العلوم الدينية التى اقتصر الأمر فى شأنها على النقل ؛ فقد انتهت إلى التحجر والجمود ، لكنها مرحلة طويله تزيد على عشرة قرون ، هى عمر المحنة التى يعيشها الفكر الإسلامى"

وهى فترتان ، الفترة الأولى من المرحلة الثالثة :

---

(١) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج : ص (٥٥:٥٩). (بتصرف) ..... ط مؤسسة روزاليوسف ، ١٩٧٧م.

(٢) المصدر السابق : ٥٥

(٣) المصدر السابق : ٥٧

(٤) المصدر السابق : ص ٥٩.

(٥) المصدر السابق : ص ٩١-٩٢.

"تــبدأ الأولى مــن بعــد القرن الثالث الهجرى وتستمر إلى منتصف القرن العشرين الميــلادى وخلالها لم يشغل أحد من المسلمين نفسه بالتساؤل عن حكمة الإسراء والمعراج" ، بل ظهرت تساؤلات عن تاريخ الإسراء والمعراج والمكان الذى بدأت منه هذه الرحلة ورؤية محمــد صــلى الله عليه وسلم سبحانه وتعالى والرأى القائل إن الإسراء بالروح والجسد بينما المعراج بالروح فقط...

الفترة الثانية من المرحلة الثالثة"[1]

"تــبدأ من منتصف القرن الحالى ... اعتبروا الخلاف حول الإسراء بالروح أو بالجسد هــو قطــب الرحى بالنسبة لهذا الحدث الهام ، إلا أن هذه الفترة تتميز بظهور التساؤل - فى بعض الكتابات ــ عن الحكمة من الإسراء والمعراج"

ويوضــح د. عــبد الحــليم محمــود[2]تأثير الإسراء والمعراج المختلف عند الناس على مر العصور.

"هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الجوانب الظاهرية منهم ، فيأخذون فى الجدل الشكلى ، أكان ذلك فى اليقظة أم كان ذلك فى النوم؟

أكان ذلك بالروح والجسد أم كان بالروح فقط ؟ وهل كان ليلاً ؟ أم كان نهاراً؟

"وهذه كلها صور من الجدل الذى يثور ، حينما يخف وزن الإيمان فى النفوس ويسمع هــذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعماق قلوبهم ، فيتجهون فى صورة طبيعية إلى مغزاه العميق ، وإلى روحانيــته السامية ويرون أن هذا النبأ ؛ ينطوى على توجيهات لا ينبغى أن يمر عليها الناس مر الكلام ..."

... وقــبل عرض رأى محمد فريد فى هذه القضية وآراء العلماء المختلفة وعلل اختلافها نلقى الضوء على الظروف التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم وسبقت الإسراء والمعراج.

بعــد أن يأست قريش من بنى هاشم وبنى عبد المطلب لعدم تخليهم عن حماية محمد وكتبت صحيفة المقاطعة "ألا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم[3]" وفــرض الحصار ثلاث سنوات وانتهى بتمزيق الصحيفة بعد أن أمر الله العلى القدير أرضة الأرض فأكلــتها. "ولكن هذا لم يكن النهاية ... فلم تمض شهور على تمزيق الصحيفة .. حتى فاجأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعتان فى عام واحد ... اهتزت لهما نفسه الشريفة

---

(1) د. سعيد محمد حسن: حقائق الإسراج والمعراج : ص ٩٢.

(2) د. عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٥٩ :٦١ ، سلسلة البحوث الإسلامية ، السنة السادسة العدد ٨٠- رجب ١٣٩٥ هـــ - يوليو ١٩٧٥م. ط القاهرة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(3) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج : ص ٢١، مؤسسة أخبار اليوم مكتبة الشعراوى الإسلامية ١٩٩٠م.

مات عمه أبو طالب ، وماتت زوجته خديجة ... وسمى هذا العام ، عام الحزن"(١)

"... وبعد أن فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حماية عمه وحنان زوجته ... ازداد إيذاء الكفـــار للمسلمين ... كما ازداد إيذاؤهم لرسولَ الله صلى الله عليه وسلم الذى تحمل فى صبر وجلد."(٢)"ثم كانت رحلته للطائف التى أساء أهلها استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم وقذفه السفهاء منهم بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين(٣)والتجأ إلى بستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة فيـــرجع وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة الأرضية. ويلقى بأثقاله كلها وبنفسه بين يدى صـــاحب الأمــــر الذى بعثه. وكلفه الدعوة إلى توحيده وتبليغ شرعه ودينه ، والذى فى قدرته وحـــده أن يخلصــــه مما يبتلى به من قومه وأن يعوضه خيراً ممن فقد، زوجته وعمه ، يلقى أثقاله بين يدى صاحب الأمر ، ويذوب قلبه بالضراعة وينطلق لسانه بالدعاء"(٤)

"الـــلهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى .. أم إلى عدو ملكته أمــــرى. إن لــــم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الــــذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك"(٥)

"وكــــان لابد من مدد من السماء يأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ليؤكد له :

---

(١) يرفض د. سعيد محمد حسن فى كتابه "حقائق الإسراج والمعراج الاتجاه" القائل بأن تلك الظروف التى سبقت الإسراء والمعراج هى الأسباب لتلك المعجزة ، وقد اشتمل كتابه من ص١٢٧ وما يليها ، بداية هذا الاتجاه ومناقشته له وإن كان فى نهاية كتابه ذكر أن هناك أسباباً أخرى تصل بنا إلى حكمة الإسراء والمعراج سير حثها إلى كتاب آخر ؟ وكنا نتمنى ألا يهدم كل ما سبق دون أن يبنى فى الوقت نفسه ولعلى اتفق معه فى كونها ظروفاً سبقت الإسراء والمعراج ولاداع أن تكون للمعجزة أسباب يبديها غيره أو يبديها هو فى كتاب لاحق.

(٢) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص٢٣،٢٢.

(٣) فى الأصل "الشريفتان".

(٤) محمود شلتوت : محمد الرسول الأعظم : ص٣٧ ، سلسلة الأعداد الخاصة ، مختارات الإذاعة والتليفزيون م٨، العدد الرابع — يناير ١٩٦٥/ ملحق العدد ١٥٥٧.

(٥) اعترض د. سعيد محمد حسن على صحة هذا الحديث ويقول الألبانى عنه : "قوله اللهم إليك أشكو ... بدون سند ، وكذلك رواه ابن جرير (١/٨٠-٨١) من طريق ابن إسحاق وروى هذه القصة الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر مختصراً وفيه الدعاء المذكور بنحوه ، قال الهيثمى (٦/٣٥): "وفيه ابن إسحق ، وهو مدلس ثقة . وبقية رجاله ثقات" فالحديث ضعيف "محمد الغزالى : فقه السيرة : ص١٣٤ ، ط الأولى ١٤٠٧هـــ — ١٩٨٧ م–دار الريان للتراث.)

وقد علق عليه الغزالى بقوله [قد يختلف علماء السنة فى تصحيح حديث وتضعيفه] ولكنى انظر لمتن الحديث فأجد معناه متفقاً كل الاتفاق مع آية من كتاب الله أو أثر من سنة صحيحه.

إنه إذا كان أهل الأرض قد تخلوا عنه ... فإنه ربى سيحتفى به فى ملكوت السماء"[١]
ويستجيب الله عز وجل إلى دعاء نبيه وتمتد يد الله الرحيمة لتزيل ما علق بقلب النبى من حزن وأسى مما أصابه فى الأرض".

"وفى هذا الجو الربانى الخالص يمد الله يده إلى عبده ويضمه إليه ويسرى به من المسجد الأقصى ويريه من دلائل قدرته وآيات سلطانه ما يبدد عنه نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ويضئ له المستقبل"[٢] ...

وكانت معجزة الإسراء والمعراج.

وقد بدء عرض فريد وجدى لقضية الإسراء والمعراج ، بتعريف المعراج[٣] تلك الليلة **"التى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عرج فيها إلى السماء بعد الإسراء به إلى بيت المقدس"** وذكر أوائل سورة النجم التى تفسر هذه المعجزة ، ثم أشار إلى الإسراء **"لقد كان هذا المعراج بعد أن أسرى به صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ليلاً"** كما فى قوله تعالى:[٤]

" سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١

وكأسلوب محمد فريد وجدى فى دائرة معارف القرن العشرين يأتى بآراء السابقين ثم يدلو برأيه فاستشهد بآراء السيد أحمد زينى حول الإسراء يقول[٥]:

"إن كثرة الروايات واختلافها حملت الظن عند البعض على تعدد الإسراء ووقوعه فى اليقظة والمنام .. كما أن هناك اختلافاً فى تحديد زمن الإسراء. قيل فى سنة إحدى عشر قبل الهجرة ... وقيل قبل الهجرة بسنة ، قيل فى شهر ربيع الأول وقيل فى رمضان. وقيل فى شهر رجب ، وهو المشهور وعليه عمل الناس" وأشار فريد وجدى إلى المعراج وما حدث فى السماء وتكذيب قريش لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديق أبى بكر وكل من قوى **إيمانه.**

وبعد أن استشهد فريد وجدى بروايات متعددة عن الإسراء والمعراج. علق عليها بقوله :"[٦] **ليس المقام هنا مقام مناقشة فى صحة هذه الروايات وإنما غرضنا أن نثبت أولاً ما قيل عن الإسراء والمعراج ثم نتبعه برأينا الخاص فى هذه المسألة الخطيرة."**

---

[١] محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص٢٣.

[٢] محمود شلتوت : محمد الرسول الأعظم : ص ٣٨.

[٣] محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر : م٦ ، ص٣١٤، ط ٣١ ط الثالثة سنة١٩٧١ ، دار المعرفة بيروت لبنان.

[٤] سورة الإسراء : آية ١

(٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣١٤ ، جـ ٦ ، نقلاً من السيرة النبوية والآثار المحمدية للسيد أحمد الزينى

[٦] محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣١٦:٣٢٠ ، جـ ٦.

ثم تلى حديثه عن المعراج بذكر روايات عدة عن شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وغسل قلبه وركوب الدابة وصعوده السماء ومقابلة الأنبياء حيث قابل نبى الله آدم فى السماء الأولى والثانية يحيى وعيسى والثالثة يوسف والرابعة إدريس ، والخامسة هارون والسادسة موسى والسابعة إبراهيم ، ثم رفع النبى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى.

أشار فريد وجدى إلى رأى النيسابورى[١] " اعلم أن الأكثرين من علماء الإسلام اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم " بينما أشار القليلون إلى " أنه ما أسرى إلا بروحه أما فى المعراج فهناك جمهور يقول المعراج بالروح وحسب وله حجة ، وجمهور يقول بالجسد والروح ".

ويرد النيسابورى على حجة الأولين من خلال مناقشة آرائهم ، وأختار من هذه المناقشات بعض الأمور التى ستدور عليها آراء فريد وجدى واختلاف العلماء ... منها :-

١- "أنه لو صح ذلك - يقصد الإسراء والمعراج - لكان من أعظم معجزاته فوجب أن يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه . وما الفائدة فى إسرائه ليلاً على حين غفلة من الناس "

ويرد على هذا بقوله "إن فائدة الإسراء قد عادت إليه حيث شاهد العالم العلوى والعرش والكرسى وما فيها وعليها فحصل فى قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها، انقطعت تعلقاته فى الكونين ولم يبق مشغول القلب بشئ من أمور الدنيا والآخرة.

٢- "إن حديث المعراج الجسمانى اشتمل على أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وغسله بماء زمزم وركوبه البراق وإيجاب خمسين صلاة ..."

الرد " إنه لا اعتراض على الله فى شىء من أفعاله وإنه على كل شىء قدير"

وبعد أن استعرض محمد فريد وجدى جملة الآراء التى تناولت الإسراء والمعراج جاء دوره ليدلو برأيه الخاص ... يقول[٢] عن الإسراء :-

"الإسراء بالجسد والروح من مكة إلى المدينة إلى بيت المقدس ممكن غير مستحيل"

وفى تفسيره لسورة الإسراء[٣] " **إن الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة جسداً وروحاً؟ أو روحاً فقط ، فى اليقظة أم فى المنام أمر مختلف فيه. وقد شهدت إحدى زوجاته أنه لم ينتقل تلك الليلة من فراشه ، ولكن ذهب أكثر العلماء أنه أسرى به جسداً وروحاً وفى اليقظة ، وهو أمر ليس بالمستحيل من طرق الإعجاز**"

---

[١] محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : حـ٦ ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ نقلاً عن نظام الدين الحسن النيسابورى فى تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

[٢] المصدر السابق : حـ٦ ، ص ٣٣٨.

[٣] محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : ص ٣٦٤ سورة الإسراء.

وفى تعليله إمكان حدوث الإسراء بالروح والجسد معاً يقول:

"**العلوم الروحية بأوروبا تقرب ذلك إلى العقل" فقد [1]ثبت من تجارب العلماء الأوروبيين فى المسائل الروحانية إن ما يسمونه بالأرواح تأتيهم بالزهور الندية الغضة من أقصى البلاد كالصين والهند مثلاً وتنثره عليهم وهم جلوس فى الغرف الموعودة ...**

ثبت هذا الأمر لجمهور العلماء الذين أمضوا عشرات السنين فى التجارب ودونوه فى مؤلفاتهم. فإذا ثبت هذا جاز أن ينتقل نبى مرسل من بلده إلى بلد قاص بطريق الإعجاز. فإن الله أقدر مما يسمونه الأرواح على نقل الأجسام ، وإن بعد ذلك عن متناول العقول"

يتضح كما رأينا أن فريد وجدى يجعل تلك التجارب الروحية مثالاً يقرب به إلى الأذهان القول بأن الإسراء تم بالروح والجسد.

ويبرر عدم اقتناع العقل بتلك التجارب[2]"**لاعبرة بعجزنا عن تعليل ذلك تعليلاً علمياً ، فقد عجز علماء أوروبا أنفسهم عن تعليل نقل الأزهار والأثاثات الثقيلة من الأماكن البعيدة إلى غرف التجارب ؛ فإنهم وإن رأوا ذلك رأى العين إلا أنهم لا يزالون حائرين فى تعليله"**

ويحاول وجدى أن يوضح ويقرب الشبه بين الأرواح وقضية الإسراء[3]" **وقد ذهب بعضهم إلى أن الأرواح قبل نقل تلك الأجسام تحيلها إلى هيولاها الأصلية وهى على غاية من اللطافة. بحيث تتمكن أن تخترق بها الأهواء والحوائط على تلك الصورة ثم تعيدها بقوتها إلى سيرتها الأولى بعد أن تحضرها".**

ويتساءل محاولاً إقناع القارئ "**فهل يبعد بعد هذا أن يرق الجسد الإنسانى ويتلطف حتى يصير ألطف من الأثير نفسه فينتقل من بلد إلى بلد ثم يعود إلى ما كان عليه بخاصة فيه أو بقدرة الحق سبحانه وتعالى"**

ويشير "فريد وجدى" إلى [4] أمهات الكتب التى توضح تلك التجارب الروحية لتقتنع العقول: "**المسألة صعبة على العقول ، ولكن الذين شاهدوا بأعينهم التجارب الروحية أوقرأوا أمهات كتبها مما وضعه المجربون أمثال الأساتذة وليم كركس ... وغيرهم من الإنجليز والألمان** والفرنسيين ؛ لأبعد هذه المسألة من الصعوبة بمكان خطير"

وفريد وجدى يذكر القارئ أن هناك أموراً فى نواميس الطبيعة لم تكتشف بعد فلا داع أن نطيل النظر فى هذا الأمر ولنعتبره أمراً صعب التعليل وحسب.

---

(١)محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : حـ٦ ، ص ٣٢٨.

(٢) المصدر السابق : حـ٦ ، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٢٨.

(٤) المصدر السابق : حـ ٦ ، ص ٣٢٩

ويختم فريد وجدى رأيه فى الإسراء إلى عدم تحديد القرآن لكيفية الإسراء[1] **"تقول هذا وليس فى القرآن ما يدل على أن الإسراء حصل جسداً وروحاً ولو كان فيه ذلك لما اختلف العلماء فيه ، ولما قال مثل حذيفة وعائشة وغيرهما بأنه كان مناماً لا يقظة"**

لم ينكر فريد وجدى وجود الإسراء فهو حقيقة أثبتها القرآن ، أما كيفيته وهو موضوع الاختلاف فقد حاول تقريبه إلى العقل عن طريق العلم الحديث من خلال التجارب الروحية كما سبق.

وبعد عرض رأى فريد وجدى فى معجزة الإسراء آن لنا أن نناقش هذا الأمر :-

" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ "[2]

لقد بدأت الآية الكريمة التى تخبرنا بأمر الإسراء بتنزيه الله سبحانه وتعالى ونسب أمر الإسراء إليه عز وجل. وفى هذا يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى[3] رحمه الله :

"وكلمة سبحان لم ترد فى القرآن الكريم... إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة .. لذلك حين تسمعها فى كلام الله سبحانه وتعالى ... فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه لله ... بأن الفعل الذى تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله...

... إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله سبحانه وتعالى .. ولم تتم بقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية ... وأحداث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتتناسب معه".

ويستنتج الشيخ الشعراوى من تفسير لفظ " سبحان" وجوب معارضتنا لأمر الإسراء كان بالروح أو بالجسد يقظة أو منام لأن الله هو الفاعل.يقول : [4]"ولذلك إذا فعل الله سبحانه وتعالى شيئاً .. فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تدرك أسرار الفعل ... ولأن الله سبحانه وتعالى ... **يفعل ما يشاء"**

وأعطى الأمثلة على ذلك منها :-[5] "وإذا قلت[6] إننى سافرت إلى الإسكندرية بالقطار .. وقلت أننى سافرت إليها بالطائرة .. وقلت إننى سافرت إليها بصاروخ .. الفعل واحد ..

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : جـ ٦ ، ص ٣٢٩.

(٢) سورة الإسراء : آية (١)

(٣) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج : ص ٣٣.

(٤) المصدر السابق : ص ٢٨.

(٥) أمثلة تتناسب مع التطور العلمى والإنجازات العلمية الحديثة فى فنون الاتصال ، وهى تتشابه مع حجة "فريد وجدى" فى مسألة التجارب الروحية.

(٦) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٣٤.

ولكن قوة الفعل تختلف .. ولذلك فإن الرحلة بالقطار تستغرق ساعات وبالطائرة نصف ساعة .. وبالصاروخ دقيقة"

ويعود فضيلته إلى تلك النتيجة التى ذكرها آنفا "إذن العقل يتناسب دائماً مع قدرة فاعله .. فإذا قال الله سبحانه وتعالى .. إنه هو الذى أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم .. ويكون ما فى الرحلة مما هو فوق قدرة العقول يمكن أن يحدث"

ويستمر الشيخ الشعراوى فى تفسيره ليثبت أن الإسراء تم بالروح والجسد :-

"سبحان الذى أسرى بعبده " نقول [(١)]" إن الله جل جلاله قد استخدم كلمة (عبده) ليلفتنا إلى حقيقتين هامتين : الحقيقة الأولى : أن الإسراء تم بالروح والجسد.. ولم يكن مناماً ، ولكنه كان رؤية حقيقية .. فكلمة عبد لا تطلق إلا عند التقاء الروح والجسد" .. "والله سبحانه وتعالى يريد أن نعلم .. أن هذه المنزلة الخصوصية لمحمد صلى الله عليه وسلم .. لأنه عبد .. وهذا هو أعلى مراتب الشرف والعطاء من الله .. وأن الله سبحانه وتعالى يفيض من أسرار ملكوته على عباده المخلصين"

يوضح الشيخ الشعراوى [(٢)]أن مناقشة قريش واستنكارهم لحادث الإسراء على أنه تم بالروح والجسد وإلا ما كان هناك داع للمناقشة "فلو أن الإسراء كان مناماً ..كما يدعى بعض الناس .. ما كان هناك مجال للنقاش .. وهل يناقش النائم فيما يراه؟"

"قال ابن حجر[(٣)]"والذى ينبغى ألا يجرى الخلاف فيه أن الإسراء كان فى اليقظة؛ لظاهر القرآن الكريم"

"ولكون قريش كذبته فى ذلك ولو كان مناماً لما كذبته فيه ، ولا فى أبعد منه"

وبعد تفسير آية الإسراء والمناقشة المنطقية لهذه المعجزة يبقى أمران :-

الأول :- حديث عائشة ومعاوية.

والثانى : تفسير كلمة الرؤيا فى قوله تعالى" وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ "[(٤)]

أولاً : حديث عائشة ومعاوية.

---

(١) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص ٣٦ :٤١ "بتصرف"

(٢) استفاض الشيخ الشعراوى فى كتابه "المصدر السابق" فى محاولة توفيق بين الأحاديث القائلة باليقظة والأخرى القائلة بالمنام من ص ٢٧ :٤٩ .

(٣) رفعت فوزى عبد المطلب : أحاديث الإسراء والمعراج "دراسة توثيقية" : ص ٦٩ نقلاً عن فتح البارى شرح صحيح البخارى : أحمد بن حجر العسقلانى : ص ٣٣٨ ، جـ١.

(٤) سورة : الإسراء : آية : ٦٠

"أمـــا ما يعزى إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت "ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عــليه وســلم ، ولكن أسرى بروحه" فغير صحيح ؛ لأن فى سنده انقطاع ، وقال بعض العلماء : إنه موضوع عليها ؛ وضع رداً للحديث الصحيح"(١)

ومناقشة للمتن يقول د. رفعت فوزى.(٢)

"ومـــتن هــذا الحديـــث أيضـــاً غير صحيح ؛ لأن عائشة لم يدخل بها إلا فى المدينة بالإجمـــاع ، ولم تكن وقت الإسراء فى سن من يضبط الأمور ؛ لأنها فى سنة الهجرة كانت بنت ثمانى سنين، فعلى القول بأن الإسراء كان قبلها بسنة تكون بنت سبع ، وعلى القول أكثر من ذلك تكون أصغر ، وعلى من قال : إن الإسراء كان بعد البعث بعام لم تكن قد ولدت"

ويوافق د. سعيد محمد حسن على رأى د. رفعت فوزى ، فهو يرى أن حديث عائشة موضوع ، روج له أصحاب النزعة المادية لصعوبة اقتناعهم بالإسراء بالروح والجسد معاً، "فخـــالفوا(٣) رأى السلف ، وما عليه جمهور المسلمين وقالوا إن الإسراء كان بالروح ، وحتى يجدوا لرأيهم مكاناً ويجعلون له وزنا نسبوه إلى السيدة عائشة التى لم تكن وقت الإسراء فى سن من يضبط كما أنها لم تكن قد أصبحت بعد من أمهات المؤمنين ، وإلى معاوية وقت أن كان على دين آبائه"

كمـــا يرى(٤) أن الاستدلال بتلك الأحاديث الموضوعة تم على يد ابن إسحاق صاحب كتاب السيرة. وحجته فى ذلك "أن ابن إسحاق كان له فى الإسراء رأى اقتنع به وهو أنه كان رؤيا كرؤيا إبراهيم عليه السلام فى ذبح ابنه، فهو يستدل بقوله تعالى " يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ "(٥)

لكنه تردد فى الاستقلال برأيه ، فمهد له بأقواله المنسوبة إلى السيدة عائشة وإلى معاوية ، إلا أن المسلمين – فيما بعد – لم ينتبهوا إلى حقيقة الأمر ، بل نظروا إلى ما نسب للسيدة عائشة ولمعاوية كقضية حقيقية قائمة بذاتها ، استحوذت على كثير من اهتمامهم"

ثانياً : قوله تعالى(٦) " وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ

---

(١) رفعت فوزى : حديث الإسراء والمعراج : ص ٧١ نقلاً عن سبيل الهدى والرشاد. فى سيرة خير العباد : محمد يوسف الصالحى الشافعى ٩٤٢ ، حـــ٣ ، ص ١٠٣ : ١٠٤ ، طـــ ١٣٤٢ – ١٩٧٢ – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفى رواية "ما فقد" بالبناء للمجهول وعلى هذا فلا يكون الطعن شديداً فى قولها"

(٢) المصدر السابق : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧١ ، ٧٣.

(٣) د. سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج : ص ٦٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٦ ، ٧٧.

(٥) سورة الصافات : آية ١٠٢

(٦) سورة الإسراء : آية ٦٠.

"وليس لمحتج أن يقول : إن الإسراء كان مناماً؟ لأن الله سبحانه وتعالى هو قد عبر عما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من الآيات بكلمة "الرؤيا" التى تدل على الرؤية المنامية. ليس لمحتج أن يفعل ذلك ؟ لأن كلمة "الرؤيا" فى الاستعمال العربى الصحيح تدل على الرؤية البصرية كما تدل على الرؤية المنامية ، والدليل على ذلك قول الشاعر العربى الذى يحتج بشعره ، وهو الراعى النميرى :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفساً كان قبل يلومها

وإن كان استعمال هذه الكلمة للرؤية البصرية يدل على أن المرئى شيء غريب لا يعتاد البصر رؤيته"(١)

ويؤكد هذا ما قاله الشيخ الشعراوى(٢) "ويقولون "الرؤيا" لا تستخدم إلا لما يرى فى المنام .. أما ما يرى فى اليقظة ، فإننا نقول عنه "رؤية" .. نقول إذا كان المقصود هنا رؤية منامية .. فكيف تكون فتنة للناس ؟ يصدقها بعضهم ويكذبها بعضهم. لو كانت رؤيا منامية .. فلا يمكن أن يناقشها أحد تصديقاً أو تكذيباً كما بينا.. ونحن لا يجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس" ولكننا إذا عدنا للغة العربية قبل أن يتنزل القرآن ... نجد أن كلمة "الرؤيا" وردت أيضاً للبصر .. وذكرت كذلك فى كثير من قصائد الشعر لفحول الشعراء العرب .. والفرق الوحيد أنهم كانوا يستخدمون كلمة "الرؤيا" فى البصر .. عندما يتحدثون عن الأشياء الغريبة التى تشبه الحلم .. فإذا استخدمنا "رؤيا" بمعنى المشاهدة بالبصر .. فهذا لا يتم إلا إذا رأينا أمامنا أمراً عجيباً .. وإلا لو كانت الرؤيا منامية .. ما كانت فتنة للناس .. فلا أحد يناقش الأحلام كذباً أو صدقاً .. ولا تكون الرؤيا أبداً فتنة"(٣)

وبهذا ننتهى من الإسراء وننتقل إلى المعراج .

معجزة المعراج

يقول محمد فريد وجدى(٤)"**أما مسألة العروج إلى السماء فإنها مستحيلة**".

وهو يعلل استحالة المعراج لسبب علمى : "**لأنه ثبت اليوم علمياً بأن السماء ليست سقفاً مادياً ، بل هى فضاء لا نهاية له تسبح فيه أجرام علوية ، منها ما يحترق كالشمس ومنها ما هو بارد وعليه عوالم كعالمنا**".

---

(١) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٦٩ ، ٧٠ ، نقلاً عن سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد أ. محمد يوسف الصالحى : جـ٣ ، ص ١٠٠.

(٢) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٤٩.

(٣) المصدر السابق : الإسراء والمعراج : ص ٤٩.

(٤) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٣٢٩.

أمـــا مـــا ورد فى القرآن فى هذه المسألة فيرى تأويله :"**وما ورد فى القرآن مما يوهم أنهم ســقف أو نحــوه يجب تأويله عملاً بالقاعدة الإسلامية التى مؤداها وجوب تأويل النص إن خالف العقل**"

ويعــود للعلم مرة أخرى "**وكون السماء سقفاً يخالف العقل والحس كما ثبت من علم الفــلك الحديــث ولا يحســن بمسلم أن يتثبت بآراء القدماء فى المسائل الفلكية ليدافع عن مسألة جعل الله مندوحة من التورط فيها**" .. يقصد التأويل. وهناك أسباب أخرى تجعله يرى باســتحالة المعراج "**ثم إن ما ورد من شق الصدر وإخراج القلب وركوب البراق وغير ذلك كلــه مــن الأمور المستحيلة عقلاً وحساً**" وهو يكرر وجوب تحكيم العقل يقول[1] "**فمن كان يؤمــن بالإســلام وجــب عليه أن يرجع إلى تحكيم العقل فى هذه الأمور لأن الكتاب جعله القســطاس الذى نوزن به المعتقدات حتى أنه قرر أن يؤول النص فى كل ما يخالفه ، وقد خالف هذا الأمر "العقل والعلم" فوجب تأويل تلك النصوص..**"

يعتبر فريد وجدى مناقشة القول بأن المعراج كان بالروح أو الجسد أو معاً ورطة "وقد ســهل لنا الناس القائلون بأن المعراج كان مناماً سبيل التخلص من هذه الورطة إذا تقرر هذا فــلا شبهة عندنا بأن الإسراء والمعراج أو أن المعراج وحده كان رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى[2]" ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ "

خــتم محمــد فريد وجدى حديثه عن الإسراء والمعراج بأن هناك أموراً يأباها العقل فوجــب على المسلم رفضها منها ، شق الصدر وركوب البراق وغيرها .. وهى كلها مسائل غيــبية لــن نناقشــها ولا نملك على صحتها أو رفضها دليلاً ، ولكن سنورد ما قيل فى هذا الأمر.

أولاً : شق الصدر

أختــلف بعــض العلماء ووقفوا عند تلك القضية منهم من يصدق ويختلف فى توقيتها "أنكــر القاضـــى عياض شق الصدر ليلة الإسراء وقال[3] : "إنما حدث ذلك وهو صغير عند مرضعته حليمة" ويرد عليه بعض العلماء بأن شق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع مرتين. ، وهم يرون إنه على سبيل المجاز.

"وكانت الحكمة فى المرة الأولى هى نزع العلقة التى قيل عندها :"هذا حظ الشيطان منك"

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : جـــ ٦ ، ص ٣٢٩.

(٢) سبق التعليق على تفسير هذه الآية فى هذا المبحث ص ٤٩ – سورة الإسراء من آية ٦٠.

(٣) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٣ ، نقلاً عن الشفاء ، جـــ١ ، ص ١٣٧.

.. ومعـــناه نزع استعداده لغواية الشيطان أن تعرض له ، وليس هذا شيئاً مادياًبلهو من قبيل التمثيل والمجاز "[١]

والحديث عن شق الصدر مرتبط بإنفراج سقف بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم "ولـــلمرة الـــثانية كانت لإعداده صلى الله عليه وسلم للرحلة التى سيقوم بها أو كما يقول ابن حجر[٢] " "ليتأهب للمناجاة" ... ويحتمل أن تكون الحكمة فى انفراج بيته الإشارة إلى ما سيقع مـــن شق صدره وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر منها ، وفى هذا طمأنة للرسول صلى الله عليه وسلم"

ويـــرى د. رفعت فوزى[٣]أن الحكمة من شق الصدر لملئه بالحكمة والإيمان مع قدرة الله عـــلى فعل ذلك بدون شق هى "زيادة قوة يقينيته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أعطى برؤية شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية؛ فلذلك كان أشجع الناس حالاً ومقالاً ، ولذلك أيضاً وصف بقوله تعالى[٤] " مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ ﴿١٧﴾

وقد رفض بعض العلماء هذا الأمر رفضاً مطلقاً" وقد وردت روايات كثيرة فى قضية المعـــراج.. تنقسم جملتها إلى أربعة أوجه .. "منها : ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلا عـــلى التعســـف البعيد ، فالأولى ألا نقبله ... فنحو ماروى أنه صلى الله عليه وسلم .. شق بطـــنه وغســـله ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب ، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد بالماء"[٥]

وفى هذا المعنى يقول محمد حسين هيكل ذاكراً قصة شق الصدر على أنها حدثت له وهـــو طفـــل رضيع عند حليمة السعدية وهو يشير إلى ضعف الحديث ورفض جماعة من المســـلمين والمستشـــرقين له يقول[٦]"ولعل آخرين يقولون إنه لم يكن فى حاجة إلى من يشق بطنه أو صدره ما.دام الله قد أعده من يوم خلقه لتلقى رسالته ، ويرى درمنجم أن هذه القصة لا تستند إلى شئ وغيرها يفهم من ظاهر الآيات "[٧]

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾

---

(١) رفعت فوزى : حديث الإسراء والمعراج : ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٤ نقلاً عن فتح البارى ، حـــ٧ ، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق : ٧٤.

(٤) سورة النجم : آية ١٧.

(٥) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج ص ٥٠ ، ٥١ نقلاً من مجمع البيان فى تفسير القرآن حـــ٥ ، ص٧ ، مكتبة الحياة - - بيروت

(٦) محمد حسين هيكل : حياة محمد : ص ١٠٤ ، الهيئة العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ط الثالثة سنة ١٩٩٦م.

(٧) سورة الشرح : آية ١ :٣.

وأن ما يشير القرآن إليه إنما عمل روحى بحت والغاية منه تطهير هذا القلب وتنظيفه ليتقى الرسالة القدسية خالصاً ويؤديها مخلصاً(١)

ويبرر د. محمد حسين هيكل هذا الرأى قائلاً "إنما يدعو المستشرقون ويدعو المفكرون من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث ؛ أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كانت كلها إنسانية سامية وأنه لم يلجأ فى إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من أصحاب الخوارق ، وهم فى هذا يجدون من المؤرخين العرب والمسلمين سنداً حين ينكرون من حياة النبى العربى كل مالا يدخل فى معروف العقل(٢)، ويرون ما ورد من ذلك غير متفق مع مادعا القرآن إليه من النظر فى خلق الله ، وأن سنة الله لن تجد لها تبديلاً، غير متفق مع تعبير القرآن للمشركين أنهم لا يفقهون أن ليست لهم قلوب يعقلون بها"(٣)

وهناك من العلماء من لا يرفض شق الصدر ، بل لا يختلف على عدد مراتها أو ميقاتها ويرى أنها بمثابة التوبة لنا ، يقول د. عبد الحليم محمود(٤)"هذا الحادث هو بالنسبة لنا التوبة ، فإن تطهير القلب الذى حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عدة مرات فى حياته إنما هو بالنسبة لأتباعه بمثابة التوبة"

وهو بهذا يتمثل الحكمة من شق الصدر ، فإنه برؤية الفيلسوف الصوفى يقول(٥) "وإذا كان شق الصدر الذى سبق هذا الحادث الخطير حادث الإسراء والمعراج هو بالنسبة لنا التوبة ، فإنه أيضا توجيه واضح لنا أن نلجأ إلى الله تعالى تائبين عند الشروع فى أى أمل له قيمته ... إنه توجيه لنا أن نلجأ إلى الله تائبين عند الشروع فى شراء ، وفى بيع ، فى ارتباط بزواج ، فى بناء بيت ، فى الشروع ، فى السفر.

وليست التوبة فى مثل ذلك توبة من ذنب ، وإنما هى التجاء إلى الله .. وتشفع إليه سبحانه بتأكيد صفاء النفس وطهارة القلب من أجل أن يسدد الخطا ويمنح التوفيق ، ويحفظ من الأخطاء ، **إنها توسل إلى الله بعمل صالح هو التوبة"**

وننهى الحديث عن شق الصدر برأى د. رفعت فوزى يقول"(٦) "وشق الصدر من الأمور التى لا تعرف كيفيتها ؛ لأنه قد قام به من لا تعرف هيئته وحقيقة عمله ، وهم الملائكة ، ولكنا لا ننكره ؛ بل نسلم به ؛ لأن رواته – كما يقول القرطبى ، ثقات مشاهير ؛

---

(١) نراه يتفق مع الرأى القائل إن شق الصدر "مجاز" فى كتاب احاديث الاسراء والمعراج د. رفعت فوزى ص ٧٣ ، ٧٤.

(٢) أراه يتفق مع محمد فريد وجدى فى تحكيم العقل.

(٣) محمد حسين هيكل "حياة محمد" ص ١٠٥.

(٤) عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٦٨.

(٥) المصدر السابق : ص ٧١ ، ٧٢.

(٦) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٥ ، وقد ناقش د. رفعت قصة شق الصدر بالتفصيل والنقد الموجه من أحد علماء المسلمين محمد أبو رية (ص ١٣٧ – ١٥٣).

ولأن قدرة الله لا يستحيل عليها شيء وحكمته قد تخفى على عقولنا. يقول ابن حجر[١]"وجميع مـــا ورد ؛ من شق الصدر ، واستخراج القلب ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة – مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة – قدرة الله تعالى – ، فلا يستحيل شيء من ذلك."

ثانياً :البراق[٢]

يقول د. رفعت فوزى[٣] رداً على رفض البعض لركوب الرسول صلى الله عليه وسلم البراق "والحكمة فى الإسراء به ، صلى الله عليه وسلم راكباً على هذه الدابة التى خلقها عز وجــل ، وهى البراق مع قدرته تعالى على طئ الأرض له. هى طمأنة النبى صلى الله عليه وســلم وتأنيسه بهذا الأمر العادى فى مقام خرق العادة من قطع المسافة فى مدة وجيزة ، ثم الصـــعود به إلى السموات السبع ، فيكون فى الأمر شئ من العادة التى يؤتنس بها ويطمأن إليها.."

الحكمة من الإسراء والمعراج

"هى الثمرة التى يجب على كل مسلم أن يقتطفها ويشغل نفسه بها"

ويحاول الشيخ محمد متولى الشعراوى من خلال مناقشته العقلية أن يصل بنا إلى الحكمة من الإسراء والمعراج.

يقول فى عدم حدوث المعجزة نهاراً وحدوثها ليلاً[٤]" إنك لم تفهم الحكمة من المعجزة .. فرســول الله صلى الله عليه وسلم .. يأتيه الوحى بالقرآن الكريم خفية .. أى لا يشهد أحد جــبريل عليه السلام ، وهو ينزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذن المسألة المطروحة هنا مسألة إيمانية .. أى إخبار بغيب .. وليس مسألة مشاهدة"[٥]

"ولذلــك عــندما طلب الكفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. معجزات حدودها .. لم يحققهــا لهــم الله .. لأن تاريخ البشرية ومن سبقوهم كذبوا بالمعجزات الحسية ، رغم أنهم رأوها .. كما أن المعجزات الحسية مقصودة بها الذين رأوها .. فمن لم يرها غير مطالب بها ولا هــو مقصود بها. وما دامت المعجزة الحسية ليست دائمة التأثير فما نحتاجه هو المعجزة الغيبية.

---

(١) رفعت فوزى :حديث الإسراء والمعراج : ص ٧٥ . نقلاً عن فتح البارى : حـــ٧ ، ص٢٠٤ ، ٢٠٥.

(٢) وصف الشيخ الشعراوى – فى كتابه المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج ، ص٥٠ – البراق قائلاً "البراق هو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل فركبها حتى أتى بيت المقدس .. فربط الدابة فى الحلقة التى يربط بها الأنبياء دوابهم"

(٣) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٧.

(٤) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" : ص ٥٢ ، ٥٤.

(٥) يشير إلى المعجزة الحسية لدى الأنبياء السابقين "ومحمد" كنبع الماء بين أصابعه.

"ولكـــن الحق سبحانه وتعالى أراد أن تكون معجزة الإسراء دليلاً إيمانياً يبقى إلى يوم القيامة .. لأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم باقية إلى يوم القيامة .. فجعلها غيباً عليه دليل مـــادى حتى تناقش بالعقل وتكون مدخلاً للإيمان .. لأن الإيمان ليست أداته الرؤية .. فليس بعـــد العين أين .. ولكن يتم بالدليل العقلى على أن ما هو غيب حدث فعلاً .. ووجود الشئ مختلف عن إدراك وجوده ، وذلك واضح بالدليل العقلى .. فنحن مثلاً لم نر الجراثيم إلا حديثا .. ولكنها كانت موجودة منذ بداية الخلق .. وعدم علمنا بها لم يبطل مهمتها فى الكون ومن هـــذا الدليل العقلى وغيره من الأدلة عن أشياء كانت موجودة فى الكون .. ثم كشفها الله لنا فعرفناها .. مثل خصائص الغلاف الجوى .. أو الكواكب التى نكتشف منها المزيد مع مرور الزمن أو غير ذلك.."

ويخـــلص الشيخ الشعراوى إلى مغزاه من كل ما تقدم "من هذا أقمنا الدليل العقلى .. على أن ما هو غيب عنا .. موجود وإن لم ندركه."

هذا هو القول الفصل فى معجزة الإسراء والمعراج ؛ أن الإيمان بالغيب أهم حكمة نستخلصها من الإسراء والمعراج.

ويســـتنبط د. رفعـــت فوزى الحكمة من الأحاديث[١]"أحاديث الإسراء والمعراج بكل تفصيلاتها تبين بوضوح الحكمة من هذه الرحلة المباركة فالرسول صلى الله عليه وسلم يرى فيهـــا من عالم الغيب ؛ الماضى ، والحاضر والمستقبل "لنريه من آياتنا" "لقد رأى من آيات ربه الكبرى" ولا شك فى أن هذا تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم"

"ولقد حاول ابن إسحاق[٢]أن يبين الحكمة فى هذا الحادث فقدم-حسبما يروى ابن هشام – لحديـــث الإسراء بكلمة نفيسة يقول فيها "وكان فى مسراه وما ذكر منه : بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق.."

"دعم لرسالته ؛ إنه يخبر قومه بشئون الغيب عن حق يقين فهو رأى ما يخبرهم به حتى ولو كان فى ضمير الغيب وفى مستقبل الأزمان"[٣]

يقول محمد الغزالى[٤] "الله عز وجل يتيح لرسله فرص الإطلاع على المظاهر الكبرى لقدرتـــه حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستناداً إليه ، إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة ويهاجمون سلطانها القائم"

---

(١) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق : ٥٨ ، ٥٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٨٠.

(٤) محمد الغزالى : فقه السيرة : ص ١٤١.

يقول أبو القاسم القشيرى[1] "ما رآه تلك الليلة عياناً من الأمور الناقضة للعادة ، وكان ذلك كله دلالات له على كمال قدرة الله تعالى"

.. فى الإسراء والمعراج تعليم للأمة من ذلك:- [2]

" ١- تعلمت الكثير من علامات الساعة، كما وصفها عيسى بن مريم عليهما السلام."

" ٢- أن الأنبياء عليهم السلام أحياء فى قبورهم وفى درجات عند ربهم وهم أخوة."

" ٣- أن الله ناصر رسله والذين آمنوا."

" ٤- أن الحياة الدنيا إنما هى مزرعة للآخرة التى أعدت للمؤمنين وغيرهم."

" ٥- أنه ينبغى أن يكون فى حياتها شئ من التسليم أمام ما يخبرها به الصادق الأمين"

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾"[3]

ومن حكمة الإسراء والمعراج أيضاً[4] "إظهار الصلة الوثيقة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى"[5]

ويوضح د.عبد الحليم محمود الثمرة الكبرى من الإسراء والمعراج[6]"أما ثمرة الإسراء والمعراج ، وأما هدية الإسراء والمعراج ، وأما أعظم المنح الإلهية فى الإسراء والمعراج أعظمها على الإطلاق ، أما النعمة العظمى والتجلى الإلهى الأكبر فى الإسراء والمعراج فإنه: الصلاة ولا يتأتى لنا عجز أو قصور أن نتحدث عن الحمد وعن الشكر على هذه النعمة التى أنعم الله بها على الأمة الإسلامية فى هذه الليلة المباركة ، فالصلاة هى الصلة به سبحانه. وهى الكيفية ، وهى الطريقة ، وهى الوسيلة ، وهى اللحظات الجليلة التى تتم فيها الصلة وتتحقق."

---

(١) رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج : ص ٨١.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٣ ، ٨٤.

(٣) سورة النجم : آية ٢ :٤ .

(٤) سعيد محمد حسين : حقائق الإسراء والمعراج : ص١٥٤ .

(٥) يقول الشيخ محمود شلتوت فى بيان الحكمة من الإسراء ص ٤٤ ، ٤٥ "فهموا منه أنه توجيه روحى لهم ولجميع المسلمين من بعدهم إلى أن الإسراء بمبدئه "المسجد الحرام ومنتهاه المسجد الأقصى" يرسم لهم مهابط الوحى الأول الذى تلقاه إبراهيم وإسماعيل ومهابط الوحى الثانى الذى تلقاه موسى وعيسى وأنها كلها مهابط الرسالات الإلهية التى جاء "محمد" لتكميلها والهيمنة عليها وإحياء ما اندرس فيها ، فلابد إذن إن يخفق على تلك المواطن كلها دائما علم التوحيد والإيمان"

ولا يخفى ما يشير إليه الشيخ شلتوت مما آل إليه المسجد الأقصى على أيدى الإسرائيلين وما ينبغى على المسلمين من الجهاد فى هذا الأمر. وقد ذكر ذلك صراحة فى ص ٤٤-٤٥ فى كتابه.

(٦) عبد الحليم محمود :الإسراء والمعراج : ص ١٢٤-١٢٦.

"كمـــا كــان حادث الإسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة(١) وكان الفيصل بين الطائفـــتين : طائفة ثابتة على إيمانها ، لاتزعزها الأعاصير ، تميد الجبال ولا تميد. وطائفة مشــركة قــد أحكمت أمرها ، ورتبت شئونها ، وجزمت العزم على أن تقضى على الإسلام مهما طال الزمن"

ويســتنكر د. عبد الحليم محمود من يأخذنا عن حكمة الإسراء والمعراج بعيداً "ولكن بعض الناس ينزل بنا من هذه الآفاق العليا والسموات السامية ، ومن الرحاب الإلهى ، ينزل بنا منحدراً فيجادل فى الإسراء والمعراج أكان رؤيا ؟ أم كان يقظة ؟ استغفر الله وأتوب إليه"

ويصـــف الشيخ الشعراوى هذا الجدل (٢)" إن ذلك الجدل إن دل على شئ ، فإنما يدل على ضعف الإيمان فى قلب المجادل الممارى"

وقريب من هذا التصديق بأمر المعجزة مع المجادلة فى كيفيتها ما ذكره طه حسين فى كتابه على هامش السيرة ويعنى المعرفة الإيمانية التى تستعص على العقل (٣)

كنت أوثر أن أختم هذا المبحث بحكمة الإسراء والمعراج ، ولكن الأمر الذى يلح على هــو اســتخدام الكــتاب (العلماء) ،للإنجازات العلمية لإثبات وجهة نظرهم . وكل فرد منهم يطوعهــا وفق هواه ومايمتلك من أدوات تمكنه من إثبات وجهة نظره مع أن الدليل قد يكون واحــداً ، ولكـــن النتائج تكون متناقضة .وهذا ما أثرت أخيراً أن أختم به المبحث لأبين أن الإنســان عــندما يحاول تطويع المسائل الغيبية ليثبتها بأدلة علمية قد يجانبه الصواب ويفتح الباب لمزيد من الجدل لا الحسم .

---

(١) عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج : ص ٦٢.

(٢) محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى "الإسراء والمعراج" ص ١٥.

(٣) طه حسين : على هامش السيرة : ص٦٢ ، جـــ٢ ، ط التاسعة عشرة ، دار المعارف – ط ١٩٩٢م. يقول طه حسين على لسان الراهب كلينيكوس والفيلسوف الحائر كلكراتيس فى حوار بينهما حول العقل وتقبله للمعجزات والإيمان كغذاء روحى لا يستطيع أن يحيا الإنسان بدونه.

"قال كلكراتيس فى صوت هادىءوحزين ، ولكن فيه نغمة الحرص على المعرفة والشوق إلى اليقين ، والعجز مع ذلك عن بلوغ ما يريد : إن قلبى ليؤمن لك ، ولكن عقلى يأبى عليك..

قال الراهب : الأمر بينك وبين عقلك ، يا بنى ، أيسر جداً مما تظن . لم تفكر قط فى المعجزات و لم تقف عندها. فلما أظهرتك على أطراف منها اطمأن إليها ضميرك ، و لم يسترح لها عقلك ، فهذا مصدر ما أنت فيه من الاضطراب.

ولو قد استطعت أن تلقى فى روعك أن هذه المعجزات التى تخرق العادة وتخالف مألوف العقل من قوانين الطبيعة ليست فى نفسها إلا مظاهر طبيعية كغيرها من المظاهر ، إلا أن سلطان العقل لم ينبسط عليها ، لعرفت أن سلطان العقل لم ينبسط ولا يمكن أن ينبسط على كل شئ. والله يجرى هذه المعجزات على أيدى رسله وأنبيائه ليظهر العقل على أنه مازال ضعيفاً قاصراً ، وعلى أن علمه مازال بعيداً ، وسيظل بعيداً عن أن يحيط بكل شئ. فخليق أن يذكر هذا ولا ينساه ، وأن يسلك طريقاً مستقيمة متواضعة إلى ما يريد من الحق، فإنه هالك إن لم يسلك هذه ا لطريق .."

مــن ذلــك اعتماد "محمد فريد وجدى" ثم "على محمد شاكر" على التجارب الروحية مع اخــتلاف المقصــد ، و"الشيخ محمد متولى الشعراوى" و"محمد حسين هيكل" فى الاعتماد على الــتطور العلمى ووسائل الاتصال . وسنرى كيف أن المقدمات قد تكون واحدة ولكن النتائج تختلف .

فكما رأينا "محمد فريد وجدى" يثبت أن الإسراء بالجسد ممكن غير مستحيل والسبب التجارب الــروحية فى أوروبــا فهى تقرب مسألة الإسراء إلى الذهن فى حين يرفض كون المعراج بالجســد . نجــد د."عــلى محمد شاكر" يتخذ نفس أدلة التجارب الروحية للاستدلال على أن الإسراء والمعراج معاً بالروح والجسد وليس الإسراء وحسب . يقول :-(١)

" وعــلى أساس هذا العلم – علم الاسبرتزم – "علم مناجاة الأرواح " الذى أقام الأدلة العلمية على ضلال الذين يجحدون وجود الروح ، وأثبت أننا لا محالة مجزيون على جميع أفعالــنا وأفكارنــا ، فــإن إسراء النبى صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا كان بالروح والجســد معاً ، فقد أثبت علماؤه فى تجاربهم أن الأرواح كانت تأتيهم بالأزهار الندية الغضة مــن الصــين والهــند ، بل وكانت تأتيهم بالخزانات الثقيلة فى لحظات من أماكنها البعيدة ، فــتمررها مــن خلال الحوائط على مرأى منهم ومسمع ، فهل يمكن لعقل مثقف بعد هذا أن يقــول باسم العلم: إن من المستحيل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن يسرى بعبده روحاً وجسداً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى سدرة المنتهى ."

ثم يكمل مناقشاته واستدلاله بالتقدم العلمى فى شتى الفروع :" على أن العلم الحديث لم يقف بنا عند هذا الحد فقط ، فإن سلسلة الاختراعات والاكتشافات العلمية فى هذا العصر ، فيهــا ما يؤيد معجزات الأنبياء أكبر تأييد ، وبالأخص هذه القصة فإن سهولة النقل وسرعته بالطيــارات وغيرها وما أودعه الله سبحانه وتعالى من قوة الأثير والكهرباء ، والمغناطيس والــتى اســتخدمها العلم فى الراديو والتلغراف والتليفون واللاسلكى ، وما وصل إليه علماء الفــلك والطبيعة ، وغيرها من القوات المدهشة فى الكون ، كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن كثيراً مما يعده العلم القديم فى عداد المستحيلات ، قد أصبح الآن حقيقة ملموسة لا يجادل فيهــا مجــادل إن العلم بما وصل إليه من تطور واختراعات وتكنولوجيا يقرب إلى أذهاننا ماكان مستحيلاً بالأمس ".

وكمــا وضــح لنا "محمد متولى الشعراوى" من أمثلة الطائرات والصواريخ فى وسائل المواصــلات ، وما خفى عنا من عالم الكواكب فيما مضى وأصبح سهلاً ميسوراً الآن . إن نفس الأدلة العلمية التى يبرهن بها فضيلته عن الإيمان بالغيب ونظريته " إن ما هو غيب عنا

---

(١) سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج :ص١٢٤ نقلاً عن رسالة الإسراء والمعراج لعلى محمد شاكر : ص ٣٠ .

موجــود وإن لم ندركه " ليستدل فى النهاية على وجوب الإيمان بأن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معاً .

نرى "د.محمد حسين هيكل" يأتى بالأمثلة نفسها ليستدل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط مضيفاً إلى هذا نظرية وحدة الوجود يقول :(١)

"والعلم فى عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح ، ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السليمة يشع ضياء الحقيقة ، كما أن تقابل قوى الكون فى صورة معينة قد طوع "لماركونى" إذ سلط تياراً كهربياً خاصاً من سفينته التى كانت راسية بالبندقية ، أن يضئ بقوة الأثير مدينة سدنى فى أستراليا. وفى عصرنا هذا يقرالعلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تــنطوى عــليه، كما يقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو ، ولإنتقال الصور والمكتوبات كذلــك. ممـــا كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال. ومازال القوى الكمينة فى الكون تكشــف لعلمنا كل يوم عن جديد. فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأسرى به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ليريه من آياته ، كان ذلك مما يقر العلم ، وكانت حكمة ذلك هذه المعانى القوية السامية فى جمالهـــا وجلالهـــا. والتى تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون فى نفس محمد صلى الله عــليه وســلم تصويراً صريحاً ، يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراكه إذا هو حاول السمو بنفســه عـــن أوهام العاجلة فى الحياة وحاول الوصول إلى كنه الحقيقة ليعرف مكانه ومكان العالم كله منه".

كمـــا رأيـــنا أن امـــتلاك أساليب الجدال العقلى لتحول الشئ إلى ضده ؛ فتتخذ الدليل الواحد كبرهان علىالشئ ونقيضه.

اعتمد "فريد وجدى" على الربط بين العلم والدين ليقرب إلى العقل ما عجز عن إدراكه بــالدين الصـــرف أو الإيمـــان بالقـــلب ، اتخذ كغيره من العلماء التطور العلمى واكتشافاته وتجاربـــه لـــتخطى حاجـــز الرفض وإن توصل إلى تصديق الإسراء بالروح والجسد وأبى التصديق فى المعراج؛ فهو فى نهاية الأمر له أجر المجتهد.(٢)

فـــنحن لا ننكر أن يكون العلم وسيلة إلى تقريب المسائل الغيبية إلى الأذهان. وربما وجد فى عصور تالية تطور علمى فى وسائل الانتقال يجعل الأجيال القادمة تستنكر مناقشتنا فى كيفية الإسراء والمعراج.

---

(١) محمد حسين هيكل : حياة محمد : ص ١٦٦ ، ١٦٧

(٢) يتبادر إلى الذهن هل لو ولد "فريد وجدى" وأولئك العلماء فى عصر آخر ، غير العلم الحديث ، هل كان يؤمن بأن الإسراء تم بالروح والجسد أم كان يستبعد حدوثه ؛ لعدم وجود القرائن المادية التى تقرب ذلك إلى العقل ؟ الله أعلم ! بما كان سيدور فى عقل هذا المفكر الإسلامى وإن كنت لا استبعد تغلب نزعة الإيمان على تردد العقل.

وصفوة القول إن قضية الإسراء والمعراج معجزة غيبية تعتمد على الإيمان ، خاصة الإيمـــان بـــالغيب.. الإيمـــان من البدء بوجود الله عزوجل وقدرته سبحانه وتعالى ، الإيمان برسله وأنبيائه وهى مسألة كما رأينا يؤمن بها القلب وقد يحتار فيها العقل.

ولا يســعنى إلا أن أختم هذا المبحث بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، الذى قال عمر ابن الخطاب فى إيمانه "لو وزن إيمان أبى بكر بأهل الأرض لرجح بهم"(١)

قـــال أبو بكر : حين جاءه خبر الإسراء والمعراج : لئن كان قاله ؛ فلقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك؛ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه".

الخلاصـــــة

تمـــت مناقشة معجزة الإسراء والمعراج من خلال آراء بعض العلماء الأقدمين ، ثم عرض رأى محمـــد فـــريد وجدى ومناقشته من خلال آراء العلماء والكتاب المسلمين ، مع توضيح صـــحةأحاديث الإسراء والمعراج والحكمة منه وكيفيته بالروح أم بالجسد أم بكليهما،وانتهى المبحث بعرض بعض الآراء التى يتضح فيها وحدة المقدمات واختلاف النتائج تبعاً لاختلاف وجهات النظر.

(١) رواه عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة عن طريق ضميره عن ابن شوذب عن محمد بن حجاده عن سلمة بن كهيل عن الهذيل ابن شراحيل عن عمر رضى الله عنه. إسناده حسن ورواه أيضاً البيهقى فى شعب الإيمان.

المبحث الثانى

قضية الإعجاز القرآنى

قضية الإعجاز القرآني

إن قضية الإعجاز القرآني كانت ومازالت موضعاً لعناية دارسي القرآن الكريم فمنذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحالي ؛ توالت الدراسات والآراء واختلفت الأقوال ما بين القول بالإعجاز بالصرفة أو الأخبار بالغيب ونظرية النظم وغيرها ، وكأي مفكر وكاتب إسلامي أدلى "فريد وجدى" برأيه في الإعجاز وسنتوقف عند هذا الرأى والمناقشات التى دارت حوله.

يستهل "وجدى" حديثه عن الإعجاز بذكر آيات من القرآن الكريم تدل على الإعجاز ، فيذكر قوله تعالى:[1] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله تعالى[2]" ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾

وقد ابتدأ وجدى بهذه الآيات ليطرح على القارئ تساؤلاً فيقول:[3]

"هذه الآيات تنص على أن القرآن معجز فما وجه اعجازه؟"

وللإجابة على هذا يأتي برأى مفسر من القدماء وهو "النيسابورى[4]وقد استشهد "وجدى" بشرحه للآية الأولى .. يقول "وقد ذكر في كون القرآن معجزاً طريقين [5]الأول : أنه إما أن يكون مساوياً لكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين ثم لم يأتوا بها مع أنهم كانوامتهالكين فى أبطال أمره..."

الطريق الثانى : "أن يقال إنه بلغت السورة المتحدى بها فى الفصاحة إلى حد الإعجاز ؛ فقد حصل المقصود وإلا فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجز. فعلى التقديرين يحصل الإعجاز"

وفى الإعجاز بالصرفة والأخبار بالغيب يقول[6]النيسابورى " ومن قال الإعجاز

---

(١) سورة البقرة آية ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٦٩ ، م ٧.

(٤) العلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابورى . فى تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٦٩ ، م ٧ .

(٥) فى الأصل "طريقان"

(٦) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٠.

بأنه صرف الله تعالى البشر عن معارضته أو بأنه هو كون أسلوبه مخالفاً. لأساليب الكلام ، أو بأنه هو كونه مبرأ على التناقض ، أو لكونه مشتملاً على الأخبار بالغيوب وبما ينخرط فى سلك هذا الأراء فقد كذب ..."

وهــنا يذكــر النيسابورى رأيه وفى اعتقادى أن السبب الرئيسى لاستشهاد وجدى بآرائه هو تأثير القرآن على القلوب"وسيظهر هذا بوضوح عند عرض رأى وجدى فى الإعجاز.

فيقول النيسابورى موضحاً رأيه "فإنا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن ، إنما هو مــن أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب تأثيراً لا يمكن إنكاره لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الإتيان بمثله ..."

ويستشهد وجدى برأى أحد المعاصرين وهو الشيخ[1]"محمد عبده".

يقــول"محمد عبده"عن عصر نزول القرآن إنه "أرقى الأعصار عند العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة وإنه الممتاز بين جميع ما تقدمه بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب ... وتواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبى صلى الله عليه وسلم والتماســهم الوســائل قريبها وبعيدها لإبطال دعواه .. وتحداهم القرآن أنا يأتوا بمثل أقصر سورة فلم يستطعوا ..."

ثم يتساءل "أليس فى ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمى أعظم وأدل برهان على أنه ليس من صنع البشر .."

ويذكر وجهاً من وجوه إعجاز القرآن ألا وهو الأخبار بالغيب ويوضحه بإعطاء أمثلة قــائلاً "هــذا وقد جاء فى الكتاب من أخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون كالخبر فى قوله تعالى[2]: الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾

ومــن الكلام عن الغيب .. ما جاء فى تحدى العرب به واكتفائه فى الرجوع عن دعواه بأن يأتوا بسورة من مثله ولم يستطعوا رغم سعة البلاد العربية .. واتقان أهلها اللغة العربية .. لم يستطعوا أن يتحدوا القرآن.

ثــم يسترسل محمد عبده فى مناقشة عقلية ليصل بنا فى النهاية إلى أن "إعجاز القرآن برهن على أمر واقعى وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة"[3]

وينتهى كلام محمد عبده ليأتى رأى محمد فريد وجدى ولا يتسنى لى أن أشير إلى آرائه دون

---

(١) محمد عبده : رسالة التوحيد : نقلاً عن دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٤ – ٦٧٥ .

(٢) سورة الروم : آية ١ : ٣

(٣) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٦.

تضمينها بتعليقات عبد الكريم الخطيب [١] "ومحمد رجب البيومي" [٢]

وخيـر مـا نقدم به لرأى "محمد فريد وجدى" فى الإعجاز ما قاله "عبد الكريم الخطيب" [٣] مقدماً لهذا الموضوع :-

"الـذى نريد أن نقوله هنا هو أن "محمد فريد وجدى " فى كتاباته الإسلامية لم يبحث هـذا البحث التقليدى فى إعجاز القرآن ، وإفراده بدراسة خاصة مستقلة به ... ومع هذا فقد كـان له رأيـه فى الإعجاز.. وهو رأى واضح صريح جرئ .. قد كان يخرج على مألوف الآراء الـتى وقف عندها الباحثون فى أمر الإعجاز وعرض وجوهه .. فالرأى الغالب عند العـلماء فى الإعجاز .. هو النظم القرآنى .. وهو الوجه الظاهر عند الناظرين فى الإعجاز وإن قامت إلى جانبه وجوه أخرى ولكن (فريد وجدى) جعل أمر "النظم" هذا فى موضع غير موضـع الصدارة أو "البؤرة" فى مقام الإعجاز ، بل إنه كاد يجليه عن هذا المقام ، ويخرجه من هذه القضية كلها!.."[٤]

وقد ابتدأ وجدى بالإشارة إلى حصر المتكلمين لقضية الإعجاز من جهة بلاغته وهو لا يـنكر هذا ، ولكنه يرفض أن تكون البلاغة الجهة الوحيدة للإعجاز يقول[٥]"**حصر المتكلمون فى إعجـاز القـرآن كل عنايتهم فى بيان ذلك الإعجاز من جهة بلاغته ، .. وإننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة إلا إننا نرى أنها ليست هى الناحية الوحيدة لإعجـازه بـل ولا هى أكثر نواحى إعجازه سلطاناً على النفس ؛ فإن للبلاغة على الشعور الإنسـانى تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال فى الضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها مـا كـان يحدثـه فى مبدأ تـوارده عليها ، وليس هذا شأن القرآن ؛ فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً ، ولكنه معجز لتسلطه على النفس والمدارك ..**"

وبعـد أن دعا وجدى للبحث عن علة لذلك السلطان فى مجال آخر غير البلاغة يؤكد فى ثقـة أنها واضحة فيقول: "**العلة فى نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهى أن القرآن روح من أمر الله تعالى ....**

---

(١) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن والإعجاز فى دراسات السابقين "دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعايرها الأولى ١٩٧٤ ، - دار الفكر العربى.

(٢) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ط ١٩٧١ ، دار النصر

(٣) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن : ص ٣٤٢ — ٣٤٣ (بتصرف)

(٤) هذا الرأى الأخير سنناقشه فى موضعه.

(٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٧.

قوله تعالى !.. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ (١)

"فهو يؤثر بهذا الاعتبار تأثير الروح فى الأجساد فيحركها ويتسلط على أهوائها ، وأما تأثير الكـــلام فى الشعور فلا يتعدى سلطانه حد إطرابها ، والحصول على إعجابها فقوله تعالى " ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ يكـــفى وحـــده فى إرشـــادنا إلى جهة إعجاز القرآن وقصـــور الإنس والجن عن الإتيان بمثله ، وبقائه إلى اليوم معجزة خالدة تتلألأ فى نورها الإلهى ،وتتألق فى جمالها القدسى."

ثم يقول موضحاً رأيه فى الإعجاز(٢)

"ذلـــك لما كان القرآن روح من أمر الله فلا جرم كانت له (روحانية) خاصة هى عندنا جهة إعجازه والسبب الأكبر فى انقطاع الأنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره .. نعم إن جهة إعجاز هذا الكتاب الإلهى الأقدس هى تلك (الروحانية العالية) التى قلبت شكل العالم واكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله فى أرضه ..."

لقد اتفق "عبد الكريم الخطيب" مع وجدى" فى تأثير القرآن على النفوس والعقول وأن الروح من أمر الله هى السر فى ذلك ، ولكن "عبد الكريم الخطيب" اعترض قائلاً (٣)

"إلا أننا نرى أن هذا الروح لابد أن يلبس تلك الألفاظ التى نظمت قرآنا ، كما تلبس الأرواح الأجساد. فتبعث فيها الحياة وتخلع عليها خلع الحسن والجمال ... إن أجمل جمال وأكمله فيما يراه العين هو هذا الجمال الحى الذى تموج فيه تيارات الروح ..."

واستطرد "الخطيب" فى عرض الأمثلة التى تؤيد رأيه ..

"وكما يستطيع الإنسان أن يطلق من روحه شرارات تبعث فى الجماد وجوداً له على النفوس والقلوب ؛ تأثير وسلطان حين يقيم من الحجر تمثالاً معجباً .. فإنه كذلك يستطيع أن يقيم من الكلام بياناً آخذاً ساحراً .."

ثم يلخص (الخطيب) وجه اتفاقه واختلافه مع وجدى .. فيقول

"نوافقـــه فى أن فى القـــرآن روحاً ، هى التى تطلع منه على الناس فيعجبون ويدهشون ... ويعجزون ..

ونخالفـــه فى أن هذا الروح شئ منفصل عن كلمات القرآن ، قائم بين يديها أو من خلفها ، وإنمـــا يسرى هذا الروح فى كلمات القرآن ويشعل فيها وقدة مشرقة ، يرى الناس منها آيات الإعجاز فى ذلك النظم الرائع المعجز الذى نظمته القدرة وأحكمت نظمه .."

---

(١) سورة الشورى: من آية ٥٢.

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٧.

(٣) عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن : ص ٣٤٥.

وهـنا أقول إنه "وجدى" لم يقل إن البلاغة ليست وجهاً من وجوه الإعجاز ، ولكنه يرى أن هـناك وجهاً آخر له تأثير أكبر ، وشيئاً بديهياً أن تلك الروح لن تصل للقارئ أو السامع إلا من خلال الكلمات ؟!

ويوافقنى فى هذا "محمد رجب بيومى" ولكن ليس فى رده على "الخطيب" بل فى تعقيبه على "وجـدى" يقـول [1]:"ونحن نتساءل فى الرد على ذلك أيمكن أن تظهر روحانية القرآن دون الظهور : دون كلام يقال؟"

ويفـترض "البيومى" رأياً يحاول به التوفيق بين رأى وجدى ورأى القائلين بالإعجاز الـبلاغى. "وإذ ثبت أن الأسلوب القرآنى هو موضع هذه الروحانية النافذة فقد صارت الشقة قريـبة بيـن مـن يقولون بالإعجاز البلاغى وبين الأستاذ الكبير إن لم تكن هناك شقة على الإطـلاق وإذا كـانت بلاغـة البشر تفقد تأثيرها باستمرار التلاوة دون بلاغة القرآن فلأن الأسلوب القرآنى يحمل من وسائل إعجازه ما يرتفع به عن بلاغة البشر".

ونرى "وجدى" يدافع عن آرائه حين نجده يؤكد عدم إنكاره أن تكون البلاغة وجهاً من وجوه الإعجاز يقول:[2]

"لا مشـاحة فى أن القـرآن فصـيح قد أخرس بفصاحته فرسان البلاغة ... وهو حكيم بهر سماسـرة الحكمـة والفلسفة ... وهو حق ألزم كل عال الحجة ... وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما فى الصدور."

ولكن وجدى يرى شيئاً آخر :"ولكنه فوق ذلك كله (روح من أمر الله) تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان ، ولا سيالات الحكمة والعرفان ... هـذه الـروحانية تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره ، وتستولى منها على أصل حياته ومهب عواطفه وإحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً وتصوره بصورة لا يتخيلها".

ويتساءل متعجباً :

"ألا تـرى كيف فعلت بأولئك العرب الذين لبثوا ألوفاً من السنين على حالة واحدة لا يـتحولون عـنها ... فنفحتهم بروح عالية قاموا بواسطتها يحملون الملوك سلطانهم ... ولم يتموا جولتهم هذه حتى دانت لهم المعمورة من أقصا إلى أقصاها."

وبعد أن استطرد فى مناقشته وطرح الأمثلة يقول[3]

---

(١) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ٢٥١ .

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٨.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٧٩.

"أى حجة أكبر من هذه الحجة على أن القرآن روح إلهى وأمر سماوى وأى حجة من وجـوه إعجازه بعد مشاهدة هذا الأثر الفخم أوقع فى النفس ، وأنفى للشك وأولى بالقبول من وجه روحانيته"

ولا يلبث وجدى أن يعود ليؤكد وجهة نظره قائلاً :-

"إن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والحكمة والبيان (روحانية) يدركها من لاحظ له فى فهم الكلام وتقدير الحكمة وإدراك البلاغة"

ويعطى وجدى الأمثلة على رأيه:-

"ألا تــرى أن الطفل والعامى كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى أنهما ليكادا يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن فيما لو أراد التالى أن يغشهما"

ومــثال أخر أن تلك الروحانية تظهر بوضوح لوجاء بين كلام منظوم مهما بلغت درجته من البيان وجمال الأسلوب وجزالة الألفاظ.

ويتفق "الخطيب" مع رأى "فريد وجدى" حين يقول :-

"وحــق مــا يقــول به "وجدى" هنا من إن الطفل والعامى يعتريهما تهيب عند تلاوة القرآن ... ولو بغير صوت حسن وذلك مما يؤيد ما ذهبنا إليه من أن روحانية القرآن ممسكة بألفاظــه ، ســارية فى نظمه ، وأنه إذا كان الطفل والعامى يقع لهما من ذلك الروح القرآنى شــىء يبعث فى نفسيهما تهيباً وخشية ، فإنهما كذلك يكون شأنهما إزاء كل رائعة من رائعات الحســن والجمال." وإذن فليست شهادة لإعجاز القرآن تأثر الطفل والعامى بكلماته ، وتهيبها عند تلاوته"

والخطيــب مع ذلك لا يرفض تأثير الروحانية التى يراها وجدى فإنها إن كانت ليست إعجازاً وحدها ، فهى مدخل لذلك .. فيقول[1]

."إن كان ذلك مدخلاً إلى الإعجاز حين يقف منه العالمون موقف النظر والتأمل !"

ورأى"محمد رجب البيومى" قريب من"الخطيب" حيث يقول الأول:-[2]

"وكــون القرآن روحاً من أمر الله لا يحصر إعجازه البيانى فى معنى كلى كما يريد الأســتاذ (يقصد محمد فريد وجدى) ، بل يدفع الدارس إلى استشفاف هذا الروح فيما يتراءى من قوة أسره ودقة تدليله وبلاغة تصويره ، مما يسيطر على النفوس سيطرة تدفع إلى الإذعان المؤمن والاستسلام البصير"

---

(١) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآنى : ص ٣٤٩.

(٢) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ص ٢٥١.

ويستمر "وجدى" فى حديثه عن الروحانية.

"هذه الروحانية تظهر للعارف باللغة وللجاهل بها. أما ظهورها للعارف فبين لا يحتاج لبيان ، وأما ظهورها للجاهل بها من الأمم الأعجمية فبتأثيرها ونتيجتها"

ثم يذكر "وجدى" مستدلاً على صدق رأيه إن الإنسان الأعجمى الذى يرى حال العربى الذى تبدل حاله ، وسيطرته على الممالك والأمم ، ونشره العدل والإحسان بين أرجاءها لابد أنه قد اكتسب روحاً جديداً ويتساءل[1]

"كيف لا يستدل هذا الإنسان بالحس على تلك (الروحانية) وقد أصبح يرجو من كان يخافه ، ويتعلم ممن كان لا يرى أجهل منه ، ويتخلق بأخلاق من كان لا يعده إلا وحشياً ضارياً – يقصد العربى –"[2]

وعن الروحانية التى يشعر بها العالم باللغة والجاهل بها يعلق "الخطيب"[3]

"إن وجدى فيما يخيل إلينا – يعدل عن هذا الطريق الذى لا تقوم به حجة الإعجاز إلا على العرب وحدهم ، ومن يحسنون اللسان العربى ، ويدركون أسرار البيان العربى إلى طريق آخر تقوم به الحجة على العرب وغير العرب ... إذ الروحانية التى يقول بها – لا تحمل على لغة ولا تؤدى ببيان أو بلاغة ، وإنما هى سر يتبع القرآن فى كل حال ويغشى كل قلب .."

ويحكم "الخطيب" على هذا الرأى بأنه قد جانبه الصواب :–

"ولا شك أن هذا حكم فيه تحكم وغلو إذ لو كان من شأن القرآن أن يجعل روحانيته معجزة يقيمها حجة على العرب وغير العرب لما جاءت تلك المعجزة باللسان العربى ولجاءت فى صورة مشتركة الفهم عند الناس جميعاً ... ولما كانت الكلمة هى محمل هذه المعجزة .."[4]

ويدلل الخطيب على صحة رأيه من أن القرآن معجزة تحد للعرب خاصة بقوله :

"والذى نراه هو أن الإعجاز القرآنى إنما هو تحدّ للعرب ، وحجة عليهم وحدهم ... حجة قهر وإلزام .. ولهذا لم يقبل الإسلام من العرب إلا الدخول فى الإسلام أو القتل ، على حين قبل من غير العرب الجزية دون القتل ... فالحجة عليهم ضمنية ، إذ أن عجز أرباب البيان عن لقاء هذا البيان السماوى يشهد للمعجزة شهادة قاطعة عند من لا يحسن العربية .."

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٩ .

(٢) ونحن نقول أليس هذا هو تأثير الإسلام كدين بما يشتمل على ما أنزله الله فى القرآن من أحكام وعبادات ومعاملات ومن سنة رسوله ونحن هنا لا ننكر أثر تلك الروحانية ، ولكن تأثيرها منفرد لتصنع كل تلك التغيرات أمراً يحتاج إلى تساؤل.

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآنى : ص ٣٥٠ – ٣٥١ .

(٤) أن تكون الكلمة غير المفهومة لها تأثير السحر على السامع ألا يعد هذا وحده إعجازاً ؟ نقرأ ونسمع عن كثير من الأجانب ، جذبهم ترتيل القرآن دون فهم كلماته ، واعتنقوا الإسلام بعد فهم تشريعاته.

ويختتم "وجدى" رأيه فى الإعجاز مؤكداً أنه الحل للخلاف حول أوجه الإعجاز المتعددة. "فى حدود علمه"(١):-

"هــذا رأيــنا فى جهة إعجاز القرآن ، وهو فيما نعلم يحل مشاكل هذا البحث ويمكن الاســتدلال عليه بالحس والواقع. أما ما ولع به الناس من أن القرآن معجز لبلاغته وتجاوزه حــدود الإمكان حتى وقف ذلك الإعجاز ببلاغته دون وجوه إعجازه الأخرى فلم نقف له على أثر فى ذات القرآن مع أنه قد ورد ذكر القرآن فى القرآن فى آيات عديدة فلم ترفى واحدة منها ما يوافق ما يذهب إليه الآن الكثيرون"

واستشهد "وجدى" بعدة آيات منها

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ(٢) " هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ " (٣)

" إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ "(٤) " وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا "(٥)

ثــم يقــول " وصف الله كتابه فى هذه الآيات الكريمة بأوصاف كثيرة وليس من بينها واحــدةتشير إلى بلاغته اللفظية ذلك لأن البلاغة من الصفات الثانوية التى لا يصح أن يمتدح بها الله فى كتابه . ولو كانت البلاغة هى أساس تحديه للكفار بالإتيان بسورة من سور أما كان يشــير إلى تــلك البلاغة ولو فى آية واحدة وقد أتى بعشرات منها فى التنويه بحقيته وحكمته وروحانيته ؟أليس فى هذا إشارة إلى أن وجه إعجازه غير البلاغة اللفظية؟ "

ويوضح "عبد الكريم الخطيب" أن رأى "وجدى" واستشهادة بتلك الآيات لفيه قصور لأنه لم يتناول الآيات التى وصف فيها القرآن بالبلاغة والبيان واستدل على هذا القصور بآيات أغفلها وجدى منها.

" الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ "(٦)

" فالــبيان هنا ، هو صفة هذا القرآن ، و"المبين" مبالغة فى البيان .. والبيان إنما يجئ من إحكام النظم وبلاغته ، ولهذا ذكر بعده " إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "

أى نزل بلسانكم وجرى على أساليب بيانكم تعقلون أسراره وإعجازه .."

واستدل الخطيب بأحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم

"ومن ذلك قول الرسول الكريم "إنه أفصح العرب بيد أنى من قريش"

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٩ – ٦٨٠.

(٢) سورة البقرة : من آية ٩٩.

(٣) سورة آل عمران : آية ١٣٨.

(٤) سورة الإسراء : من آية ٩.

(٥) سورة الشورى : من آية ٥٢.

(٦) سورة يوسف : آية ١: ٢. – عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآنى : ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

"وقوله : " إن من البيان لسحراً " فإن فى هذا ما يدل على أن "الكلمة" يمكن أن تحمل المعجزة ، وأن يتعلق بها مناط الإعجاز .. إذا بلغت فى البلاغة حداً تقصر عنه بلاغة البلغاء ... وذلـــك لا يكون إلا بنظم كلامى ، تنظمه يد القدرة ، وتحكمه حكمة الحكيم العليم .. ذلكم الله رب العالمين"

أما "البيومى" فهو يحلل الأمر على فرضية اقتناع وجدى بوجهة نظر هى :-

"ولعل الأستاذ وجدى لا يريد أن يحصر الإعجاز القرآنى فى بلاغته التعبيرية موافقة لمــن يــرى أن حصـــر الإعجاز فى البلاغة التركيبية يدفعنا لطول النظر إلى اكتناه أسراره والوقــوف على دقائقه ، ومتى عرفت هذه الأسرار وجليت تلك الدقائق أمكنت محاكاته .. فلم يبق وجه لإعجازه .."

ويرفض البيومى من وجدى هذا الافتراض الذى هو واضعه(١)

"وهذا كلام براق فى ظاهره ، ولكنه لدى التدقيق لا ينهض على ساق"

ويعلل هذا الرفض قائلاً "لأن إدراك السر البلاغى فى قول معجز لا يجعل المدرك قادراً على الإتيان بمثل ما أدرك سره ... فلو كان الولوج إلى أسرار الجمال فى البيان الأدبى داعياً إلى محاكاتـــه لكـــان ناقد كبير ، شاعراً كبيراً أو قصاصاً شهيراً ولكن التذوق النقدى شئ وملكة الإبداع الفنى شئ سواه .."

وبعد هذه المناقشة ، يصل "محمد رجب البيومى" إلى رأيه ، فهو ليس رافضاً لتلك الروحانية ، ولكنه يرفض كونها جهاً للإعجاز يقول :-(٢)

"فــليكن القرآن ذا روح قوية غالبة ولكن هذه الروح تستكن فى كلمات وآيات وسور وهى موضع الإعجاز."

وهذا الرأى هو ما ختم به "عبد الكريم الخطيب" نقاشه حيث قال (٣)

"وكـــون القرآن روحاً من أمر الله لا يحصر إعجازه البيانى فى معنى كلى كما يريد الأســـتاذ بـــل يدفـــع الدراس إلى استشفاف هذا الروح فيما يتراءى من قوة أسره ودقة تدليله وبلاغة تصويره ، مما يسيطر على النفوس سيطرة تدفع إلى الإذعان والاستسلام البصير"

---

(١) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ص ٢٥١

(٢)المصدر السابق : ص ٢٥٢.

(٣) عبد الكريم الخطيب : الإعجاز القرآنى : ص ٣٥٣.

"وكما رأينا فكل من "عبد الكريم الخطيب" "ومحمد رجب البيومى" لم يرفضا رأى "محمد فريد وجدى" مطلقاً ، بل أرادا أن يوفقا بين رأى "وجدى" القائل بروحانية القرآن وتسلطها على النفس ورأى أغلب العلماء القائلين بالنظم [1]

وبعد أن انتهينا من عرض رأى "فريد وجدى" ومناقشة "عبد الكريم الخطيب" "ومحمد رجب البيومى" لآرائه نقول إن القول بسر روحانية القرآن وتسلطها على النفوس وكون هذا الأثر النفسى هو وجه الإعجاز مع عدم رفض تأثير البلاغة فى القرآن وإن كان ثانوياً لم يكن محمد فريد وجدى فيه مبتدعاً ، بل قال بهذا الرأى بعض الأقدمين والمعاصرين ورفض "الخطيب" "والبيومى" لهذا الرأى إنما هو وجهة نظر فى الإعجاز قالها غيرهما من العلماء ..
ولأن تتبع الآراء فى الإعجاز ليس قضيتنا ولا يتسع له بحثنا فسنكتفى بالإشارة إلى من اعتنق هذا الرأى .. القائل بالإعجاز النفسى للقرآن . وفى هذا برهنة على أنه لم يكن مبتدعاً حين نادى بأن سر الإعجاز فى روحانية القرآن وتأثيره على القلوب ، وكما رأينا سابقاً كيف استشهد هو نفسه بآراء "النيسابورى" فى قوله "فإنا نقطع أن الاستغراب من سماع القرآن إنما هو أسلوبه ونظمه المؤثر فى القلوب"[2]
وإن كان "النيسابورى" أقرب إلى آراء "الخطيب" و"البيومى" أن يكون النظم مقترن بروحانية القرآن وهذا الرأى أيضاً له معتنقيه وهذا ما سنوضحه. وخير معين لنا فى تتبع آراء القائلين بالتأثير النفسى للقرآن هو ما كتبه الأستاذ الدكتور "مصطفى الصاوى الجوينى"[3]

وقبل أن نعرض لآراء القدماء نذكر أن وجدى يرى أن وجه الإعجاز هو الأثر الروحى للقرآن مع وجود أثر البلاغة وإن كان ثانوياً من وجهة نظره إلا أنه لا يرفضه كلية.

ونبدأ مع بيان [4] تأثير القرآن على نفوس العامة وأهل البيان خاصة ، فخشى المشركون هذا وحذروا منه الشعراء يقول د. "الجوينى"
"وحين عرفوا استيلاء القرآن على النفوس ، وخاصة تلك التى تقدر جمال البيان قدره ، منعوا

---

(١) أرى أن هناك خلطاً فى المفاهيم ؟ فقد نفى "وجدى" أن يكون إعجاز القرآن من الناحية البلاغية اللفظية ، فهل القائلين بإعجاز القرآن من جهة بلاغته يقصدون البلاغة اللفظية ؟ الإجابة : كلا ؛ فالبلاغة بأقسامها الثلاثة (البيان — البديع — المعانى) ، وما هذه التقسيمات الحديثة إلا لتسهيل الدراسة ولا يسعنى إلا أن أتساءل ؛ هل التبس على "وجدى" الأمر ؟ أم أنه قصر؟ كما قال "الخطيب" ولم يتحر الدقة؟ فقد كرر أن البلاغة لهى وجه ثانوى من وجوه الإعجاز فما باله ينكر شقاً منها ، وهى البلاغة اللفظية!

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : ص ٦٧٠.

(٣) مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه : ط٣ دار المعارف رقم ايداع ١٩٨٤.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٠.

عنه الشعراء وحالوا – جهدهم – بين الفصحاء وبينه. قال تعالى :

"وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾"(١)

ثم يشير إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من تأثير القرآن :-

"أما الرسول والصحابة فكانوا إذا خلوا إلى القرآن يقرءونه اندمجوا في جوه الروحي : عاشوا في نصه وانعقدت الصلة بين نفوسهم وبين معانيه فخشعوا وبكوا."

"يحكي (٢)مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولصدره أزير كأزير المرجل من البكاء"

"وأبو بكر كان رجلاً بكاء لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن"

ويشير د. "الجويني" إلى أن الرعيل الإسلامي الأول اهتموا بأثر القرآن في النفس يقول (٣)

"والكل يشير إلى الأثر النفسي العميق الذي يتركه القرآن في نفس تاليه. لقد شغل القرآن الصحابة والرعيل الإسلامي في الأول فاتبعوه ديناً ودنيا ، قرءوه بقلوبهم وعاشوا في معناه ، وكان همهم أن يشيروا إلىأثر معانيه في النفس ؛ فالطبري(٤) يروي أن عائشة قالت : قلت يا رسول الله إني لأعلم أشد آية في القرآن . فقال ما هي يا عائشة ؟ قلت هي هذه الآية يا رسول الله : " مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ

(٥)" فقال هو ما يصيب العبد المؤمن حتى النكبة ينكبها"

ومن العلماء القائلين بإعجاز القرآن من الوجهة البلاغية مع الأخذ في الاعتبار تأثيره في القلوب هو "الرماني":

"الرماني(٦) المتوفى سنة ٣٨٤ هـ. قال : إن القرآن معجز ببلاغته وحد البلاغة بأنها إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم"

وكذلك "الخطابي" يرى أن إعجاز القرآن هو من الوجهة النفسية مع النظم حيث يقول د. " الجويني" (٧)

---

(١) سورة فصلت : آية ٢٦.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار القرطبي ص ١٤٠. نقلاً من د. مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٣) د. مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٤) تفسير الطبري حـ ٥ ص ١٨٩ ط: ١٣٢٣ نقلاً من د. مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠١.

(٥) سورة النساء : من آية ١٢٣.

(٦) مخطوط النكت الرماني ورقتا ١ ، ٢ نقلا من د. مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : ص ٢٠٧.

(٧) إعجاز القرآن : للخطابي : ص ٢٧ – ٢٩ ، ط دار التأليف ١٣٧٢ هـ – نقلا من د. مصطفى الصاوي الجويني : منهج الزمخشري : :ص ٢٠٧ ، ٢٠٨.

"ورأى الخطـــابى المـــتوفى سنة ٣٨٥ هـــ أن الوجه الأول فى الإعجاز القرآنى هو الإحاطة الإلهية بأسرار اللغة حتى جاء القرآن معجزاً لفظاً ومعنى ونظماً .."

"والوجه الثانى فى الإعجاز عنده هو ما للقرآن من أثر نفسى يقول : "قلت فى إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم"

وهذا القول يدل على وجود القول بالإعجاز النفسى للقرآن فى القرون الأولى للهجرة ، ولكن على استحياء أوقلة .

"وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوماً ولا منـــثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ومن الروعة والمهابة فى أخـــرى ، ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس وتتشرح له الصدور ، حتى إذا أخذت حظهـــا مـــنه ، عـــادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق وتغشاها من الخوف والفرق ما تقشـــعر مـــنه الجلود وتنزعج له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة منها[١].

"وقريب من هذا رأى "الزمخشرى" فى الإعجاز ، فهو عنده على أمرين أولاً الإخبار بالغيب يقول[٢]"صدق الإخبارعن الغيوب معجزة"

والـــثانى النظم "النظم ... هو أم إعجاز القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"

ومـــن الأساليب المندرجة عنده فى مسألة النظم "أسلوب التكرار" الذى يقف الزمخشرى كثيراً عنده ليوضح الآثار النفسية المترتبة عليه يقول د."الجوينى" "وأسلوب التكرار من صور البيان القرآنى التى يطيل الزمخشرى وقفته الجمالية المستقصية عندها : ويقرر الزمخشرى المعانى النفسية الكامنة وراء التكرير فى القرآن يقول [٣]"مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فمطلوب به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره"

ويســـفر عـــن الغاية النفسية فى تكرير القصص يقول..[٤]"ولأن فى التكرير تقريراً للمعانى فى الأنفس وتثبيتاً لها فى الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له فى القلب وأرسخ فى الفهم"

---

(١)وأنى لأرى أن كلام الخطابى أقرب ما يكون إلى كلام محمد فريد وجدى حين تحدث عن روحانية القرآن "هذه الروحانية تنفذ إلى سر سريرة الإنسان وسويداء ضميره وتستولى منها على أصل حياته ووهب عواطفه وإحساساته ، وتخلقه خلقاً جديداً وتصوره لا يتخيلها .. ألا ترى أن الطفل والعامى كيف يعتريهما تهيب عند تلاوته ولو بغير صوت حسن حتى أنهما ليكادا يفرقان بين ما هو قرآن وما ليس بقرآن .." محمد فريد وجدى " دائرة معرف القرن العشرين : ص ٦٧٨ ، ٦٧٩.

(٢) الزمخشرى : الكشاف : ص ٣٨٥ ، حـــ ٢ نقلا من مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشرى : ص ٢١٧ ، ٢١٩.

(٣) الكشاف : حـــ ١ : ص ١٤ ، نقلاً منهج الزمخشرى : مصطفى الصاوى الجوينى : ص ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق : الكشاف حـــ٢ : ص ١٣١ ، ١٣٢.

ويلخص د. الجوينى غاية التكرير عنده

"فجماع غاية التكرير عنده : تمكين المعانى فى النفوس ، وبسطها بالإيضاح والتفسير لتوقظ الغافل أو تثير الفكر الراكد"

ويوافق رأى "الزمخشرى" فى التكرار ودرءه للملل وأثره النفسى على القارىء.

الشيخ "محمد الغزالى" يقول[1]"قد تجد القرآن حقيقة علمية مفردة ، ولكن هذه الحقيقة تظهر فى ألف ثوب ، وتتوزع تحت عناوين شتى ، كما تذوق السكر فى عشرات من الطعوم والفواكه. وهذا التكرار مقصود ، وإن لم تزد به الحقيقة العلمية فى مفهومها.

ذلك أن الغرض ليس تقرير فقط ، بل بناء الأفكار والمشاعر عليها والتقاط آخر ما تختلقه اللجاجة من شبهات وتعلات ، ثم الكر عليها بالحجج الدامغة حتى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع للحق والاستكانة لله."

"وفى أغلب[2]الآفاق المادية والمعنوية يحسب لملال الإنسان وكلاله حساب دقيق ، وتؤخذ الحيطة له كى لا يقف بالمرء فى بدايات الطريق ..!! والقرآن الكريم فى تحدثه للنفس الإنسانية حارب هذا الملل ، وأقصاه عنها إقصاء ، وعمل على تجديد حياتها بين الحين والحين حتى إنه ليمكنها أن تستقبل فى كل يوم ميلاداً جديداً :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [3]

وإحداث الذكر هو تجديد معنويات الإنسان كلما صدئت على طول التعب ومس الذهول . وأسلوب القرآن فى هذا المجال يربى على كل تقدير. إنه يخترق أسوار الغفلة ويصل إلى صميم القلب ، ثم يقفه راغباً أوراهباً بإزاء ما يريد.

والهدف الأهم من وراء هذا السرد المتكرر ، ليس بيان الحق فقط ، بل هو – إلى جانب ذلك – تعميق مجراه فى القلوب تعميقاً ينفى ما طبع عليه الإنسان من جدل وملل.."

ومن العلماء المعاصرين الشيخ "محمد عبده" يتحدث عن الهدف من تفسير القرآن والغرض الأول والأهم من القرآن يقول :[4]

"أن الغرض الأول والأهم فى التفسير ، أن يكون محققاً لهداية القرآن ورحمته مبيناً لحكمة التشريع فى العقائد والأخلاق ، والأحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح ..."

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن : ص ١٢٧. ط الثالثة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ، دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق العفيفى القاهرة .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٢.

(٣) سورة طه : آية ١١٣.

(٤) مصطفى الصاوى الجوينى – التفسير الأدبى للنص القرآنى . دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨ م. ص ١٣٤ .

يقول د. "الجوينى" معلقاً[١] " فالمقصد الحقيقى عنده هو الاهتداء بالقرآن وهو قصد جليل ولا شك ... يحتاج المسلمون إلى تحقيقه."

ويوضح الشيخ "أمين الخولى" فى كلامه عن الإعجاز النفسى الآراء المتعددة فى الإعجاز وصلة البلاغة بعلم النفس موضحاً فائدة تلك الوجهة النفسية.

يقول[٢] "فإذا كان وصل البلاغة بعلم النفس ، وإقامتها على ذلك الأساس الذى يمضى العلم قدما فى الكشف عنه والتجلية له ، سيهدينا إلى قول بالمعنى التام ، فتلك فضيلة لهذا الرأى فى حل قضية الإعجاز الكبرى ، أو إدنائها من الحل . وتقريبها من التفكير الحديث."

ثم يقول فى إجمالى فكرة الإعجاز النفسى.[٣]

"فبالأمور النفسية لاغير يعلل إيجازه وإطنابه وتوكيده وإشارته ، وإجماله وتفصيله ، وتكراره وإطالته ، وتقسيمه وتفصيله ، وترتيبه ومناسباته ، وما قام من تعليل هذه الأشياء وغيرها على ذلك الأصل فهو الدقيق المنضبط وما جاوز ذلك فهو الادعاء والتمحل .. وهذا وجه من الرأى لا يثار عليه خلاف .. أن القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ، ومسارب الانفعال ، ونواحى التأثير ، وجوانب الاطمئنان وأثار من هذا ما أيد به حجته ، وأظهر دعوته ، وكان مثل ذلك من معرفة شئوون النفس الإنسانية ، لم يهتد إليه العلم بعد ، فوق أن يهتدى إليه هذا الأمى البادى ، فقد جاء القرآن نسيجاً على قوالب دقيقة وأنوال نفسية ، لابد لمتفنن بها ولا سبيل ... فى عهد نزوله على الأقل إلى التزامها ورعايتها ... فهذا صنيع فوق قدرة البشر ، وقوى الناس وذاك قول فى الإعجاز وعلته النفسية ... منته إلى علم ما لم يكن وضبط ما كان مجهولاً بعيد المنال ، مما هو أساس الفن الأبى ودعامته ."

ونرى د. "الجوينى"[٤] يوافق أستاذه فى تأثير (صلة) البلاغة بعلم النفس فى قضية الإعجاز القرآنى.يقول : –

"لأن ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل الى القول بالإعجاز النفسى للقرآن كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفسانى للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية فى الميادين التى تناولتها دعاوى القرآن الدينية وجدله الاعتقادى ورياضته للوجدانات والقلوب"

ويبين د."مصطفى الصاوى الجوينى" حاجة التفسير إلى الملحظ النفسى .

(١ مصطفى الصاوى الجوينى – التفسير الأدبى للنص القرآنى ص ٣٤.

(٢) أمين الخولى مناهج التجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٩٥م الأعمال الكاملة جـ ١٠ ص ١٥٢.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٤ ، ١٥٥ بتصرف.

(٤) مصطفى الصاوى الجوينى – التفسير الأدبى للنص القرآنى ص ٤٣ ، ٤٤.

"ولا نقــول الآن أكــثر من أن اللمحة النفسية فى المعنى القرآنى ، ربما تكون أحسم لخلاف بعيد الغور كثير الشغب بين المفسرين .. فالملاحظة النفسية حين تعلل الآية وصياغتها ، وتعرف بجو الآية وعالمها ، ترفع المعنى الذى يفهم منها إلى أفق باهر السناء ؛ وبدون هذه الملاحظــة يريد المعنى ضئيلاً ساذجاً لا تكاد النفس تطمئن إليه ، ولا هو خليق بأن يكون من مقاصد القرآن ".

ونختم الشواهد برأى الشيخ "محمد الغزالى" موضحاً أثر القرآن المعجز يقول :[1] "إننا نقــرأ القــرآن فيحجبنا ابتداء عن رؤية إعجازه إنه كلام من جنس ما نعرف ، وحروف من جــنس مــا نــنطق ، فنمضى فى القراءة دون حس كامل بالحقيقة الكبيرة. إلا أن طبيعة هذا القــرآن لا تلــبث أن تقهر برودة الإلف ، وطول المعرفة ، فإذا كتاب تتعرى أمامه النفوس ، وتنســلخ من تكلفها وتصنعها ، وتنزعج من ذهولها وركودها ، وتجد نفسها أمام الله جل شأنه ويحيط بها ويناقشها ويعلمها ويؤد بها ، فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلا أن تخشع وتصيخ".

وبعد ...

لقد ركزنا فى الاستدلال بالشواهد فى قضية الإعجاز القرآنى بما يتفق مع رأى محمد فريد وجدى فى قوله بالتأثير الروحى للقرآن والإعجاز النفسى أو ما يجمع بين الأمرين النظم مع التأثير النفسى.ولم أكن فى هذا متحيزة لرأى دون آخر ، ولكن حين تذكر قضية الإعجاز القرآنى يتبادر إلى الذهن فكرة النظم أو الصرفة أو الإخبار بالغيب. تلك الأمور التى استقرت فى الذهن وقليلاً ما ننتبه إلى الرأى القائل بالإعجاز النفسى.فصنعت ما رأيته محاولة إنصاف لأفكار وآراء قد تتوارى عن دون قصد أو عن قصد.

وفى الــنهاية أقــول إننا لا نؤيد رأى ولا نخالف آخر ، إننا نؤمن بأن القرآن معجز ســواء أكان لكل تلك العلل والأسباب أم لعلل أخرى مازالت خافية على الإنسان بعقله القاصر مهمــا حــاول ، وكــثرة الآراء وتعددها – فى نظرنا – حول الإعجاز لهو دليل وحده على الإعجــاز ونحــن وإن تعرضنا لها فى بحثنا فلأن هذا إشارة إلى أراء وأفكار وجدى وآراء مناقشيه ونحاول أن نكون موضوعيين قدر الاستطاعة البشرية "وما كلف الله نفساً إلا وسعها"

---

(١) محمد الغزالى : نظرات فى القرآن : ص ١٣١.

الخلاصة

تـــم عـــرض قضية الإعجاز القرآنى بداية بعرض "محمد فريد وجدى" لآراء القدماء "النيسابورى" ثم "محمد عبده" فى العصر الحديث.

ثم مناقشة رأى "فريد وجدى" القائل بروحانية القرآن مع الوجود الثانوى للبلاغة وتمت مناقشة رأيه من خلال تعقيب "د. عبد الكريم الخطيب" و "د. محمد رجب البيومى" اللذين يوافقانه على الأثر الروحى للقرآن ولكن من خلال النظم.

وتـــتميماً لـــلفائدة تم عرض مزيد من آراء العلماء القائلين بالإعجاز النفسى أمثال "الرمانى" ، و"الخطابى" ، و"الزمخشرى" ، وأخيراً "محمد عبده" ، و"محمد الغزالى" و"أمين الخولى".

المبحث الثالث

الوحدة الموضوعية

الوحدة الموضوعية

آثـــار المستشـــرقون الشبهات حول ترتيب القرآن ، وكانت اتهاماتهم سبباً للجدال بين الأوساط الدينية ، فانبرت الأقلام تدافع عن كتاب المسلمين المقدس ، كل بأسلحته فاختلفت فى الحجج واتفقت فى الهدف.

وسأعرض لبعض هذه الآراء موضحة دفاع "محمد فريد وجدى" فى هذه القضية.

يقرر د."محمد محمود حجازى" فى كتابه الوحدة الموضوعية[1] "أن القرآن نزل منجماً حســب الحوادث ، ولكنه رتب توقيفاً من عند الله " ثم يتساءل "إذا كان الأمر كذلك فهل هناك اتصـــال ومناسبة بين آيات القرآن على هذا الترتيب فى المصحف ، بمعنى هل هناك سر فى اتصال الآية بأختها فى السورة ؟!!" ويجيب قائلاً :-

"الحقيقـــة أن هناك سراً ومناسبة بين الآيات فى السورة ، لكن ليس إدراك هذا الأمر بالسهل الميسور خاصة إذا عرفنا أن الآيات أنزلت فى أوقات متعددة ... ثم جمعت هذا الجمع الموجــود فى المصحف ... ولقد كانت هذه الظاهرة القرآنية التى تعتبر من دلائل الإعجاز – كمـــا ســتعرف – عـــند ذوى الأبصار – سبباً فى أن يدعى بعض الناس على القرآن جهلاً واســتكباراً إنه كتاب لم يأت على نسق الكتب الموضوعية .. إذ ليست له مقدمة ، وليست فيه مباحث موضوعية مرتبة. لها مقاصد وأغراض فى فصول وأبواب ..."

ويذكـــر " محمـــد محمود حجازى" رأى "العز بن عبد السلام" – وهو رجل فقهى – ويقرر أنه عن حسن قصد رأى بعدم الوحدة الموضوعية فى القرآن.

ثـــم يذكر رأى "محمد فريد وجدى" الذى يرى أنه قريباً من رأى العز بن عبد السلام. ويستشـــهد بقول فريد وجدى[2] " **إنه لا شئ فى عدم مراعاة القرآن قاعدة الكتابة البشرية ؛ لأنـــه لو كان على مثال الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب لكان كتاباً وضعياً لا سماوياً ، فالـــترتيب يقتصر سلطانه على كلام البشر ويجل عنه كلام الله. كما يجل البحر عن أن يحد بما تحدبه الجداول"**

ويعـــلق "د. حجازى" على هذا الرأى قائلاً "وهذا جواب خطابى بالتسليم للاعتراض ومنع أن يكون هذا عيباً فى كلام الله كرأى العز بن عبد السلام .. والحق كما سترى واضحاً على خلاف ذلك."

---

(١) د. محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ص ١٢ ، ١٣ ، ط ١٣٩٠هـــ - ١٩٧٠م مطبعة المدنى : القاهرة – دار الكتب الحديثة عابدين القاهرة.

(٢) محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ص ١٣

ويؤكـد "حجازى" أن القرآن نزل على نسق الكتب الوضعية يقول "إن القرآن الكريم وإن كــان يجل عن مشابهته لكتب البشر ، مع هذا نجد فيه ما يشبه المقدمة ؟ إذ فاتحة الكتاب بالنسبة للقرآن تعتبر كالمقدمة ، بل أروع المقدمات؟ حيث اشتملت على أغراض القرآن الكريم جملة ... ثم تعال بنا إلى السور وآياتها أليست أشبه بالفصول والأبواب. وإذا ثبت أن ترتيب المصــحف على خلاف ترتيب النزول قطعاً ، فإذا خلا من الحكمة كان عبثاً والعبث على الله محال"

ومــا رآه " محمــد محمــود حجازى" يتفق إلى حد كبير مع ما قاله "د. عبد المتعال الصعيدى "فى كتابه "النظم الفنى فى القرآن"[١]فقد عاب على رأى "محمد فريد وجدى"[٢] بقوله "إن هذا جواب خطابى لا يقنع طلاب اليقين ، وهو فى الحقيقة تسليم للاعتراض لا جواب عنه والحق أن القرآن لم يخل من الترتيب الذى ذكر الأستاذ أنه يجل عنه لأنه نزل مفرقاً فى المدة السابقة ، ثم رتب على هذا الشكل الذى نقرؤه. وله فاتحة كمقدمة الكتب ، وهى سورة الفاتحة المذكــورة فى أوله ، وله سور كأبواب الكتب ، ولو لم يكن ترتيب القرآن على خلاف أزمنة نزولــه لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها من الآيات ، لكان العدول عن ترتيبه على أزمنة نزوله إلى هذا الترتيب خالياً عن الحكمة ، وهذا محال على الله تعالى."

ويواصــل "الصــعيدى" مؤكداً كما أن الفاتحة مقدمة والسور أبواب ، فالآيات فصول "ولقد عنى المتقدمون بتقسيم السور القرآنية إلى أرباع وأجزاء متساوية تقريباً فى عدد الآيات ، تسهيلاً للتلاوة والحفظ ، ولم يعنوا بجمع الآيات الواردة فى غرض واحد تحت اسم يجمعها ، وتتدرج به فى السورة كما تتدرج الفصول فى أبواب الكتاب.."

هــذا مــا قالــه محمد محمود حجازى . وعبد المتعال الصعيدى مدافعين عن الوحدة الموضــوعية فى القرآن إنه مرتب علي غرار الكتب الوضعية "له مقدمة ، وهى الفاتحة ، ثم الــناظر للآيات والسور يجدها أشبه بالفصول والأبواب" ومن هذا المنطلق فهما يرفضان أى قــول بــأن هذا الكتاب السماوى ليس مرتباً كما فى كتب البشر. ويعدا هذا خطأً كبيراً فيقول "حجازى" "لقد شجع هذا الكلام بعض المستشرقين وغيرهم فتبجحوا وعدوا هذا عيباً فى القرآن الكريم ، واضطراباً فى التأليف"[٣]

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : النظم الفنى فى القرآن : ص ٣ ، ٤ ، المطبعة النموذجية – مكتبة الآداب بالجاميز ١٩٧٥.

(٢) نفس المصدر السابق لوجدى

(٣) محمــد محمــود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم : ص ١٤ ، ١٥ ويوضح "حجازى" ضرر اتهام المستشرقين وصلة الإعجــاز القرآنى بترتيبه يقول: "هذا شبهة لهم فى أن يقولوا إن القرآن معجزاً – وليس من عند الله ، بل هو من وضع النبى محمد. وما يــدل على إعجاز القرآن واقتناع العرب بهذا رغم عدم إيمانهم فلم يتهموا القرآن بعدم ترتيبه أو مفككة ، بل قالوا يفعل فعل السحر. إن ترتيب المصحف على خلاف ترتيب النزول ، وتلك معجزة من المعجزات وصدق الله العظيم " كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير "(سورة هود) ، وفصل الخطاب "إنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا "

ومثل هذا ما قاله الصعيدى [1] "إن المتقدمين لم يعنوا بجمع الآيات الواردة فى غرض واحد ... ولو أنهم عنوا بهذا لأظهروا السور القرآنية أمام الناس متصلة الأجزاء ، واضحة الأغراض ولم يكن لدوزى وغيره أن يرميها بأنها مفككة الأجزاء غير محكمة النظم ولا واضحة الأغراض ."

وتأييداً لوجهة نظر "محمد محمد حجازى و عبد المتعال الصعيدى " فى أن هناك سراً وحكمة فى الترتيب هو الوحدة الموضوعية . يقول " محمد قطب " :– [2]

"والذى يلفت نظرنا فى هذة الظاهرة أن مكان نزول الآية ، لم يكن هو الذى حدد موضعها فى المصحف ، ولازمان نزولها كذلك ! فقد تنزل آية فى المدينة ، ثم تلحق بسورة مكية قبل ذلك بعشر سنوات ، أو أكثر ، كالآية الأخيرة من سورة المزمل المكية : [3]

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ

"هناك شيء آخر إذن غير مكان نزول الآية وزمان نزولها هو الذى حدد موضعها فى المصحف ... وأول ما يخطر فى البال إزاء هذه الظاهرة أن هناك وحدة موضوعية لكل سورة من سور القرآن . وإلا فلو كان القرآن مختلط الموضوعات بلا رابطة كما يقول الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفهمونه من المستشرقين وتلامذتهم من المسلمين ! ما كان هناك معنى لإلحاق آية مدنية بسورة مكية ، ولا آية مكية بسورة مدنية ، ولكان الأولى أن توضع حيث نزلت فى أية سورة متجانسة معها فى الزمان والمكان !" [4]

ويوضح د."محمد رجب البيومى" قيمة كتاب الله السماوى مقارناً بينه وبين الكتب الوضعية يقول : [5] " **عهدنا بالمؤلف البشرى تختل أبوابه ، وتتفكك عراه ، إذا كانت** موضوعات الباب الواحد متناثرة لا تجمعها وحدة تامة ، فما بالنا نقرأ السورة الطويلة فنجدها

---

(١) عبد المتعال الصعيدى : النظم الفنى فى القرآن : ص٤

(٢) محمد قطب : دراسات قرآنية :ص١٨ ،١٩ ،دار الشروق بيروت

(٣) سورة المزمل : آية ٢٠

(٤) محمد قطب :الدراسات القرآنية :ص١٩ وقد أشار إلى أن سيد قطب صاحب الظلال قد عنى بهذه الوحدة الموضوعية فى كل سورة بذاتها .

(٥) د.محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ص١٧٥ ،١٧٦، ١٧٧، ط١٩٧١، دار النصر

ذات موضوعات عدة ، وهى على تعدد موضوعاتها ملتئمة ملتحمة تنتقل بك من غرض إلى غـرض ، ومن معنى إلى معنى دون أن تحس فجوة أو ظلاً ... ذلك لأن روح القرآن الآسر بروعـته ، الناصع بقوته قد سيطر على الأسلوب سيطرة كانت من المعانى مكان السلك من الدرر ، بجمع نظامها ، وبضم لألاءها فتبدو ساطعة فاتنة متناسقة على النحو الوضئ ."

"وهـذه الروح -وقد سماها الرافعى روح التركيب [١] - لم تعرف قط فى كلام عربى غير القرآن ، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس... "

" وخـرج فى معـنى تلك الروح صفة واحدة ؛ هى صفة إعجازه فى جملة التركيب .. ولـولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة على مقدار ما بين هذه المعانى ومواقعها فى النفوس وعلى مقدار ما بين الألفاظ والأساليب التى تؤديها حقيقة ومجازا .."

هـذا عن الروح التركيبى أما عن الاجتهاد فى إيجاد رابط بين الآيات . فيرى د."محمد رجـب البيومى" أن فيه تكلف يقول :-[٢] "نحن نعرف أن فريقاً من المفسرين - وأظهرهم فى ذلـك الفخر الرازى - قد أخذوا على أنفسهم إيضاح الصلات بين الآيات القرآنية وكتبوا فى ذلك كتابة واعية ، تدل على فطنة واجتهاد ، ولكننا نخالف هؤلاء حين نقول إن محاولة الربط الوثيـق بيـن أغـراض السـورة الواحـدة مهارة عقلية فائقة وهى وإن ظهرت بين الآيتين المتجاورتين على نحو من التأويل فى بعض ما تختلف به وجوه القول من آيات الذكر الحكيم، فـإن بعـض السور الكريمة لا تكاد تدور على فكرة خاصة بما يساق من هذه المعانى، لأن الربط الذى برع فيه بعض المفسرين كان ربطاً جزئياً ينظر إلى الآية المجاورة دون أن يحدد هدفاً واحداً للسورة إلا بتكلف خاص فيه الخائضون عن اجتهاد يخطئ ويصيب."

"ونحـن لا نـنكر الجهود المخلصة التى دفعت بعض الكبار فى القديم والحديث إلى الـتماس الوحـدة فى السورة القرآنية ، لأن كل محاولة من هذه المحاولات الكريمة تدل على إخلاص حى وتفكير طامح ، وتصدر عن اعتقاد تام بإعجاز القرآن وروعته[٣]

ويعـلل "محمد رجب البيومى" السبب فى القول بعدم ترتيب القرآن هو[٤] "إن انتشار الترجمات الأوربية للقرآن الكريم وخاصة ممن لا يعرفون براعة النظم فى العربية فعمدوا إلى

---

(١) هو يشير إلى "الوحدة العضوية بين الآيات - إن جاز لنا استخدام هذا المصطلح النقدى .

(٢) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى :ص١٧٨

(٣) وقد عرض د. محمد رجب البيومى لنماذج حاولت إيجاد وحدة موضوعية فى بعض سور القرآن من ذلك أ."محمد عبد الله دراز" فقد قسم سورة البقرة إلى أربعة أقسام وتمهيد وخاتمة ، ولكنه أغفل أشياءً فى سورة البقرة. وهذا من وجهة نظر "البيومى" يفتح الباب لغيره من المبتدئين أن يأخذ سورة متشابهة الأغراض ويغفل منها ما يتعارض مع المتشابه فيها. وإن كان جهده مشكوراً لمبدأ مقتنع به. كما ذكر "د.البيومى" نموذج آخر هو"لعبد المتعال الصعيدى"؛ فقد حاول نفس المحاولة فى إثبات الوحدة الموضوعية فى سورة البقرة وإن اختلف فى طريقة التطبيق ويصل "البيومى" فى النهاية إلى عدم وجود أساس موضوعى على آرائهما بقدر ما هو استنتاجى. وهذا أمر فيه من التكلف الذكى والجهد والاجهاد الكثير.

(٤) محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٨١ - ١٨٢.

الترجمة الحرفية التى تجعل كلام الله بعيداً عن روحه البلاغى الآسر .. بحيث تصبح الترجمة أمشاجاً من المعانى منبتة الصلة ، حائرة المكان وتكون نتيجة هذا هو قول بعض الغلاة والمتعصبين بضعف ترتيب القرآن. حتى إنه دفع بعض المنصفين منهم أمثال "جوستاف لوبون" فى كتابه الخاص بحضارة العرب يقول (إن عدم الترتيب فى القرآن جعل مواده وأحكامه المتماثلة تساق متفرقة مبتورة دون أن تجمع فى موضوع كما نعهد فى الكتب العلمية) واعتقاد جوستاف لوبون بأن طريقة القرآن ليست المثلى لبعدها عن الكتب الوضعية البشرية.. هذا الاعتقاد قد دفعه إلى نقد مجحف ينأى عن الصواب ، إذ أن القرآن الكريم وهو هدية السماء إلى الأرض لم ولن يسلك سبيل التأليف العلمى فيما يقدم من خير للناس ، فالكتب العلمية كتب للخاصة تخاطب العقل وحده ، أما كتب السماء فللخاصة والعامة معاً. حيث إنها "تجمع إلى مخاطبة العقل ، مخاطبة الشعور .. وتفتح الإدراك كما توقظ الوجدان ، ولذلك ابتعدت عن المنهج البشرى فى التأليف العلمى ... وسلكت سبيلاً خاصاً يجذب القارئ ويشغله ويستحوذ عليه."

ومن ثم أرى أن د. "محمد رجب البيومى" يتفق فى هذا الرأى مع "محمد فريد وجدى" [(1)] الذى يقول "**غاب عنهم أن القرآن ليس بكتاب منشئ أو بحث فيلسوف ، فيحسب عليه تعديه لقانون الكتابة البشرية وإنما هو وحى إلهى نزل بحسب الحوادث على صدر رسول لا أثر له فى تأليفه ، ولا دخل لقوته فى وضعه ، ولو كان هذا الكتاب على مثال الكتب الوضعية فى الترتيب والتبويب ، لكان كتاباً وضعياً وهو ليس كذلك ، ولكان حظه مثل حظ كل كتاب، فيطالع مرة أو مرتين ثم يسأم ، بخلاف القرآن فأنه قد يطالع مئات من المرار ، ولا يزال يحلو مع تكراره ، حتى لا يكاد يسلوه تاليه طرفة عين**"

ويعلل "وجدى" اتهامات المستشرقين للقرآن لجهلهم العربية "**ولو نهل دوزى وكارليل ، ومن نحا نحوهما من مؤلفى الفرنج من فرات اللغة العربية لعرفوا أن القرآن الكريم كتاب لا كالكتب فيه كلام لا كالكلام ، لا يستطيع تاليه أن يزعم أن لا ترتيب فيه ، بل يرى أن الترتيب مهما كان فسلطانه قاصر على الكلام البشرى ، يجل عنه هذا الكلام الإلهى ، كما يجل البحر عن أن يحد بما تحد به الجداول ، وكما أن كمال البحر فى أن يكون رهواً متلاطم الأمواج ، متقابل التيارات ، فكذلك هذا الكلام العالى كماله وجماله أن يتنزه عن قبول القيود ، وأن يكون هو محيط معان عالية يعب عبابها وتتصادم أواذيها ، لا تنتهى من المعانى إلى غاية ، ولا تقف عند نهاية ، إن واجهته واجهت اقيانوسا معنوياً ، لا يشبه كلاماً إنسانياً ، ولا يشاكل كتاباً وضعياً ، يفرق بين المرء وأهوائه ، ويجمع بين القلب وشفائه ، ويسرى بين**

---

(1) محمد فريد وجدى : مقدمه تفسير المصحف المفسر : ص ٩٤ ، ٩٥.
واتفق معهما فى كون القرآن كتاباً إلهياً لا يشبه الكتب الوضعية فهو فى حد ذاته تشريفاً لهم وإعجازاً

أطــواء الفــؤاد ، وأحناء السرائر ، كما تسرى الكهرباء بين ذرات المعادن ، فيفعل بالنفس فعلاً لا يغنى وصفى له عن أن تراه فى نفسك."

يعترض "البيومى" على النقد الموجه للقرآن باعتباره كتاباً سماوياً ليس وضعياً مدافعاً عن الروح التركيبية للنص موضحاً رأيه بالأمثلة يقول :[1] "ولو أنك أدغمت آيات من سورة كــريمة إلى آيــات من سورة أخرى لوجدت حتى مع اتحاد الموضوع ، نشازاً منكراً لا يقبله ذوق أو يستسيغه منطق ، واقرأ إن شئت سورة القمر وسورة هود وميدانها معاً عن أنبياء الله الســابقين كنوح وهود وصالح وموسى ثم حاول أن تلحق نصاً من هذه بنص من تلك فستجد من الانفصام والتخاذل ما يمنعك أن تقوم جاداً بهذه المحاولة ، هذا والموضوع هو الموضوع. والعــبرة هى العبرة ، ولكن الروح التركيبية للبلاغة القرآنية تمنع هذا الخلط الكريه ، وتهتف بأصــحاب الموضــوع الواحــد متعجــبة لنظرهم القاصر ، ولتفكيرهم المحدود." كما وضح "البيومى" أن القرآن رسالة ودعوة إنسانية لابد أن تشمل الوعد والوعيد ، الترغيب والترهيب معتمداً على الشعور الإنسانى لا الأسلوب العلمى الجاف.

يقــول[2]السيد "محمد رشيد رضا" فى هذا "لو أن عقائد الإسلام المنزلة فى القرآن من الإيمان بالله وصفاته .. جمعت مرتبة فى ثلاث سور أو أربع .. ولو أن عباداته وآدابه وحكمه .. وقواعده التشريعية .. لو أن كل ما ذكر وما لم يذكر من مقاصد القرآن جمع كل نوع منها وحده لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هويته المقصودة بالقصد الأول من التشريع وحكمة التنزيل وهو التعبد به واستفادة كل حافظ للكثير أو القليل من سوره من مسائل الإيمان ... ولفقد أعظم مزايا هديته وهو مزج مقاصده بعضها ببعض وتفريقها فى السور الكثيرة بالمناسبات المختلفة ، وتكــرارها بالعبارات البليغة المؤثرة فى القلوب ، المحركة للشعور النافية للسآمة والملل .. وفواصله المتعددة القابلة لأنواع من التغنى والنغم المحرك فى القلب وجدان الخشوع.."

وكمــا اعترض "محمد محمود حجازى" "وعبد المتعال الصعيدى" على رد"محمد فريد وجــدى" عــلى المستشرقين زاعمين أنه أسلوب خطابى من وجهة نظرهم. فها هو "د. محمد رجــب الــبيومى" يعــترض عليه أيضاً فى جانب ويوافقه من جانب آخر يقول "محمد فريد وجدى"[3]

"إن القــرآن لو كان مختلقاً لتوخى فيه مؤلفه الترتيب المطلوب ؛ فقد جرت العادة أن يجلس من يريد تأليف كتاب إلى ناحية فيفكر فى مواد الكتاب وأغراضه ليجعل لكل طائفة من المواد

---

(١) محمد رجب البيومى: البيان القرآن : ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٥ ، ١٨٦ نقلاً عن محمد رشيد رضا : كتاب الوحى المحمدى ، ص ١٢٣.

(٣) محمــد فريد وجدى : "الإسلام دين الهداية والإصلاح " : ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ط١٣٨٩ – ١٩٦٩م. مكتبة الكليات الأزهرية
-محمد رجب البيومى : البيان القرآن : ص ١٨٨.

أصـلاً ، ولكـن القـرآن ليس بكتاب وضعى ، إنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطروء الطوارئ فمنه آيات نزلت لدعوة الدين ، وأخرى للرد على المنكرين ، وغيرها للإجابة عن السـائلين ، وسواها للفصل بين المتنازعين ، وطائفة للحث على الجهاد ومثلها للحض على مكـارم الأخـلاق ، وكـلها نـزلت نجوما ومرتبة على الحوادث الوقتية إذ كان الوحى لدى الطائفة التى أخذت بالإسلام لأول عهدها بمنزلة العقل المدبر لها تستهدى به فى المشكلات ، وتسترشـد بـه فى تذليل العقبات. فهو مجموع إشراقات من الوحى اقتضتها الحوادث التى تـتكرر فى كل جيل وفى كل مجتمع ، وهذا لمجموع من إشراقات الوحى متى قرئ أو سمع اسـتولى عـلى مـآخذ الـنفوس ، وتسلط على كل مآرب العقول فلا يجد تاليه محيصاً من الإذعان إليه والاستخذاء له لأنه يحرك جميع الأوتار فى الروح الإنسانى دفعة واحدة فيؤخذ سامعه به أخذاً كأنه قد غمرته موجة من السحر فلم تدع له متنفساً فى غيره من الأمور ولم تترك له متملصاً إلى سواه من الشئون"

ويوضـح "محمد رجب البيومى" وجه الاختلاف[١]" وهذا الكلام يحتاج إلى نظر ، لأن قـول الأسـتاذ محمد فريد وجدى فى علة عدم الترتيب "إنه وحى نزل عند حدوث الحوادث وطـروء الطوارئ وآياته نزلت نجوماً على الحوادث الوقتية" هذا القول لا ينهض تعليلاً لعدم الوحـدة الموضوعية لأن الثابت الأكيد أن ترتيب الآيات فى السورة ترتيب توقيفى من السماء إذ كانت تنزل الآية فى شأن من الشئون فيأمر الرسول كاتبه بوضعها فى المكان الذى اختاره الله لهـا ، وكـان جـبريل عـليه السلام يعارض رسول الله بقراءة القرآن كما رتب فى كل رمضان" .. ثم استشهد "البيومى" بما يؤيد ذلك من الحديث النبوى.

ولكنـنى لا أجد تعارضاً بين ما يقوله "وجدى" وقول "البيومى" . فقد أورد "وجدى" فى دائرة معـارف القـرن العشـرين تحت الحديث عن القرآن ما يقر برأى "البيومى" ويوافقه. يقول "وجدى" [٢] "**بدأ نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وأول ما نزل منه عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد وحده فى غار حراء** ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ "[٣] **ثـم تـوالى نزوله على حسب الحوادث وكـان رسـول الله قـد اتخذ كتاباً يكتبون ما ينزل منه أولاً بأول [٤]، منهم أبو بكر وعمر وعـثمان وعلى والزبير ابن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص وعلاء بن الخضرمى**

---

(٦) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين : م ٧ : ص ٦٦٦.

(٣) سورة العلق : آية ١ ، ٢

(٤) الأصل "فأولاً"

وأبى بن كعب وغيرهم وهم كثيرون وكان جبريل يعلم رسول الله أن يضع آية كذا فى موضع كذا على الترتيب الذى عليه آيات السور الآن."

أليـــس فى قول "وجدى" أن جبريل كان يعلم رسول الله أن يضع آية كذا فى موضوع كذا يوافق رأى "البيومى" هذا عن وجه الخلاف أما عن وجه الاتفاق يقول "البيومى"[١]

"وقد أحسن الأستاذ فريد وجدى حين فرغ عاجلاً من هذا القول المتسرع – يقصد كون القرآن مرتباً توقيفياً – ليعلن أن إشراقات الوحى تتسلط على كل مسارب العقول فلا يجد تاليه محيصاً من الإذعان له. وهو بعض ما عاناه الرافعى رحمه الله حين تحدث عن روحانية التركيب."

أرى أن محمـــد فـــريد وجـــدى لم يكتف بما ذكره عن الوحدة الموضوعية فى مقدمة تفســيره أو دائرة معارف القرن العشرين أو حتى كتابه الإسلام دين الهداية والإصلاح ، بل صـــنع مـــا يقترب مما أراده "عبد المتعال الصعيدى" حين قال[٢]"إن المتقدمين لم يعنوا بجمع الآيـــات الواردة فى غرض واحد .. ولو أنهم عنوا بهذا ، لأظهروا السور القرآنية أمام الناس متصـــلة الأجزاء" فقد أورد "وجدى" فى المقدمة المستقلة لتفسيره بعض الموضوعات ؛ تدور حـــول موضوع واحد كالإنسان ، الملائكة ، والقدر ، ويناقشها من خلال الآيات القرآنية التى وردت فى هـــذا الموضوع ويدعم تفسيره بالأحاديث النبوية وبعض أقوال العلماء.[٣] من ذلك موضوع "العبادات فى القرآن" وسنعرضه كاملاً لتوضيح أسلوب "وجدى" وهدفه.

العبادات فى نظر القرآن[٤]

" يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "[٥]

يتخذ الذين لا حظ لهم من الإسلام إلا التعبد بظاهر الألفاظ آية : " وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ "[٦] دليـــلاً عـــلى صحة طريقتهم فى الخمول والكسل ، والابتعاد عن الجـــد والعمـــل. ونحـــن هنا لا نحتاج فى الدلالة على بطلان مزاعمهم إلى صرف الآية عن ظاهـــرها ، ولكـــنا فقط نطرح عليهم سؤالاً واحداً . **ونتخذ جوابه حجة عليهم فنقول : أليست العبادة هى طاعة الله فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر ؟ إن قالوا نعم : قلنا وما معنى قوله تعالى : " وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا "[٧]** يقولـــون ليس فى هذه الآية ما يدل على

---

(١) محمد رجب البيومى : البيان القرآنى : ص ١٩٠.

(٢) عبد المتعال الصعيدى : النظم الفنى فى القرآن : ص ٤.

(٣) سبق وأشرنا فى الفصل السابق "تفسير القرآن" إلى "المقالات التفسيرية" التى تميز بها "فريد وجدى" من وجهة نظر "محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد.

(٤) محمد فريد وجدى : مقدمة تفسيره : ص ١٣٠.

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٥.

(٦) سورة الذريات : ٥٦.

(٧) القصص : آية ٧٧.

لزوم الخروج عن حد الحاجة الضرورية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس. نقول نعم ونحن لا ننصـــح بالإفراط فى شئ من ذلك ، ولكن أليس من ضرورات الحياة الإنسانية نشر العلوم والفضـــائل ؟ الأمر الذى هو أول فرض من فروض الإسلام. أليس منها تسهيل المواصلات بيـــن البلاد الإسلامية لتوثيق عرى التواصل والتحاب اللذين هما أس من أسس الإيمان ؟ هل من علو الهمة وإباء النفس أن يقتصر الإنسان على حفظ شخصه بالمأكل والملبس تاركاً أمته فى أخريات الأمم علماً وصناعةً وعمراناً ، مع أن الله تعالى يقول : " وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ "(1) إن الذين يزعمون أن تلك الآية تدل على محض العبادة الجسمية لضالون مضـــلون أقعدهم شيطان الكسل عن العمل فظنوا أنهم ينجون بعبادتهم من عقوبة تفريطهم فى جـــنب خصائصــــهم الفطـــرية ، وملكاتهم العلوية ، التى وأدوها فى تراب الخمول .كتاب الله بجملـــته وتفصيله ؛ يشهد بأن الإسلام أنزل لسعادة الحياتين ، والاعتدال فى مطالب الطبيعتين الإنسانيتين ، فوفق وآخى بين حاجات الجثمان والنفس وفى مثل قوله تعالى : "رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ "(2) أكـــبر حجة على صدق هذه الدعوى البسيطة . وعـــلى هذا فيكون كل مغلب مطالب أحد جوهريه عن مطالب الآخر غير متبع إلا شقاً واحداً من شقى الإسلام ، ويكون محشوراً فى زمرة الذين يبكتهم الله فى هذه الآية الكريمة "أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ"(3) لـــم يـــبح لنا الإسلام فقط السعى فى إصلاح دنيانا ، بل صـــرح لنا كتابنا الكريم بأن الله سخر لنا كل هذه الطبيعة لنستغل خيراتها ، ونستخدم قواها ، ونأخذ منها كل طيباتها على شرط الاعتدال والتوسط :" وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ "(4) هل يصح لإنسان بعد هذا التصريح البين أن يغمط حق الإسلام فى السوق إلى السعادة المادية فى هذه الحياة الدنيا ؟ هل يصح لأمة يخولها كتابها هذه السلطة الواسعة أن تكون أقل أمم الأرض استفادة من خيرات الطبيعة ؟ رحم الله تلك الأرواح الطاهرة التى تلقت روح هذا الدين من سماء الحكمة الإلهية فشربتها بلا تأويل ، فنالت من المعالى الحقيقية ما لو وصـــفها أوسع الشعراء تخيلاً لرأى عباراته دون الحقيقة بمراحل لم يمض على تلك النفوس العزيـــزة بعـــض قـــرن بعد انتعاشها بهذه الروح السماوية وحتى رأيناها مدت نفوذها العادل المحـــبوب عـــلى أمم كانت أبعد من عقاب الجو منالاً ، وأوسع فى ميدان الثراء منها مجالاً ، وبلغت من سعة السلطان ما لم تبلغه أمة فى هذا المعمور ، لا تسل عما استلزمه ذلك الامتداد الهائل من علوم صناعية واكتشافات علمية ، ورحلات جغرافية ، وغير ذلك مما جعل عواصم

---

(1) آل عمران : ١٣٩.

(2) سورة البقرة : ٢٠١.

(3) سورة البقرة : ٨٥.

(4) سورة الجاثية : ١٣ .

الـدول الإسلامية منبعث أشعة النور العلمي والصناعي في آن واحد . إلى هذا يشير العلامة "سديو" المؤرخ بقوله : "إن العرب هم أساتيذنا ومعلمونا".

كل هذا الجد وراء الرفعة الدنيوية ، كان يعده آباؤنا الأول عبادة لله تعالى لأنه أمر بها وحث عليها ، فكان العامل منهم ، لإقامة الجسور لا يفترق فى نظرهم عن المنهمك فى تشييد المساجد "إن المؤمن ليؤجر فى كل شئ حتى فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته" فهل من يبلغ عنى أنصار الديانة الطبيعية أن الإسلام قد سبقهم بثلاثة عشر قرناً إلى تقرير حقيقة العبادة ، وأرانا أنها ليست إلا السعى فى تحسين حال الإنسان من ناحية جثمانه ومعناه " وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ "(١)

.... إن قضية عدم ترتيب القرآن لها أثر سلبى بنفى الإعجاز عن القرآن وهذا ما جعل "الصعيدى" و"حجازى" وغيرهما يحاولون إثبات الوحدة الموضوعية ولإثبات إعجاز القرآن ؟ بجانب الوحدة العضوية التى تتضح فى الروح الآسر للتركيب الذى حرص على تأكيدها "الرافعى" ، "وجدى" ، و" البيومى" وغيرهم. وكما نرى كل دافع عن القرآن وقدسيته وإعجازه بوجهة نظره الخاصة(٢) قد نؤيد هذا ونرفض ذاك ، ولكننا نحترم جميع الآراء فالاجتهاد وسيلة – ثوابها عند الله. وغايتها رفعة الدين وإجلاء الشبهات عن الإسلام.

الخلاصة

لقد تم عرض قضية الوحدة الموضوعية من خلال آراء "محمد فريد وجدى" ومناقشاتها من وجهة نظر "محمد محمود حجازى" و "عبد المتعال الصعيدى" وكذلك أوردنا رأى "محمد رجب البيومى" الذى اتفق مع "محمد فريد وجدى" فى جانب واختلف معه فى جانب آخر ، وكذلك رأى "البيومى" فيما صنعه الباحثون عن الوحدة الموضوعية فى القرآن. كما ذكرنا رأى "محمد قطب" عن سر الترتيب فى القرآن. وانتهى المبحث بعرض نموذج من المقالات التفسيرية "لمحمد فريد وجدى" رأيت أنها توضح حرصه على إظهار الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم من خلال هذه المقالات.

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٦.

(٢) لا يسعنى أن انتهى من المبحث إلا بعد إبداء هذه الملاحظة فقد لاحظت أن أولئك العلماء الذين ناقشوا رأى "محمد فريد وجدى" فى الوحدة الموضوعية اعتمدوا على مصدر وأغفلوا آخر مثل "د.محمد رجب البيومى" اعتمد على قراءته "للإسلام دين الهداية والإصلاح وأغفل مقدمة التفسير ، و "محمد محمود حجازى" و"عبد المتعال الصعيدى" اعتمد على مقدمة التفسير وأغفلا "الإسلام دين الهداية والإصلاح والجميع أغفلوا ما ذكر فى "دائرة معارف القرن العشرين" ، إن الجزء لا يغنى عن الكل ؛ حين نقيم رأى فلان أو نوجه له نقداً ، فالمصادر التى قيلت فيها آراؤه تكمل بعضها . والاعتماد على إحداها دون سواها قد يأتى بنتائج خاطئة. أرى أن أولئك العلماء يجلون عنها ، وما هو إلا سهو ، نقع فيه جميعاً أحياناً.

المبحث الرابع
ترجمة معانى القرآن الكريم

ترجمة معانى القرآن الكريم

إن هـــذه القضية من الأمور القديمة الحديثة – فى آنٍ واحد – فى الإسلام ؛ وهو أمر طـــبيعى ؛ فالقرآن نزل بلغة العرب وآمن به العرب وغير العرب من العجم الذين لهم لغات مختـــلفة فضـــلاً عـــن لهجـــات العرب المختلفة المتباينة ، وكان من الأمور البديهية ، حتى يستوعبوا ويفهموا هذا الدين الجديد أن يترجم إلى لغتهم تعاليمه ؛ أوامره ونواهيه.

ويسعون إلى تعلم العربية أو تعلم القدر الذى يجعلهم يقيمون دينهم على أساس صحيح فنشأت فى القرون الأولى قضيةِ اللغة كعائق ضد فهم العجم للإسلام.

وقد اعتمد أبو حنيفة على الحديث المشهور عن سلمان الفارسي بشأن ترجمته للفاتحة. وثـــارت قضية الصلاة بالترجمة[1]، هل تجوز ؟ أم لمن لا يحسن العربية ؟ أم الصمت أفضل كمذهب المالكية؟

.. ثـــم توالت القرون ، واتسعت الرقعة الإسلامية ، فكانت الحاجة إلى الترجمة أشد ؛ خاصة بعد ضعف الخلافة وضعف العربية.

وفى هـــذا يقـــول "محمد رشيد رضا "فى منشأ فكرة ترجمة القرآن وسببها:[2] "لقد كان ضـــعف الخلافـــة القرشية بجهل الخلفاء وترفعهم وفسقهم سبباً لتفرق المسلمين ، فتخاذلهم ، فضـــعفهم إذا كان سبباً لتأسيس عدة دول إسلامية تتنازع السلطة ولضعف اللغة العربية وترك الأعـــاجم لهـــا ؛ فاضـــطرارهم إلى ترجمة بعض الكتب الدينية وتدريس اللغة العربية منها بالترجمة. فالشعور بالحاجة إلى ترجمة القرآن نفسه بلغاتهم لأجل فهمه بالإجمال ،ثم بالحاجة إلى ترجمـــته بســـائر الـــلغاتِ لأجل الدعوةِ بترجمته إلى الإسلام ...ثم تجدد لدعاة العصبية الجنسية التركية سبب آخر لترجمة القرآن ، وهو التمهيد به إلى المروق به من الإسلام ..."

ويتفق إلى حد ما رأى "محمد رشيد رضا "مع رأى "أمانى الرمادى "عن نشأة الترجمة تقـــول [3]" إن ترجمة القرآن الكريم قد سبقت بكثير التأليف عنه ، فالبعض يحتمل كما أشارت مقدمة "الببلوجرافية العالمية لترجمات القرآن الكريم " أن ترجمة بعض آياته قد بدأت فى عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأن ترجمته إلى اللغات الغربية على وجه الخصوص قد

---

(١) سيتم ذكر هذه القضية بشئ من التفصيل فيما بعد.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٠ ، جـــ ٩ بتصرف ، ط الأولى ١٣٤٧هـــ – ١٩٢٨م .مطبعة المنار

(٣) أمانى الرمادى : الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم بالإنجليزية والفرنسية فى القرن العشرين : دراسة ببلوجرافية ط ١٩٩٣م ص ٢٦ " مخطوط "

بـــدأت قـــبل التأليف عنه بأربعة قرون .وبالرغم من ذلك فإن بداية نشر المؤلفات – للصدفة الغربية – قد اتفق مع بداية نشر الترجمات على عام واحد هو عام ١٥٤١ ميلادية "

ولكـــن هذا الرأى يخالف قول د."عفاف شكرى" تقول[1] " ومع تشعب الدراسات حول القرآن واشتمالها لكل زاوية من زوايا البحث ، فهناك ناحية خاصة لم يشغل المسلمون أنفسهم بها إلا فى وقت متأخر ، بدأ فى القرن الثالث عشر من تاريخهم (التاسع عشر الميلادى) تلك هى ترجمة القرآن الكريم ' إلى اللغات الأجنبية ."

وبعـــد أن أصـــبحت النوايا ليست خالصة ؛ فالمترجمين لكتب الإسلام وكتابه الأكبر القـــرآن قاصـــدين بـــه تشويه الإسلام بعد أن طعنوا فى السنة النبوية ، وأغرقوها بالشبهات والمفتريات . فكان من البداهة أن نسمع أصواتاً ، ونقرأ لأقلام تنادى بترجمة صحيحة لحماية هـــذا الديـــن ، ومن البديهى أيضاً أن تجتهد أقلام آخرى فتخاف على هذا الدين من المساس بكتابه المقدس ، المعجز .

وبيـــن الفريق المؤيد والمعارض دارت خلافات ومساجلات ، ولظهور هذا الأمر فى مصر ظروف وملابسات .

مضـــت أعـــوام والعلماء يختلفون ويدورون حول مصطلح غير محدد وقضية ليست واحدة فاختلط الأمر بين ما يقصدون بالترجمة ، أهى حرفية لفظية ؟ أم تفسيرية ؟ وهل الثانية تغنى عن الأولى ؟

وامتد الخلاف إلى نوايا المؤيدين والمعارضين ، هل من يؤيد يكون عن بينة واجتهاد دينى أم عن نوازع تجر إليها السياسة ، ويدفع إليها أعداء الدين ؟ ومن يعارض هل دفاع عن الدين وقدسية القرآن أم عن جمود وعدم تبصرة بالواقع المحيط من تداعيات جديدة ؟.

ولأن هذا الأمر قد طال الجدال فيه ، ومازال فسنحاول عرضه باختصار وقدر وافى فى آنٍ واحد ما وسعتنا الحيلة . والله الموفق .

متى أثير موضوع ترجمة القرآن فى مصر ؟

* أثيـــرت قضية ترجمة القرآن فى مصر فى العشرينيات ، وعاودت الظهور بشكل أكبر حسماً فى الثلاثينيات .

فـــفى العشـــرينات ، ظهرت فى المرة الأولى فى عام ١٩٢٥م " عندما منعت مشيخة الأزهـــر إدخـــال نسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر ، بل طلبت من مصلحة الجمارك إحراقها" والمرة الثانية فى عام ١٩٢٧م "عندما قررت حكومة تركيا ترجمة

(١) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٨٢ ، مجلة الزهراء كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر – فرع البنات – العدد الحادى عشر ، ١٤١٣ هـــ – ١٩٩٣م

القـرآن إلى اللغة التركية" وظهرت فى الثلاثينيات "عندما قررت مشيخة الأزهر الشروع فى ترجمة معانى القرآن الكريم"[١] وتم البحث فى هذا عام ١٩٣٦م.

وعـن تلك الترجمة الإنجليزية يقول[٢] "محمد رشيد رضا" "أما عن الترجمة الإنجـليزية الحديثة لبعض الهنود المطبوعة مع الصحف الشريف ، فقد جاءت نسخ منها إلى مصر ، فسألت الحكومة مشيخة الأزهر عنها فأفتى شيخ الأزهر بما ذكر [يقصد منع الترجمة ومصـادرة المصحف المشتمل على الترجمة الحرفية وإن كان معها ترجمة تفسيرية] فمنعت الحكومة إدخال الترجمة إلى الديار المصرية. وسبق مثل هذا فى بيروت فقد أرسل إليها بعض النسـخ مـن هذه المصاحف المطبوعة من الترجمة الإنكليزية ، فأرسلتها إدارة الجمرك إلى مفتى بيروت حسب النظام المتبع ، فأفتى بمنعها فمنعت" وهكذا رأينا موافقة مفتى بيروت فى صنيعه مع مفتى مصر فى شأن الترجمة الإنجليزية.

ووضح الشيخ "محمد شاكر"[٣] السبب فى حرق الترجمة الإنجليزية. معرفاً بمترجميها "فصـاحب هذه الترجمة هو محمد على من أتباع المتنبى (ميرزا غلام أحمد القاديانى) ، وهو غيـر مولانا "محمد على شوكت على" الزعيم الهندى المشهور. أما عن اتباعه – اختلفوا بعد موته وانقسموا إلى حزبين ... وكلاهما حرف[٤] معانى القرآن فى تلك الحواشى تحريفاً فاحشاً وفق ديانتهم الجديدة وعقيدتهم الباطلة."

ولهذا السبب يصل الشيخ "محمد شاكر" إلى النتيجة التالية :

"أن فقهاء الإسلام وأئمة الدين المجتهدين قد أجمعوا :–"

١– على تحريم قراءة القرآن بغير اللغة العربية وبغير النظم العربى المبين الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

٢– وعلى تحريم ترجمة القرآن الكريم إلى آية لغة أعجمية.

٣– تحريم كتابة المصاحف بهذه التراجم.

٤– تحـريم تداول هذه التراجم بين من يحسن العربية ومن لا يحسنها من عامة المسلمين فى أقطار المعمورة.[٥]"

---

(١) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٨٥.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : على هامش التفسير ، ص ٣٣٧ ، جـ ٩ .

(٣) محمد شاكر : القول الفصل فى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية : ص ٣ وما بعدها نقلاً عن عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٨٨. وقد أصدر الشيخ محمد شاكر كتيباً صدر عام ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م وقد كتب أربع مقالات حول هذا الموضوع.

(٤) الأصل ((حرفا))

(٥) ذكرت د. عفاف على شكرى معقبة "أما ترجمة معانى القرآن ، فإنه لا يعارضها" ولم توضح لنا الدليل على صحة هذا القول هل هو استنتاج من مقالاته الأربعة ؟ وللأسف لم تصل تلك المقالات إلى أيدينا.

ومـن المعاصـرين للشيخ "محمد شاكر" الشيخ "محمد حسنين العدوى" يوضح رأيه فى الـترجمة مقسـماً لها .."يقسم الشيخ رحمه الله – الترجمة بالنسبة للقرآن الكريم إلى أنـواع ثلاثـة فيقول:-[(١)]"وجملة القول أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية بالمثل غير معقولة ، ولا مقدورة ، وليست محل اختلاف ، بل محل اتفاق على عدم إمكانها فضلاً عن وقوعها.

– وإنمـا محـل البحث هو ترجمة القرآن الكريم ، ترجمة حرفية بدون المثل فهى المراد من قول العلماء (لا تجوز ترجمة القرآن الكريم وقراءاته وكتابته بغير العربية).

وهـو يخـرج الترجمة التفسيرية من محل النزاع دون الترجمة التفسيرية ، فإنها جائزة قطعاً بالشـرط الآتى بيانـه : "وهى أن تكـون مستمدة من الأحاديث النبوية الصحيحة وعلوم اللغة العربية والأصول المقررة فى كتب الشريعة الإسلامية"

وممـا سبق تستخلص د. عفاف شكرى (أن الشيخ "محمد حسنين مخلوف العدوى" قد أجـاز الترجمة التفسيرية للقرآن ، وقال : بعدم معقولية الترجمة الحرفية المثلية للقرآن الكريم بأية لغة.)

وقـد أفـتى فضيلة المغفور له المفتى الأسبق "الشيخ محمد بخيت"[(٢)]، بوجوب ترجمة القرآن وجاء فيما كتبه سنة ١٩٢٥م "أن ترجمة القرآن للتعلم والتعليم والتفهيم والإنذار والتبليغ قـد أجازها الحنفية والحنابلة والشافعى فى قول بلا تفصيل واستحسنها الحنابلة وقد علمت ما يشـهد لـلجواز من الكتاب والسنة ... ولا تجوز مصادرة مصحف كتب فيه القرآن بالعربية وترجمـته معـه إلا بعـد التحقيق من خلل الترجمة وتغيير لمعنى القرآن ... والذى آراه أن الـترجمة عـلى الكفاية حفظاً للقرآن من تحريف معناه وترجمته على غير الصحيح ، وبغير المراد منه ، وبحفظ القرآن يحفظ أساس الدين المتين"

وفى تعقيـب د. "عفـاف شـكرى" لنا وقفة حيث قالت[(٣)]"وكان يرى أن ترجمة تفسير القـرآن ترجمة صحيحة وتبعاً لما بين العلماء حفظاً للقرآن من تحريف معناه .. ولهذا قال إنهـا أصبحت واجباً على الكفاية وهو فى هذا يخالف الشيخ (محمد حسنين مخلوف العدوى) الـذى قـال إنها من شر المحدثات ورحم الله الشيخين فكل منهما نظر إلى القضية من زوايا تختـلف عـن زميلـه وعلى هذا الاختلاف بين الشيخين فى تعليل كل منهما ما يشرح وجهة نظره"

---

(١) محمد حسنين مخلوف العدوى : رسالة فى حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءاته وكتابته بغير العربية : نقلاً من د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٨٩ – ٩٠

(٢) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٩٢.

ولا أرى مـا تـراه د. "عفاف" من وجود خلاف بين رأى الشيخ "محمد بخيت" والشيخ "العـدوى" ؛ فالشيخ "محمد بخيت" قال إنه واجب على الكفاية والشيخ "العدوى" وافق على الترجمة التفسيرية لكن بشروط وقد استخلصت د. "عفاف" نفسها هذا الرأى حين قالت "قد أجاز الترجمة التفسـيرية للقرآن[1] وقال بعدم معقولية الترجمة الحرفية .." هذا من حيث الرفض والقبول ، ولا أعـتقد أنهـا تقصد الدرجة أى الجواز أو الوجوب ، أما قوله "إنها شر المحدثات" فلِمَ لم تكمـل د. "عفـا ف" قـول الشـيخ "العدوى" الذى أتت به كاملاً من قبل وهو[2]"وكذلك ترجمته التفسيرية فإنها جائزة قطعاً إذ لم تستمد من الأحاديث النبوية الصحيحة ، وعلوم اللغة العربية ، والأصول المقررة فى كتب الشريعة الإسلامية".

أى أنه يوافق على الترجمة التفسيرية إذا تحققت فيها الشروط السابقة ، ولا أظن أحدا يخالفه فى هذا .[3]

وتتجدد الدعوة إلى ترجمة القرآن "عندما قررت حكومة تركيا برئاسة "مصطفى كمال أتـاتورك" ترجمة القرآن إلى اللغة التركية .. قد كان لهذا الحدث صدى غير طيب فى البلاد الإسـلامية وإنـه جاء بعد إلغاء الخلافة ، وصاحبه تشريعات ؛ يبدو فيها العداء الصريح لكل الظواهر التى تربط الشعب التركى بدينه".[4]

"إن ملاحـدة الترك .. دعاة العصبية الجنسية منهم قد بثوا فى قومهم فكرة الاستغناء عن القرآن المنزل من الله تعالى باللسان العربى بترجمته باللسان التركى".[5]

وقـد أدت الدعوة إلى الترجمة التركية إلى انقسام المسلمين ، ويرى "محمد رشيد رضا" أن هذا هو الهدف من تلك الترجمة "فهم يريدون ترجمته ليكون عرضة لتحريف المحرفين ، واختلاف المـتفقين ، الـلهم إنك أنزلته لتجمعهم عليه ، وهم يحاولون ترجمته لكل شعب من المسلمين ليتفرقوا فيه"[6]

وقد انقسم المسلمون إلى فريقين :

الفـريق الأول : "يرى فيه كارثة دينية ، لأنها حلقة من سلسلة من أعمال تلك الحكومة تهدف من ورائها إلى القضاء على الإسلام من مصدره الأول."[7]

---

(١) د. عفا ف على شكرى : ترجمة معانى القرآن :ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٩١.

(٣) أقول أن د. عفاف فى هذا الأمر كانت متناقضة فى أقوالها واستنتاجتها وما أظنها قصدت إلى ذلك وإنما هو سهو من غير عمد.

(٤) د. عفا ف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٣.

(٥) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٠.

(٦) المصدر السابق : ص ٣٢٢.

(٧) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٢.

ويــرى د. "عفــت الشــرقاوى" أنه "لم يكن من حسن التوفيق أن يتصدى المسئولون فى تركيا الحديثة خاصة للترويج للترجمة ، فقد عد هذا منهم محاولة لإضعاف الأمة العربية ولمعاداتها، ولتفضــيل لغة أبناء جنسهم على لغة كتاب ربهم وسنة رسوله ، ثم التمهيد بذلك للمروق من الإسلام"[١].

ويــلفت الشــيخ "محمد سليمان" الأنظار لهذا الربط بين دعوة الترجمة وتركيا "إلا أنى ألفــت الأنظــار إلى ذلك التلاقى العجيب بين ما تم فى الترك والعجم وما يريدون أن يتم فى مصــر. فإن "أتاتورك" طرد العربية من لغة الأتراك شر طردة ، ونفاه فى العام الماضى "شاه العجــم" فأخذ ينفى لغته أيضاً من ألفاظ العرب ولغة العرب ويقصد لسانه على عجمة كسرى ورطانة أبرويز"[٢].

على حين رأى بعض الباحثين فيها بدعة يدفع إليها التهور الشديد.

والفريق الآخر :"غابت عنه أهداف الحكومة التركية ، وأحسن الظن بها ، ودافع عن الــترجمة باعتــبار أنها وسيلة لفهم الدين وتعاليمه فى شعب لا يعرف اللغة العربية ولا يفهم كتاب الله إذا تلى بها"[٣].

وببصيرة هادئة يوضح "محمد رشيد رضا"[٤]، الجهل الذى وقع فيه هذا الفريق الثانى ، حيــن أغفل عن الأهداف السياسية من وراء الترجمة التركية "وكان بعض المسلمين الجاهلين بحــال الدولة التركية وتأثير التفرنج فيها ينكرون علينا ما نقوله عن علم وخبرة وغيرة على الإســلام ظــناً مــنهم أنه إضعاف للدولة حامية الإسلام ،وإنما كان حرصاً على تقوية الدولة بالإسلام وتقوية الإسلام بالدولة ، لأننا نعلم ما لا يعلمون من إفضاء هذه الضلالات والعصبية الجنسية إلى إضاعة هؤلاء المتعصبين المفتونين للإسلام وللدولة معاً".

ومــن الفريق الثانى الذى ظهرت دعوته لترجمة القرآن متزامنة مع الترجمة التركية الشــيخ "محمــد مصطفى المراغى" ولم يكن شيخاً للأزهر بعد" ومحمد فريد وجدى" الذى كان عليه عبأ الدعوة إلى الترجمة خاصة وقد أنصب عليه غضب الفريق الأول الرافض للترجمة ، فمــنهم مــن ربط بين دعوة "فريد وجدى" لترجمة القرآن وإلغاء الخلافة الإسلامية واستقلال تركيا ، فنظر للأمر بمنظور سياسى وربطه بالدين.

---

(١) د. عفت محمد الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير فى العصر الحديث : ص ١٧٥ رقم الايداع ١٩٧٦ – مطبعة قاصد خير. مكتبة الشباب. ص ٢٢.

(٢) الشيخ محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن :ص ٢٢ ، ط الثانية.

(٣) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٣.

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٤.

وها هو "مصطفى صبرى" (شيخ الإسلام فى تركيا سابقاً) فى حين يبرر دعوة الشيخ المراغى" للترجمة ، يكيل التهم لوجدى ، بمناصرة تركيا العلمانية فيما تنتويه ، وإن كانت إلى هذا الحين لم تكن أعلنت علمانيتها ، لكن الأمور تنبأ بذلك ولا مناص.(١)

يقــول "مصطفى صبرى"(٢)"صادفت فى صحف مصر دعايتين تذكران لترويج مسألة الترجمة ، دعاية أولى للأستاذ (فريد وجدى) منشورة على صفحات الأهرام ثم المقطم ، وهى دعايــة ظاهــرة مع التصريح باسم البلاد التى أحدثت فيها هذه المسألة ، بل ومع كل الرعاية والهتاف والتشجيع لمحدثيها فيها."(٣)

ودعاية ثانية على طراز قول الشاعر

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وهى منشــورة فى السياســة الأسبوعية ، وفى الأهرام لفضيلة الأستاذ الجليل "محمد مصطفى المراغى" وفى نظرة مصطفى صبرى لدعوة وجدى تقول د. عفاف "كان يرى أن الأستاذ فريد وجــدى ، حمــل لواء الدفاع الصريح عن رجال تركيا الحديثة فكتابته حول ترجمة القرآن ، جزء من هذا الدفاع"

ومــن أقــوال "مصطفى صبرى" نفسه "إن الأستاذ لم يكتب ما كتبه فى مسألة ترجمة القرآن وأقامتها مقامه فى الصلاة وغيرها أبداً لما وصل إليه نظره فى درس مسألة فقهية ، بل كتبه دفاعاً عن رجال الترك الحديث باسم الدفاع عن أمة الترك المسلمة.

والأستاذ عندما كتب عن الفقهاء فى مسألة ترجمة القرآن وأراد به تأييد الفتنة المحدثة فى تركيا فهو يعلم قطعاً أن أقوالهم لا تنطبق على تلك الحادثة اللادينية"(٤)

ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى حين يقول(٥)"... فالذى كتبه كاتب الإسلام الجليل (محب الديــن الخطيــب) فى مجلته الغراء (الفتح) عن محاباة الأستاذ (فريد) لملاحدة الترك وحملها

---

(١) يقول "مصطفى حلمى" فى كتابه (نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى) ، ص ٥٣٨ "ألغيت الخلافة فى مارس عام ١٩٢٤م وتحققت توقعات المعارضين لقرار الإلغاء ، إذا استتبع ذلك خطوات متتالية فى الإتجاه نحو الفصل بين الإسلام والحكم ، وتحول الدولة إلى علمانية لا دينية ، فقد ألغيت على إثر إلغاء الخلاقة ، الشريعة الإسلامية من المحاكم ، ورفع التعليم الدينى من الكتاتيب والمدارس ، وإجبار النساء على السفور ، وخلط الإناث والذكور فى دور العلم ، ولبس القبعة والكتابة بالحروف اللاتينية ، كل ذلك بعد أن حذف من دستور تركيا المادة التى فيها "إن الإسلام هو دين الجمهورية التركية" نقلاً من حاضر العالم الإسلامى : حـــ٢ ، تعليق الأمير شكيب أرسلان ، ص ٣٥١ ، ٣٥٣.

(٢) د. عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٤ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى ؛ ١٠٦ المطبعة السلفية.

(٣) يرى مصطفى صبرى أن الترجمة التركية ، أثارت مسألة الترجمة فى مصر.

(٤) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٥ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى : ص ٩٨.

(٥) المصدر السابق : ص ٩٥ نقلاً عن مسألة ترجمة القرآن : مصطفى صبرى : ص ١٠٦ . ولا تخفى اتهامات مصطفى صبرى لوجدى فى حين إنه ليس الوحيد الذى دعا للترجمة. وربما لأن وجدى قد أغفل الجانب السياسى فى دعوة تركيا للترجمة ، وما اهتم به هو الهدف الدينى من وراء الترجمة بدليل رفضه للمشاركة أو التحدث باسم جريدة تركيا الفتاة ، كما ورد فى المقدمة)

عـلى الـنزعة القومية فإنى لا أوافقه على هذا الرأى ، فلو كان الأستاذ تركياً وعمل بالنزعة القوميـة ، لجرى على مرضاة أمة الترك وما انحاز إلى ملاحدة الخارجين على الأمة ، وإنما هى نزعة لا دينيةٍ بررت فى زماننا كل النزاعات واستتبعت قلوباً تستفزها الرياح."

ويوضح "محمد رشيد رضا"[1] هذا البعد السياسى لتركيا فى ترجمة القرآن ، وما تخفيه مـن سـعيها إلى العلمانية ، وهو معول من معاول الهدم ، لم يلتفت إليه البعض ومنهم "فريد وجدى" يقول : "وقد راحت دعوة ملاحدة الترك إلى الاستغناء عن كتاب الله المنزل بعد قبض ملاحدة جمعية الاتحاد والترقى على أعنة الدول العثمانية تمهيداً لما نفذه أندادهم الكماليون من بعدهم من نبذ الدولة التركية لأحكام الإسلام ، وسعيها لسل الشعب التركى منه أيضاً.

... ويـرون أن هـذا الديـن ولغته مما يعيق تكوين أمة تركية محضة على الطراز الأفرنجى الفرنسى فاجتهدوا فى إزالة هذا المانع بمزيلين :- (إحداهما) ترجمة القرآن بالتركيا ودعـوة الترك إلى الاستغناء عن القرآن العربى بما سموه القرآن التركى ، وإذا استغنوا عن القـرآن يسـتغنون بالأولى عن غيره من كتب الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم والفنون العربية.

الأخـرى : نشـر الكتب والرسائل التى تجعل الجنسية التركية أعلى وأسمى فى النفوس من رابطة الدين تمهيداً للثانية بالأولى."

وعلى الرغم من الهجوم الذى لقيه "فريد وجدى" لم يتخل عن دعوته للترجمة ، خاصة بعد أن تقدم الشيخ"محمد المراغى" – شيخ الأزهر – آنذاك – بمشروع لترجمة معانى القرآن ، بيـن فيه حاجة الأمة الإسلامية للترجمة والهدف المرجو من ذلك ، وكتوثيق لهذه المرحلة – سنرد الوثائق كاملة[2]

١- (كـتاب الشـيخ الجامع الأزهر إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء) اشتغل الـناس قديما وحديثا بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة ، وتولى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم ، ولكنهم لا يجيدون اللغة العربية ، ولا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية الفهم الـذى يمكـنهم من أداء معانى القرآن على وجه صحيح ، لذلك حدث فى التراجم ، ولم يجد الـناس غيـرها ؛ فاعـتمدوا عـليها فى فهم أغراض القرآن الكريم ، وفهم قواعد الشريعة الإسـلامية. فأصـبح لـزاما عـلى أمة الإسلام كالأمة المصرية لها المكان الرفيع فى العالم

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن : ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، حـ٩ .

(٢) عفاف على شكرى : ترجمة معانى القرآن : ص ٩٦ : ١٠٢.

- محمد سليمان : حدث الأحداث : ص ٤٣ : ٤٩ .

الإســلامى أن تبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء وإلى إظهار معانى القرآن الكريم نقية فى اللغات الحية لدى العالم.

ولهــذا العمل أثر بعيد فى نشر هداية الإسلام بين الأمم التى لا تدين بالإسلام ذلك أن أســاس الدعوة إلى الدين الإسلامى إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم ، وفى القــرآن الكريم من الحجج الباهرة والأدلة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين والإذعان له.

وفــائدة أخــرى للأمم الإسلامية التى لا تعرف العربية وتشرئب أعناقها إلى اقتطاف ثمــرات الدين من مصدرها الرفيع فلا تجد أمامها إلا تراجم قد ملئت بالأخطاء. فإذا ما قدمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئة لها مكانتها الدينية فى العالم اطمأنت إليها ، وركنت إلى أنها تعــبر عن الوحى الإلهى تعبيراً دقيقاً. ونرى أن عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذى تمــت فيه أعمال جليلة لخير الإسلام والمسلمين خليق بأن يتم فيه هذا المشروع الجليل. أطال الله بقاء جلالته نصيرا للعلم والدين.

لذلك اقترح أن يقرر مجلس الوزراء ترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية على أن تقــوم بذلــك مشيخة الأزهر بمساعدة وزراء المعارف وأن يقرر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل فأرجو النظر فى هذا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

محمد مصطفى المراغى

شيخ الجامع الأزهر

٢- كتاب وزير المعارف

إلى حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

أتشــرف بإبلاغ دولتكم أننا أطلعنا على كتاب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، المقدم لدولتكم بطلب استصدار قرار من مجلس الوزراء بترجمة معانى القرآن الكريم ترجمة رسمية وطلب دولتكم رأينا فى الموضوع.

وإنى أرى أن وضع ترجمة رسمية لمعانى القرآن الكريم أمر واجب تقتضيه ضرورة العمــل عــلى نشر هداية الإسلام بين الأمم التى لا تتكلم العربية ، وللقضاء على الأثر السئ الــذى أحدثته الترجمة الخاطئة التى انتشرت وقام بها أفراد لا يحيطون بأسرار اللغة العربية ولا يفهمــون الروح الإسلامية على حقيقتها ، كما أرى أن تكون ترجمة معانى القرآن مبدئيا إلى اللغــتين الإنجــليزية والفرنســية ،على أن تبدأ الترجمة إلى اللغة الإنجليزية لأنها الأكثر انتشــاراً وعــلى الأخص فى أمريكا والهند والصين واليابان. ولما كان هذا المشروع يستلزم مشــيخة الأزهــر ، ووزراء المعــارف عــلى تنفيذه ؛ فإن تفاصيل التنفيذ عندما يقر مجلس

الـــوزراء اقتراح الترجمة توضع بالاتفاق مع مشيخة الأزهر ، على أننا نرى مبدئياً أن تكون خطة التنفيذ على الوجه الآتى :

أولا : تـــأليف لجـنة مـــن كبار العلماء ، برياسة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، يعهد إليها تحديد معانى القرآن الكريم التى يراد نقلها إلى اللغة الأجنبية بحسب ترتيب ســوره وآياتـــه وبأســـلوب موجز واضح يمكن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية .

ثانيـــا : تـــأليف لجــنة تــتكون من عنصرين ، أحدهما : يشمل جماعة من الأساتذة المـــتفقهين فى الدين واللغة العربية ، ممن أتموا دراستهم فى الأزهر أو دار العلوم أو مدرسة القضاء الشرعى . وأكملوها فى معاهد أوربا وثبتت إجادتهم للغة الأجنبية المراد النقل إليها .

والعنصر الثانى : ويشمل جماعة من المستشرقين وغيرهم من الأجانب الذين عرفوا بإجادتهم فهم اللغة العربية ، ويكونون من ذوى المكانة الممتازة فى اللغة التى يترجمون إليها ، وتزود هذه اللجنة بالأشخاص الممتازين فى فن الترجمة .

ثالـــثا : يختار كاتبان كبيران ، أحدهما : مصرى يجيد اللغتين العربية والإنجليزية . والآخـــر : إنجـــليزى من العلماء البارزين ، ليقوم الثانى بمعاونة الأول فى مراجعة الترجمة مراجعة نهائية تكفل إجادة الصقل وحسن تنسيق الأسلوب ، وإنا نقدر لإتمام هذه الترجمة إلى الـــلغة الإنجليزية من سنتين إلى ثلاث ،ونرى أن يكون مقر الهيئة التى تقوم بالترجمة فى دار الكتب المصرية . حيث تتوافر لها المراجع والبيئة الصالحة للتفرغ لهذا العمل . أما من حيث النفقات ؛ فقد يكون من الصعب تقديرها وقتياً قبل مواجهة التنفيذ .

غيـــر أننا نرى أن وضع ترجمة إلى اللغة الإنجليزية يتكلف من النفقات ما يقرب من عشرة آلاف جنيه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؛؛؛؛

محمد على علوبة

٣- فتـــــوى العـــــــلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــا قـــول السادة حضرات أصحاب الفضيلة العلماء فى السؤال الآتى ، بعد ملاحظة المقدمات الآتية :

١- لا شبهة فى أن القرآن الكريم اسم للنظم العربى الذى نزل على سيدنا محمد ابن عبد الله – صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

ولا شبهة أيضا فى أنه إذا عبر عن معانى القرآن الكريم بعد فهمها من النص العربى بأية لغة من اللغات لا تسمى هذه المعانى ولا العبارات التى تؤدى هذه المعانى قرآنا .

٢- ومما لا محل للخلاف فيه أيضا أن الترجمة اللفظية بمعنى نقل المعانى مع خصائص النظم العربى المعجز مستحيلة .

٣- وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربية وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معانى القرآن الكريم

٤- وقد دعا هذا إلى التفكير فى نقل معانى القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتى :

يراد أولا : فهم معانى القرآن الكريم بواسطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف بعد الرجوع لآراء أئمة المفسرين وصوغ هذه المعانى بعبارات دقيقة محدودة ، ثم نقل المعانى التى فهمها العلماء إلى اللغات الأخرى بواسطة رجال موثوق بأماناتهم واقتدارهم فى تلك اللغات بحيث يكون ما يفهم فى تلك اللغات من المعانى هو ما تؤديه العبارات العربية التى يضعها العلماء . فهل الإقدام على هذا العمل جائز شرعاً أو غير جائز ؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمن أن الترجمة ليست قرآنا ؛ وليس لها خصائص القرآن ، وليست هى ترجمة كل المعانى التى فهمها العلماء ، وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النص العربى للقرآن الكريم .

الفتـــــوى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

وبعد فقد أطلعنا على جميع ما ذكر الاستفتاء المدون بباطن هذا ونفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً فى السؤال جائز شرعا . والله سبحانه وتعالى أعلم .

١- محمود الدينارى :عضو جامعة كبار العلماء وشيخ معهد طنطا .

٢- عبد المجيد اللبان : شيخ كلية أصول الدين وعضو جماعة كبار العلماء .

٣- ابراهيم حمروش : شيخ كلية اللغة العربية ، وعضو جماعة كبار العلماء .

٤- محمد مأمون الشناوى : شيخ كلية الشريعة ، وعضو جماعة كبار العلماء .

٥- عبد المجيد سليم : مفتى الديار المصرية ، وعضو جماعة كبار العلماء .

٦- محمد عبد اللطيف الفحام : وكيل الجامع الأزهر ، وعضو جماعة كبار العلماء .

٧- دسوقى عبد الله البدوى : عضو جماعة كبار العلماء .

٨- أحمد الدلبشانى : عضو جماعة كبار العلماء .

٩- يوسف الدجوى : عضو جماعة كبار العلماء .

١٠- محمد سبيع الذهبى : شيخ الحنابلة ، وعضو جماعة كبار العلماء .

١١- عبد المعطى الشرشيمى : عضو جماعة كبار العلماء .

١٢- عبد الرحمن قراعة : عضو جماعة كبار العلماء .

١٣- أحمد نصر : عضو جماعة كبار العلماء .

١٤- محمد الشافعى الظواهرى : عضو جماعة كبار العلماء .

حيث أن الترجمة المرادة هى ترجمة لمعانى التفسير التى يضعها العلماء فهى جائزة شرعا بشرط طبع التفسير المذكور بجوار الترجمة المذكورة والله أعلم .

كتبه بخط يده الفانية

عبد الرحمن عليش الحنفى

من جماعة كبار العلماء

رأى فضيلة الأستاذ الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

وجهت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء وإنى أوافقهم على ما رأوه ، ولا أرى داعياً للتحفظ الذى أبداه فضيلة الشيخ عبد الرحمن عليش ، وهو طبع التفسير مع الترجمة لعدم الحاجة إلى ذلك بعد مراعاة الشروط المدونة فى السؤال .

رئيس جماعة كبار العلماء

محمد مصطفى المراغى

٤- قرار مجلس الوزراء

بعـد الإطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر ، وكتاب سعادة وزير المعارف العمومية بشأن ترجمة القرآن الكريم ، ومع تقدير مجلس الوزراء لمشقة هذا العمل وصعوبته، ومنعا لأضرار التراجم المنتشرة الآن .

رأى بجلسته المنعقدة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٦م الموافقة على ترجمة معانى القرآن الكـريم ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر بمساعدة وزارة المعارف العمومية ، وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة .

هذه هى الوثائق فى مشروع ترجمة معانى القرآن فى مصر .

ولـم ينـته الجدل بعد قبول المشروع كما كان يظن ، بل زاد وأثار حمية كثير من العـلماء ، بـل عامة الشعب. ولم يرض البعض كون الأزهر جهة للاختصاص فى مشروع

الـترجمة "يقـول الشـيخ محمد سليمان[1] "ونريد أن نقرر من جانبنا أن هذا العمل ليس من اختصـاص الأزهـر لا طلباً ولا تعهداً بل لا يمكن قانوناً أن يتصل به ، بل على الأزهر أن يناهضه لأنه يناقض الغرض الذى من أجله أنشئ الأزهر ودام له الأزهر."

ولسنا نقرر هذا الكلام من عندنا بل هاك نص المادة الأولى من القانون رقم ٢٦ سنة ١٩٣٦ الصادر يوم ١٩٣٦/٣/٢٦م .. أى قبل تاريخ هذا القرار بعشرين يوماً فقط؟"

المادة الأولى – الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر – والغرض منه :

١- القيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها واللغة العربية وعلى نشرهما.

٢- وتخريج علماء يوكل إليهم تعليم علوم الدين ، واللغة فى مختلف المعاهد والمدارس.ويلون الوظـائف الشـرعية فى الدولة ... فالقيام على حفظه لا يكون إلا بحفظه على ما هو ، والعمل على نشره لا يكون إلا بنشره كما هو وعلى ما هو."

"ومجـلس الـوزراء غيـر مختص بما أصدره أيضاً ؛ فإن المسائل المتعلقة بالأديان لا تختص به بحسب الدستور".

وقـد أفرد الشيخ "محمد مصطفى المراغى" بحثاً للرد على بعض الشبهات المثارة حول ترجمة معانى القرآن الكريم وخلاصة رأيه والحجج التى اعتمد عليها ، وقد أصدر هذا البحث فى ١٩٣٢م ، ثـم أعـاد طبعه كملحق لمجلة الأزهر فى سنة ١٩٣٦م [2] مضيفاً إليه بعض الاستدلالات الجديدة من آراء الفقهاء والأئمة .

ويقدم"المراغى" بحثه قائلاً "وبعد فهذه فصول فى ترجمة القرآن الكريم وأحكام قرءاتها فى الصلاة وغيرها ، أثبت فيها النصوص . ووازنت بعضها ببعض ، وبينت مداركها .."

ويـبدأ برأى الشاطبى :- "اللغة العرب من حيث هى ألفاظ دالة على معان ؛ نظران : أحدهما من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة ، وهى الدلالة الأصلية. والثانى : من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة ، وهى الدلالة التابعة. فالجهـة الأولى يشـترك فيها جميع الألسنة ... وأما الجهة الثانية فهى التى يختص بها لسان العرب فى تلك الحكاية وذلك الأخبار ..."[3]

ويستدل برأى ابن قتيبة فى هذه القضية "وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة فى القرآن ، يعـنى عـلى هذا الوجه الثانى ، فأما على الوجه الأول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير

---

(١) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن : ص ١٤٣ ، ١٤٥ بتصرف

(٢) وقد أثار هذا البعض ، فعدوا صدور البحث مرة أخرى افتقاراً للحج والمناقشة لدى المراغى انظر – محمد سليمان – حدث الأحداث.

(٣) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ملحق بمجلة الأزهر – ربيع الثان ١٣٥٥ هـ. يونيو سنة ١٩٣٦ جـ٢ ، ص ٣ ، ٤ مطبعة الرغائب . ط الثانية.

القــرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس لهم فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وذلك جائز بإتفاق أهل الإسلام ، فصار هذا الإتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الأصلى"[٢]

اثــبت الشــاطبى فى هــذا الفصل جواز الترجمة وإمكانها ، حيث قال[٣] : "إن أهل الإسلام أجمعوا على جواز تفسيره ، وهذا إجماع منهم على جواز ترجمته."

ومن الشبهات التى أثارها الناس حول الترجمة ورد عليها "المراغى" منها.

١- أنه معجز فلا يمكن أن يترجم.

ورد المــراغى[٤] "إن قــراءة الأعاجم للنظم العربى نفسه لا يدلهم على الإعجاز ، وليس فى استطاعتهم فهمه ، والأمم العربية الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الإعجاز من النظم العربى ، وقــد انقضـــى عصر الذين أدركوا الإعجاز عن طريق الذوق ، وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الإدراك.

ونحــن الآن نقيــم على الإعجاز أدلة عقلية فنقول :"إن القرآن تحدى العرب ، وإنهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله ... وإذا كان الإعجاز من طريق الإخبار بما هو غيب ، فإن الترجمة تحمل معها هذا الدليل."

الشــبهة الثانية:[٥]"أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية غير ميسورة ، فيضطر المترجم إلى نقل المعانى التى يفهمها غيره من العلماء ، وهذا لا يسمى قرآناً ولا يمكن أن يسمى نصاً شرعياً ، تستخرج منه الأحكام"

رد المــراغى :-"الــتراجم لا يصح أن تسمى القرآن ، ولكن سلب هذه التسمية ، لا يستلزم سلب جواز استخراج الأحكام منها ، بل يجب أن يصح استخراج الأحكام منها ، لأن الأحكام تســتفاد مــن المعــانى التى هى مدلولات الألفاظ العربية ، والمعانى يصح نقلها إلى اللغات الأخرى.

وقد علمت من قبل أن العلماء على إتفاق فى أن الأحكام ، تستفاد من الدلالة الأصلية التى لا تختلف فيها اللغات ، وعلمت أن الراجح عدم استفادة الأحكام من الدلالات التابعة."

الشبهة الثالثة:[٥]"أن النظم العربى من الروعة والطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ما لا يمكن أن يوجد فى التراجم"

---

(١) الشيخ محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٥ ، ٧.

(٣) المصدر السابق : ص ١٠.

(٤) المصدر السابق : ص ١٢.

(٥) المصدر السابق : ص٧.

رد المراغى :[1]"إنه لا ينكر أحد ممن يتذوق طعم العربية ، مسلماً كان أو نصرانياً أو يهودياً ، فالنظم القرآن العربى من الطلاوة واللذة والتأثير فى النفوس ، ولذلك نقول : إنه يجب على كل مسلم يعرف العربية ويفهمها ألا يحيد عن قراءة النظم العربى إلى قراءة إحدى التراجم ، فإن ذلك عبث واستهزاء. ولكن من لنا بأن نعرب الأمم الأعجمية الإسلامية ، لتنال هذه اللذة وتقــع تحت هذا التأثير؟ ولا يمكن الإدعاء بأن النظم العربى يؤثر وتكون له لذة وطلاوة عند جاوى أو فارسى أو تركى أو يابانى أو صينى لا يفهم العربية."

"وفى شرح مسلم الثبوت[2] : "وقد صح رجوع الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه – عن القــول بجواز الصلاة بغير عذر .. وفيه إشارة إلى أنه يجوز القرآن بالفارسية للعذر ؛ وهو عدم العلم بالعربية ، وعدم انطلاق اللسان بها ؟ وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء والأولياء الحبيب العجمى صاحب تاج المحدثين وإمام المجتهدين الحسن البصرى ، قدس الله سرهما ، كان يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية[3]
فالأمم الإسلامية التى لا تفقه العربية. ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوة النظم العربى حتى تكــون قراءة التراجم مانعة عنهم هذه الطلاوة وهذا التأثير ، وعلى العكس فإن قراءة التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوة المعانى ولذتها وتأثيرها."

ومن الأدلة التى اعتمد عليها المراغى ورددها من بعده "وجدى" هى جواز الصلاة بالترجمة اعتماداً على رأى أبى حنيفة.[4]

"قال شمس الأئمة السرخس فى كتاب المبسوط "واصل هذه المسألة إذا قرأ فى صلاته بالفارســية جاز عند أبى حنيفة رحمه الله ويكره ، وعندهما لا يجوز إذا كان يحسن العربية. وأبو حنيفة رحمه الله استدل بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يكــتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرءون ذلك فى صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية" ثم

---

(١) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٤.

(٢) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن و أحكامها : ص ١٧.

(٣) عندما ردد هذا الرأى "فريد وجدى" اعترض عليه الشيخ محمد سليمان وكانت أوجه الاعتراض على هذا الأمر ينقسم إلى:-

١- اختلاف المذاهب الأربعة حول جواز الصلاة بالترجمة.

٢- الطعن فى صحة حديث "سلمان الفارسى".

٣- التشكيك فى المقولة الخاصة بالحسن البصرى يقول الشيخ محمد سليمان فى هذا"

كذلك يؤسفنى أن أرد على صديقى (يقصد فريد وجدى) كلامه فى الحسن البصرى الذى تربى فى مهد أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ونشأ بوادى القرى ، وقال فيه أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح من الحسن البصرى ومن الحجاج بن يوسف الثقفى. فقيل له : أيهما كان أفصح؟ قال الحسن. وقال ابن عون : ما شبهت لهجة الحسن البصرى إلا بلهجة رؤبة بن العجاج وهو من هو. وقال ابن حزم :"كان لا يلحن أبداً (محمد سليمان :حدث الأحداث : ص ٣٣)

(٤) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧.

عـند أبى حنيفة إنما يجوز إذا قرأ بالفارسية إذا كان يتيقن بأنه معنى العربية ، فأما إذا صلى بتفسير القرآن لا يجوز لأنه غير مقطوع."

"وفى الـنفحة القدسية للشرنبلالى :"وروى أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب لهم "بسم الله الرحمن الرحيم بنام يزدان بخشانيد "[(١)] فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم. وبعد ما كتب عرض على النبى صلى الله عليه وسلم. كذا فى المبسوط : قال فى النهاية والراية"

"وكما اعتمد الفريق الداعى للترجمة على آراء المذاهب الأربعة ؛ وغيرهم من الفقهاء اعـتمد كذلـك الفـريق المعارض ، فقد استشهد محمد رشيد رضا بعدد من الفقهاء – من ذلـك:–[(٢)] "قال الإمام الزاهدى فى الجامع الصغير : إن ما نقل عن أبى حنيفة وصاحبيه من أن القراءة بالفارسية تفسد الصلاة لمن قدر على العربية ، أما عند العجز فلا فساد (محله) إذا قـرأ بالفارسـية كل لفظ بما هو فى معناه من غير أن يزيد فيه شيئاً. أما إذا قرأ على سبيل التفسير ، فتفسد صلاته بالإجماع"

"رأى الحنفية"[(٣)]

"فظهر أن قول الثلاثة بجواز قراءة القرآن بغير العربية فى الصلاة لمن لا يحسنها ليس مبناه أن الـترجمة تصير قرآناً عند العجز عن أدائه بالعربية ، فيفرض عليه ذلك فى هذه الحالة ، بل المفروض عليه حينئذ تعلم العربى ، لأنه القرآن المأمور به فى الصلاة."

"وقد نقل أن الإمام رجع عن هذا القول فى الصلاة أيضاً إلى القول بعدم جواز الصلاة بالفارسـية مطلقاً ... وقد صح رجوعه عن القول بجواز القراءة بغير العربية مطلقاً جمع من الثقات المحققين لضعف الاستدلالات بهذه الآية عليه ... ومن هذا يعلم ما فى استدلال بعضهم بقول الإمام على جواز ترجمة القرآن"

"رأى الحنابلة"[(٤)]

"ومذهب الحنابلة أن الصلاة تفسد بالقراءة بالفارسية ونحوها عند العجز وعدمه وهو يدل على منع قراءة القرآن وكتابته بغير العربية مطلقاً."

---

(١) ترجمة البسملة بالفارسية "بنام خداوند بخشنده' مهربان" أو بنام يزدان بخشنده' مهربان"

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٢. نقلاً عن رسالة للشيخ محمد حسنين العدوى.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٣٣.

(٤) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٦.

"رأى المالكية"[١]

"ومذهب المالكية أنه لا تجوز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية ، ولذلك أوجبوا تعلم الفاتحة على من لا يحسن قراءتها فى الصلاة بالعربية إن أمكن وإلا أئتم بمن يحسنها ؛ فإن لم يمكن فالمختار سقوطها وسقوط القيام لها ، وقيل يجب قيامه بقدر ما تيسر من الذكر .

" وكذلك استدل "محمد سليمان" بعديد من الفقهاء منهم ابن تيمية

"قال ابن تيمية[٢] : اللسان العربى شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التى بها يتميزون ، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون فى الأدعية التى فى الصلاة والذكر أن يدعى الله أو يذكر بغير العربية.

ثم قال : فأما القرآن فلا يقرأ بغير العربية سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور وهو الصواب الذى لا ريب فيه ، بل قد قال غير واحد إنه يمتنع أن يترجم سورة أو ما يقوم به الإعجاز." ولم يمنع ما قال محمد رشيد رضا وغيره من اعتماد "محمد فريد وجدى" على آراء المذاهب الأربعة فى قضية جواز الصلاة بالترجمة معتمداً كذلك على رأى العلماء المحدثين مثل : الشيخ محمد بخيت يقول:[٣] **"وقد أفتى الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت ، وهو مفتى الديار المصرية ، الترانسفالين ، وقد سألوه إمكان الصلاة بترجمة القرآن ، بجواز الصلاة بها فإليك نص كلامه ننقله من مجلد سنة ١٩٠٣ لمجلة المنار قال :"وفى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب ، فكانوا يقرءون ما كتب فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم ن وقد عرض ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه."**

وزاد المرحوم الشيخ محمد بخيب فى بيانه فى تلك الفتوى فقال :"ولا تجوز القراءة والكتابة للعاجز عنها بشرط أن لا يختل اللفظ ولا المعنى ، فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية . والحسن البصرى من أهل القرن الأول ومن أشهر أئمة المسلمين."

---

(١) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٣٤.

(٢) محمد سليمان : حدث الإحداث : ص ٤٠.

(٣) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٣٤٣ نقلاً عن مجلة الأزهر ، م ١٥ ، ١٣٦٣ هـ وهو جانب من مناقشات دارت بين الشيخ محمد الزرقانى وفريد وجدى.

ويوضح "فريد وجدى" خلاصة لآراء بعض المذاهب :-[1]

"ولم تكن جمهرة الأئمة الأولين يحرمون ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية ، وإنما كانوا يحرمون القراءة بها فى الصلاة ، على اختلاف بينهم فى حظر ذلك.

فأما الحنابلة فقد منعوا الصلاة بترجمته بتة .. وقد نقل فضيلة الأستاذ الشيخ الزرقانى عن ابن حزم قوله : "من قرأ أم القرآن أو شيئاً من القرآن فى صلاته مترجماً بغير العربية بطلت صلاته" وعلل رحمه الله ذلك بقوله :"لأن الله تعالى قال : قرآناً عربياً ، وغير العربى ليس عربياً ، فليس قرآناً" وليس حتى فى هذا القول تحريم للترجمة كما نرى.

وقد أورد عن الشافعية[2] كتاب الأم تحت عنوان (إمامة الأعجمى) : "وإذا أتموا به ، فإن أقاما معاً أم القرآن ، ولحن أو نطق أحدهما بالأعجمية ، أو لسان أعجمى فى شىء من القرآن غيرها ، أجزأته ومن خلفه صلاتهم"

ولا يخف أن الإمام لو كان يذهب إلى أن ترجمة القرآن محظورة كل الحظر ، لما أجازها فى الصلاة غير الفاتحة ، والصلاة أرفع أركان الإسلام بعد الشهادتين.

مذهب المالكية هو إمكان ترجمة القرآن على الوجه المعروف عند أهل هذا العصر أى فى عباراته المطلقة الدالة على معان مطلقة."

ويقول "وجدى" "إن هذا الوجه هو المقصود فى ترجمة القرآن ويوضح ذلك إن المترجم المعاصر ، يقرأ ما يترجمه مثل قوله تعالى[3]" ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ " ويفهمها بالرجوع إلى ما قاله المفسرون ثم يضعها فى قالب أية لغة من لغات العالم ، فتجئ مطابقة من اللغة العربية إلى اللغة الأجنبية بألفاظ وعبارات مطلقة مثلها ، ولو فعل غير ذلك اعتبر محرفاً. والمعاصرون لا يعرفون غير هذا الوجه من الترجمة وإذا كانت فى نظر مثل الشاطبى وابن قتيبه وسائر علماء المالكية ممكنة ، فمسألة ترجمة القرآن لا تعتبر بدعة سيئة ، ونكون فى نظر الأمم خالصين من الشذوذ الذى يلاحظونه علينا من تجادلنا حول هذه المسألة" وهو لا يهمه إلا استخلاص هذه النتيجة وهى "حصلنا من وراء ذلك على رخصة شرعية بترجمته

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٢) هذا يعارض رأى أوردته د. عفاف شكرى ذكرت فى مقالها ترجمة معانى القرآن : ص ٨٣ ، ٨٤ "يرى الإمام الشافعى – رضى الله عنه – أنه لا تجوز القراءة بالفارسية بحال ، ولكنه إن كان يحسن العربية ، وهو أمى يصلى بغير قراءة ، وكذلك الخلاف فيما إذا تشهد بالفارسية أو خطب الإمام يوم الجمعة بالفارسية ، فالشافعى رحمه الله – يقول (إن الفرسية غير القرآن) قال الله تعالى :" إنا جعلناه قرآنا عربياً " الزخرف : ٣ وقال الله تعالى "ولو جعلناه قرآنا أعجمياً" فصلت : ٤٤ . فالواجب قراءة القرآن فلا يتأدى بغيره بالفارسية ، والفارسية من كلام الناس فتفسد الصلاة."

(٣) سورة الروم : آية ٢٨.

ترجمة رسمية" ولم يقتصر الخلاف حول الصلاة بالترجمة ، بل امتد ليشمل أموراً كثيرة منها مـا ورد ذكرها فى مشروع الترجمة ، وقد تكفل بالرد عليها "محمد فريد وجدى" فى كثير من الأمور منها:-

أولاً (مهمة نشر الإسلام)

فقـد قـامت مناقشات بين "محمد فريد وجدى ومحمد عبد العظيم الزرقانى" – المدرس بكـلية أصـول الديـن آنـذاك – حول نشر الإسلام عن طريق ترجمة القرآن. فيعلق الشيخ "الزرقانى" على هذا[1] "نحن نقول بما يقول به الأستاذ من عموم دعوة الإسلام ووجوب نشره ، ونحـن لا نسـتطيع أن نوافقه على انحصار وسائل النشر والدعوة فى ترجمة القرآن ترجمة صحيحة ، وإلا فأين تلك الترجمة التى قام عليها نشر الإسلام من لدن عهد الرسول صلى الله عـليه وسـلم وأصحابه وأتباعه وعهود ازدهار الإسلام إلى يوم الناس هذا ؟ وإذا كانت هذه الـترجمة الـتى ينوه بها الأستاذ لا وجود لها وهى واجبة كما يقول ، فهل تقصر سلف الأمة وخلفها فى هذا الواجب ؛ وهل تجمع الأمة على ضلالة ؟!"

ويعقـب وجـدى[2] **"(أولاً) لا محل لذكر الإجماع هنا ، لأنه لا يصدق إلا على عمل إيجابى أو سلبى اتفق عليه بعد إجالة النظر فيه ، لا على كل عمل أو وسيلة لم تتخذه الأمة لعدم توافر دواعيه أو لعدم اقتضاء الأحوال إياه ، كالأمر الذى نحن بسبيله ، ولو كان إجماع الأمـة يـنعقد على كل ما لم يفعله أوائلها ، لما كان هنالك معنى للسنة الحسنة التى يقول عنها النبى صلى الله عليه وسلم : "من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"**

(ثانيـاً) إن انتشـار الإسلام فى عهده الأول بين الأجانب لم يقم على ترجمة القرآن ، ولو كـانت له تـرجمة إذ ذاك لمـا أفادت بشىء، لأن نسبة الأمية فى الأمم كانت كنسبة تسعة وتسعين إلى واحد."

"وفى مـثل هذه البيئات لا يفيد نشر الأديان بواسطة الكتب. زد على ذلك أن الحرية الديـنية كانت مقيدة ، فلا يسمح رجال الدين للناس بأن يقرأوا ما يناقض كتبهم المقدسة .. أمـا قـرأنا فى تـاريخ أوروبا أن القائمين على الدين هنالك كانوا قد أقاموا هيئات سموها محاكم التفتيش مهمتها مراقبة الحركة العقلية فى الناس.."

"وهـناك عقبة تجعل ترجمته كأن لم تكن وهى عدم وجود أداة النشر وهى المطبعة. أما ما يستحسنه فضيلة الأستاذ من الاقتصار على نشر تعاليمه وهداياته فلا يفيد ، ولو كان

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٢٤ – ٢٤٩ – حول كتاب مناهل العرفان ومبحث ترجمة القرآن نقلاً عن المجلد الخامس عشر : مجلة الأزهر ١٣٦٣ ، ص ٣١٣ وما بعدها.

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

يفيـد لعول عليه منافسونا من أهل الأديان ، وهم أعرف منا بأساليب النشر والتأثير ، لأن الشـك يفسـد عـلى المدعوين كل ما يستفيدونه من أثر الدعوة ويعتبرونها من ألالاعيب البيانية والمداورات الخلابية ، فلا تقنعهم غير النصوص الكتابية"

ثانياً : عزة العربية وتصحيح التراجم الأجنبية المشوهة .

رد فـريد وجدى على الشيخ محمد سليمان – قاضى المحاكم الشرعية فى شبين الكوم – فى كـون الترجمة تقدح فى عزة العربية. يقول وجدى(١)"الذى يعرفه الناس قديماً وحديثاً أن شـرف الـلغة وكرامتها ، ومكانة أهلها من الذخر الأدبى يكون بقدر ما يترجم عنها إلى الـلغات الأجنـبية .. كانجلترا وفرنسا والمانيا وغيرها .. ولما كانت الأمة العربية فى أبهة سلطانها كانت الأمم كلها عالة على لغتها تترجم عنها ما ترى أنه يفيدها ، ولم يقل أحد إن ترجمة كتبها كانت تقدح فى عزة لغتها. فإن كان المراد أن تولينا عن ترجمة القرآن بأنفسنا يقـدح فى عـزة لغتـنا ، فنحن مضطرون إلى ذلك من ناحيتين : أولاهما : أن الأوروبيين ترجموا القرآن تراجم سقيمة لا نرى مندوحة من تقويمها ، ولا يسعنا تركها على حالها."

"وثانيتهما : أن مصلحة الدعوة تحفزنا إلى ذلك لأننا مكلفون بها شرعاً ..

وقال تعالى(٢)" وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ " أى وسائر من بلغه من عموم الخلق.

وقال تعالى(٣)" فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

"أفلا يكون من أهم ما يجب أن يعنى به الأزهر وضع ترجمة صحيحة لمعانى القرآن الكريم تتلافى ضرر الأخطاء الفاحشة .. فيقف الناس على حقيقة الإسلام من مصدره الأقدس."

ويوضح الظروف التى تحتم هذا "وبخاصة فى هذا العهد الذى تغلى فيه الرؤوس فى أوروبا وأمـريكا وآسـيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ، وإزاء حركة المؤتمرات الديـنية الـتى تعقد كل عام" ..."ويختم وجدى كلامه بسؤال استنكارى-أمن الورع أن يقف المسـلمون جامدين؟ .. ليتوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحاً نكافح به فى ميدان هذا الجهاد الفكرى فى هذا العصر المميز"

ثالـثاً : رد عـلى الشيخ محمد الشاطر – قاضى محكمة شبين الكوم فى رده على مشروع الترجمة.

---

(١) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ١٢ : ١٥ ملحق الجزء الثانى من مجلة الأزهر ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦م مطبعة المعاهد الدينية.

(٢) سورة الأنعام : آية ١٩.

(٣) سورة ق : آية ٤٥.

ويوضح وجدى سبب عنايته بالرد على هذه الرسالة[1] "وقد ضمنها بحوثاً وبيانات لا نرى بداً من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكوتاً عنها بعد وقوعها فى أيدى الدهماء يوهم أن ما جاء فيها مسلم به ، من جميع الوجوه وقد قدم فى رسالته أربعة عشر وجهاً منعياً ، لفت إليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر."

ومن بعض هذه الوجوه :" إن المفسرين مازالوا قاصرين مقصرين فى معرفة معانى القرآن ، فإنه لا تنقضى عجائبه ولا يدرك غوره . وقد يكون لواحد رأى فى آية ولغيره رأى آخر فيها ولكليهما وجه صحيح ، فعلى أى معنى تختار اللجنة واحداً من هذه المعانى وبأى قانون ترجحه على غيره ! وإذا رجحنا رأياً وترجمناه ، ثم ظهر لنا أن رأياً آخر أصح منه أفنغير الترجمة ، فيقول الناس إننا نغير فى قراءتنا ، أم نترك الخطأ على حاله "

وأعطى سبع آيات مثالاً على ذلك منها قوله تعالى : [2] " وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ

ثم قال : فسر بعضهم الزوجين بالصنفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى ، فإذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ."

ورد عليه وجدى قائلاً :[3] "قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أى حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكورة والأنوثة هما من أعضاء الأزهار لا الثمار. فقد يكون هذان العضوان فى زهرة واحدة ، وقد يكونان فى زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان فى زهور شجرتين مستقلتين. أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثى على الإطلاق."

ويستشهد وجدى بما ورد فى السنة النبوية "وقد كان هذا الازدواج النباتى معروفاً من أقدم العهود. حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلقحون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلقحون نخلهم ، فقال لهم :"لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فأمرهم أن يعودوا لما كانوا عليه قائلاً لهم: "أنتم أعلم بأمور دنياكم" وكذلك يستشهد بالقرآن "والذى يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثى. قوله تعالى عند ذكر الجنتين اللتين وعد بها المتقون :

(١) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٢٢ ، ٣٨.

(٢) سورة الرعد : آية ٣

(٣) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة القرآن : ص ٣١، ٣٢

" ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ "[1] أى مــن كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال إلى المعنى الذى يريده الأستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات الأخروية ، لا مقام استدلال على وجود القدرة الإلهية، بلفت الأنظار إلى الحكمة التكوينية.

ولا يعقــل أن الله تعالى يعزو ما هو خاص بالأزهار إلى الثمار ، لأن ذلك فضلاً عن مناقضته للبلاغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية"

ثــم يوضـــح رأيه فى المعجزات العلمية[2]"إننا مع اعتقادنا الحازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ورغم عن أننا سبقنا جميع المتكلمين فى الإسلام فأثبتنا عدداً عظيماً منها فى عشــرات مــن المقالات نشرناها ، إلا أننا نجوز لأنفسنا أن نعالجها علاجاً عنيفاً ، وأن نســتقطر الكلام لها استقطاراً فإن ذلك يعد إخلالاً بالأدب.الواجب للكلام الإلهى ، ويفضى إلى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافيين وليس هذا من مصلحة الإسلام فى شىء "

وقــريب مــن هذا ما ذكره شيخ الأزهر "محمد المراغى" [3] وقولهم :"إن فى الكتب الســماوية إشــارات و أحكاماً تستخرج بطريق الحساب ، ومعارف يستخرجها أهل التصوف بالذوق ، وعلوماً طبيعية ورياضية ، وإن ذلك يضيع بالترجمة"

وقــد تــولى رده الشــاطبى بقوله "ليس المقصود من القرآن إلا الهداية وأحكام الدنيا والآخــرة ، وأن السلف الصالح لم يخض فى القرآن على هذا النحو الذى فعلوه على أنه إذا فاتت هذه الأشياء فى الترجمة فلن تفوت فى النص العربى ، وهى باقية فيه"

وعلق المراغى "ولكن من حقهم أن يفهموا أن المعارف البشرية غير مستقرة ، وأنها تــتغير وتتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها ، وأنه ليس من الحكمة أن نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"

ومــن القضايا التى ناقشها أيضاً الشيخ محمد الشاطر هى : هل المقصود بالترجمة ؛ الترجمة الحرفية أم ترجمة معانى القرآن ؟يقول[4]

"إن جمهــور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة بلفظة ، لأن ذلك محال ، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه.

---

(١) سورة : الرحمن : آية ٥٢.

(٢) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٣٨.

(٣) محمد مصطفى المراغى : بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها : ص ١٢.

(٤) محمد فريد وجدى : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية : ص ٤٠ : ٤٥.

فإضـــافة المقترح كلمة (معنى) ما هى إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج عما أجمع على عدم جوازه المسلمون"

ورد "وجـدى" أن الإجماع خطأ لأن مذهب الحنفية أجاز الترجمة ، يقول **"وتقولون إن مـن المحـال ترجمة القرآن لفظاً بلفظ ، فكيف تقولون ذلك. وقد شرط الحنفية ذلك لصحة الصـلاة بالـترجمة ، وهـم حين شرطوا ذلك عرفوا أن ذلك ليس بمحال ، لأن الإمام كان فارسـياً وفى أتـباعه فرس كثيرون ، كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو فى الفاتحة وبعض الآيـات الضرورية للصلاة. وكل عارف بلغة أجنبية يعرف أن الفاتحة ، وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة.**

... ومـن أيـن علم إن إضافة كلمة معنى إلى الترجمة يقصد به التمويه دون الحقيقة ؟ أن مشـيخة الأزهـر أتـت بهذه الكلمة لتحلل من مصاعب الترجمة الحرفية لتستطيع تصوير المعـانى الحقيقيـة للآيات غير مقيدة ، بتقابل الألفاظ ؛ وهى إنما تريد تفهيم معانى الكتاب الكـريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقيمون بها الصلاة على شرط الأحناف ، ولم تعلـنهم بذلك.لو استفتيت فيه لمنعته بتاتاً جرياً على مذهب الإمام. فِلمَ يسئ الأستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين إلى هذا الحد؟"

ورأى "وجـدى" يقودنـا إلى قضـية جوهرية هو عدم تحديد مصطلح الترجمة ، هل المقصود به ترجمة حرفية ، أم ترجمة تفسيرية ؟ وما المراد بأى من الترجمتين؟ وقد ظل هذا الأمر موضعاً للنقاش.

فلنتعرف على معنى الترجمة والمراد بها[1] "تطلق الترجمة فى اللغة العربية على أحد معان أربعة :

الأول : تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول الشاعر.

أن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعى إلى ترجمان.

ثانيها : تفسير الكلام بنفس لغته ومنه سمى ابن عباس رضى الله عنه "ترجمان القرآن" .

ثالـثها : تفسير الكلام بغير لغته جاء فى لسان العرب وفى القاموس أن الترجمان هو المفسر لـلكلام وقـال شـارح القـاموس "وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر. قاله الجوهرى"

رابعها : نقل الكلام من لغة إلى أخرى قال فى اللسان "الترجمان بالضم والفتح هو الذى يترجم أى ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع تراجم"

---

(١) د. فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير : ص ٤١٧ – ٤١٨ حـ١ مؤسسة الرسالة نقلاً عن مناهل العرفان فى علوم القرآن ، عبد العظيم الزرقانى : حـ٢ ، ص ٥ ، ٧.

"وهـذا المعنى هو ما يراد بالترجمة فى عرف التخاطب العام وهى التعبير عن معنى كلام فى لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء ، بجميع معانيه ومقاصده."

"وتنقسم الترجمة إلى قسمين[1]:

الأول : الـترجمة الحرفية. وهى نقل الكلام من لغة إلى أخرى مع مراعاة الموافقة فى النظم والترتيب والمحافظة على جميع معانى الأصل المترجم.

الـثانى : الـترجمة التفسـيرية أو المعنوية وهى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه وبدون المحافظة على جميع معانيه المراد منه."

"ويـبدو أن الذيـن خاضـوا فى قضية الترجمة ، مؤيدين ومعارضين لم يتفقوا على تعـريف موحـد للترجمة المقصودة ، فبينما نسمع من مؤيدى الترجمة من يقول :"يصح أن تسـمى الترجمة ترجمة التفسير ، ولا مانع عندى من ذلك مطلقاً .. وبعد التحديد لم يبق محل للشـبهة ولا موضع لأن يقول الناس إن الغرض ترجمة القرآن الكريم ، وليس هناك شئ فيما نـرى أحسن من ترجمة معانى تفسير القرآن ، فلا محل للخلاف الذى رآه الناس فى الغرض مـن هذه الترجمة وأنها ترجمة القرآن" ... فى حين نسمع بين المعارضين من يصر على أن المقصود الحقيقى هو ترجمة القرآن."[2]

"وبيـنما يوضح كتاب وزير المعارف .. أن المقصود هو تحديد معانى القرآن الكريم التى يراد نقلها إلى اللغة الأجنبية بحسب ترتيب سوره وآياته ، وبأسلوب موجز واضح يمكن المترجم من نقله إلى اللغة الأجنبية بالتدقيق الواجب توخيه فى ترجمة رسمية[3] ... نرى من يـرد عليه بأن التفسير علم قائم بذاته يشرح معناه ويوضح غريبه ويبين محكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ... ثم يذكر سبب نزول الآيات والحكمة فى ترتيبها ... وما دام المطلوب فى الـترجمة ، لا يتضمن كل هذا فى رأى المعارضين فإن المقصود حينئذ ترجمة القرآن لا ترجمة معانيه ، مهما يزعم المؤيدون بأنهم إنما يقصدون إلى ترجمة معانى القرآن."

ويقول د. "عفت الشرقاوى" موضحاً رأيه فى هذه القضية[4] "فى اعتقادى أنه لم يكن ثمة مـا يدعوا إليه ، لو التزم الجانبان الحد الواضح ، الذى وضعته لجنة كبار العلماء فى فتواها السـابقة ، وهى الفتوى التى لا أعتقد أن أحداً من الجانبين يزعم الخروج عليها ، حيث تكون الـترجمة تـرجمة للتفسير ، وينص فيها على أنها ليست قرآنا وليست لها خصائص القرآن ؛وإنمـا هى تـرجمة لبعض المعانى التى فهمها العلماء ، وفى مثل هذا التحديد الحاسم الذى

---

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون : ص ٢٣ ، ٢٤ ، جـ١.

(٢) د. عفت الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر : ص ١٧٦ نقلاً من مقالة لمحمد مصطفى المراغى : الأهرام ١٩٣٦/٤/٢٢م.

(٣) المصدر السابق : ص ١٧٧ نقلاً عن كتاب وزير المعارف محمد على علوبة – ص٣٦.

(٤) المصدر السابق : ص ١٨١.

قــررته لجنة الإفتاء ، لا تقوم قضية الصلاة بالترجمة ، ولا ينشأ الجدل حول الكلام اللفظى والكلام النفسى ، فإن ترجمة التفسير ، لا يختلف عليها أحد ، ولا هى مما يثير كل هذا الجدل الفقهى والكلامى."

وفى أهميــة مشــروع ترجمة معانى القرآن يقرر د."عفت الشرقاوى"[1]"فإن ترجمة تفســير القرآن أو ما يفهمه المفسر من معانيه ضرورة واجبة ، لأن المسلمين إذا أهملوا ذلك أصبحوا فى كثير من بقاع الأرض قوماً لا سند لهم ، ولا مرجع ، يجدون بين أيديهم مصحفاً يتــبركون بورقــه ويلثمون غلافه ، ويضعونه على الرأس والعين ، احتراماً له ، ولكنهم لا يفهمــون ما فيه، والكتاب الذى غير مجرى التاريخ ، وعرف العالم مبادئ الخير والصلاح ، ستصبح معانيه مغلقة على كثير من الأمم ، وهذا إسراف فى الجور ، لا يتفق وسماحة الدين الإسلامى الذى جاء به محمد رسول رب المشرقين والمغربين صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس.

ومــن جهة أخرى فإن التوقف عن ترجمة تفسير معانى القرآن ، سوف يتيح الفرصة لانتشــار ترجمات فاسدة كتبها حانقون على الإسلام .. وربما دل سكوتنا عن تقديم مثل هذه الترجمة على اقتناعنا بصحة هذه الترجمات فى نظر كثير من الأوروبيين."

وتــتفق معه فى هذا الرأى د."عفاف شكرى" "ويجب ألا يفوتنا أن هناك بعض التراجم يجب إبعادها حتى لا تسئ إلى القرآن الكريم ، لكونها ترجمة مشوهة مغرضة بعيدة كل البعد عن تعاليم ومفاهيم الإسلام تهدف إلى النيل من الإسلام والمسلمين وحتى تصل معانى القرآن الكريم إلى غير المسلمين سهلة ميسورة ، وتكون حافزاً لهم على الدخول فى الإسلام"

وفى اعتقادى أن بتحديد المعنى المقصود من الترجمة يتحول رأى "محمد رشيد رضا" من المعارضين للترجمة إلى الموافقين يقول[2]: "إن من تقصير المسلمين فى نشر دينهم أن لا يبيــنوا معانى القرآن لأهل كل لغة بلغتهم ولو بترجمة بعضه[3]لأجل دعوة من ليس من أهله إليه ، وإرشاد من يدخل فيه عند الحاجة بقدر الحاجة."

وكمــا رأيــنا فرأى المعاصرين أمثال د."عفت الشرقاوى" ود."عفاف شكرى" يتفق مع رأى "محمد فريد وجدى" حامل لواء الدعوة إلى ترجمة معانى القرآن.

---

(١) د. عفت الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر : ١٨٧ نقلاً من عبد الله عباس الندوى : ترجمات معانى القرآن ، ص٢٣.

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم : ص ٣٢٥ رداً على رسالة الشيخ أحسن شاه أفندى أحمد من روسيا يستفتى محمد رشيد رضا فى ترجمة القرآن عام ١٣٢٦هـ.

وملخص هذه الفتوى من ص ٣٢٤ : ٣٣٠. إن ترجمة القرآن حرفية متعذرة ، ويترتب عليه مفاسد كثيرة لأنه جناية عليه وعلى أهله. وأما الترجمة المعنوية التى هى عبارة عن تفسير ما يحتاج إلى تفسيره منه بلغة أخرى غير محرم ، وإنما نتبع فيه المصلحة الشرعية بقدرها.

(٣) يوضح فى الهامش أن الترجمة هنا المعنوية التفسيرية لا اللفظية الحرفية.

وقريباً من هذا الرأى قول د. "فهد الرومى"[1] "وخلاصة ما نراه فى ترجمة القرآن الكريم أنه كما يباح بإجماع المسلمين كافة تفسير القرآن الكريم وتداوله بين المسلمين ؛ فإنه لا ضير أن يفسر القرآن عربى أو يفسره غير عربى متمكن من العربية بلغته ما دام ما يقوله لا يتجاوز وصفه بـ"التفسير" فكما يصح أن يقال هذا تفسير القرآن بالعربية ؛ فإنه يجوز أن يقال وهذا تفسيره بالفارسية – ولكنه له تحفظ – وأرى أن لا تورد كلمة ترجمة إطلاقاً كما لم نرها فى أى تفسير للقرآن بالعربية وحتى لا يشعر الأعجمى بحال من الأحوال عند قراءته للترجمة بما يوهمه أن ما يقرأه هو القرآن الكريم."

لقد دارت مساجلات ومناقشات عديدة حول الترجمة ، ظهرت نماذج شتى ؛هناك من تحلى بآداب المناقشة ، وحسن الجدل حول الموضوع ، وهناك من خرج عن هذا إلى الطعن الشخصى فى ذات الداعين إلى الترجمة ووصل الأمر إلى القدح وترصد الأخطاء وكيل التهم. ولو التزم كل فريق بالجانب الموضوعى لكان فى هذا مندوح عما تورط فيه من المآخذ. من ذلك بعض المواقف للشيخ "محمد سليمان" فى كتابه حدث الأحداث.

يصف الداعين إلى الترجمة [2]"فكل من يحاول ترجمته ، أو تغييره فإنما هى محاولة لتغيير التفصيل الإلهى ، وهجوم على هذا الرسم الربانى ، أقطع يقيناً وأتحدى علناً كل محاول لهدم ما بنى الله ، أو مغير لرسم ما نصل الله. أتحداه بأن يقدم ، وأقطع بأنه عاجز وابن عاجز وذو نسب فى العاجزين عريق"

وفى أحد اعتراضاته – يستخدم مثل عربى[3] "ذهب الحمار إلى السوق ليشترى له قرنين فعاد بلا أذنين"

وفى ترصد الأخطاء للشيخ المراغى[4]"وأنما ألفت الأنظار إلى ما سمعه المسلمون فى أول هذا العام الهجرى وقد أذيعت عليهم من صحن الأزهر خطبة شيخه واحتوت فى آخرها ثلاث آيات من القرآن الحكيم ، تليت إحداها غلطاً ، كما سمع فى الخطبة خطئان نحويان وهى لم تطل أكثر من عشرين دقيقة ، مما يؤيد مخاوفنا على هذا الكتاب الإلهى إذا تطاولت إليه يد المخلوق الضعيف ، بالترجمة والتحريف" أى فالغلط فى التلاوة بمعدل الثلث والخطأ فى النحو لكل عشر دقائق خطأه."

---

(١) فهد عبد الرحمن الرومى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير : جـ١ ص ٤٤١.

(٢) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام : ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق : ص ٣٥.

ولـم يسلم "محمد فريد وجدى" من انتقادته اللاذعة ، فهو فى نظره محامى الأزهر ، وهـو فى نظره غير جدير بأن يتولى هذا الدفاع ، وأسبابه فى ذلك[1]"لم يقعد محامى الأزهر إلى شـيخ ، ولا انـتظم فى حـلقة درس ، ولا نال شهادة تؤهله إلى أن يتكلم فى أمثال هذه المسـائل الشـرعية ، وكـل ما له من علم يفخر به ما ذكره فى صفحة ٦١ من رسالته أن عشـرات الكـتب من مذهب الأحناف طبعت وانتشرت بين الناس فيا لكثرة العلماء أمثال هذا المحامى الذين يقولون إنهم علماء لأن كثيراً من كتب العلم طبع وانتشر بين الناس؟

لو كان علمك هذا ما تقوله به فطابع الكتب فى علم ابن عباس"

هذا وما ذكره من فقد الثقة فيه وفى مؤلفاته.

وأحقاقاً للحق. فقد التزم فريق آخر من المعارضين الجانب الموضوعى فى المناقشة ، بل أشاد بصنيع "وجدى" وهو الشيخ "عبد العليم الزرقانى" يقول:[2]"تفضل البحاثة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى بك مدير مجلة الأزهر الغراء ورئيس تحريرها ، فقرظ فيها الجزء الرابع مـن المجـلد الخـامس عشر ، الجزء الثانى من كتابى مناهل العرفان فى علوم القرآن. كما تفضـل مـن قبل فقرظ الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقرظ كتاب المنهل الحديث فى علوم الحديث ، وإنى لأشعر بدين فادح يثقل كاهلى بالشكر والتقدير لهذه التقاريظ العالية ، التى هى صـورة من نفس مقرظها وإنى سأسلك مسلك صاحبى فى أسلوبه العف الوجيز الذى اختاره للنقد"

وللدكـتور "محمد رجب البيومى" رأى فى تقويم دفاع "فريد وجدى" فى هذه القضية :يقول[3] "لقـد وقف فى معركة الترجمة لمعانى القرآن . أمام نفر من المتعمقين فى النصوص الفقهية مـن قارئى الحواشى ودارسى الأصول ، وفى أيديهم أسلحتهم المهيئة من النصوص والقواعد والتفريعات ، وكان الظن بهم أن يكونوا فى هذا المضمار أطول منه يداً ، وأعمق نظراً ، لأن الموضـوع موضـوعهم والميدان ميدانهم ، ولكن الرجل المناضل قد أخذ للأمر عدته ، فقرأ وأمعن ، وواجه النصوص بالنصوص ، وعارض الأقوال ، بالأقوال ، ثم فلج بالحجة الدامغة ، وجهـر بالرأى الساطع يسجل ذلك فى كتاب علمى يحمل طابع الاستدلال المتعمق والنظر البصير !..

والمسـألة بعـد ليست فى حاجة إلى تعداد أوجه الرأى إذا خلصت الضمائر وصدقت الـنيات ، لأن تـرجمة المعانى غير ترجمة النص ، ولم يقل أحد بجواز ترجمة النص حتى يشتغل الخلاف."

---

(١) محمد سليمان : حدث الأحداث فى الإسلام : ص ٢١٠.

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٢٣٩.

(٣) محمد فريد وجدى : فصول من سيرة الرسول : تقديم ومراجعة محمد رجب البيومى ، ص ٢٢. الدار المصرية اللبنانية.

وبعــد فقد انتصرت دعوة الشيخ "محمد مصطفى المراغى" ، وكللت جهود "محمد فريد وجــدى" بالنجاح فتم تنفيذ مشروع الترجمة بعد سنوات من الجدال ، فما فترت فى تلك المدة همة "فريد وجدى" ولا تخلى الشيخ "المراغى" عن ثباته. وإليك صورة من مشروع الترجمة فى التسعينيات تنطق بالحال الذى وصلت إليه هذه القضية.

أولاً : فى نشر التراجم

"ترجمة معانى القرآن إلى الأندونيسية(١)"

"وافــق الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف خلال لقائه أمس بالدكتور محمد قريش شــهاب عضــو لجنة القرآن بوزارة الشئون الدينية الأندونيسية وسفير أندونيسيا لدى القاهرة على تشكيل لجنة من الطلبة الأندونيسيين خريجى جامعة الأزهر لترجمة معانى القرآن الكريم إلى عمــليات الــترجمة عــلى كتاب "المنتخب" فى تفسير معانى القرآن الصادر من المجلس الأعــلى للشــئون الإسلامية باعتباره تفسيراً جاء بأسلوب عصرى مبسط بعيداً عن الخلافات المذهبية."(٢)

ثانياً : فى الرد على التراجم المشوهة

شيخ الأزهر يحيل لمجمع البحوث الإسلامية(٣)

لدراسة : ترجمة محرفة بالعبرية للقرآن الكريم

"القرآن الكريم ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، حفظه الله الذى أنزله هدى ورحمة للعالمين وحتى تقوم الساعة " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "(٤) والآن يــتعرض كتاب الله العزيز – وكما حدث مراراً – لمحاولات تشويه وتحريف من أحد المترجمين اليهود الذى قام بترجمته دون الالتزام بالمعانى الدقيقة لآياته وكلماته.

"ويكشــف عن هذه المغالطة الكبيرة فى حق القرآن الكريم الأستاذ محفوظ عبد العال الــذى كــان يعمــل مستشــاراً إعلامياً بإسرائيل مدة سبع سنوات فيقول : كنت أحضر أحد المؤتمــرات برودس فى العام الماضى الذى حضره ممثلون عن الاتحاد الأوروبى واليونانى والإســرائيلى وفى أثــناء الاجــتماعات تقدم لى أحد الإسرائيلين المشاركين فى المؤتمر وأعطــانى كــتاباً بالعبرية وعند عودتى إلى القاهرة وتصفحه ، فوجئت بأنه ترجمة بالعبرية لــلقرآن للمــترجم الإســرائيلى المعــروف د. أهــارون بــن شــميس وهو أستاذ جامعى.

(١) مقالة فى الأخبار ، ص ٩ ، العدد ١٤٧٥٨ ، السنة ٤١ ، الأربعاء ، ٨ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٠ هـــ ، ١٨ من أغسطس سنة ١٩٩٩م.

(٢) كان المعترضون على الترجمة يخشون من سوء اختيار التفسير المترجم ، فلعلها قد تبددت هذه المخاوف الآن.

(٣) مقالة لـــ اقبال حسنى : الأهرام : ص ٢- الجمعة ١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـــ ، ٢٧ من أغسطس ١٩٩٩م.

(٤) سورة الحجر : آية ٩

وبعـد تفحص الترجمة ومقارنتها . ببعض التفاسير وجدت أن المترجم قد جانبه الصواب ولم يقـم بالـترجمة الأمينة لكتاب الله بالرغم من إجادته اللغتين العربية والعبرية ، كما أن اللغة العـبرية تحتوى على مفردات ومرادفات كثيرة مثل اللغة العربية ولأن المترجم لم يتعمق فى الديـن الإسـلامى ولم يدرس علوم القرآن جيداً . فكل حرف وكلمة فى آيات الله لها دلالتها ومعناها العميق ولا تترجم بظاهرها ، فقد جاءت ترجمته مغلوطة تماماً. وأضاف أنه مما لفت نظـرى أن المترجم قام بتلخيص كثير من الآيات القرآنية مثل الآيات من ٢٤-٤٠ من سورة المائدة. وقال بلغة عبرية ركيكة وكأنها فقرة جاءت فى كتاب عادى : يا أيها المؤمنون خافوا الله ، واطلـبوا الطـريق إليه وحاربوا من أجل ذلك ، وإذا كان الكفار ضعف ما فى الأرض كـلها فـإنهم لن يقبل منهم أى فداء وينتظرهم عذاب مؤلم فى جهنم ، والعقاب على السرقة للرجل والمرأة قطع اليد وهو عقاب من الله ولكن من يندم بعد أن أخطأ وعاد إلى الصواب ؛ فـإن الله سيصـفح عنه ويعاقب كل من يريد ويغفر لمن يريد لأنه هو كل شيء ... وجاءت أيضا مخالفة كبيرة فى ترجمة سورة يوسف خاصة الآيات من ٢٠ – ٢٥ حيث جاء فيها أن واحدة نادت مريم وقالت لها إن الله فتح عين ماء تحت قدميك وأن هزى بجزع النخلة يتساقط عليك رطباً طازجاً ، فكلى واشربى وقرى عيناً.

.. وطالـبا بضـرورة تشكيل لجنة من علماء الأزهر الشريف ومترجمى اللغة العبرية لبحث ودراسة هذه الترجمة للقرآن الكريم وتصويب كل الأخطاء التى حوتها.

وقـد تـم عرض هذه الترجمة على فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر يوم الأحد الماضى[1] مع الملاحظات على ما جاء فيها فأحالها فضيلته إلى مجمع الـبحوث الإسلامية وكلف إدارة البحوث والتأليف والترجمة ببحثها ، وطلب من الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام للمجمع موافاته بنتيجة البحث."

(١) أى يوم الأحد الموافق ٥ من جمادى الأول سنة ١٤٢٠ هـ ، ١٥ من أغسطس سنة ١٩٩٩م.

بدأت ظهور الدعوة إلى الترجمة فى مصر فى العشرينيات وتصاعد ظهورها فى الثلاثينيات وقد اتخذت الشكل السياسى مع دعوة تركيا إلى الترجمة ، وقد جانب الصواب كل من ناصر هذه الدعوة لأنه لم يدرك الهدف من الدعوة إلى العلمانية ، ومن بينهم "فريد وجدى" ، فقد نظر إلى الأمر ، مجرداً من الملابسات والظروف ، وربما اغتر بالدعوة إلى التجديد ، وربما كان يعنيه الهدف الأسمى من الترجمة وهذا لا يمنع أن إعلانه موافقته للثورة التركية بكل ما تتخذه من خطوات فى بداياتها قد ألحق به التهم خاصة بعد أن صدقت الظنون ، وأعلنت العلمانية فى تركيا بعد ذلك.

وقد تقدم الشيخ "محمد مصطفى المراغى" بمشروع ترجمة معانى القرآن ، وقد قبل المشروع ، ولكن أثار حوله كثير من الجدل ؛ منها اعتماده على رأى أبى حنيفة فى جواز الصلاة بالترجمة ، وعدم نقل أوجه إعجاز القرآن عن طريق الترجمة ،

- عدم تحديد المصطلح ، هل هو ترجمة القرآن الحرفية أم التفسيرية؟

وقد تولى الدفاع عن هذه القضية الشيخ "المراغى" و"محمد فريد وجدى" الذى تحمل العبأ الأكبر فى الدفاع بل وفى تلقى التهم فقد اكتفى الشيخ "المراغى" برسالته حول الترجمة وبعض المقالات المتناثرة ، فى حين أفرد "وجدى" كتاب خاص حول ترجمة معانى القرآن ، رد فيها على الشيخ محمد سليمان والشيخ محمد الشاطر ، هذا غير المقالات فى مجلة الأزهر ، وغيرها مما كان جدالاً ونقاشاً مستمراً بينه وبين العلماء.

وأيا كانت الأخطاء التى وقع فيها الشيخ المراغى وفريد وجدى فى الدعوة للترجمة، فقد نجحت ونفذت ، ولا يعيبهما خطئهما ، فالمجتهد يخطئ ويصيب ، وإن جانبهما الصواب فى بعض الجوانب ؛ فقد رجحت كفت دعوتهما للترجمة ، وانتشرت فى العصر الحديث وتعددت الترجمات المنتشرة فى البلاد الغربية بموافقة الأزهر ومراجعته لها:

حتى أن المعترضين والرافضين لآراء فريد وجدى والشيخ المراغى اقتنعوا بكون الترجمة ترجمة لمعانى القرآن.

الفصل الثالث

السيرة المحمدية

المبحث الأول

السيرة المحمدية

تحت ضوء العلم والفلسفة

السيرة المحمدية كثيراً ما تناولتها الأقلام بالدراسة والتأليف ما بين منصف ومجحف ، مجامل ومتعصب ، وتنوعت الواجهات والمقاصد ، واختلفت المناهج ؛ فهناك من كتبها تأريخاً كسيرة ابن هشام وابن إسحاق فى القديم ، ومنهم من لون السيرة باللون الأدبى كمسرحية محمد لتوفيق الحكيم ، وعلى هامش السيرة لطه حسين ،وهناك من اتبع فى تمحيصها العقل كمحمد حسين هيكل "حياة محمد " .

وظهر فى بداية النصف الأول من القرن العشرين "محمد فريد وجدى " يطل علينا بسلسلة من المقالات تتناول السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة .

"عمل على تفنيد الطعون التى تتجه إلى نبى الإسلام بغياً دون حق ، فقد عمل الأستاذ على تفنيد هذه الطعون على مدى حياته ، فى فترات متعاقبة ، ثم رأى أن يخص السيرة النبوية المطهرة بكتاب خاص تحت عنوان [السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة] أخذ ينشره تباعاً فى مجلة الأزهر على مدى سبع سنوات .[1]

ويوضح د. محمد رجب البيومى قيمة الكتاب :[2] " فجاء ما كتبه تحت هذا العنوان نهجاً فريداً فى بابه ، وقد رأينا أكثر من كتبوا فى السيرة من بعده قد نقلوا عنه دون أن يشيروا إليه وكأنهم رأوا أن عدم جمع هذه الفصول الرائعة فى كتاب مستقل يبيح لهم أن ينهبوا أفكارها دون الإشارة إليها ، وإذا فعل ذلك من يتصدر لكتابة سيرة الرسول فقد جانب الأمانة التى هى من أبرز صفات من يتحدث عنه ، وكان المنتظر أن يقتضى بنبى آمن به ، وبذل جهده لدراسة حياته ، وتمجيد أخلاقه ."

التأريخ لكتابة " السيرة المحمدية"[3]

" شرع الأستاذ يكتب فصول السيرة النبوية ابتداءً من المجلد العاشر من مجلة الأزهر وقد صدر فى سنة ١٣٥٨هـ حتى المجلد السابع عشر وقد صدر فى سنة ١٣٦٥هـ ، ولكن السيرة النبوية صميمها قد وقفت عند نهاية المجلد الرابع عشر الذى صدر سنة ١٣٦٣هـ ".

ومـا كتبه الأستاذ بعد ذلك قد جاء خاصاً بتعاليم الإسلام وهديه العالمى ، وإن جعله تحت عنوان (السيرة المحمدية) .[4]

---

(١) محمد فريد وجدى : جمع ومراجعة وتقديم د.محمد رجب البيومى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص١٣- المقدمة ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م الدار المصرية اللبنانية .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق : ص١٤ المقدمة لد. محمد رجب البيومى.

(٤) يقول د.محمد رجب البيومى :- ص ١٤ : السيرة المحمدية . " ولو كنت مكان الكاتب ، لجعلت تعاليم الإسلام -

وقبل أن أخوض فى السيرة التى كتبها فريد وجدى أعرض فى عجالة ؛ما المقصود بالسيرة ؟ وكيف نشأت ؟ وما الصفات الواجب توافرها فى كاتب السيرة ؟ لنتعرف إلى أى مدى وفق "فريد وجدى" فى كتابته للسيرة ، ولندرك القيمة الحقيقية لصنيعه .

تعريف السيرة :

السيرة : " هى الترجمة المأثورة لحياة النبى محمد عليه السلام ؛ ويظهر أن هذه الكلمة قد استعملت أول ما استعملت للدلالة علىباب قائم بذاته فى عنوان مؤلف ابن هشام .

ثم أن كلمة سيرة كانت تستعمل فى تلك الأيام حقاً للدلالة على ترجمة الحياة بصفة عامة .

ومعنى السيرة متسلسل من المسلك أو" طريقة الحياة " اللذين تدل عليهما هذه الكلمة ، واللذين يعدان تطوراً طبيعياً للأصل س ى ر أى " سلك" أو ذهب فى الأرض ، وقد وردت كلمة سيرة فى القرآن سورة طه آية ٢٠ بمعنى "السنة" أو"الهيئة" .[١]

السيرة فى نظر بعض العلماء والكتاب .

يقول عنها "محمد عبد الغنى حسن" :"التراجم هى ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذى يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفاً يطول أو يقصر ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذى كتبت فيه الترجمة ، وتبعاً لثقافة المترجم – أى الترجمة – ومدى قدرته على رسم صورة كاملة .. واضحة ..دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التى تجمعت لديه عن المترجم له ".[٢]

= خاصة بموضوع مستقل عن سيرة الرسول ، وهى كذلك أيضاً فيما كتب ، ولكنه تمسك بعنوان السيرة المحمدية فشمل هذه الفصول جميعاً ! وماذا عليه لو جعل السيرة مستقلة بأحداث الرسول ؛ فامتد بالعنوان إلى نهاية المجلد الرابع عشر ، ثم بحث عن عنوان جديد لهذه القوانين الهادية والإصلاحات المفيدة التى أتى بها الإسلام !

ولو كان بى أن أقترح شيئاً بالنسبة لجمع هذه الفصول لاقترحت أن تصدر فى جزئين متواليين ، يخص كل الأول سيرة رسول الله واقفاً عند نهاية المجلد الرابع عشر ، ويخص كل الثانى فى الحديث عن هداية الإسلام ."

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ص٤٣٩ ، ٤٤٠ : المجلد الثانى عشر ، الرئاسة العامة لتعليم البنات كلية التربية بنات جدة .

(٢) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية " فى أدب طه حسين ": ص٩ – رسالة ماجستير–١٩٧٥ نقلاً عن محمد عبد الغنى حسن : التراجم والسير . دار المعارف ط ١٩٦٩م .

تقـول "فرجيـنيا وولـف":[1] " إنها ليست فناً .. ولا علماً ؛ إنما هى نوع من الصنعة الراقية، وهى خادم للحقية والصراحة والنزاهة ، وهى الآلهة الثلاثة التى ترعى السيرة وتقف عندها " .

نشأة السيرة عند العرب :

" وقد عرف فن السيرة عند العرب .. وأول ما عرفوه كان عن طريق السيرة النبوية. كـان ظهور الرسول بين العرب وتطور حياته فيهم ؛ من الطفولة إلى الشباب .. إلى أن تلقى الـوحى وبداية الدعوة وكفاحه فى سبيل نشر هذه الدعوة .. وغزواته .. كل هذا كان له أكبر الأثـر فى توجيـه العـلماء إلى كتابة السيرة النبوية ، حباً و حفاظاً على تاريخ نبيهم الكريم باعتباره قدوة حسنة كما وجه القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى : [2] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

كمـا عـنوا عناية فائقة بتدوين حديثه صلى الله عليه وسلم باعتباره جزءاً من حياته وتعليماته " .[3]

" تأثير القرآن فى كتابة السيرة "[4]

ولـم تكن الغاية الخلقية معدومة فى نشأة التاريخ والسيرة عند المسلمين ؛ فإن القرآن الكريم وهو الذى عمق الإحساس التاريخى عند العرب حين قص عليهم قصص الأمم الخالية ، وحين وصلهم بالأمم وجعل تاريخ الخليقة مجالاً لنظرهم ، إن القرآن حين فعل ذلك كله ،كان يهـدف إلى إثـارة العـبرة فى نفوسهم ؛ ولكن من المدهش حقاً أن هذه الغاية الخلقية كانت أضعف المظاهر حين بدأ المسلمون بكتابة السيرة وقد بدأوها بكتابة سيرة الرسول ، وكان هذا البدء يشير إلى درس أخلاق عميق فى حياتهم ، لو شاءوا أن يتخذوا سيرة الرسول لتلك الغاية ولكنهم لم يفعلوا ، بل كتبوا سيرته تحت مؤثرات أخرى ، نفرد منها بالتمييز عاملين كبيرين: **الأول : أن سـيرة الرسـول جـزء من السنة ، فهى والحديث مصدران هامان من مصادر التشريع ، ومنهما تستفاد الأحكام "**

والـثانى : إن المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهليين إلى التاريخ ، وهى نظرة قائمة على "الأيـام" وطبيعة الحرب وشئوون القتال ، .. ولم يكن هذا محض تقليد لنظرة الجاهليين ؛ بل كان فى مستلزمات الجماعة الإسلامية ما يؤيده ويدعوا إليه ذلك لأن الفتوحات الإسلامية التى

---

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين : ص١٥ نقلاً عن ليون أدل ترجمة صدقى خطاب عن السيرة الأدبية ، ص١٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

(٣) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين ، ص ٢١ .

(٤) إحسان عباس : فن السيرة : ص ١٢ ، ١٣ ، دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٦م .

انبعـــثت مـــن ســـنة الرسول فى هذا المجال ؛ مثال ؛ كيف يعامل الرسول الأسرى:- ويقسم الفيء؟وهل تتيح الأعمال الحربية قطع الشجر وتخريب الزروع وقطع المؤن ليلجأ العدو إلى التسليم ؟ "

" المراحل التى مرت بها السيرة فى العصر القديم " (١)

" وهذه النظرة المحدودة الدينية لهذا العلم لم تجاوز ذلك المنهج الذى كانت تعيش فى إطاره إلا متأخرة ؛ فقد بدأت روايةً ثم جمعاً وتبويباً وأخذ هذا الجمع والتبويب يصور صوراً مختلفة وعاش فى ظله شراح ومعلقون ."

" تطورها فى العصر الحديث " (٢)

ولكـــنها فى العصر الحديث بدأت تأخذ مساراً آخر أكثر تطوراً باتصال الأدباء بفنون السيرة الأدبية فى الآداب الغربية " .

وتبارت الأقلام فى الكتابة عن الصحابة والخلفاء والملوك والقادة والأدباء والمشاهير ، تكـــتب عـــن حياتهم مصورة عصورهم تستقى من مصادر قديمة ومعلومات مجموعة لكن بأســـلوب جديد ، ونهج جديد . تتبع مدارس علم النفس وتستند إلى أحدث النظريات التى تأخذ فى الاعتـــبار تأثيـــر البيئة والمجتمع والجنس ، فخرجت الدراسات الحديثة بشكل مكتمل يفيد القـــارئ ويـــزوده بكم كبير من المعلومات والنتائج عن الشخص المترجم له وعصره وبيئته ومجتمعه وتفاعل ذلك كله مع بعضه بعضاً "

" واتجهـــت فى ظـــل النهضـــة الحديـــثة اتجاهـــات مقاربة لما فى الغرب ، فتأثرت بالدراســـات الـــنقدية للنصوص ، والنظريات النفسية والبيولوجية : وأصبح أكثرها أقرب إلى المظهر العلمى منه إلى المظهر الأدبى .." (٣)

" صفات كاتب السيرة " (٤)

أهـــم صـــفاته المميزة : العدل والاعتدال . فيذكر ما لصاحب السيرة وما عليه . فلا يندفع فى إصدار أحكام تعظم من أمره .. أو تضعه فى مكان من حقيقته . أو أحكام تنقص من قدره أو تحط من شأنه – أى يكون منزهاً عن الهوى . متجرداً من ميوله الشخصية . اضف إلى هذه الميزات الذوق الراقى والقدرة على الانتقاء . وهنا يحتاج إلى حاسة الناقد الناقدة ليقوم بعملية الاختيار.

---

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين ، ص ٢٣. نقلاً عن طه حسين كما يعرفه أدباء عصره : إبراهيم الأبيارى .

(٢) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين : ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) إحسان عباس : فن السيرة : ص ٢٥٩ .

(٤) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين : ص ١٢ .

لابد أن يكون كاتب السيرة صاحب طبيعة وحساسية خاصتين ، فهو كاتب وناقد محقق وذواقة فى نفس الوقت ."

"ولـــلحقيقة الأهمية الكبرى ؛ فإن كاتب السيرة الذى يحاول أن يستغل الشخصية التى يتناولها للإعلان عن عقيدة أو عن حزب .. حتى ولو كان ذلك بقصد الهداية ؛ إنما هو مدلس وغير أهل للثقة .. ويجب ألا يؤثر تجاوبه مع الشخصية على حياده ويجب أن تترك الحقائق وحدهـــا تتكلم عن نفسها ، على أن يكون نقده مذكوراً ضمن هذه الحقائق وليس مؤكداً لها"(١)

يقــول"أنيـــس المقدسى"(٢) "لا يكتسب العمل الأدبى صفة السيرة بمعناها الحقيقى إلا إذا كـــان تفسيراً للحياة الشخصية فى جوهرها التاريخى .. أو كما يقول ناقد عصرى : أن يكون فيهـــا ملـــتقى الحق الفنى بالحق التاريخى ؛ فهى ليست مجرد أخبار تاريخية ولا هى مجرد تحليلات نفسية أو اجتماعية ، بل هى كل ذلك مسبوكاً فى قالب فنى ذى طلاوة ورواء"

ويقــول"إحسان عباس"(٣) "كاتب السيرة ؛ أديب فنان كالشاعر والقصصى فى طريقة العـــرض والبناء ، إلا أنه لا يخلق الشخصيات من خياله ، ولا يعتمد الشخصية الأسطورية ، ككـــاتب المســـرحية .. ومن ثم كان فى طريقته أقرب إلى المعمارى ؛ وهو كالمؤرخ فى قوة النقد ، وكالعالم فى القدرة على التصنيف والتقسيم "

"إن كـــاتب الســـيرة أديب يخوض الصعب وهو الذى ربما نظر الناس إليه على أنه صـــاحب صنعة سهلة باعتبار أن مادته جاهزة وميسرة بين يديه سواء كتب عن نفسه أو عن غيـــره ، ولكـــن الواقع غير ذلك فالحقيقة أن كاتب السيرة أديب من نوعية مختلفة عن باقى الأدبـــاء. فلابد أن تجتمع له مواهب ربما فاقت مواهب الأديب الذى يتناول فروعاً أخرى من الأدب. فهـــو مطالب بأن يجعل من كتابته للسيرة هدفاً كبيراً ويفتح أفاقاً جديدة للناس مستمدة مـــن التجارب يخوضها بقلمه .. عليه أن يصور هذه التجارب بصورة تجذب القارئ وتجعله يعيشها."(٤)

وبعد آن لنا أن نعرض السيرة المحمدية من خلال مقالات فريد وجدى.(٥)

ويبدأ "فريد وجدى"بالتمهيد للسيرة موضحاً الصعوبات التى أجلت بحثه(٦)

---

(١) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين جـــ١ : ص ٦.

(٢) المصدر السابق : ص ٣ نقلاً عن الفنون الأدبية وأعلامها ص ٥٤٧ ، ٥٥١.

(٣) إحسان عباس : فن السيرة : ص ٨٥.

(٤) رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين : ص ٩.

(٥) جمع هذه المقالات وعلق عليها فى المقدمة د. محمد رجب البيومى — تحت عنوان السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة — بقلم محمد فريد وجدى.

(٦) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٣٧ ، ٣٨ — نقلاً عن مجلة الأزهر أول المحرم سنة ١٣٥٨ هـــ.

"تبدأ فى نشر دراسات متتابعة فى حياة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على أسلوب جديد تحت ضوء العلم والفلسفة كانت هذه أمنيتى منذ سنين ، ولكنى كنت أرجئ تحقيقها ، لا إيثاراً لغيرها عليها ، ولكن لما كنت أشعر به من المشقة العظيمة فى توفيتها حقها من الناحيتين العلمية والفلسفية على ما ينبغى أن تكون عليه فى بيئة أصبحت مطامعها لا تقف عند حدّ. فالناس اليوم– وخاصة متعلميهم – لا يقنعهم سرد الحوادث التاريخية دون معرفة عللها الأولية ، سواء أكانت من طبيعة البيئة ، أم من مقتضيات الاجتماع ، أم من مستلزمات العاطفة الدينية التى جلبت عليها النفوس البشرية."

"ولا يكفيهم سرد أطوار النبوة وحالاتها دون معرفة ماهية النبوة فى ذاتها ، وهل هى حاجة من حاجات الروح الإنسانية كما يقول الدينيون ، أم هى مجرد ظواهر اجتماعية. والميل إلى تأييد أحد هذين التيارين الفكريين يستدعى إقامة الأدلة القاطعة عليه ، ولا يمكن أن يؤخذ كقضية مسلمة ، وخاصة فى هذا الدور من تنازع المذاهب الفلسفية.

ثم إن الكلام عن الوحى وأساليبه ، والاتصالات الروحانية بالملأ الأعلى ، وإمكان استمداد العلم عن العالم العلوى مباشرة بواسطة الملك ، خلافاً للسنة المعروفة بين البشر ، كل هذا لا يتأتى للعقل الراهن أن يسلمه بغير أدلة تناسب خطورته الاعتقادية ، فالتزام كتابة السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة يوجب إيراد هذه الأدلة ، ويوجب أن تكون من القوة ، وصحة الدلالة بحيث تصلح أن تثلج عليها الصدور ، وتطمئن إليها العقول ، لا أن تكون مسلمات تحكمية فى صورة أدلة علمية.

لا أنكر أن هذا كله من أشق الأعمال الكتابية ، وأن المتكلف له بسبيل فتح طرائق جديدة للتدليل على أمور روحية يعتبرها أكثر الناس أجنبية عن المحاولات العلمية.

وليست تنحصر صعوبة هذا البحث فى هذه الناحية الروحية ، ولكنها تمتد إلى نواح أخرى علمية باحتة يصعب تعليلها بالأسباب المادية على مقتضى الدستور العلمى ، وسنضطر إلى تلمس علل لها من عالم ما فوق الطبيعة ، وهذا موضوع نزاع سيكون بيننا وبين العلم الاجتماعى نفسه[1] لأنه لا يعترف بذلك العالم العلوى ، ويهون عليه أن يلتمس للحوادث عللاً واهية أو يتركها بدون تعليل تحاشياً من نسبتها إلى علل غير طبيعية"

ويوضح "فريد وجدى" السبب الذى دعاه لكتابة السيرة ؛ محاولة لتثبيت المؤمن وزيادة اليقين فى نفسه.

---

(١) يشير إلى قضية ناقشها مفصلة فيما بعد وهى قبول العرب بعثة محمد لأنهم كانوا مستعدين لذلك ، ص ٣٨ ، ٤٠ من السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة وسنشير إلى هذا فى مبحث الأدب الجاهلى .

يقـول[1] "أرانى من ناحية مضطراً لأن أقول : إن الكثيرين ممن تناولوا منا السيرة المحمديـة بالكـتابة جعلوا معتمدهم الأساليب الخطابية ، والأفانين البيانية ، ولم يعنوا أقل عـناية بحاجـة القـول القوية المجبولة على التشكك والتثبت ، فأسرفوا فى إهمال الناحية الإقـناعية ، وتهافـتوا على الناحية التسلمية ، فجرهم هذا الموقف إلى قبول كل ما وضعه الخراصون من المبالغات التى ضاهأوا بها ما ورد من أمثالها عن الأمم المختلفة ، معاصين بذلك كل ما ورد فى الكتاب من وجوب مجانبة الغلو فى القول ، وضرورة التثبت فى النقل ، والـتمحيص فى الرواية ، فجاءت السيرة المحمدية زاخرة بالأقاصيص الخرافية والروايات الموضوعة.."

"وقد تناول التأليف فى السيرة فى العهد الأخير رجال من أهل الثقافة الحديثة ، فوفوا بحاجات فى نفوس الناس وبقيت حاجات أخرى ... ولا يجوز أن تكون سيرة النبى صلى الله عليه وسلم على هذا النحو من النقص ، وخاصة فى هذا العهد الذى بلغت الشكوك فيه أبعد مـدى يمكـن أن تصل إليه ، ووصل الاستخفاف فيه بأمر النبوات إلى حدٍّ لم يبلغه حتى فى أظلم عهود الجاهلية."[2]

ويرى"وجدى" أن الحل فى الدفاع عن الإسلام باستخدام العلم الذى يرفض التشكك يقول[3]

"لقـد أصـبح القول الفصل اليوم للعلم وقد رفض هذا العلم كل ما عرض عليه من أسـاطير الأولين حتى العقائد التى بادت فى سبيل الدفاع عنها أمم برمتها ، وهذا العلم اليوم واقف لنا بالمرصاد ، ليفعل بعقائدنا مثل ما فعل بعقائد الذين سبقونا إليه ، والأمم الإسلامية اليوم محفوزة إليهم بحكم التربية العصرية ، فوجب على القادرين منا على حمايته من الخطر العلمى أن يعملوا على شاكلتهم فى هذه السبيل."

وأول قضـية تـناولها "فريد وجدى" هى النبوة وإثباتها ، وتدرج فى إثباتها من خلال معنى الإلهام لدى الحيوانات والعبقرية لدى الإنسان.فلنستعين هنا بعرض موجز وافٍ للدكتور "محمد رجب البيومى" مع تعليقه.

يقول .." البيومى"[4] "إن أول موضوع بدأ به الباحث هو موضوع عالجه الباحثون من قـبل ، ولكـن معالجة الأستاذ محمد فريد وجدى كانت جديدة من وحيه الخاص ، وقد قال إن الأدلـة المـنطقية على صحة النبوة كثيرة ، ولكن العقول المعاصرة تتطلع إلى الأدلة العلمية

---

(١)محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٤٠.

(٢) المصدر السابق : ص ٤١.

(٣) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٤) المصدر السابق : المقدمة ص ١٥.

الملموسة لا إلى الأدلة المنطقية المعقولة ، وعلى من يريد أن يتقدم بالدليل العلمى الشاهد فى رأى الباحث أن يتساءل عن أمور ثلاثة :-

١-"هـل فى الوجـود المحسوس ما يدل على حدوث معرفة الكائنات نفثاً فى الروع من غير طريق الحواس."

٢-"هل توجد حوادث إنسانية يقرها العلم نفسه تثبت وجود اتصال باطنى بين النفس وبين عالم أرقى منها."

٣-"هل يمكن أن يعترف العلم بوجود عالم روحانى فوق عالم المادة يسوغ اعتبار الوحى أمراً ممكناً؟

هذه هى الأسئلة التى تصدر الأستاذ للإجابة عنها بما يملك من جهد فكرى. فقال عن السـؤال الأول وهـو الخـاص بمعرفة بعض الكائنات لأشياء كثيرة نفث فى الروع من غير طـريق الحـواس ، قال إلهام الحيوان أمر ظاهر لا شك فيه فالفراش متى وصل إلى الطور الثالث من حياته يضع بيضة على أوراق خضراء ، وهذا البيض لا يفقس إلا فى الفصل الثانى بعـد وفاة الأم فيتهيأ الوليد الجديد ليأكل من الورق الأخضر ، ويتساءل الكاتب من الذى علم إناث الفراش أن صغارها تحتاج إلى الغذاء ، هل هدتها الأمهات إلى ذلك ، وهى لم تر أماً فى حياتها ، هل هديت إليها بعقولها ؟ إنها ليست ذات عقول فلم يبق إلا القول بالإلهام."

"ثم استعرض الأستاذ[١]حشرات وحيوانات شتى مثل : (النيكروفو) التى تموت بعد أن تـبيض مباشرة وتجمع جثثاً حيوانية لأولادها الصغار قبل أن تموت ، ومثل :(البومبيل) من آكـلة الحشـائش ، وقد هيأت لها الأم ما تتغذى به من الحيوانات لأنها فى الفترة الأولى من حياتها لا تستسيغ الحشائش ؟ فمن أدراها أن صغارها ستخرج من أكلة الحيوانات ؟ أمثلة شتى استعرضـها الأسـتاذ ليثـبت أن الإلهام يأتى نفثاً فى الروع لدى الحيوان ، فلا يستبعد لدى الإنسان ، ولم ينس أن يذكر ما قاله الطبيعيون فى الرد على ذلك بأن هذا الإلهام عادة موروثة فـهى داخلية إذن ، فقال مفنداً هذا الرد كيف يعقل أن تتفق عليها هذه الحيوانات فى كل زمان ومكان ؟ وكيف تورثها لأخلاقها ؟ وقد ثبت علمياً أن الوراثة للصفات والعادات غير ممكنة؟"

ويعقـب [٢]د."محمـد رجب البيومى"مؤكداً له وموضحاً "وأنا أزيد على الأستاذ فريد وجـدى فأتسـاءل ؟ إذا كانت هذه الاحتياطات عادات موروثة ؟ فكيف اهتدى إليها الموروث الأول ومـن الذى دله على أن يكتشف غيبا لا يكتشفه إنسان مفكر فضلاً عن حشرة صغيرة! إن الإلهام الخارجى ثابت إذن"

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٦ المقدمة.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦ المقدمة

"وفى الإجابــة على السؤال الثانى الذى يتساءل عن حوادث إنسانية يقرها العلم نفسه تثبت وجود اتصال باطنى بين النفس وبين عالم أرقى منها؟ ذكر الأستاذ ما عرف عن عقليات تتصف بالعبقرية تأتى بقفزات مدهشة!"

ويحــلل د."رجــب البيومى" اعتماد وجدى على العبقرية "والأستاذ لا يستشهد بالعبقرية ليثبتها لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو يرى أنه نبى موحى إليه[(1)]

"ولكــن مظاهر العبقرية لدى بعض البشر ، وهى الأمر الخارق للعادة ، والصفة التى لا تخضع لقانون ، هذه العبقرية قد وجدت فعلاً ، فرأينا من الناس – وقد شاهدنا ذلك عياناً فى مصــر – مــن يضــرب رقماً حسابياً مكوناً من خمسة أعداد فى رقم مماثل ويأتى بالنتيجة صحيحة فى سرعة عجيبة! فكيف اهتدى ذلك الشخص إلى الجواب ، وقد يكون أمياً ، لا شك أن اتصالا راقياً كان يمده بما لا يستطيع أن يقوم به كبار النابغين بديهة دون عدّ ، ومتى ثبت أن هناك اتصالاً للعبقرى ! فالأولى أن يكون هذا الاتصال العلوى للنبى !"

ويكــرر "الــبيومى" تعقيـبه[(2)] " مرة أخرى ، أقول إن الأستاذ وجدى لايثبت العبقرية لمحمــد ليجعلها أساس النبوة ، ولكنه يقول إذا تصورنا العبقرى فى الحياة بأعماله الخارقة !

---

(١) وللأستاذ فريد وجدى مقالات حول موضوع العبقرية نشرت فى مجلة الهلال سنة ١٩٣٥ ، وكانت على هيئة حوار ونقاش بين فريد وجدى وأمير بقطر ؛ تناولا فيها نشأة العبقرية ، وهل هى وراثية أم مكتسبة ، مع ذكر نماذج لأشهر العباقرة وكان وجدى يرى بأن العبقرية إلهام إلهى من عند الله عز وجل.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة / ص ١٦ ، ١٧.

يبدو أن الأستاذ محمد رجب البيومى قد خشى أن ينسب إلى فريد وجدى ما نسب إلى بعض اتباع مدرسة محمد عبده من إنكار النبوة والمعجزات.

وقد اتهم الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه القول الفصل – محمد فريد وجدى – بهذه التهمة وذلك حين علق على منهج فريد وجدى فى السيرة حين قال وجدى "وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى صرف كل ناحية إلى ناحية الإعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف. مسايرة لمذهب المبالغين. فى التثبت والمحافظين على إقامة الدستور العلمى ، ثقة بأن بحثنا لا تحترمه النخبة المثقفة ولا تجد فيه صورة صحيحة لمثلها الأعلى فى عرض المسائل وتحليلها لا يمكن أن يؤدى إلى ما قصد منه من الخدمة العامة .

– ويعلق الشيخ مصطفى صبرى قائلاً " يصرف مواطن الإعجاز عن الإعجاز ليرضى النخبة المثقفة ويؤول الأمور العادية لجعلها معجزة .. فظهر أن الأستاذ بعد أن تولى الوظيفة الأزهرية كالأستاذ قبله فى عقليته المناوئه للمعجزات ومذهبه مذهب المحافظين على إقامة الدستور العلمى الذى لا يقبل ما لا يمكن إثباته بدليل محسوس كالأمور الغيبية التى تؤمن بها الأديان ، وليس هذا إلا مذهب ملاحدة الماديين والإثباتيين أو الوضعيين .."

القول الفصل : مصطفى صبرى : ص ٣٧٣ ، القاهرة سنة ١٣٦١هـــ مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه .

وأتساءل لمَ هذا الهجوم ، فمنهج وجدى فى السيرة هو تحليل الأمور من خلال العلم ونسبها فى النهاية إلى القدرة الإلهية ، أليس هذا هو الإعجاز وكونه يلجأ إلى الأسلوب الأصعب على الكاتب والأيسر فى إقناع الناس ؛ أن يناقش ويحاور ليصل إلى الاقتناع والإيمان بهذه المعجزات يكون هذا هو الجزاء ؟ ! حتى لو جانب وجدى الصواب فى اتباع المنهج ، فلا يليق رميه بالإلحـــاد .

علماً أن المؤلف (مصطفى صبرى) سبق ونقد العنوان " السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة " متهماً وجدى بإنكار الخوارق ضمناً لما يستحيل به الجمع بين النقيضين " العلم والفلسفة " المصدر السابق ص ١٠ ، ١١ .

فمـن المعقول أن نتصور النبى بإلهاماته الصادقة ؟ فما العبقرى حينئذ إلا مثل مقرب فقط . وقـد اسـتعرض الأسـتاذ أمثـلة شـتى لأناس من الغرب أدهشوا العالم بخوارقهم الحسابية والرياضية والموسيقية والشعرية ناقلاً قوله عن الشهود لهم من كبار الأكاديميين فى إنجلترا و فرنسا لينتهى إلى وجود اتصالات روحانية باطنية تمد الإنسان عن طريق العقل العادى . "

أمـا السـؤال الـثالث عن اعتراف العلم بعالم روحانى فوق المادة ، فقد تحدث عنه الأسـتاذ وجدى بإشباع مستفيض فى كتاب على أطلال المذهب المادى ، ثم أوجز حديثه فى مقال مركز ليثبت ما قاله الروحانيون من أساتذة الجامعات الأوربية عن القوى المجهولة التى تظهر آثارها أمامهم ، ويحارون فى تعليلها ، ولكنهم على تحيرهم فى التعليل لايستطيعون أن ينكروا وجودها ، وهى تأخذ عليهم كل سبيل !

وقـد قـال الأسـتاذ وجدى فى خاتمة حديثه (١) " **ولسنا نريد أن نثبت إمكان الوحى بالاسـتناد إلى هؤلاء العلماء فيما وراء الطبيعة ، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التى طـبعت عـليها الحيوانات ، ومن حوادث العبقريات ، ولكنا نستأنس بها فى بحثنا هذا دلالة على أن الإنسانية قد اجتازت دور الافتنان بالماديات ، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تنفق فيه فتوحات الروح من طريق النبوة وفتوحات العقل من طريق العلم .** "

وهـنا يعلق د."محمد رجب البيومى"(٢) " على أننا إذا تأملنا ما أورده الأستاذ فى هذه النواحى الثلاث فإننا نجد الناحية الأولى ثابتة بنص القرآن إذ قال الله عز وجل : (٣)

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾

أمـا اخـتلاف العقـول قوة ونبوغاً وابتكاراً – وهى الناحية الثانية – فمن المشاهد المـلموس الذى لا ينكره أحد . فإذا نظرنا ثالثاً إلى تمسكه بما انتهت إليه الدوائر الروحية فى جامعـات الغـرب مـن شواهد دالة على وجود العالم العلوى ، فإننا نجد هذه الشواهد ، مما يستأنس بها فحسب ، كما قرر ذلك بنفسه ، أما حقيقة الروح فهى من أمر الله !

وقد قال الله عز وجل : (٤) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

" وإذا انـتهى الأسـتاذ من التدليل العلمى على ثبوت الوحى ، انتقل إلى التدليل على ثـبوت النـبوة ، فيـنكر أشد الإنكار أن يذهب الماديون إلى أن النبوة أثر من آثار السذاجة

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٧

(٢) المصدر السابق : ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة النحل : اية ٦٨ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

الإنســانية الأولى ، ويــرى أن الحاجــة إلى النبوة أصيلة فى النفس البشرية ، لأن المجتمع الإنســانى كالجسم الحى ينفى بقواه الذاتية كل ما لا حاجة إليه فيه ، ولم يستطع فى أى طور مــن أطــوار حياته أن ينفى رغبته فى العزاء النفسى أمام ما يصيب الإنسان من الكوارث ، وهو عزاء لابد منه أمام الكوارث المتتالية ، والخطوب المستمرة ، فقد يستحوذ الإنسان على المــال والجاه والسلطان ثم يعوزه العزاء حين يقعده المرض أو يصيبيه الموت فى أعز الناس لديــه ، فمــا يغنى عنه الثراء أو السلطان شيئاً ؛ ولكن عزاءه يكمن فيما جاءت به النبوة من وجــود ملتقى نهائى فى عالم الغيب به يجتمع الشمل ، ويهون الفقد ، هذه الحاجة الماسة إلى العــزاء وجدها الإنسان فى تعاليم النبوات – كما يقول الأستاذ وجدى – فهى التى تتولاه وهو أشــد ما يكون احتياجاً إلى كلمة طيبة تشرقْ عليه بالأمل ، كيلا يظل يائساً تصطدع فى نفسه الهمــوم فيحــاول صرفها بالشراب والرحلة والاندماج فى الملاهى دون جدوى لأنها لا تبرح نفسه أنى سار ! ولولا ما جاءت به النبوة من العزاء ما وجد السلوان . " (١)

انــتهى عــرض د."محمــد رجب البيومى" ، وأبدأ عرض لبعض المواقف فى السيرة المحمدية قام بتحليلها "محمد فريد وجدى" معتمداً كما ذكر على العلم والفلسفة ملزماً نفسه بمبدأ لا يحيد عنه يقول (٢) "التزمت فى هذه السيرة أن لا أتجاوز أصول الدستور العلمى ، فلا ألجأ إلى الظن فى موطن يمكن تفسيره بالعلل الطبيعية وحياة النبى حافلة بالآيات الدامغة فلا حاجة إلى ما يمكن الخصوم من تجريحه ..."

أولاً : نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم : (٣)

يفتتح "وجدى" قوله بتأكيد عمومية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فى المكان : " **لو كانت الحركة التى أحدثها الإسلام انحصرت فى بيئتها التى نشأت فيها ، لما ساغ لنا أن نذكر نصيب العالم منها ." (٤) كما ينفى وجدى شبهة ذات ظلال استعمارية على دعوة محمد صلى الله عــليه وسلم " لو كانت هذه الحركة ذات صبغة استعمارية باحتة ، لانحسرت بعد بلوغ شــوطها الأقصــى ، تاركة وراءها أحاديث الفظائع التى ارتكبت لتدويخ الأمم ، ولسلبها ما بأيديها من المال والعتاد ،ككل حركة من هذا النوع حدثت فى خلال العصور ."(٥)**

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٣: ٧٧ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ، الجزء الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٨هـــ .

(٤) المصدر السابق : ٧٣.

(٥) المصدر السابق : ٧٣ .

ويعــود وجدى ليؤكد عمومية الزمان والمكان معاً لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولكــن هذه الحركة لم تسكن حتى بعد وصول الفتوحات التى اقتضتها إلى نهايتها التى قدرت لها ، بل حتى بعد طروء الضعف والفتور على بنية الدولة الإسلامية التى تمثلها ، ويجب أن أقول حتى بعد أن ضاع استقلال
أكثر الممالك الإسلامية ، واشتد كلَب الدعاة على أهلها فى جميع البلاد الشرقية . "[١]

ويصل "وجدى" بالقارئ إلى مرماه وهو قوام تلك الدعوة المحمدية التى بقيت إلى الآن :يقــول[٢] " **وهــو يــدل دلالة لا تقبل النقض على أن قوامها عنصر أدبى له وقع عظيم فى الــنفوس ، لــبقائه مؤدياً مهمته فى أثناء دور الفتور الذى أصاب جماعته ، وقد شوهد أنه اشتد وازداد سلطاناً على العقول عندما بلغ هذا الفتور أقصى درجاته فى القرن الأخير .**

هــذا موضــوع دراسة علمية لا يجوز إغفالها ، بل هو موطن القصد الرئيسى من الرســالة المحمديــة ، إذا لم تكشف حقيقته ، وبقيت تحت حجب الإغفال ، استحالت السيرة المحمدية إلى مثل سير رجال التاريخ العاديين ، وبقى معنى الإسلام الذى استوعب كل حياة النبى صلى الله عليه وسلم ووجوده ، مجهولاً حتى أهله الأقربين ."

وحتى يحقق هذا الهدف يوضح لنا وجدى ما كان يفهمه المسلمون الأولون عن الدين:[٣] **"أنــه ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الأول الذى أوحاه الله إلى جميع رسله فى خلال القرون ..وأفسده القادة بالزيادة فيه والنقص منه .. "**

ويشــير "وجــدى" إلى مــا نشأ على جزيرة العرب من حواريى أهل الأديان الثلاثة ؛ اليهودية والنصرانية والإسلامية ، ورد القرآن لدحض شبهات اليهود وشكوكهم فى الإسلام . وقــد نشأ من هذا كله حوار استخلص منه الأصول التى يقوم عليها الإسلام ، وقد وضع فريد وجــدى أثنى عشر أصلاً بعضها يكرر نفس المعنى وكأنه يؤكده أو يزيده وضوحاً ، من هذه الأصول :-[٤]

" شرع الدين لتربية الإنسان وتكميله ، لا لتسخيره وتذليله .

قــوام الديــن العقــل ، ومادتــه العلم ، وميزانه الدليل ، العقل المطلق عن أسرار الأوهام التقــليدية ، والعــلم القــائم على الأعلام الوجودية ، والدليل الخالص من مؤثرات الأهواء النفسية.

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ٧٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٧٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٤ ، ٧٥.

ومـن الأصـول الـتى تحمل التكرار فى معناها:- **التكاليف الدينية ، المقيسة على الاستطاعة البشرية ، وللعاجز عن أدائها المعذرة."**

-"الديـن لا يحـرم على الإنسان إلا ما يضره ، ولا ينهاه إلا عما يفسده ، ولا يعاقبه على الخطأ والنسيان ، ولكن على العمد والإصرار."

-"دين الله واحد لا يتعدد ، وإنما تعددت الأديان بسبب ما أدخله عليه زعماؤها من آرائهم ، وما حملوهم من تأويلاتهم."

-"خلق العالم الإنسانى كله من أب وأم ، فجميع أفراده إخوان ، وقد انقسموا بسبب كثرتهم إلى شعوب وقبائل ، فيجب أن يتعارفوا ويتآلفوا ، لا أن يتناكروا ويتناحروا."

-"المثل الأعلى للاجتماع أن يكون الناس أمة واحدة ، يدينون بدين واحد ، هو دين البشرية الأول الذى نزل على أسلافهم ، ولكن بعد تجريده من زيادات المتزيدين ، وأهواء المتحكمين ، وأضـاليل المؤولين ، وأن يكونوا أمة عالية خاضعة لأحكام العقل، ومتمشية مع فتوحات العـلم ، وماضـيةً قدمـاً فى تحقيـق المثل العليا من العدل والإنصاف والمساواة والحرية والاستقلال ، والتطهر من بقايا الوحشية والصفات الحيوانية"

وبين "فريد وجدى" أن تلك الأصول مأخوذة من دفتى المصحف الشريف ، بينما الأديان الأخرى ملأهاأصحابها بالعيوب من ذلك(١)

١- "كـان الناس يعتقدون ، كما أوهمهم بذلك قادتهم أن الدين لا يتناول بالعقل ، ولا يتحكم فيه بالنظر ، فإنما هو إيمان تقليدى لا يجوز أن يتردد عقل فى قبوله."

٢-"أما الوساطة بين الله وعباده ، فكانت فى نظرهم ضرورية."

٣-"أمـا المسـئولية الشخصية فلم يكونوا يقولون بها ، لأن القائمين على الدين هم الذين يجيبون عنهم فى الآخرة ، وهم الذين يتولون عند الله الشفاعة لهم.

٤-" أما تفاضل النفوس فكان من الأمور المقررة عندهم (فهم يفضلون القادة والزعماء).

٥- "أمـا المـثل الأعلى للاجتماع فكان فى نظرهم ما هم عليه ، وإن كانوا أسرى للتقاليد ، وعباداً للخيالات."

وبعد أن عرض وجدى لتلك المفاهيم الخاطئة التى شاعت فى الأديان الأخرى ، يقرر قيمة ما جاء به القرآن من أصول **"هذه الأصول التى تولى نشرها القرآن ، ويصلح كل منها أن يكـون ثمرة لثورة اجتماعية ، اجتمعت بين دفتى كتاب ، فتألفت منها روح إلهية قامت بهـا أمـة .. وإذا شـوهد أن هذه الروح تزداد على مدى الأيام فتاء وقوة ، فلأن كل ترق**

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٦ ، ٧٧.

للإنســانية يظهــرها ، ويجــلى حقيقتها ، ويتولى إذاعتها ، فهى مما لا يعقل أن يضعف أو يزول بتمادى الأيام ، وكرّ الأعوام.(١)

ثانياً : تعليل سرعة انتشار الإسلام :(٢)

"إن السرعة التى انتشر بها الإسلام فى بيئات لا تعرف العربية وبدون دعوة منظمة ، قد حيرت مؤرخى العالم الغربى ، وهو حدث فى حد ذاته يوجب الحيرة ، لم يدون التاريخ له نظيراً فى حياة العالم كله."(٣)

ويشير "وجدى" إلى انتشار الدين اليهودى المحدود وانتشار الدين المسيحى بالجبر أحيانا وخاصة عندما اكتشفت أمريكا فى القرن الخامس عشر فخالفت بذلك سماحة المسيحية.

ويوضــح عمــق هذه القضية سرعة انتشار الإسلام يقول(٤)**"ولكن الإسلام الذى يحرم مثل هذا الإجبار فى نصوص صريحة من كتابه :"**

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾(٥)

.. ولم تكن له قط إدارة دعاية منظمة .. وبلغ عدد أتباعه فى نحو قرن واحد أكثر من مائة مــليون نســمة ، ثم استمر تياره فى السرعة ، حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن ، مقاوماً كل الدعايات السيئة التى تحاط بها سمعته."

ويوضــح "وجدى" العلة الطبيعية لكل ما سبق**"هذه الظواهر الغريبة لا يمكن تعليلها إلا بما ذكرناه ، من أن هذا الدين قد حمل إلى الناس روحاً إلهياً ، فيه من قوة السريان ، وعظم السلطان ، ما لجميع الحقائق الخالدة."(٦)**

ويذكــر مــثالاً مــن الأمم التى كانت تخالف العرب فى لغتها ولها مكانة**"مثل الأمة الفارســية العريقة فى السؤدد والمدنية بعد هزيمتها فى وقعة القادسية تحت قيادة سعد ابن أبى وقــاص، ....بدل أن تشتغل بدس الدسائس، وتدبير المكائد .. لإجلاء العرب عن بلادها إرضــاء لأنفــتها القومية ، أخذت تشتغل بالدخول فى الإسلام .. وتعلم لغة المغير عليها و حذقهــا ، والتبحر فى علوم القرآن وفروعها .. حتى سأل السائلون : ماذا كان يحدث لو لم يقول الفرس والديلم والأجانب عن العربية هذه العلوم الإسلامية؟"(٧)**

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ٧٧.

(٢) المصدر السابق : ٧٧ : ٨٣ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ، الجزء الخامس ، جمادى الأولى سنة ١٣٥٨.

(٣) المصدر السابق : ٧٧.

(٤) المصدر السابق : ٧٨.

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

(٦) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٧٨.

(٧) المصدر السابق : ٧٨ .

ويناقش"وجدى"سبب تهافت الأمم على الدخول فى الإسلام يقول[1]" **ألفت نظرهم لهذه الظاهــرة النفسية المدهشة ، التى تدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الأقوام تلقفوا مبادئ هذا الديــن لما آنسوا فيها أنها منزلة للإنسانية عامة ، لا لأمة خاصة .. فلم يقل مرة واحدة : يأيها العرب ، ولكنه قال عشرات المرات : يأيها الناس ، ويأيها المؤمنون.**

ولمــا رأوا أيضاً أن فى الإسلام غذاء أرواحهم ، وشفاء قلوبهم ، وسكن عقولهم ، ومطمأن نفوسهم." وأعطى وجدى فريد من الأمثلة[2]، مثال "**أن دعاية الإسلام تنجح حيث تخيب جميع الدعايات الأخرى.**"

ويقصــد بذلــك أن البعثات البشرية بكل إمكاناتها لا تلاقى النجاح الذى يلاقيه بعض التجار والدراويش الذين يدعون الإسلام.

وذكــر حــال بعض البلاد والأمم التى علا شأنها فى الإسلام كالفرس ومصر وأفريقيا وبلاد العرب وأوروبا وإسبانيا .

ويتســاءل"فريد وجدى" "لم يصل الإسلام إلى بعض الأمم ، وأمم أخرى ضللت فيه؟" وهــو لا ييــأس مــن غلبة الحق يوماً وتغلب الدين الإسلامى ولكنه يعلل ذلك قائلاً"[3] **ربما اســتغرب بــاحث أن لا تؤثر أصول الإسلام على سموها هذا فى العالم المتمدن ، كما أثرت فيمــا عــداه ، والواقع أن العالم المتمدن الذى استعصى على الإسلام ، هو أعصى ما يكون على العلم نفسه الذى كان ثمرة من ثمرات رجاله ، فلا يزال الناس فيه يعيشون على الضد بما يوصى به قانون الصحة، وما يتطلبه ناموس الأخلاق ، وما يتقاضاهم إياه علم الاجتماع ، وتصــيبهم على ذلك المثلات فلا يرعوون ... فهل يصح أن يقال اعتماداً على هذا : إنهم سيتســمرون على معاصاة الحقائق؟ اللهم لا ، فلابد لهم من متاب ، يوم يحدث تطور أدبى جديد ، فيتغلب العقل على الهوى ومتى حدث ذلك ظهرت أصول الإسلام هنا لك على أكمل ما هى عليه فى آية بقعة من بقاع الأرض وتم له الأمر**"

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾"[4]

ويقرر أن ذلك الأمر نتيجة طبيعية للأصول التى تشتمل عليها الإسلام.

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة: ص ٧٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق : ص ٨٢.

(٤) سورة ص : آية ٨٨.

ثالثاً : **نفسية محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها**[1]

ومن أفضل ما كتبه "فريد وجدى" ما تحدث عن نفسية الرسول صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها ، ليرد على من يذهبون إلى أنه ادّعاها إدعاءً دون وحى منزل!
بدأ فى سرد نشأة محمد إلى أن تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها. ثم استعرض ما تمتع به محمد من صفات خلقية حميدة.

لـم يظهر على محمد بن عبد الله كما يدل على ماسيئول إليه ، غير ميل كان فيه إلى السـكنية والتفكير وهو يعظم تلك الصفة قائلاً[2]"**وهى صفة لا يجوز أن تغفل أو أن يمر بها مراً ، لأنها مظهر ما استتر فى سويداء نفسيته من النزوع إلى أفق الروح ، والاتصال بعالم المـلأ الأعلى. وما لازمت هذه الصفة نفساً بشرياً إلا وجهتها هذا التوجيه الروحى على قدر مـا فيهـا مـن قـوة" وبعد ذكره لصفات الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة الصمت ، وانتصاره للحق وحبه للعزلة.**

وهنا يقف محللاً هذا هذا الأمر بالمنظور الفلسفى مرة وبالمنظور النفسى مرة أخرى فيتسـاءل[3] إلى مـاذا كان يتطلع من وراء هذا التزهد؟ وللإجابة على هذا السؤال احتمالين؛ **أولهمـا "لـزيادة مـوارده المادية. وثانيهما تحقيق مطامعه الاجتماعية ؟ولكنه يرفض هذه الإجابة ويناقشها يقول : "إن تحقيق هذين المطلبين لا يكون إلا فى الأسواق العامة ..**
لا كسر غار على رأس جبل لا يرقى إليه الطير ، لم تكن البيئة العربية التى تحفل بالمسائل الـروحية وتعظم مدعى تمثيلها بين الناس ... وما كان لهم من كبير شأن عند العرب حتى يطمع امرؤ فى أن يعد من زمرتهم"

هـنا يحار الفيلسوف[4] **.. ولا تجد الفلسفة إلا جواباً واحداً وهو أنه كان نافراً مما عليه قومه من الضلال البعيد ، كارهاً أن يشاطرهم هذه الحياة الحيوانية ، فلم ير إلا أن يلجأ للتفكير طلباً للهداية إلى سواء السبيل ...**

هذه كانت بداية كل نابغة كبير ، وكل مصلح عظيم. ولكن فليسوفنا لا يكاد ينتهى إلى هذه الحقيقة ويفرح بها حتى يعترضه أمر خطير . وهو أن محمداً لم يخرج من غاره نابغة

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٨٤ : ٩٥ : نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر ، الجزء السادس ، جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ هـ.

(٢) المصدر السابق : ص ٨٦ ، ٨٧.

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٨٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٨٩ ، ٩٠.

كـبيراً ، ولا مصـلحاً عظيماً ، ولكنه خرج خائفاً ترتعد فرائصه ! .. هنا يعترف الفليسوف بالعجز عن فهم ما حدث لمحمد ، ويترك مكانه للبسيكولوجى الخبير"[1]

"وهـذا البسيكولوجى كل ما يعنيه هو أن يتحقق ذلك الشخص الذى كان يظهر لمحمد ويكلمه

–يقصد الوحى –أهو صورة ذهنية أم حقيقية لها وجود فى الخارج ،لأنه يعلم أن ضروباً من الأمراض العصبية وخصوصاً الهستريا تظهر للمريض بها أشباحاً لا حقيقة لها.

وينهى"وجدى"تعليل البسيكولوجى لهذا المرض[2]"**إن الصور الهسترية لانتيجة لها غير إزعاج المـريض وإقـلاق راحته والتأدى به إلى الجنون أو ما يشبهه ، ولكن الصورة التى كانت تظهـر لمحمد كانت تهديه للخير ."فيلجأ الى تعليل آخر "فيذهب فكره الى الشبح الروحانى الذى كان يظهر لسقراط ...أولاً: لانتفاء أعـراض الهستريا فى خاتم النبين كما تقدم."**

"**ثانيا: لثبوت تحقق أمور غيبية كثيرة أفضى بها الملك الى محمد.** "

أعطى وجدى أمثلة كثيرة من القرآن منها قوله تعالى " ﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ "[3] ولكن البسيكولوجى يعود ليشكك فى هذا الملك[4] " **لا يزال يشك فى كنهه هل كان وجود خارجى أم هو صورة ذهنية لمحمد أوجدها عقـلة الباطنى ؟ لذاك تراه يعمل على استيعاب جميع مراتب الوحى فى أثناء نزول القرآن ، فأولها : الرؤيا الصادقة فى النوم . وثانيها : ما كان يلقيه الملك فى صورة من غير أن يراه .**

وثالـثها : خطـاب المـلك له عندما كان يتمثل له بشراً سوياً . ورابعها: رؤيته جبريل فى صـورته الـروحانية فيأخذ عنه .خامسها: ماكان يلقى إليه بصوت مثل صلصلة الجرس ، وكان هذا النوع أشده عليه ؛ فإن جبينه صلى الله عليه وسلم كان يتفصد فى أثنائه عرقاً فى اليوم الشديد البرد "

ولكن البسيكولوجى العصرى كما يصفه وجدى لا يقتنع باستقلال جبريل عن شخصية محمد الباطنية فيستعرض متأملاً الأعراض عند نزول الوحى عليه محمد صلى الله عليه وسلم . مـنها[5] " :– **أن ما ينسب للهستريا من الهذيان يحدث فى أثناء النوبة فإذا أفاق المريض**

.

---

(١) يقصد به عالم النفس.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة: ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سور القمر الآيتان (٤٤ ، ٤٥)

(٤) المصدر السابق: ص ٩٢.

(٥) المصدر السابق : ٩٢ ، ٩٣.

لـم يذكـر شـيئاً مما قاله . وهذا على عكس حالة محمد فقد كان لا ينطق فى أثناء الوحى بشىء حتى يتم ، فيعيد
كل ما ألقى إليه ويأمر بتدوينه " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ (١)

"أن موضوعات الهذيانات الهستيرية ، لا تخرج عادة عن تصورات وهمية تناسب الأعصاب المتعبة المريضة ، كتخيل المريض رؤية روح شرير يتوعده بالأذى أو يتقصده بالقتل ، أو يقلقه بالاستهزاء والتحقير ، ولم يشاهد هذيان هستيرى قط موضوعه نشر فضيلة ...وأنت خبير بأن موضوع الوحى الذى كان يتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم كان أكبر شأناً من كل ما اشتغل به العالم الإنسانى وهو إذاعة الدين الأول الذى أوحاه الله إلى المرسلين الأولين ، خالصاً من جميع الأوهام البشرية.. وقد أثرت هذه الدعوة فسرت بين الأمم سريان البرق ومهدت الطريق لأصحابها للحصول على زعامة الأرض حتى قرر أهل البصر أن مآل الناس قاطبة الى حظيرتها."

ويتساءل "وجدى" مندهشا (٢) فإذا كان هذا كله أثر هذيانات هستيرية ، ونوب مرضية، فماذا أبقيت بعد هذا للوحى السماوى والفيض الإلهى.."

هنا لا يتمالك البسيكولوجي نفسه فيخرساجداً لله وهو يقول (٣)اللهم ما أقوى سلطانك وأسطع برهانك ، أمى فى أقصى بيئة عن العمران، وأبعد مكان عن معترك العقول،...وبين ظهرانى أقوام لم يألفوا النظام... ينتدب أن يكون رسولاً للناس كافة فيدعوهم للكلمة الجامعة بينهم ...وضارباً لهم المثل العملى بالقيام بتأليف أمة عالمية ليس فيها ظل من نعرة القومية،ولا عصبية جنسية ، أمة كل ما فيها حق للكافة على السواء ، يسودها قانون أصوله الحقوق الطبيعية ...أمة رأس مالها المعرفة ، وأصل دينها العقل ،وسلاحها العلم ووجهتها الحكمة، وغايتها المثل الأعلى فى الحياة ".

ويختتم"وجدى" هذه المناقشات والجدل بين الفيلسوف والبسيكولوجى متساءلاً(٤) " لا يعقل أن يكون كل هذا من عنده ، ولابد أن يكون قد تلقاه من عالم علوى لا من هذا العالم الأرضى.لأن هذه التعاليم التى أتى بها محمد خاصة بالأفراد والجماعات والنظم والدستور ، أرقى من أية فلسفة نقلت لنا عن الأقدمين ، وأرقى من جموعها متضافرة ، متساندة ، وكثير من أصولها سبقت زمانها الطبيعي بعدة قرون ، .. ومن العجيب أن موحى هذه

(١) سورة طه : من الآية ١١٤ .

(٢) محمد فريد وجدى السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ص ٩٣.

(٣) المصدر السابق : ص ٩٤.

(٤) المصدر السابق : ص ٩٤ ، ٩٥ .

التعاليم يقرر أنها قد سبقت أوانها وأنها ستوجد من طريق النظر بعد زمان طويل ، فيعرف فضل الكتاب الذى أتى بها فقال "

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ "[١]

أى دليل على الوحى أقوى من هذا الدليل؟"

وقد تكرر فى فصول السيرة "لوجدى" مناقشته للرسالة محمد الخاتمة وتأثيرها فى العالم كافة ، منها.

رابعاً : مهمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم[٢]

تدرج فى إثبات نبوة محمد والرسالة الإسلامية ؛ بأن ناقش أولاً تنازع أصحاب الأديان لقب الدين العام ؛ ناقش أولاً الديانة اليهودية وسماها (الإسرائيلية) "**فلا نص فيها على أنها هى الديانة العامة التى شرعها الله للناس كافة ... وكتابهم حافل أنها ديانة أسرة بشرية واحدة هم بنو إسرائيل دون سواهم.**"[٣]

أما الديانة المسيحية "**فإن أهلها يعتبرونها الديانة الأخيرة العامة مستندين فى ذلك إلى اشتمالها على البشرى. بخلاص العالم من اللعنة التى أصابتهم بسبب عصيان أبيهم آدم لله.**.[٤] وقد استعرض "وجدى" مبررات استبعاد تلك الديانة أن تكون عامة للبشر من تلك الأسباب:-[٥]

١- "**قيامها على مبدأ الزهد والتخلص من علائق الدنيا ؛ والحياة الاجتماعية تأبى ذلك ، ولا أدل عليه من أن الأمم الآخذه بهذا الدين تقوم على المبالغة فى الاستكثار من المال ، وفى التورط فى علائق الدنيا خلافاً لما يوصيهم به.**"

٢- "**إبطالها أهم أركان التشريع ، وهو منع الاعتداء بالقوة ، والضرب على أيدى الجناة لكف أذاهم عن الناس ، وإصلاحاً لنفوسهم ...**"

ووجدى يعلق بأنه لا ينكر سمو هذه المبادئ ، ولكنها لا تتناسب مع كونها ديناً للعامة. ثم انتهى إلى سؤاله ؛ هل يصلح الدين الإسلامى أن يكون هو الدين العام.

وأتى بالأدلة التى تؤيد هذا الصلاح :-[٦]

---

(١) سورة فصلت : من الآية ٥٣.

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٩٦ : ١٠٧ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر الجزء السابع ، رجب ١٣٥٨ هـ.

(٣) المصدر السابق : ص ٩٨ بتصرف

(٤ المصدر السابق : ص ٩٩ بتصرف.

(٥) المصدر السابق : ص ١٠٠.

(٦) المصدر السابق : ص ١٠١.

أولاً : الآيات القرآنية وسبق أن أشار إليها وهى قوله تعالى " وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ "(١)

وقوله تعالى " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ "(٢)

فبهذه الآيات لم يعد هناك شك فى أن الدين الإسلامى هو الدين الخاتم ، لكن وجدى استعرض المقدمات البديهية من وجهة نظره لهذا الدين . يقول (٣) " **وهو لأجل أن يقيم هذا التطور الدينى الجلل على المسلمات العلمية وهى باختصار :- منها**

- **أن الله لا يخل أية أمة فى الأرض من الهداية بواسطة رسول ، فقال تعالى :- (٤)** إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
- **إن الأمم كانت تقابل هذه الهداية بالاستعصاء ، إلا أفراداً قليلين .**
- **إن الأمم التى كانت تأخذ بالأديان ، كانت تعمد إلى تحريفها لتتفق وما هى عليه من وثنيتها . وكان لزعمائها مصلحة فى ذلك التحريف وهى استغلال جهالات تلك الأمم لحفظ مكاناتهم**

" (٥) أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

" أن هذا الدين الحق الفطرى الذى أرسله الله إلى الأمة كافة بلسان رسوله ، قد أعاد الله إنزاله محمد صلى الله عليه وسلم رفعاً للخلاف الذريع بين الأديان مع وحدة أصلها ..

- دين البشرية وحدة لاتتجزأ تشمل الإيمان بجميع من أرسلهم الله من رسل (٦) "

قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

" (٧) إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب : آية ٤٠.

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٠١ ، ١٠٣ بتصرف .

(٤) سورة فاطر : آية ٢٤ .

(٥) سورة البقرة : آية ٧٥ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٣٦ .

(٧) سورة آل عمران : آية (١٩: ٢٠)

يريد أن ينهى قوله بأن ما صنعه محمد دليلاً قاطعاً على نبوته وأن ما يصنعه وحياً إلهياً لأنه لا يستطيع بشر صنعه ، خاصةً ونشأة محمد لا تساعده على ذلك .

خامساً : **نظرة فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية وما تنم عنه من العوامل** .[1]

أمـــر الـــح عليه"فريد وجدى"هو محاربة المذهب المادى الذى لا يعترف بالرسالات وهى قوة روحية إلهية تنطق بإعجاز الله وإرادته. يقول[2]"**فقد اشتدت وطأة المذهب المادى عليهم حتى أنكروا المحسوسات ، فإن لم يستطيعوا إنكارها أولوها تأويلات شتى ، وذهبوا يتلمسون لها عللاً طبيعية ، للتوصل إلى إثبات أنها أمور إنسانية بحتة ، لا أثر لعالم الروح فيها ، إذ ليس لهذا العالم وجود حقيقى فى نظرهم.**"

ولكنهم على الرغم من ذلك فإنهم يعترفون بأمور خمسة يناقشها "وجدى" تباعاً ويوضح السبب فى مناقشـــتها قائلاً[3]"**نحـــن نعالج كل هذه الأمور لإثبات صحتها ، وبذلك نقضى على أمهات الشبهات التى يكثر من ترديدها خصوم الإسلام للإدلال على أنه دين بشرى**"

الأمـــر الأول[4]: إن شـــدة مقاومة الجاهليين للدعوة الإسلامية دلت دلالة قاطعة على فساد ما زعمه خصوم الإسلام من أن العرب كانوا قبل البعثة المحمدية فى دور نهوض"

ويـــناقش "وجدى" هذا الأمر ؛ فقد فر المسلمون بدينهم إلى أرض الحبشة رغم تعصب المسيحية فيها "**فـــلو كان لدى القرشيين نزوع إلى النهوض لوجدت هذه الدعوة إقبالاً منهم ، فإن لم يكن إقبالاً فتسامحاً يهيئ النفوس للتطور الجديد المنتظر.**

ولكـــن الـــذى رأيـــناه أن مـــا قوبلت به هذه الدعوة من النفور والاستيحاش ، يقتلع فكرة النهوض من جذورها ويرمى بها إلى مكان سحيق. "[5]

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾

"**مم عجبوا؟ ألم يسمعوا قط أن الله أرسل فى جميع العصور إلى الأمم منذرين حذروهم ، مما تورطوا فيه من الآثام ، فأى عجيب فى أن يرسل الله إليهم منذراً منهم ، لا جرم أن التعجب مـــن هذا الأمر يدل على أنهم كانوا مطمئنين إلى حالتهم إلى حد أنهم ما كانوا ينتظرون أن يسمعوا من جراء التمادى فيها نذيراً ، ومن جسر على ذلك منهم اعتبروه ساحراً كذاباً!**

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٢٨ : ١٣٨ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد العاشر ، الجزء العاشر ، شوال ١٣٥٨ هـــ (بتصرف).

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٨.

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق : ١٢٩ ، ١٣٠.

(٥) سورة ص : من الآية (٤)

و الأدل من ذلك على أنهم كانوا مجردين من بواعث النهوض ودواعيه الأولية ، قولهم كما حكاه الكتاب الكريم عنها : " مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ [١]

يـريد بالمـلة الآخرة الديانة التى كان عليها آباؤهم. وهذا يسجل عليهم أنهم كانوا شديدى المحافظـة على تقاليدهم لا يبغون عنها حولاً ، حتى إن كل ما جد من الأمور لا يقيمون له وزناً ما دام لم يرد إليهم عن طريق ديانة آبائهم."

ويجـرى هـذا المجرى فى الدلالة على تجردهم من جميع الحوافز للنهوض قولهم كما حكاه القرآن الكريم عنها[٢] إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

الأمـر الثانى :[٣] رسوخ المسلمين فى عقائدهم إلى حد صبرهم على الاضطهاد والاستشهاد فى سبيلها.

"إن تاريخ العالم حافل بصنوف الاضطهادات التى عومل بها المبتدعة والمخالفون ، سـواء أكـان مثارها خلافات دينية أم سياسية ، تكشف لنا مبلغ ما تستطيع العقيدة أن تمد صـاحبها به من الصبر والثبات ، حتى تصل به إلى أقصى حدود البطولة ، ولكنا فى كل ما رأيناه لم نشهده فى طبقة العبدان والإماء ، كما شهدناه إبان الدعوة الإسلامية ... أن عدداً لا يستهان به من الأرقاء ذكوراً وإناثاً ،دخلوا فى الإسلام ، فحمل ذلك ساداتهم على تعذيبهم بالحديد ، فلم يرجع منهم واحداً أو واحدة إلى ملتها"

"وهـذه الحالة من الاستهانة بالحياة فى سبيل العقيدة فى أمة كالأمة العربية التى لا يحفظ عنها تاريخها كبير عناية بالدين ، تعتبر ظاهرة عجيبة ، ويزيدها قيمة أنها وقعت فى شعب غير متطور فى الناحية الدينية كغيره من الشعوب الكبيرة ، فلم يسمع فى تاريخ العرب كله أن قبيلتين اقتتلتا لنصر وثن على وثن ، أو لتأييد فهم جديد لأمر من أمور الدين."

الأمر الثالث :[٤] "حدوث انقلاب لا نظير له فى النفسية العربية بسبب الإسلام وحده ، إذ أيقظ فيها العاطفة الدينية.

"هـذه عـلة للأمـر السابق ، فلولا أن الإسلام أيقظ العاطفة الدينية فى نفس الأمة العـربية ، لمـا كـان يعقل أن يتعصب له ناس فيقيمونه فى وسط ملة معادلة له ذات كثرة ونخوة جاهلية ، ويقفون به وقفة بطولة راضيين بأن يتأملهم أشد ضروب الإيذاء فى سبيله

---

(١) سورة ص : الآية (٧).

(٢) سورة الزخرف : من الآية (٢٣)

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣١ : ١٣٣.

نعم إن النفوس البشرية لا تتجرد من العاطفة الدينية ، وكان للعرب الجاهليين قسط منها ، بدليل ما ورد من أخبار أصنامهم وأساطيرهم ، ولكن هذه العاطفة عندهم كانت ضعيفة إلى حد بعيد جداً."

ويؤيد "وجدى" هذا بقوله[1] .. **"لم يكن ببلاد العرب رجال رسميون للقيام بالخدمة الدينية ، عدم وجود كتاب مقدس لدى عرب الجاهلية ، يجمع بين دفتيه ما كانت تدين به من العقائد ، فبعث هذه العاطفة القوية فى قلوب أمة هى أعصى أمم الأرض قياداً ، وأشدها عناداً ، يعتبر من الأمور التى لا يعقل حدوثها فى سنين معدودة ، فأى عقل لا يحار عندما يلقى بنظرة على الأمة العربية قبل البعثة المحمدية فلا يجد فيها غير حروب تشب نيرانها ، وغارات يثور عجاجها .. فإذا ألقى عليها بنظرة بعد البعثة وجد فيها سلاحاً ضارباً سرادقه فوق الكافة ، وأخوة محقت ما كان من آثار الجاهلية"**

ويكرر تساؤله[2]" **أى عقل يحار إذا شهد هذا الانقلاب الذريع وتدبره ، هذا المنظر وحده يشهد برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد أن هذا الدين روح من أمر الله أنزلها على العرب ،كما أنزلها على غيرهم من الأمم ، فقامت تنفذ ما أراد الله أن يتم على يديها من الأحداث العالمية الخطيرة."**

الأمر الرابع :[3]غلبة الدعوة الإسلامية على أمة برمتها فى حياة صاحبها ، حادث لم يعهده الناس فى تاريخ وجودهم.

يزعمون أن الدعوة تمت بالإجبار لا الإقناع ، والدليل على زعمهم ، الحروب الطاحنة فى تاريخ الأمة العربية.

ويدافع "وجدى" رافضاً هذا الزعم مذكراً القارئ بأن النبى صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وحيداً ، فأول من لباه زوجته ، ثم أفراد من أسرته ، ثم بعض معارفه .. ثم بين كيف عانوا من العذاب حتى فروا بدينهم ، فأى إكراه فى هذا؟ !

"إن كل دعوة فى الأرض متى تحصلت من طريق الإقناع على أنصار يكفون لحمايتها وإذاعتها آمنت أن تتهم بأنها انتشرت بالإكراه وإن سلكت طريق الإكراه فى حمل بعض الجماعات على مشايعتها. فقد يكون فى بقاء تلك الجماعات مشاقة لها خطر على كيانها ، فيكون من حقها الاستيثاق لوجودها... أرأيت إن كانت حكومة ملكية تقوم بإزائها جماعة

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٣٢.

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٣.

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٣ : ١٣٦.

تـرمى إلى قلـبها جمهوريـة ، وقامت هذه الحكومة تأميناً لسلامتها بإجبار خصومها على الخضوع لها".[١]

"وهـذا ما فعله الإسلام ؛ فإنه بعد أن حصل من طريق الإقناع على جماعة تؤيده ، ودافـع عن نفسه بها ضد الغارات التى تواترت عليه من خصومه ، رأى أن وجوده سالماً وأداءه للرسـالة الـتى شـرع من أجلها لا يمكن أن يكون إلا بعد تطهير بيعة الإسلام من الوثـنية التى لا تفتأ تهدد بالانتقاض عليه فى كل وقت ترجى فيه أن تتغلب عليه. وقد حدث ذلـك بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم إذا ارتدت قبائل العرب ، وندت كما تند الإبل غفل عنها قائدها ، فأعاد أبو بكر رضى الله عنه الأمر إلى نصابه ، وأجبر هذه العناصر الجاهلية على لزوم الطاعة."[٢]

وبعـد مناقشـته العقلية المنطقية يقول[٣]" ثم لو نظرت فرأيت أنها بقيت بعد موت صاحبها ، ونمـت نمواً عظيماً ، وتفرعت شجرتها إلى كل اتجاه ، وأثمرت ثمرات لفتت بها نظر العالم إليهـا ، ولـم تـزل تثمر حتى شهد بخصبها جميع أهل الأرض ، كل هذا يدل على أن هذه الدعوة روح إلهية من نوع الأرواح التى يرسلها الحق لإحداث الانقلابات الكبيرة فى الأرض ، ولكـنها فى هذه المرة دعيت لإحداث أكبر حدث عرفه البشر تغير له وجه الأرض ، ولما تفرغ من مهمتها بعد."

الأمر الخامس[٤] : تحقق كل ما أنبأ به صاحب الدعوة من الحوادث الجسام قبل حدوثها ، يدل على اتصاله بالعالم العلوى ، وهذا من أقوى الأدلة على نبوته !

"مـن أعجب ما لازم الدعوة الإسلامية من علامات النبوة .. تأكيدات الحق جل وعز بـأن الله سينصـر أهـلها على أعدائهم ، ويجعل كلمتهم العليا وكلمة الجاهليين السفلى فلا مشاحة فى أن هذه التأكيدات تعتبر من أعلام النبوة."

وقـد ذكـر"وجـدى" أمثلة من القرآن ؛ يوضح سبب النزول أولاً ليهىء القارئ لوجه الإعجاز. من ذلك يقول "مثل تبشير المؤمنين بأنهم سيخولون خلافة الله فى الأرض ، نزلت هـذه الآية حين كانوا بعد هجرتهم يبيتون ويصبحون فى سلاحهم ، قائلين : هل يأتى علينا حيـن مـن الدهر نؤدى فيه شعائرنا آمنين فى سربنا ، مطمئنين على وجودنا ؟ وهو قوله تعالى [٥]: وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة: ص ١٣٤.

(٢) المصدر السابق : ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٣ – ١٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٦ : ١٣٨.

(٥) سورة النور : آية ٥٥.

"ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ (55) "

وقد تحقق مؤدى هذه الآية ، فآلت إلى الأمة الإسلامية خلافة الله فى الأرض والمراد بالخلافة كما هى فى الآية الكريمة زعامة العالم ، لا الخلافة فى الحكم ، بدليل قوله تعالى فى تلك الآية:" وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

سادساً : موقف الأوس والخزرج(١)

من القضايا التى أرقت "وجدى" فأطال فى تحليلها ، كلما دعت الحاجة ، وسنحت الفرصة ؛ إسلام العرب وقبولهم الدخول فى الإسلام بسرعة تثير التساؤلات.

يقول-(٢) "وجدى" فى دخول الأوس والخزرج فى الإسلام "**رأينا أن نقف فى هذا الموطن هنيهة للنظر فى التعليلات التى أبديت لتفسير الإسلام الفجائى لقبيلتين لا تمتان بسبب إلى أية دعوة دينية ، لا يغنيها من أمر النهوض الاجتماعى للأمة العربية مالا يغنى غيرها"**

وهنا يرفض "محمد فريد وجدى" التعليلات الإسلامية وغير الإسلامية فى هذا الأمر ويبرر ذلك قائلاً(٣) :"**لأنها لا تقنع الخبيرين بعوامل التطورات النفسية والاجتماعية ، ولا تبين من حقيقة هذا الأمر الجلل ما يجب أن يعرف ؛ وخاصة فى هذا العصر الذى لا ينخدع أهله بالخلابات الكلامية"**

"إنى أرى فى هذا الأمر حادثاً اجتماعياً لم يسجل تاريخ التطورات النفسية والاجتماعية له مشبها ، فإن كل ما لا يمكن تعليله بعلة طبيعية يعتبر آية ، فهو آية يزيدها مر الأيام جلالاً وعظماً."

ولكن "وجدى" يحيل الأمر لمناقشة علمية يقول(٤)"**ولكن المدار على وضع هذه المسألة وضعاً علمياً تصلح معه لأن تحلل إلى عناصرها الأولية."**

وهو يبرر هذا الأمر "من قوة السريان فى الديانة الإسلامية .. يكشف من أسرار هذا الروح الإلهى ، وهو الإسلام ، ومن صحة رسالة الداعى إليه وهو محمد ، مالا تكشفه أية ناحية أخرى."

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٣ : ١٤٨ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد الحادى عشر ، الجزء الأول ، المحرم ١٣٥٩ هـ.

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٣ : ١٤٤

(٤) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٤ ، ١٤٥.

وقــد نــاقش التعليلات فى هذا الأمر بادئاً بكتاب السيرة يقول[1] "**إنه تعليل يفرح به الذين لا يرون فى حوادث الدعوة الإسلامية إلا أموراً عادية يمكن تعليلها بعلل طبيعية**" .

أمــا تعليــلهم بدخول الأوس والخزرج فى الإسلام فهو كثرة الخلافات بينهم وسيادة اليهــود فى المدينة وقولهم بأن هناك نبياً سيتبعونه لتتم لهم السيادة للأبد .. وقد رفض "وجدى" هذه العلة وأسباب ذلك :-

أولاً : لأن الأوس والخزرج أسلموا بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة فأين كانوا منذ بدايتها.

ثانيــا : لــم لم يسبقهم اليهود بالإسلام إن كان هذا لأمر صحيحاً ، وكيف يصرح اليهود بهذا الأمر الذى سيحقق لهم السيادة لأعداءهم الأوس والخزرج.

ثالــثاً : أن الأوس والخــزرج كانوا بحاجة لمن ينصرهم لا أن ينصروا قوم مستضعفين مثل المسلمين فى بداية الدعوة .

ويــبين "وجــدى" هذا التناقض فى قول كتاب السيرة[2] "**أجمع كتاب السيرة على أن الأوس كانوا أوفدوا رجالاً منهم لطلب معونة قريش ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قابلهم ودعاهم للإسلام للاستنصار بالنبى صلى الله عليه وسلم على أعدائهم ؟**"

كما يرفض "وجدى" القول بأنهم كانوا على ثقة بنصر الله لنبيه فهو خارج عن العقل لأنهم لا يعــرفون من أمر النبوات إلا ما ينتقل إليهم بالسمع وكيف يتمكن الإيمان داخل نفوسهم طفرة هكذا؟

أمــا تعــليلات غيــر المسلمين"**أن الأوس والخزرج أرادت أن تتخلص من الحروب المزمــنة فيمــا بينهما فلجأت إلى الدين الجديد**" وهو أمر مرفوض لأن هذا سيعرضهم لعداء قــريش ، أى أن الحــروب لــن تنقطع بل ستكون أشد ضراوة لأن قريش تريد الحفاظ على مكانتها وسلطانها.

ومــن الأسباب المتخيلة أن الأوس والخزرج طمعت فى المغانم التى قد تحصل عليها مــن اشــتراكها فى الديــن الجديــد ، ويستنكر "وجدى" هذا الرأى متساءلاً هل بلغت الأوس والخزرج من التطور العقلى والتهذيب النفسى ما يجعلها تنضم إلى الدين الجديد حباً فى التآلف وهو أمر غير مقبول ؛ لأن هذا لم يكن معروفاً عنهم.

ويظل "وجدى" يفند العلل والأسباب ليصل بنا فى النهاية إلى رأيه الخاص :[3]

"**فــلم يــبق أمامنا إلا تعليل واحد ، وهو أن قيّم الوجود تعلقت إرادته أن يحدث فى العــالم الإنسانى انتقالاً جديداً ، بإرسال خاتم المرسلين اصطفاه من بلاد العرب ، أبعد بيئات**

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٤٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٥.

(٣) المصدر السابق: ص ١٤٨.

العالم عن توليد الانقلابات الاجتماعية ، ليكون أمره كله إعجازاً فى إعجاز فبث فى روع قبيلتين فيها هداية إجماعية ، هو أمر بعيد الحصول فى عالم التطورات العقلية

وفى نهاية إثباته لهذه العلة التى يسلم بها تماماً ينهى مناقشته لهذا الأمر قائلاً "اللهم إنى عجزت عن تعليل هذا الأمر الجلل بالعلل الطبيعية ولا أراه إلا آية إلهية ، وكم فى الأرض والسموات من آيات يتخيلها الجاهلون أموراً عادية"[١]

نظرة علمية تحليلية فيما سبق.

توقف "وجدى" أثناء سرد أحداث الهجرة تحت العنوان السابق ، تعجباً من صبر النبى على إيذاء المشركين يقول :" **إن صبر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة على هذا الاضطهاد البالغ أقصى حدود الوحشية ، إذا لم يكن فوق الطاقة البشرية ، فإنه يشف عن عقيدة راسخة فى رسالته"[٢]**

"فوجدى" يتعجب من شدة تحمل محمد صلى الله عليه وسلم وصبره رغم تولى أيام الشباب ووصوله إلى الخمسين ثم الستين ، رغم قسوة الكفار وشدة اضطهادهم حتى دفع إلى أشد المسلمين إيماناً وأحبهم له يستأذنه فى الهجرة "الصديق أبى بكر".

ويرجع "وجدى" هذا كله إلى ثقة محمد بربه ونصره يقول[٣]"**فهذا الثبات المحير للعقل فى وسط هذه المخاوف الموجبة لليأس لا يمكن أن يعزى لفضيلة الشجاعة فحسب ، لأنها جاءت مصاحبة لثقة تامة بالخلاص والفلج ، وهذا لا يكون بغير وحى."**

كما ناقش "وجدى" فى تحليله عدم تتبع قريش الكافى للنبى كخصم وعدو لدود "**ولسنا نكتفى بهذا ، ولكنا نقول : كان يجب عليهم أن يقيموا فى كل الطرق التى يمكن أن يتسرب منها إلى يثرب كبكبة من الفرسان ، تقطع الطرق على خصمهم كما هى عادة من يهمهم القبض على خصم فإذا لم يفعلوا مع تحليهم بأرفع صفات الحيطة الحربية[٤]**

"فإن تفسير "وجدى" للموقف يقول[٥]"**فإن إغفالهم له قد فسر بأن الله قد صرفهم عنه ، ولو كان لدى دليل على هذا الصرف لقلت به.** "ويعود "وجدى" ليذكر نفسه ويذكرنا بمنهجه

---

(١) لم أقرأ لأحد مثل تحليلاته وكأن كتاب السيرة أرادوا أن يجعلوا كل الأمور عادية طبيعية ظناً منهم أن هذا أقرب إلى العقل والمنطق ونرى وجدى الذى يحاول الوصول بالعقل لتصديق وقبول معجزة الإسراء والمعراج ، وكأنه يخلل الأمور ليصل بنا هنا إلى أنها آية إلهية فى حين يرفض استخدام المنطق والعقل.ورغم ظاهر التناقض فأنا لا أرى تناقضاً ففى الإسراء والمعراج مظاهر توصل إليها العلم فأراد وجدى تطويع الأمر الأقرب إلى العقل وإن كنت لا أعلم بوضوح مبرراً لوجدى ففى نظرى كل الأمور واحدة .

(٢) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق : ص ١٥٢.

(٤) المصدر السابق : ص ١٥٣.

(٥) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

الذى وعد الالتزام به من اتباع أصول الدستور العلمى فيقول[1]"ولكنى التزمت فى هذه السيرة أن لا أتجاوز أصول الدستور العلمى ، فلا ألجأ إلى الظن فى موطن يمكن تفسيره بالعلل الطبيعية ، وحياة النبى صلى الله عليه وسلم حافلة بالآيات الدامغة ، فلا حاجة بها إلى ما يمكن الخصوم من تجريحه. لذلك فأنا أفسره بأنه تغاب من قريش عماهم بصدده ، كما تغابوا عن هجرة كبار الصحابة إلى يثرب ، كأنهم اكتفوا بأن يبعد عنهم النبى إلى حيث لا يراه العرب فى مواسم الحج فيفتتن بعضهم ببيانه وشدة عارضته."

سابعاً : دفاع وجدى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى محاربته لقريش. [2]

"ولما كان القرشيون قد صارحوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحرب ، ولو كان تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم فى حالة حرب وعاملهم على موجب هذا الاعتبار.

هنا لابد لنا من نفى شبهة كثيراً ما أثارها خصوم الإسلام ضده ، إذ قالوا : إن الإسلام دين شرعت فيه الحرب ، والدين يجب أن يتنزه عن ذلك فلا يدعو إلا إلى السلام ، لأن الحرب من بقايا الوحشية الأولى ولا يجوز أن يعتمد عليها دين إلهى أنزل ليكون رحمة للعالمين."[3]

ويوضح "وجدى" جهل من يثير هذه الشبهة بعلمى الاجتماع وتاريخ الأديان يقول[4]

"لا جرم أن الذين يدلون بهذه الشبهة لا يعرفون من طبيعة العالم الأرضى ومن عوامل الاجتماع الإنسانى ، ولا من تاريخ الأديان السماوية ، ما يجب أن يعرف ليجئ حكمهم عادلاً ، ورأيهم مسدداً . إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ، ليس فيما بين الناس فحسب ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم ، وفيما بين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه ولا تشذ عن هذه القاعدة العامة الحيوانات ولا النباتات أيضاً " ..

ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذى اكتشفه دارون وروسل ولاس ودعواه ناموس تنازع البقاء ...

وقد أشار الله إلى خطر هذا الأصل العظيم بقوله تعالى فيما يتصل بالإنسان "وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾" [5]

وحتى تتضح الأمور يبين وجدى هذا ببعض الأمثلة يقول عن المسيحية "العداء الذى تلقته

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٥٣

(٢) المصدر السابق : نقلاً عن مجلة الأزهر : المجلد الحادى عشر ، الجزء الرابع ، شهر ربيع الثانى ٣٥٩ هـ. ص ١٦٤ – ١٦٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٤.

(٤) المصدر السابق : ١٦٤.

(٥) سورة البقرة : من الآية : (٢٥١) .

واضطهاد أهلها ثلاثة قرون يقول[1] " إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الأمبراطور قسـتنطنطين الرومانى ، واتفق أنه كان يدين بالنصرانية ، فلما ولى الملك أعمل السيف فى الوثنيين .. وأجبرهم على قبول المسيحية ديناً لهم ..

وأفادهم هذا الدرس القاسى فى ضرورة استخدام السيف لنشر الدعوة حتى دانت لهم أوربا كلها."

أمـا عـن الجاهليين يقول[2] "أو لم تر أيضاً كيف تصدى الجاهليون لمحمد صلى الله عـليه وسلم فمنعوه عن نشر الدين الذى أوحاه الله إليه ، وانتهى أمرهم بالتألب عليه لقتله .." هذا عن الحرب أما عن السلم فيواجه الاتهامات[3] يقول المعترضون : وماذا أعددتم من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعتها من طريق التحكيم ، وهذا قرآنكم يدعوكم للجهاد ويحثكم على الاستبسال فيه؟

نقول : أعددنا لهذا العهد قوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [4]

هذه حكمة بالغة من القرآن ، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة ، وهى أدل دليل على أنه لـم يشرع الحرب لذاتها ، ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التى لابد منها ما دام الإنسان فى عقليـته ونفسيته المأثورتين عنه ، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمى يتفق فيه على إبطال الحرب ويزيد هذا الأمر اتضاحاً أن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناحر بين الأنام " فقال تعالى[5] ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾

ثـم يشير "وجدى" إلى الحروب الدائرة فى القرن العشرين للضرورة وهى نفس الضرورة التى كان فيها المسلمون فى القديم.هو تحطيم مبدأ التناحر وإن كان هناك ضرورة تدفعها إلى ذلك ، فالضرورة التى دفعت المسلمين فى دور التكون لتحمى وجودها أولى.

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٦٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق : ١٦٥ ، ١٦٦.

(٤) سورة الأنفال : آية (٦١).

(٥) سورة الأنفال : آية (٣٩).

ثامناً : الأمور الخارقة للنواميس الطبيعية فى وقعة بدر(1)

قـد أفرد"وجدى"صفحات وصفحات لغزوة بدر ؛ عرض وحلل وناقش جزئياتها ، من هذا تحليله لانتصار المسلمين.

"قـد يقول معترض(2) : ليس فى انتصار محمد فى وقعة بدر ما يصح أن يجعل فى عـداد المعجزات النبوية. فإذا كانت جميع عوامل الغلب تنقص المسلمين فى تلك الموقعة ، فهنا لك عامل خطير جداً كان متوافراً لديهم وهو الثقة المطلقة فى نبوة قائدهم ... وخاصة إذا كانوا يعتقدون أنهم إذا ماتوا انتهوا إلى جنة عرضها السموات والأرض"

ولكـن" وجـدى" لا يقتنع بهذه العلة ولا يرضى بهذا التحليل ، ولذا أخذ يفند الأسباب المـرجحة لانتصار المشركين. يقول(3) : **"إن هذه الشبهة فى ظاهرها قوية" ، لاستنادها إلى أصول بسيكولوجية ، ولكنها فى الواقع شعرية خيالية ، ... لا سيما وقد كان معظمهم قريبى عهـد بالإســلام ، ولم يظهر لهم بعد من مظاهر تأييد الله لرسوله فى المآزم ، ما يتخذونه مـثالاً لهم فيما هم بسبيله .. فعناصر الاستماته فى القتال التى يفترض المشتبه وجودها فى جيش الصحابة إن وجدت فيه ، فلا توجد بالقدر الذى يوجب لهم التغلب على عدو لا ينقصه مـن عوامل التغلب شئ ، حتى عامل النعرة القومية ، فإن الجاهلين كان قد أمضهم تسفيه أحلامهم وتحقير آبائهم ، ولو أضفت إلى هذا عامل تنازع البقاء ، وهو ما لابد من أن يكون قد تيقظ فيهم بسبب قيام المسلمين على طريق تجارتهم ، يتصدون لها كلما قرب بهم ، ... وإذا أضفت إلى ذلك فى العدد والعدد .."**

"تـاهيك أن تلك البيئة التى كانت لا تنقطع سلسلة الغارات فيها بسبب تنازع البقاء ، لـم تنشأ فيها حرب واحدة فى مدى تاريخها الطويل ، لنصرة دين ، أو مذهب على مذهب ، فكانت وقعة بدر أول ما حدث من نوعها فى هذا الركن المنعزل من الأرض."

ثـم يوجـه"وجدى" أخيراً تساؤلاً للمحلل البسيكولوجى(4) **" فـإن أصر المعترض على شـبهته ، قلنا له : إن نضج العاطفة الدينية طفره إلى حد تضحية النفس فى سبيلها ، لدى قوم كعرب الجاهلية لم تؤثر عنهم حماسة دينية طوال عهدهم بالوجود ، يعتبر أكبر من المعجزة الحربية التى نحن بصددها ، وأدل على المدد الإلهى منها ، فعلى أى أساس صحيح يستطيع**

---

(1) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨٤ : ١٩١ نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد الحادى عشر ، الجزء السابع ، رجب ١٣٥٩ هـ.

(2) المصدر السابق : ص ١٨٩.

(3) المصدر السابق : ص ١٩٠ ، ١٩١.

(4) المصدر السابق : ص ١٩١.

البسيكولوجى أن يعلل انتصار المسلمين على عدوهم فى بدر بأسباب طبيعية محضة لا أثر للإعجاز فيها"

وعلى الرغم من التحليل العلمى الذى رأيناه من فريد وجدى ودفاعه عن معجزة النبوة ؛ فإن مصطفى صبرى "مفتى تركيا الأسبق" يرى وجدى منكراً للإعجاز ، من ذلك ما قاله تعقيباً على تحليل وجدى السابق لغزو بدر يقول مصطفى صبرى[1] " ثم إن الأستاذ الذى لعب دوراً ولفتنا إليه من اللف والدوران المنتهى فى إنكار المعجزات المحمدية أيضاً ، يعود فيحاول أن يستخرج من الأمور الواقعة فى بدر الخارقة للنواميس الطبيعية خوارق لتلك النواميس ، مثل غلبة العدد القليل من المؤمنين على العدد الكثير من المشركين .الحاصل أن الأستاذ يصر على إهمال المعجزات الحقيقية وعدم الاعتداد بها من الأساطير مستنداً فى إصراره إلى دعوى التماشى مع العلم ، ثم يسعى فى اعتبار الحادثات التى لا يصح عدها من المعجزات ، معجزات ! حتى إنه يغمض عينيه عن ألف من الملائكة مردفين أمد الله بهم المؤمنين فى وقعة بدر ، كما قال الله تعالى[2] "إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ " يغمض عينيه عنهم مع كونهم منصوصاً عليهم فى كتاب الله ، ومع كون نص الكتاب هذا مذكوراً فى مقالة الأستاذ عن السيرة النبوية مع كون الإمداد بالملائكة معجزة حقيقية غير قابلة للتأويل بالأسباب العادية ، وأصل العلة التى منكرة الأستاذ معتلة بها مع منكرة نخبته المثقفة العصرية كونه لا يؤمن بالمعجزات ، فلهذا تراه يتلاعب بها نفياً وإثباتاً. وغير خاف على الفطن أن فى اعتبار ما ليس بمعجزة معجزة ، علاوة على إلغاء المعجزات التى تكون خارقات للعادات والنواميس الطبيعية والتى هى المعجزات الحقيقية ، استهانة مضاعفة بالمعجزات وإنكاراً لها مضاعفاً

ولن أدافع عن وجدى بل سأدعه يدافع عن نفسه بنص حديثه الذى ذكره فى السيرة وفى وقعة بدر يقول[3] "**الذى يتأمل فى هذه الآيات يدرك منها أموراً لا يمكن التردد فيها ، أنهم كانوا ، وهم رجال حرب وجلاد ، لا يتوقعون النصر يوم بدر إلا إذا جاءهم من طريق الإعجاز ، ويدل عليه قوله تعالى :** إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ **ولو كان الأمر ذلك اليوم عادياً لا يتطلب . العون الإلهى المباشر** كان **فى ذكر المدد الملكى هنا ، توهين الدعوة الإسلامية عند أهلها وعند خصومهم."**

---

(١) مصطفى صبرى : القول الفصل : ص ٣٧٧.

(٢) سورة الأنفال : آية ٩

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ١٨٦.

تاسعاً : الفشل الذى لحق المسلمين فى بعض الغزوات والسرايا [(١)]

"لعل بعض الناظرين فى السيرة المحمدية يلاحظون أنه كما فيها شئون لا يمكن تعليلها إلا بافتراض وجود تأييد إلهى عظيم لأحداث حصولها مناقضة للسنن الاجتماعية والنفسية المعروفة ، فيها شئون أخرى يبدو عليها طاقة القدرة الإنسانية ، ويجرى عليها ما يجرى على سائر الشئون البشرية من النجح أحياناً ، ومن القصور والضعف والخيبة أحياناً أخرى ، كما حدث لسرية بشير بن سعد الأنصارى التى قتل فيها أكثر جنودها ، وسرية كعب ابن عمير الغفارى التى قتل جميع آحادها إلا قائدهم ، وغزوة مؤته التى قتل فيها ثلاثة قواد وكان قصارى رابعهم أن عاد بمن بقى من الجيش دون أن يجنى أية فائدة ، وسرية أبى عبيدة عامر بن الجراح التى جاع فيها الجنود واضطروا لأكل ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم ، ولم يجدو القوم الذين ذهبوا لقتالهم"[(٢)]

ولكن المعترضين لا يقتنعون بهذه العلة البشرية ، بل ينفون بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم "يلاحظ بعض الناظرين كل هذا ويقولون : أليس لو كان محمد نبياً لكان أوحى إليه ما سيصيب أصحابه من هذه المحن فلا يعرضهم لها ، حتى لا تحدث اضطراباً فى جماعته ، أوشكاً فى نبوته؟"[(٣)]

ويدافع "وجدى" عن هذه الشبهة بقوله :[(٤)]" أراد الله سبحانه أن يجعل للعالم كافة مثلاً أعلى للدين فأوحى الإسلام ، ... فأما الدين فقد تولى الله وحيه جملة وتفصيلاً ، وأما الأمة فلا يمكن أن تجعل كل حركاتها وسكناتها صادرة عن الوحى ، لأن الوحى متى انقطع بوفاة النبى المرسل ، تجد الأمة نفسها قاصرة عن الاستقلال بنفسها ، لأنها لم تعتمد على قواها الذاتية قط ، ولم تكتسب بمجالدة الحوادث ، والوقوع فى المآزم ما يربى فى نفسها عناصر الرشد ، ويستكمل لها ميزات النضج ، لذلك ألقى الله حبلها على غاربها لتفتح لنفسها ، بمحض جهودها الذاتية ، وقواها المعنوية ، مكاناً تحت الشمس"

ويوضح "فريد وجدى" أن هذا يعد درساً إلهياً تقرره أصول علم التربية يقول[(٥)] "ومن أصول علم التربية أن الطفل لكى يستكمل صفات الرجولة ، ويشب صالحاً لمكافحة حوادث الحياة وحوائجها ، يجب أن لا يحاط ، بعد أن يشب ويترعرع ، بكثير من العناية ، خشية أن

---

(١) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة : ص ٢٦٢ : ٢٦٤ نقلاً من مجلة الأزهر المجلد الرابع عشر ، الجزء الرابع ، شهر ربيع الثانى ١٣٦٢ هـ.

(٢) المصدر السابق : ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق : ٢٦٣.

(٥) المصدر السابق : ص ١٦٣ ، ١٦٤.

يصاب بجرح فى يده أو بشجة فى رأسه ، أو بكدمة فى جسمه ، ولكن يجب أن يعرض لذلك فى حد محدود ليتعود تحمل الآلام ، ومكابدة العوائق."

وبعـد أن استمد "وجدى" تأييد رأيه بعلم أصول التربية يؤكده بقول الله عز وجل "لا يصح أن يكـون مـثار شبهة على النبوة ، ولا مصدر شك فى الرسالة ؟ ولو كان يصح لتأثر به قبل غيـرهم أولـئك الذيـن ابتلو به (يقصد المسلمين المنهزمين) كيف وقد أخبروا به قبل أن يصيبهم قوله تعالى[1]" ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾

[2]" ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾

فالذين دخلوا الإسلام فى أول عهده ؛ قبلوه على أنه دين تمحيص وابتلاء "

بعـد عـرض "فريد وجدى" للوفود واستسلام القبائل للدولة الإسلامية أشار إلى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى معدداً لصفاته صلى الله عليه وسلم وانتقاله إلى الرفيق الأعلى معد داً لصفاته صلى الله عليه وسلم الحسية والمعنوية .. ولكن لم يفت "فريد وجدى" الرجل الذى أخذ يحلل المواقف ليستدل على صحة نبوة محمد درءً للشبهات المثارة حوله من المعترضين . أن يمر على خطبته الأخيرة قبل الموت – عندما ذهب ليطمئن الناس عليه – لم يشأ أن يمر عليها دون أن يستنبط منها الأدلة على نبوة النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك يقول[3] "إن من يتأمل فى أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وهو يجود بنفسه – وهـذه حالـة يفضـى فيها بين الإنسان وأهول ساعة قدرت له فى حياته – يتحقق أنها صـادرة عن قلب نبى ، لا عن قلب رجل عادى ، فإن تلك الساعة التى يرى الإنسان نفسه على وشك ترك أهله وذويه ، وكل ما كان يملأ صدره ، ويستوعب فكره من لذاته وعاداته ، يشـغله مـن أمر نفسه شاغل هائل ؛ فإن فكر فى شئ يخرج عن دائرة خصوصياته ، فلا يمكـن أن يكـون ذلـك الشىء مما كان يخادع فيه الناس ليتسلط على عقولهم ، ويسخرهم لسلطانه ، بل شوهد أن بعض الذين كانوا من هذا القبيل ، اعترفوا فى تلك الساعة الرهيبة

---

(١) سورة العنكبوت : الآيتان (٢ ، ٣)

(٢) سورة البقرة : الآيات (١٥٥ – ١٥٧).

(٣) محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت العلم والفلسفة : ص ٣٢٢ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الثانى ، صفر ١٣٦٣ هـ.

بجريمتهم ، وتبرأوا من ضلالتهم. والذى رآه الناس من محمد خلاف ما عهده الناس فى أولئك . فإنه لما تحقق أنه لا محالة ميت ، قال للذين احتفوا به من صحبه :"أيها الناس بلغنى أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبى فيمن بعث الله فأخلد فيكم ؟"

ثم أوصاهم بالحق ، والصبر ، وعدم الفساد فى الأرض ، وبالتحاب والتواصل ، تالياً عليهم قوله تعالى[1]" فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ وقوله تعالى :[2]" وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ " إن رجلاً يذكر الحق والصبر وهو يرى الموت بعينيه ، ويذكر الجماعة ، وينهى عن الفساد فى الأرض ، لهو رجل خلق روحاً وجسداً لأداء مهمة عالية قد استوعبت شعوره كله ، ولم تزايله حتى تلك الآونة التى يذهل الإنسان فيها عن نفسه وبنيه وكل ما يملك."

"أما الناحية الأدبية من عمل محمد وهى جملة ما أتى به من تعاليم ، وما أصله من أصول ، وما أحاطها به من حوافظ ، وما متعها به من مناعات فما لا سبيل إلى بيان جلالته إلا فى فصول متوالية ، ليمكن أن نختبر بجميع ضروب الآلات الدراسية ، والتحليلات العلمية."

هذا ما أراد"وجدى"نهجه فى مقالاته بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم [3] وسنكتفى بالإشارة إلى أهم الموضوعات التى تناولها دون الخوض فى تفصيلات لأن هذا لا يتسع له البحث فهو بحاجة وحده إلى عشرات الصفحات .

- يبدأ بالخلاف الذى حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار الخليفة ويحلل المواقف من وجهتى نظر علم النفس والاجتماع ليبين الترابط القوى بين المسلمين والمهاجرين والأنصار بعد وفاة محمد .
- دحض العقائد الوثنية .
- تقيم الشخصية الإسلامية .
- الأصول القرآنية.
- الحكمة الإسلامية ومذهبها فى الحياة والأخلاق ، وروابط الاجتماع ، وما وراء الطبيعة.
- فلسفة أفلاطون وأرسطو مقارنة بالإسلام.
- توفية التعاليم الإسلامية بحاجات الناس.
- النبوة حاجة روحية لا معدى للإنسانية عنها.

---

(١) سورة محمد : آية ٢٢

(٢) سورة العصر

(٣) قام بجمع هذه المقالات د. محمد رجب البيومى فى كتاب تحت عنوان "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومباحث أخرى"

"الخلاصـــــــــة"

لقد تناولت فى هذا المبحث بعض المواقف والجوانب التى استرعت انتباه فريد وجدى ، فعنى بتحليلها وبيان قيمة أوجه التأييد الإلهى والإعجاز فيها. واعتمد فى تحليله على الجانب العــلمى الفلسفى فى المناقشة كما لم يغفل علمى النفس والاجتماع والجوانب التى عرضتـها فى المبحث هى بالترتيب :-

١- نبذة عن السيرة وتشمل ؛ تعريف السيرة

نشأتها – تأثير القرآن فى كتابتها وتطورها عبر العصور – صفات كاتب السيرة.

٢- التمهيد عن ماهية النبوة وأطوارها مع تعليق د. محمد رجب البيومى.

٣- جوانــب من السيرة وهى :- ١- نصيب العالم من رسالة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- تعليل سرعة انتشار الإسلام .

٣- نفسية محمد صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها.

٤- مهمة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

٥- نظرة فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية.

٦- موقف الأوس والخزرج فى مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية.

٧- دفاع وجدى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى محاربته لقريش.

٨- الأمور الخارقة للنواميس الطبيعية فى وقعة بدر.

٩- الفشل الذى لحق المسلمين فى بعض الغزوات.

ثــم أشرت إلى استنباط وجدى لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال كلمته لأصحابه قبل الوفاة.

ثــم ختمت المبحث بعرض لأهم النقاط التى تناولها وجدى فى مقالاته اللاحقة والتى تبعد عن صميم السيرة ؛ من سرد لحياة النبى صلى الله عليه وسلم وتحليل لمواقفها.

المبحث الثانى

رد على بعض شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم

وكمـــا نـــاقش "وجدى" كل ما تعرض له (محمد صلى الله عليه وسلم) من شبهات أثناء مناقشـــته لأحـــداث الســـيرة ، كذلك أفرد لهذه الشبهات مقالات فى مجلة الأزهر ، فى أعداد مـــتفرقة كما أفرد لها فصولاً فى بعض كتبه ، بل أصدر كتباً خاصة رداً على هذه الشبهات[1] وسنختار منها ما يمس السيرة من قريب أو بعيد وهى كلها تفضى فى نهاية الأمر إلى الدفاع عن نبى الإسلام والإسلام.

وقـــد تـــناول "فـــريد وجدى" هذه الشبهات تناول الناقد الممحص للآراء ، معتمداً على الأســـس العلمية فى المناقشة والتحليل ، واضعاً أمامه علمى النفس والاجتماع وأثرهما ، راداً كل علة لأصولها ، مفصلاً فى الرد حيناً دون ملل ، موجزاً حيناً دون تقصير.

أولاً : شبهة أن محمداً وأتباعه مهمتهم السيطرة على العالم ولو بالقوة[2]

وفى ذلـــك يقول أسياه بومان "قد وحد محمد القبائل العربية التى كانت فى حالة تنازع مســـتمر وأقنعها بأن تجتمع على غرض مشترك هو إعلان الحرب على العالم غير الإسلامى وتوســـيع ســـلطان المسلمين .. ثم يتساءل هل فى تاريخ الإسلام أو فى الموقف الحالى للعالم الإســـلامى ما يعزز الخوف من أنه فى مملكته الواسعة قد يعمل للقضاء على المدنية الغربية الراهنة؟"

"ويحـــلل "وجـــدى" عبارة أسياه بومان قائلاً[3]" **إن الذى يتلو العبارة .. يخيل إليه أن الدعوة المحمدية كان مرماها الوحيد غاية حربية ، هى الإغارة على العالم غير الإسلامى وإخضاع أممه وشعوبه لحكم المسلمين ... وهذه تهمة تنفر من الإسلام كل من يطلع عليها"**

ويستنكر "وجدى" هذه الشبه مستدلاً بقوله تعالى[4] " ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

"ويرى أن ما أحدثه الإسلام هو من تأثير الأصول التى قررها وليس تأثير الفتوحات – ومـــن تلك الأصول [5]" **مـــا يوصى به الإسلام كل آخذ به هى "١- دعوة الناس كافة إلى تعارف عام ما داموا إخواناً"**

---

(١) محمد فريد وجدى كتاب الإسلام دين الهداية والإصلاح رداً على كتاب "مسائل فى الدين" لكاتب "فرنسى" .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود ص ١٤٧ : ١٥٣ نقلاً من المجلد السادس من مجلة الأزهر – ١٣٥٤ هـــ ص ٣٧٧ وما بعدها ، رداً من فريد وجدى على ما كتبه "أسياه بومان" فى كتابه "العالم الجديد تحت عنوان "العالم الإسلامى".

(٣) المصدر السابق :ص ١٤٨.

(٤) سورة القصص : آية ٨٣.

(٥) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ١٤٩.

٢- "الدعـوة إلى وحدة الدين . فإن الإسلام يقرر أن الله أوحى إلى أنبيائه جميعاً ديناً واحداً هـو مـا يـتفق والفطرة التى فطر الناس عليها ، ويتلاءم والعقل الذى غرس فى نفوسهم احترام أحكامه."

٣- "فكان الله يتدارك الإنسانية بالرسل يبعثهم إلى الأمم فى فترات من الزمان ليهدوا إلى ما كانوا يختلفون فيه من الحق ، وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلن للناس كافة حقائق أولية ، صرفهم عنها قادة الأديان ؟ استغلالاً لجهالتهم .."

- " وأن الإسـلام هو ذلك الدين الفطرى الأول فى نقائه ... ومؤداه لا يخرج عما يجدونه منقوشاً فى صميم قلوبهم بالفطرة وما يدركونه ببداهة العقل وهو أن يوحدوا خالق هذا الكون ولا يتناولوا ذاته بأفكارهم ، فإنه يتعالى عن متناول العقول كما تعالى عن متناول الأبصار ، وأن يعتقدوا بجميع من أرسلهم إلى الناس من رسل ، وما أنزل إليهم من كتب ، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، وأن يقيموا سلطان العقل ، فلا يستسلموا للأوهام ، ولا يعـتقدوا شيئاً إلا بدليل ... وأن يتخلقوا بجميل الخلال .. وأن يطمحوا إلى معالى الأمور .. وأن يطلبوا العلم والحكمة حيث وجدوهما ، ويعلموها الناس ، وأن يستعمروا الأرض ويحيوا مواتها"

ويؤكد "وجدى" أن كل ما سبق ، هو هدف عام لكل علوم الأرض يقول[1]" هذه مرامى الإسلام وهى عيـنها مـرامى كـل فلسفة وعلم فى الأرض ، فمن أية النواحى يعاب أهل دين على تمسكهم بهذه الأصول التى تعتبر عالمية عامة لا قومية خاصة ؟ وأى اتفاق جنائى يمكن أن يـلحظ فيها حتى يقوم مثل الأستاذ (أسياه) فى القرن العشرين فيعلن أن المسلمين يتربصون السوء بالإنسانية؟"

ويـتعجب أسـياه مـن ثبات حال المسلمين ، وعدم تأثرهم بما طرأ على الأمم المجاورة من الحالات المتعاقبة ، ولم يتأثروا حتى من نتائج الحرب العامة.

ويعقـب "وجدى" ؛ أن الأصول الاجتماعية والأدبية التى يوصى الإسلام أهله بها تثبت عقيدتهم وكان الأجدر به ألا يتساءل ، بل يبحث عن العلل مثلما فعله كثيرون منهم جوت أكبر عباقرة ألالمان فقال[2]: "إذا كان الإسلام هو هذا فنحن إذن فيه"

وبرنارد شو وقد بزهم جميعاً بقوله[3] : إنه لو تولى العالم الأوروبى رجل كمحمد لشفاه من علـله كافة ، وإن العالم بدأ يفهم ما هو الإسلام ، وإنه سيتم إسلام أوروبا عامة فى قرنين من الزمان"

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ١٥٠.

(٢) المصدر السابق : ص ١٥١.

(٣) المصدر السابق : ص ١٥١.

أما عن خوف "أسياه" من المسلمين على المدنية الغربية ،فيذكره وجدى ، بأنه قد نسى أثر البعثة المحمدية وما فعلته من تبديد الجهل الذى كانت فيه أوروبا وإنها زودت العالم آنذاك بعلوم شتى جمعت فيها بين مدنية اليونان والفرس والهند والرومان.

"فلا يخافن الأستاذ (أسياه) من المسلمين على هذه المدنية ، فإنهم كانوا السبب الأول فى ازدهارها بعد ذبول طال عليها الأمد فيه ، بما أمدوها به من معارفهم ، وما زودوها به من صنائعهم ، فلئن كان يخشى منهم على شيء منها فعلى العوج الذى بها وهذا يعتبر إصلاحاً فيها لا إفساداً لها."[1]

ثانياً : إنكار النبوة[2]

"لا يدهشنا أن يكون فى الناس من لا يزال يكذب برسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن يدهشنا أن نقرأ عن رجال ينزلون أنفسهم منازل الهداة والمرشدين ، أنهم يعتدون على أبسط قواعد الدستور العلمى فى بحوث فلسفية على أعظم جانب من الخطورة ذلك أن المستر فرانك يخوض فى نفسية أعظم رجل فى التاريخ ، بشهادة الأجانب أنفسهم ، معتمداً على أصل اعتقادى مورث ، وهو أنه كان نبياً كاذباً ".[3]

" فوجدى" يرى أنه كان لابد أن يقيم المستر فرانك الدليل القاطع على أن محمداً كان كاذباً فى دعواه النبوة ، فإن نجح فى ذلك من طريق علمى مستقل لا أثر للوراثة الاعتقادية فيه ، ساغ له أن يبحث فى نفسيته من ذلك الطريق العلمى نفسه ؛ ولكنه لم يفعل.

يقول[4] **"يظهر لنا أن المستر فرانك لم يقرأ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد قال : إنه كان فى مبدأ ظهوره يجمع الناس حوله فى مسجد مكة أو فى الطرقات ويخطبهم بأنه نبى ، فكذبه الناس ولم يؤمنوا به ... أغفل المستر أن فى البداية آمن به العشرات إلى أن جهر بالدعوة فانتشر الإسلام تباعاً حتى عم جزيرة العرب كلها ، ثم تجاوزها حتى وصل إلى أقصى حدود الصين شرقاً ، وأقصى حدود أوروبا غرباً ، فى عشرات معدودة من السنين ، مما لم يحدث مثله لدين من الأديان ، فأعفى المستر فرانك نفسه من ذكر هذه النتيجة التى تعتبر من أجل الآيات الإلهية ، واكتفى بأن قال : فكذبه الناس ولم يؤمنوا به"**

ويتمادى" المستر فرانك" فى إنكار نبوة محمد ومعجزات القرآن ؛ فهو يعتبر محمد كاتبه يقول

---

(١) محمد فريد وجدى: مناقشات وردود

(٢) المصدر السابق : ص ٦٧ : ٧٠ نقلاً عن المجلد السابع من مجلة الأزهر ١٣٥٥ هـ – ص ٣٥١ وما بعدها رداً على "تاريخ حياة محمد" بقلم المستر فرانك هـ . فوستر.

(٣) المصدر السابق : ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٩.

مستر فرانك [1] "ولقد تركنا محمد فى جهل من ناحيته ، فلم يخبرنا بشئ عن مولده ، ولا عن أسرته ، ولا عن حياته فى صغره ، غير ما قاله من أنه كان يتيما ، وأن الله عصمه من الذلل ، وأغناه بعد عيلته."

ويعقب "وجدى" فى سخرية "هذا طراز طريف فى بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يغبط عليها المستر فرانك ، والسبب لأن القرآن قدم إلى الناس باعتبار إنه كتاب جامع لتعاليم الإسلام ، لا باعتبار إنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمستر فرانك أن يحصى عليه إغفالات ليست من موضوعة"[2]

ثم يقرر "وجدى" أن القرآن فى عدم ذكر تاريخ محمد كالتوراة فى عدم ذكر موسى وحياته التفصيلية ، وكذلك الإنجيل وعيسى ، بل يطلب من مستر فرانك أن يأتيه بكتاب دينى يذكر حياة الرسول الذى جاء به ؟! والسبب فى هذا الشطط كما يقول وجدى هو "مضيه مع عقيدته الموروثة ، وهى أن محمداً كان مدعياً ولم يكن نبياً. فإذا سلمنا له هذا جدلاً ، فلا يكون لما أحصاه على القرآن محل أيضاً ، فإن الأدعاء يقتضى المحاكاة لا الشذوذ. فلا ندرى بعد هذا حكمة ما سجله المستر فرانك على القرآن من هذه الناحية ! "[3]

ثالثاً : عدم أمية محمد صلى الله عليه وسلم[4]

تهمة ألقاها بعض المستشرقين انتقاصاً من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول مستر "فرانك"[5] "وفى الجملة قد أثار محمد على نفسه الازدراء بدعواه الرسالة عند ظهوره ، وقد دعا نفسه النبى الأمى ، وهذا ما لا يمكن قبوله لأنه كان فى حاجة لأن يكرر قراءة كتابه أحياناً يستظهره ومع ذلك فلسنا نستنتج من عدم أميته أنه كان ذا إطلاع واسع ، فإنه لم يظهر شيئاً من سمات المتعلمين الأدبية"

ويرد "وجدى" قائلاً[6] " أما التشكيك فى أمية النبى صلى الله عليه وسلم فمحاولة محكوم عليها بالفشل من أول صدمة ، لأن هذه الأمية ، كانت إحدى الآيات التى تحدى الله

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق : ص ٧٠.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٨ : ٧٣ نقلاً من مجلة الأزهر ، المجلد السابع ، ١٣٥٥ رداً على "تاريخ حياة محمد" بقلم المستر فرانك هـ. فوستر

(٥) المصدر السابق : ص ٦٨.

(٦) المصدر السابق : ص ٧٠.

بها الشاكين فى صدق نبوته ، فلو كان غير أمى فى الواقع ، لأصبح تأثيرها معكوساً ، كما هو الحال فى كل معلوم يتحدى الناس بضده ".

ثـم يتساءل "وجدى" هل تعلم محمد الكتابة والقراءة سبباً ليأتى بمعجزة القرآن دستور الأمـة ؟ ويرجح أن الهدف من محاولة مستر فرانك .. " رجاء أن يكون فى إثارة الشك فى أميـة محمد ، بابٌ يفتح إلى التكذيب بنبوته ، متذرعاً بذلك إلى إثبات أنه ما دام يقرأ ويكتب فيكون هو الذى وضع القرآن ونسبه إلى الله"[1]

ويقـرر وجـدى[2] " إذا كانت القراءة والكتابة وسيلة للتشكيك فى كتب الله وصدق رسـله ؛ فهـذان موسى وعيسى كانا يقرءان ويكتبان ، فهل قولا الله ما لم يقل ، وهل قالا إنهما رسولان وهما كاذبان؟ لكن أمية محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بإجماع أمة برمتها كانت مطلعة على أحواله وأطواره من يوم ميلاده إلى يوم وفاته .."

وعن ثقافة محمد صلى الله عليه وسلم وإطلاعه يرد "وجدى"[3] "لم يقل محمد صلى الله عـليه وسلم عن نفسه ولا قال أحد من المسلمين عنه : إنه كان ذا إطلاع واسع ، وإنه فعل مـا فعـل بعلمه ، وغزارة مادته ، ولكنه قال ، وردده المسلمون معه ، بأن كل ما يأتى به وحى مـن ربـه. وهـذا لا ينافى سمو فطرته ، ووفور عقله ، وصفاء ذهنه ، فإن الله لا يصطفى لرسالته إلا أكمل خلقه"

وينفى "وجدى" التهمة عن القرآن يقول :[4]

فـإن كان المستر فرانك يستدل من القرآن على ما يقوله باعتبار أنه من كلام محمد ، وأنه فى جملـته لا يدل على سعة إطلاع كاتبه فهو لم يقرأ القرآن ، وإن كان قرأه فقد سدل على عقله حجاباً من تعصبه .. لقد تبين للذين درسوا القرآن تحت ضوء الفلسفة الحديثة ، أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يقوّم عوج النفوس ، ويعدل أود العقول ، ويوقظ أشرف غرائز الشخصـية الإنسانية، ويدفعها فى طريق السمو الروحانى ، إلا أحصاها على أكمل الوجوه ، راسماً لها أقوم الطرق، ومتخيراً لها أقرب الوسائل."

ويؤكـد "وجـدى" دفاعه بعلماء من الغرب [5] " وقد شهد بهذا كله رجال من الأقطاب ليسوا من أهل هذه الملة ، لا يحصون كثرة ، من أمثال جوت الألمانى ولا مرتين الفرنسى ،

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود :ص ٧١.

(٢) المصدر السابق : ص ٧١.

(٣) المصدر السابق : ٧١ .

(٤) المصدر السابق : ٧١ ، ٧٢.

(٥) المصدر السابق : ص ٧٢.

وبرناردشـو الإنجليزى ، وليس فى هؤلاء إلا عبقرى طبقت الأرض شهرته وعمت الأقطار فلسفته "

وعلى فرض أن محمداً ليس بنبى يقول(١) " فإذا لم يكن محمد أمياً ، ولكنه كان أستاذاً جامعياً ، وافترض أنه كتب هذا القرآن ، لعد بهذا وحده آية من آيات الله فى خلقه ، ولنبحث لـه عن درجة عقلية فوق العبقرية ، لأن العبقرية إنما تظهر فى الفرع الواحد من العلم أو الفن ، لا فى كل ما يختص بإصلاح الإنسانية جملة ."

رابعاً : تعلم النبى الكتابة بعد النبوة (٢)

ذكر أحد الكتاب فى إطار مدحه لأمة الإسلام ونبيها " إذا ذكرنا أن الإسلام من وجوده رفـع من قدر الكتابة إلى حد أن عدها من العبادة ، وأنه عظم الكتاب والأمم التى لها كتاب كالنصارى واليهود ، وإذا ذكرنا أيضاً أن نبى المؤمنين كان هو نفسه كاتباً مبدعاً sTyliste ، وعالما مكملاً scribeaccompli يلقن الناس الشريعة ، وأن الشعوب العربية قد اشتهرت بحبها الشديد لتذوق الآداب الرائعة ، إذا ذكرنا هذا كله كان من حقنا أن نحكم بأن بقاء هذا العدد العديد من الأميين بين ظهرانى فلاحى النيل ، من التقصير الذى لا يغتفر "

وبعـد أن شكر"وجدى" إنصاف الكاتب للنبى والمسلمين يحلل القول بأن الكاتب أخذ هذا الرأى عن بعض علماء المسلمين كالشعبى ومجاهد ، والقاضى عياض.

يقول عندما عورضوا بقوله تعالى :(٣) " وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ "

ويوضح حجة هؤلاء(٤) " وقد استند هؤلاء القائلون بأن الله علمه أن يقرأ ويكتب على حديث رواه الـبخارى والنسائى وأحمد بن حنبل ، مؤداه أن النبى لما كان يملى على علىّ بن أبى طـالب شروط صلح الحديبية ، وسفير المشركين حاضر ، وأملى هذه العبارة وهى ، إن هذا مـا قاضى عليه رسول الله" ، اعترض السفير قائلاً : لو نعلم أنك رسول ما منعناك شيئاً .. فقـال النبى صلى الله عليه وسلم لعلىّ: امح رسول الله . فتخرج علىّ من ذلك فأخذ رسول الله الكتاب . وليس يحسن يكتب فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله .. الخ "

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧٢.

(٢) مجلة الأزهر : المجلد الثانى عشر ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، رد محمد فريد وجدى على مقالة فى جريدة البورص اجبسين التى تنشر بالفرنسية فى القاهرة قد كتبت تحت عنوان افيمير يدى Eché, mérides "كلمة فى موضوع الأمية"

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٨ .

(٤) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى عشر ، ص ١٩٧ — القائلون فى الأصل القائلين.

أمـــا الفــريق القـــائل بأمية النبى صلى الله عليه وسلم يقول عن دفاعهم [١] "**لكن أكثر علماء المســلمين لا يرون هذا مستندين إلى رواية مسلم ، وفيها أن سفير المشركين لما اعترض عــلى عــبارة (رسول الله) وتأثم علىّ من محوها ، فقال صلى الله عليه وسلم لعلىّ : أرنى مكانها ، فأراه مكاناً فمحاها.**"

وقد أخذ جمهور العلماء بهذا الرأى الأخير ، ولذلك للأسباب الآتية :

أولاً : موافقتها نص الكتاب . ثانياً : لأن حديث البخارى والترمذى ليس بمتواتر.

ويقرر "وجدى" أن هذا الأمر ؛ تعلم محمد صلى الله عليه وسلم الكتابة لا يقلل من شأن محمد ومعجزاته يقول[٢] " **فإذا كان النزاع بين الطرفين فى أن النبى كان قارئاً كاتباً أم أمياً ، هــو لأجــل حماية معجزاته من الشبهات ، فإن هذه المعجزة لا تمس بسوء ؛ لكثرة الأدلة عليها ، ولتضافرها على إثباتها.**"

ثــم يوضــح العــلة فى إدعاء عدم أمية النبى صلى الله عليه وسلم يقول [٣] "**يحرص خصــوم الإســلام عــلى إثبات أن النبى كان قارئاً كاتباً ليتوسلوا بذلك إلى أنه قرأ التوراة والإنجيــل وألف منهما القرآن وأدعى أنه تنزيل من حكيم حميد. والذى يقرأ القرآن الكريم يعرف أنه اتفق وهذين الكتابين فيما هو حق ، وخالفهما فى أمهات من المسائل ، ورد على ما تقتضى الرد منهما ، فهل يريد الخصوم أن يقولوا إن هذين الكتابين ليس فيهما حق يمكن الاتفاق وإياهما عليه ؟**

إن الذى يجب أن يستوقف النظر فى القرآن الكريم ، هو النقد المنطقى الذى وجهه إلى أهل الكــتاب ، والتعديل العلمى المعجز الذى دعاهم إليه ؛ هذا هو الذى يجب أن يتأمله العاقلون ليدركــوا بدليــل جديــد أن القرآن أنزل لإصلاح عالمى عام ؟ وأنه بهذا الوصف سيبقى أبد الآبدين ."

خامساً : نقد القرآن على أنه كلام محمد[٤]

"يقــول المستر فرانك[٥] كان محمد رجلاً شديد الشكيمة قد كان يندفع فى الكلام ، كما فعــل فى سورة العلق ، وقد يقطع المحاجة بنداء مدهش وبنوه بخلق خلقوا للجحيم ، كما فعل فى الآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة الأعراف.."

---

(١) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى عشر : ص ١٩٧.

(٢) محمد فريد وجدى : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى عشر ، ص ١٩٨.

(٣) المصدر السابق : ١٩٨ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود ص ٧٧ ، ٧٨ : نقلاً عن الأزهر ، المجلد السابع ١٣٥٥ ، ص ٣٩٢ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق : ص ٧٨ .

ويناقش وجدى هذا الأمر[١] " بحثنا فى سورة الأعراف عن الآية الثامنة والسبعين فإذا بها قوله تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

و"وجدى" يقرر عدم وجود مبرر للدهش فيفسر الآيات بتفسير مبسط "**فإن الله يقول : إنه خلق لجنهم كثيراً من الأنس والجن ، وصفهم بأنهم الذين يعطلون مواهبهم عن القيام بما خلقت له ، فلهم قلوب ولكنهم لا يستفيدون منها فى التمييز بين الحق والباطل ، ولهم أعين ولكنهم لا يستخدمونها فى رؤية ما خلق الله من شئ للاعتبارية ، ولهم آذان ولكنهم لا يصغون إلى الهداة للانتفاع بالعمل . بما يفضون به إليهم ، أفترى أن هذه الكائنات المتحجرة يوقظ إنسانيتها النائمة أقل من أن يقال لهم إن الله خلق لجهنم خلقاً كثيراً أنتم منهم أيها الغافلون ؟**"

ويعلل"وجدى"رأى مستر فرانك لجهله بعلم النفس يقول[٢] "**يظهر لنا أن المستر فرانك يجهل كثيراً من مقررات علم النفس ، وكثيراً من ضروب العلاجات التى تؤثر فيها.**

فالنفوس الخامدة الهامدة التى أماتتها المادة لا توقظها من سباتها إلا عبارات قوية الفعل ، شديدة التأثير ، من قبيل هذه الآية الكريمة . وفى الكتاب الكريم من ألوان التعبيرات ما يصلح لعلاج كل نفس ، لذلك كان تأثيره فى تلك القلوب الجاهلية المتحجرة أبلغ تأثير لم ير له مثيل فى حياة جماعة من الجماعات.

هذا ما نذكره فيما يتعلق بالآية الثامنة والسبعين بعد المائة من سورة البقرة[٣] وقد رأيت أن ليس فيها ما يدهش ، إلا إذا أراد ما يدهش ، من شدة الروعة ، وعمق التأثير ، وسمو التعبير."

سادساً : اعتماد محمد فى نبوته على صلته باليهود والنصارى [٤]

يقول مستر فرانك[٥] إن محمداً وإن كان قد أعلن عن نبوته مفاجأة ، فإنه كان قد استعد لها استعداداً عظيماً من اتصاله باليهود والنصارى."

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود: ص ٧٨ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٧٨ .

(٣) يقصد سورة الأعراف . وقد قارنتها بالمصحف فوجدتها الآية التاسعة والسبعين بعد المائة ، وليس الثامنة والسبعين بعد المائة فهى قوله تعالى "من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون" ١٧٨ الأعراف.

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٨٣ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد السابع ١٣٥٥ هـ ص ٥٣٢ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق : ص ٨٣ .

يـرد وجـدى[1] " **لا مشاحة فى أنه يريد بالنبوة ، النبوة الكاذبة ، ويريد بالاستعداد لها أن يتعلم مدعيها المسائل التى تعنى بها الأديان ، والأساليب التى تتبعها فى بث تعاليمها ، والفلسفة التى تدعمها بها ."**

ويوضح"وجدى" ما يقصده بهذه المسائل يقول[2] "**وهى لا تعدو سبع مسائل رئيسة ، وهى العقيدة فى الله وفى الروح والخلود فى حياة بعد هذه الحياة ، وفى وجود العالم الروحانى، وفى الأنبياء والمرسلين والكتب الإلهية ، وفى صحة العقاب والثواب الأخرويين ، وما يتبع ذلك من الدعوة إلى عقائل الأخلاق ، وكرائم الآداب أما الأساليب والفلسفة فهو ما يطلق عليه علم اللاهوت وهذا هو الذى يحتاج لدراسة طويلة وتفكير عميق."**

فهل هذا العلم الذى استعد محمد صلى الله عليه وسلم بتلقيه لدور النبوة الذى قام به ؟

ويجيب"وجدى"بالنفى فقد ذكر فرانك "أن محمداً لم يقابل إلا العامة والسذج الأميين من اليهود والنصارى ، فلم يحصل منهم إلا ما هم أهل للإفضاء به من الأوهام والأكاذيب ، حتى إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه حقيقة المسيح."

ويتساءل"وجدى"إذا نجح محمد بهذه المعلومات الناقصة فى دعوته فلِمَ لم ينجح مدعو النبوة من المخادعين المثقفين ثقافة عالية ؟ أما الإجابة فلأن "**دعوى النبوة على القليل ككل دعوى لا تقوم على قدميها حتى يسندها دليل عملى** " كمن ادعى الشعر أو الكتابة أو الفلسفة وغيرها .. "**والنجاح فيها لا يكفى فيه الدليل القاطع فحسب ولكن يجب أن يصحبه سمو خلقى عظيم ، وتأثير روحانى كبير ، وليس فى تاريخ العالم من الناحية الدينية ما يشبه النجاح الباهر الذى أصابه محمد صلى الله عليه وسلم عقب دعواه النبوة. فالمسألة كما يقول العبقرى الإنجليزى الكبير "كارليل" ، ماذا تطلب من الأدلة على صدق من يدعى لك أنه بناء أكثر من أن يبنى لك صرحاً يبقى أكثر من ألف ومائتى عام ، ويؤوى أكثر من مائتى مليون نسمة ؟"[3]**

سابعاً : تعدد الزوجات [4]

يقول"ويلز"عن النبى "إنه تزوج بعدد من الزوجات فى شيخوخته . وإذا قيست حياته على العموم بالمقاييس الحديثة ، كانت حياة لا تأخذ الأبصار ، ويظهر أنه كان مركباً من كثير من الغرور والطمع والمكر وخداع النفس ، كما كان مخلصاً فى شدة عاطفته الدينية وقد أملى

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود: ص ٨٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٥.

(٤) المصدر السابق : ص ٨٩ ، ٩٠ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر ١٣٥٨ ، ص ٣٠٥ وما بعدها رد على كتاب (مختصر تاريخ العالم) بقلم هـ . جـ ويلز.

كـتاباً من الأوامر والقصص اسمه القرآن ، قال إنه أوحى إليه من عند الله ، إذا نظر فيه من الناحية الأدبية أو الفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الله" [١]

ويأخذ"وجدى" فى تفنيد الاتهامات اتهاماً يلو الآخر .

*** تعدد الزوجات**

هل تعديد الزوجات يقدح فى النبوة ؟

"يكثر خصوم الإسلام من ذكر تعديد النبى صلى الله عليه وسلم للزوجات ، ويعتبرونه دليلاً عـلى توفره على الشهوات. وقد صرح كثير منهم بأن من كان هذا شأنه لا يصلح أن يكون نبياً ولو تأملوا لرأوا أنه تزوج أكثر هذه الزوجات لأغراض اجتماعية ، إما لإيواء ذات رحم ، أو لإحـداث صـلة مـن الصهارة تفيد فيما هو بصدده من تمكين ربط المجتمع الإسلامى الحديث ، أو لإبطال عادة جاهلية من طريق عملى مؤثر ..."[٢]

وحتى لو ترك هذه الأغراض الجليلة جانباً ، فأن فى بيئة العرب كانت النساء تكاد تزيد على عـدد الرجال بسبب الحروب والغارات مما يعطل عدداً من النساء دون زواج ، ويرى"وجدى" أن الأمر تدعو إليه الحاجة الاجتماعية فيحيل الأمر إلى كتاب علم الاجتماع لسبنسر.

كمـا يقـول"وجـدى" فى كتابه الإسلام دين الهداية والإصلاح[٣] " وهو ما يناقش عموم أمر "التعدد".

" كان العرب فى جاهليتهم من أكثر الأمم تعديداً للزوجات ، فرأى الإسلام أن يتوسط فى الأمـر فجعـل للتعديد حداً لا يتعداه ، وقرر أن من أقدم على هذا الأمر لزمه العدل بين الزوجات ، حتى قال الله تعالى [٤]" فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً

وقـال النبى صلى الله عليه وسلم . من كانت له أمرأتان فلم يعدل بينهما ، بعث يوم القيامة وشقه مائل. على أن للإسلام من إقراره مبدأ ، غرضاً بعيد الغور فى الإصلاح الاجتماعي ، لا يدركـه إلا نافذ البصر فى العلم. وهو أنه علم أن من الرجال من لا يمكن أن يردعهم من المضـى فى شهواتهم رادع ... لأن العقوبات المشددة والنصائح المؤكدة لا تكفى ... فأباح

---

(١) يقول فريد وجدى فى تبرير اهتمامه بالرد على مستر ويلز :

هذا ما قاله المستر ويلز ، وهو لغو كنا نستطيع أن نمر به مر الكلام لأن فى الأرض ألوفاً من الكتب تخيط النبى صلى الله عليه وسلم بمثل هذا السقط والكلام ، وفيما نكتبه كل يوم دحض موجه لها جملة ، .. لولا أن هذا الكتاب وقع لبعض نجباء طلبة كلية الشريعة ، فرفعوه لحضرة صاحب الفضيلة شيخها الموقر ، وطلبوا إليه أن يعمل على دفع هذه الفرى حفظاً لكرامة الإسلام . فكان حقاً علينا ، وقد انتشر هذا اللغو بين أيدى الطلبة وغيرهم ، أن نخصه برد حاسم"

محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٨٩ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) محمد فريد جدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح : ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٤) سورة النساء : من آية ٣.

لهم التعدد ، لا ليجد هؤلاء لهم مخرجاً من الحرج فقط ، ولكن ليحمى المرأة من شر مستطير وقعت فيه المرأة الغربية لأن أمثال أولئك الرجال فى البيئات الغربية حيث لا يسمح بتعدد الزوجات يتخذونه صاحبات يسمو نهن "متريسات" والإسلام لم يرض للمرأة بهذه الدركة الساقطة فهو يحمى المرأة من الوقوع فى حالة بؤس تتجرد فيها من جميع الضمانات الاجتماعية ، وتبرز للمجتمع فى عداد النسوة الساقطات .. فأى الحالتين أجدى على المرأة وأحفظ لكرامتها ، أن تصبح زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة لرجل تستطيع أن تطالبه بنفقتها ونفقة أولادها ، وترثه إذا مات ويرثه أولادها منه أو تضحى فى عداد المبتذلات لاحق لها ضده "

ونعود لمناقشة "وجدى" لمستر ويلز يقول [1] " إن المؤلف يدين بالمسيحية ، ويعتد بالتوراة وهى تشهد بأن من كبار الأنبياء من عدّد الزوجات حتى بلغ بعضهم بهن مائة زوجة ، فلم لم يشهر بهم المستر ويلز كما شهر بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ؟

ثم يدافع عن النبى صلى الله عليه قائلاً [2] " والحوادث والتاريخ يشهد بأن محمد لم يكن مشغولاً بشهواته بل كان كثير التهجد والتعبد حتى أن القرآن أمر نساء النبى بالتعبد"

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾" [3]

فهل هذه بيوت رجل شهوانى ؟ وإن لم تكن البيوت التى يقر نساؤها فيها مشتغلات بالصلاة والزكاة والطاعة ، وتاليات آيات الله والحكمة إن لم تكن هذه البيوت بيوت نبى فبيوت أى صنف من الناس تكون ؟"

وهو يأبى بعد ذلك أن يستطرد فى الرد يقول " **خل هذا جانباً** ، فالملاحاة فيه لا تساوى قيمة المداد الذى تكتب به . "

ثامناً : " اتهام محمد بالغرور والطمع والمكر وخداع النفس "

يقول مستر ويلز [4] "إذا قيست حياة محمد بالمقاييس الحديثة ، كانت حياة لا تأخذ بالأبصار ويظهر أنه كان مركباً من كثير من الغرور والطمع وخداع النفس ، كما كان مخلصاً .

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٠ ، ٩١ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٢ : ٣٤ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩١ .

فى شدة عاطفته الدينية "

ويــرد فــريد وجــدى " **أما أن حياة محمد الشخصية قبل النبوة ، كانت لا تستلفت الأنظار ، فصحيح لأنه عاش أربعين سنة ، فلم يشتهر بشيء أكثر من أنه كان يمضى قويم الســيرة أميناً ، وهذا من أقوى أدلة المسلمين على نبوته ؛ لأنه ظل فترة الشباب والطموح ســاكناً وحــتى إذا شارف سن الكهولة .. نهض بالدعوة وحقق فى فترة وجيزة من الأمور العظيمة مالا يمكن لرجل مخادع ماكر تحقيقه ."**[1]

ولو كان نشأ محمد على حال تلفت الأنظار من المواهب : خطيباً مصقعاً أو شاعراً مفلقاً أو عالماً محققاً ، لكان مستر ويلز أول من يشك فى نبوته ويرفع عقيرته قائلاً لا جرم أن رجلاً يسترعى الأنظار منذ نشأته ، فيقرع الأسماع بسحره ... لجدير بأن يمتلئ قلبه غروراً " [2]

وينقد "وجدى" ويلز كونه مؤرخاً ، ينسى ما صنعه محمد من تأليف أمة ، ووضع ديانة ، وسن قانون وتحطيم وثنية ، فأين تحقيق البسكيولوجى المطلع ؛ فصنيع ويلز صنيع المتعصب الديــنى الذميــم . ولعله يعتقد أن محمداً رجل عندما وصل لسن الكهولة أراد تمجيد شخصه وإخضاع العالم له بالاعتماد على أنصاره وغاب عنه المثل العليا التى جاء بها محمد وكونت أمة ، صارت بعلومها أماً للمدنية الحديثة ، اللهم إلا القشور من البدع التى دخلت عليها ...

تاسعاً : القرآن ومحمد [3]

يقول المستر ويلز" وقد أملى محمد كتاباً من الأوامر والقصص اسمه القرآن زاعماً أنه أوحى به إليه من عند الله ، وإذا نظرنا إلى هذا القرآن ، من الناحية الأدبية والفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الإله "

يــرد "وجــدى" [4] مســتنكراً " **لا جــرم أن هذا أمر يؤسف له ، ويدل إما على تعمد الاســتخفاف ، وهو لا يصدر إلا عن تعصب ذميم ، أو عن جهل ، وهو لا يغفر لمؤلف فى الــتاريخ ، والــتاريخ فى عــرف أهل العصر الحاضر يقتضى درس العلل الأولية للحوادث الكــبرى وآثارها المترتبة عليها ، وما أدت إليه من الانقلابات فى خلال القرون ؛ ويستدعى تحليل نفسيات الشعوب وقابلياتها ، ونفسيات قاداتها ، ومكانة تعاليمهم من الأصول المقررة ، والحقائق الثابتة.**

ويــلومه "وجــدى" ؛ فقد كان عليه دراسة أحوال العرب من خلال الأحوال الاجتماعية والتداعيات النفسية ولا ينطق عن القرآن أو يصفه من خلال تعصبه الموروث .

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩١ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٣ : ٩٦ نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد العاشر سنة ١٣٥٨ هـ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩٣ : ٩٤ .

ثم يدافع عن القرآن [1] " **إذا كان القرآن متى نظر إليه من الناحية الأدبية والفلسفية ، يظهر أنه غير جدير بنسبته إلى الله ، فلا يوجد كتاب فى العالم يستحق هذه النسبة ، بل لو أنصف المستر ويلز لقال : ما كان الإنسان ليستطيع أن يدرك الفوارق البينة المحسوسة بين الكلام الإلــهى فى روعــته وسموه وروحانيته وبين الكلام البشرى فى نسبيته ، وماديته ، إلا بعد نزول القرآن** "

ويعــلل "وجــدى" السبب ، وذلك لأن الإنجيل والتوراة كتبوا بأقلام بشرية فى حين أن القرآن حفظ الله نصه ، وإذا كان مستر ويلز يدعى " أن القرآن من الناحية الأدبية والفلسفية غيــر جدير بنسبته إلى الله .. [2] "**ماذا عسى أن يتخيل أرفع الناس خيالاً من السمو الأدبى** فوق قوله تعالى : [3]" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾

وقوله: [4] " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ "

وغيرها من آيات ... فأنت ترى أن الإسلام يعنى كل العناية بقلب الإنسان ، ويوجه إليه كل اهتمامه حتى لم يجد القلب فى تاريخ البشرية من عنى به هذه العناية وهذه النزعة هى لب أرفــع مذهب إصلاحى اليوم ، وقد تابع الإسلام طريقته فى هذا الأمر الجلل حتى علق النجاة فى اليوم الآخر على سلامة القلب " فقال تعالى :[5] إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

ويقرر "وجدى" أنه حتى يتم استيعاب كل أمهات الآداب التى وردت فى القرآن فسيحتاج هذا إلى ســفراً كــبيراً ، ومن تلك الأمور مثلاً فى العلم .. " **الأصول الأولية التى تعتبر أساساً لآخر طــور مــن أطوار الفلسفة ، وبها تم للعقل البشرى إدراك الوجود والحياة على الوجه الذى يحسب تتويجاً لجهود جبارة ، بذلها العلم فى آماد طويلة. كقوله تعالى** :[6]" سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾"[7]

وقوله فى لا نهائية العلم "[8] وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٣) سورة ق : آية ٣٧ .

(٤) سورة الحج : آية ٤٦

(٥) سورة الشعراء : آية ٨٩ .

محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٥

(٦) سورة الأحزاب : آية ٦٢ .

(٧) سورة القمر : آية ٤٩ .

(٨) سورة لقمان : آية ٢٧ .

وقوله :[1] " فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

وفى بر الأبوين : قوله تعالى :[2] فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

وقوله " وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ "[3]

فما يملأ ما بين دفتى كتاب ضخم ."

ويتساءل متعجباً مستنكراً يقول " **فإذا كانت هذه الأصول التى جاءت منثورة فى القرآن ، وكان كل منها مظهراً لعبقرية أدبية أو فلسفية أو علمية ، قام لها الناس وقعدوا ، وهللوا فى إبان ظهورها وكروا ، ليست فى رأى المستر ويلز ، ذات شأن يذكر ، فليس يوجد فى الكون شئ يذكر ، وإذا كانت هذه الأصول ، وكلها فتوحات علمية وصل إليها الناس بعد أن كلت عقولهم بحثاً وتنقيباً ، لا يصح أن ينسب الكتاب الذى جاء بها جملة إلى الله فأى كتاب يصح بعد ذلك أن ينسب إليه ؟ !** "[4]

عاشراً : محمد والفقر[5]

يقول البعض[6] " إن محمداً لنشوئه فى الحرمان والفقر كان يفكر فى الفقراء فأوصى بالتصدق عليهم .. وإلى ذلك تعزى كثرة المتسولين حيث تدرس تعاليم الإسلام "

ويحلل "وجدى" هذا الأمر من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية يقول :[7] " **وهذه فى الواقع ليست بشبهة ، ولكنها تنطوى على معجزة اقتصادية لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، لمن يتذوق الأمور الاجتماعية ، ويفهم مكان العوامل الاقتصادية منها.** إنه لو عرف الذين يلقون هذه الشبهة بأنها تثبت لمحمد معجزة فى علم الاجتماع نظراً لظهور مسألة الفقر ، بصورة تؤرق العلماء فى القرن التاسع عشر ويبحثون عن حلول لها لو علموا أن محمداً قد حل هذه المسألة لما أثاروها حتى لا ينسب إليه هذا الفضل وهذه المعجزة . "

---

(١) سورة الزلزلة : الآيتان (٧ ، ٨) .

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٣

(٣) سورة لقمان : آية ١٥ .

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ٩٦ .

(٥) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح : ص ١٨٣ : ١٨٧ .

(٦) المصدر السابق : ص ١٨٣ .

(٧) المصدر السابق : ص ١٨٣ .

" إن أيـــة أمـــة قديمة يجيل الباحث نظره فيها ، **يجد طبقتين من الناس لا ثالثة لها الطـــبقة الموسرة ، تتضخم إلى غير حد .. والطبقة المعسرة لا تفتأ تهزل حتى تلتصق بأديم الأرض معيبة رازخة .**"(١)

ثـــم أعـــطى"وجدى" أمثلة من مصر(٢)" **كانت مصر فى عهدها القديم ، جنة الله فى الأرض ، وكـــانت تنبت من الخيرات ما يكفى أضعاف أهلها عدداً . ولكن الطبقة الفقيرة فيها كانت لا تجد ما تأكله لأن الطبقة الموسرة ، كانت لا تترك لهم شيئاً غير حثالة لا تسمن ولا تغنى من جوع**" وكذلك الحال فى بابل ولدى الأغريق وأسبارطة وأثينا ، وروميةُ منبع الشرائع والقوانين .. ولـــم يتنـــبه العالم إلى مخاطر هذه العلة "الفقر" إلا فى القرن التاسع عشر وظهور العلوم الاجتماعية ، ومن الحلول الفاشلة المرفوضة التى وضعوها :-

١- التصدق على الفقراء وهو مرفوض لأنه يؤدى إلى التواكل والتكاسل.

٢- فتح باب الهجرة. ورفضوه لأنهم سيخسرون الأيدى النشطة.

وأخيراً نجحوا فى تأليف الجمعيات التعاونية.

أما الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد تنبه إلى هذا الخطر ، وأحاديثه تنطق بهذا ، " **كاد الفقر أن يكون كفراً** " "**اللهم إنى أعوذ بك من الفقر** "(٣)

والإســـلام قد وضع الحلول لهذه المسألة " **لقد أوجد نظاماً اقتصادياً ، استوعب جميع المبادئ العمرانية المخففة من خطر الفقر والمنجية من آثاره ..** "(٤) من هذه الحلول :-

أولاً : الـــزكاة وهى "**ضـــريبة إجبارية على كل ذى مال وللحكومة أمر التصرف فيها ، فهى الـــتى تعمل بما تمليه عليها الحاجة الوقتية والحالة الاجتماعية** " وهو يشبه الضرائب لدى الأمم الغربية اليوم .. " **فالإسلام يمنع تركز المال فى أيدى رجال معدودين ، وحرمان الكافة منه حرماناً مطلقاً ولم يهمل الإسلام إزاء هذا الحل ، بقية الأصول العمرانية المخففة للفاقة ، فدعا إلى الهجرة .**"

ثانياً : الهجرة ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ "(٥)

ثالثاً : حث على التعاون : " ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (٦) ويســـتنبط وجدى سر التشريع فى كل ما سبق " **الزكاة تركز المال**

(١) محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح:ص ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٥.

(٤) المصدر السابق : ص ١٨٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٨٦ . سورة النساء : من آية ١٠٠

(٦) سورة : المائدة : آية ٢ .

كلـــه فى أيدى معدودة ، سن البحث على الهجرة ؛ انتقال العدد الزائد من المجتمع إلى البلاد الأخــرى تخفيفـــاً للضغط عليه وجعل من حثه على التعاون هيئة تصلح للتوفيق بين العمل ورأس المال"[(١)] .

وقـــد حـــث عـــلى الصدقة وأبى أن تكون هذه الصدقة سبباً فى تكاسل بعض طبقات المجــتمع. وأخيــراً يقول إن نشأة محمد تنفى أن الحرمان هو سبب الحث على الصدقة ؛ فقد تكفل به جده ثم عمه ، وهم من سادات قريش ، ثم إنه عمل صغيراً فى الرعى ثم فى التجارة حتى نزل عليه الوحى ...

الخــــلاصـــة

تـــتميماً للفائدة ، وتوضيحاً لجهود "فريد وجدى" فى الدفاع عن سيرة الرسول صلى الله عــليه وســـلم فقد تتبعت بعض المقالات التى انتثرت فى مؤلفاته ، وخاصة فى مجلة الأزهر وكـــتابه الإســـلام دين الهداية والإصلاح .. والشبهات التى توقف عندها "فريد وجدى" تكاد لا تحصـــى فهو لم يدع فرصة يدافع فيها عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم إلا وانتهزها حتى وإن تكررت القضية ، وقد اخترت بعضاً منها كنماذج وهى بالترتيب :-

١- أن محمداً وأتباعه ، مهمتهم السيطرة على العالم ولو بالقوة.

٢- إنكار النبوة.

٣- عدم أمية محمد صلى الله عليه وسلم .

٤- تعلم النبى الكتابة بعد النبوة.

٥- نقد القرآن على أنه كلام محمد .

٦- اعتماد محمد صلى الله عليه وسلم فى نبوته على صلته باليهود والنصارى.

٧- تعدد الزوجات.

٨- اتهام محمد بالغرور والطمع والمكر وخداع النفس.

٩- القرآن ومحمد.

١٠- محمد والفقر.

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ص ١٨٧ .

الفصل الرابع
بين الدين والأدب والاجتماع

يتضمن الفصل مناقشة لأهم القضايا التي تربط بين الدين والإجتماع والأدب ويتضمن مبحثين :-

المبحث الأول : المرأة المسلمة •

المبحث الثاني : الأدب الجاهلي (شعر ونثر) •

المبحث الأول
المرأة المسلمة

مبحث المرأة المسلمة

أخـذت قضية المرأة المسلمة أشكالاً وأطواراً مختلفة منذ بداياتها ؛ منذ حدوث الثورة الفرنسية .. وما تلتها من ثورات " **في أكثر الممالك الأوروبية لتقرير حقوق الشعوب ، رافعة عـلم الحرية ، وأطلقتها بعد ذلك التقييد الشديد إلى أبعد حدودها وكان للنساء نصيب موفور مـنها ، فمضـين في تيار أهوائهن لا يلون على شيء ، حتى بلغن إلى غاية لم تكن تخطر على بال أعنف المتطرفين في الدفاع عن حقوقهن** " . [١]

ودعوة قاسم أمين لخروج المرأة [٢]– وثورة ١٩١٩م التي قلبت أوضاع المرأة فكأنها ليسـت ثورة على الاستعمار وحسب ، بل ثورة على كل قيد رآه الإنسان وشعرت به المرأة على وجه الخصوص .[٣]

وكثير من الأقلام رفضت ما دعا إليه قاسم أمين ، وأقلام أخرى أيدت رأيه فمنذ بداية القرن الماضي صار موضوع المرأة مادة خصبة لثراء المناقشات في عالم الكتابة ، وهي من أبـرز القضـايا التي اهتم بها أتباع مدرسة محمد عبده [٤]فها هو محمد فريد وجدي يرد على دعوة قاسم أمين في دائرة معارف القرن العشرين ، ثم يطبع كتاب " المرأة المسلمة " ثم يليها بمقالات في مجلة نور الإسلام وأخرى في الأهرام وغيرها على مدار سنوات عديدة.

ومـن رجـال الأدب ، توفيـق الحكيم وعباس العقاد وبنت الشاطئ ، كما اهتم بهذه القضية دعاة حقوق الإنسان ورجال القانون ، ورجال الدين ، كل يناقش من وجهة نظره ، إنها قضية ثارت ومازالت تطالعنا كل يوم بجديد .

ولنلقي نظرة على نقط الخلاف والإتفاق ولنزنها بميزان الدين والإسلام ، ولنرى معا المتغيرات التي طرأت ليست على القضية فحسب بل على آراء الشخصيات ذاتها . ولا نغفل أن شخصـية الدراسـة (بحثـنا) هي الأستاذ محمد فريد وجدي الذي كان له دور مهم تذكره الأقلام دائما سواء رفضا لأراءه أو قبولاً لها .

---

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٦ نقلا من مجلة نور الإسلام – رمضان سنة ١٣٦٦ هـ

(٢) يصادف مرور مائة عام على أول كتاب صدر لقاسم أمين " تحرير المرأة " عام ١٨٩٩م .

(٣) مثال خروج هدى الشعراوي تقود النساء بمظاهرات تضامناً مع حزبها الوفد .

(٤) أمـثال محمـد رشيد رضا وقد وضح كل ما يتعلق بالمرأة في تفسير " القرآن الحكيم " وكذلك أحمد مصطفى المراغي في" تفسير المراغي"

وتعـد آراء قاسم أمين مفتاحا لكتاب " المرأة المسلمة " فمحمد فريد وجدي يذكر رأي لقاسم أمين يقبله أو يرفضه ثم يأتي بما يؤيد وجهة نظره بعلماء الغرب الذين جعلهم قاسم أمين نبراسا له ، ثم يأتي بما يؤيد من القرآن والسنة وجهة نظره .

ولا ينسى مع كل هذا ؛ مناقشته ومنطقيته في محاولة للإقناع برأيه. هذا غير المقالات المتناثرة التي كتبها على مدار نصف قرن تقريبا .

وسنقسم العناصر التي تمت مناقشتها في قضية المرأة المسلمة إلى ستة عناصر لتيسير دراستها وهي :-

١- الحجاب .　　　٢- التعليم .

٣- العمل .　　　٤- السياسة .

٥- رأي الإسلام .　　　٦- نماذج من آراء وجدي .

أولا : الحجاب :-

إن قضـية الحجاب شكلت ركناً مهماً في الخلاف والجدال في قضية المرأة فأخذ كل مـن الفريقين المؤيد والمعارض لخروج المرأة يدافع عن وجهة نظره ، واختلف العلماء حول تحديـد المصطلح " الحجاب " ، هل هو الحجاب الشرعي (أو الحجاب الديني كما سماه قاسم أميـن) أم الحجاب الاجتماعي أي احتجاب المرأة عن الرجل سواء بوضع ستر عن وجهها أو بمخالطتها للرجل في مجالس العلم والعمل ؟

ومـن لا يقـرأ بتركيز ووعي لاختلاف مدلول اللفظ سيقف حائراً أمام ما يقصده كل كاتب في قضية المرأة ودرءاً لهذا الاختلاط في المدلول سنحدد ما المقصود بالحجاب ؟

أولا : في اللغة :-

هو (الحاء مع الجيم ويثلثهما) [1]" قيل الستر حجاب لأنه يمنع المشاهدة " والأصل في الحجاب " جسم حائل بين جسدين ، وقد استعمل في المعاني ، فقيل العجز حجاب بين الإنسان ومراده ، والمعصية حجاب بين العبد وربه " .[2]

اصطلاحاً من خلال القرآن وآراء المذاهب الأربعة :-

[3]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ (٥٩)

(١) مختـار الصـحاح : الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي : عني بترتيبه السيد محمود خاطر ص ١٢٢ دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة القاهرة .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد المقري الفيومي – ت سنة ٧٧٠ هـ : ص ١٦٦ " الطبعة السادسة " المطبعة الأميرية – القاهرة سنة ١٩٢٦م .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٥٩ .

(١) ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾

اختلف الفقهاء في معنى قوله تعالى ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ إلا ما ظهر منها ويتبلور هذا الاختلاف في هذين الاتجاهين :-(٢)

"الاتجاه الأول : يرى الإمام أحمد بن حنبل أن معناه : إن النساء منهيات عن إبداء الزينة إلا الزينة التي ظهرت بنفسها من غير قصد فمعفو عنها ، كأن كشفت الريح عن نحر امرأة أو ساقها ، وذهب الإمام أحمد إلى أن بدن المرأة كله عورة فيحرم إبداء شيء منه للأجنبي ، وهو أصح قول الشافعي وقالوا : إن المراد بما ظهر منها ، ما ظهر بنفسه بغير قصد إلى إظهاره .

والاتجاه الثاني : ذهب الحنيفة والمالكية إلى أن معنى الآية (ولا يبدين زينتهن) إلا شيئا جرت العادة بظهوره ، فليس منهيات عن إبدائه ، وذلك هو الوجه والكفين وما فيهما من زينة ، كالكحل والخضاب والخاتم ، وعلى هذا التأويل تكون الزينة نوعين : ظاهرة وباطنة ، فالله قد حظر إبداء شيء من الزينة الباطنة لغير من استثنى في بقية الآية ، ولم يحظر إبداء الزينة الظاهرة لأن الحاجة تقضي بظهورها ، وعلى هذا قال الحنيفة والمالكية إن الوجه والكفين ليسا بعورة ، وهو أحد قولي الشافعي ، واستشهدوا بقوله صلى الله عليه وسلم :
" يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه " .(٣) وقوله تعالى " وليضربن بخمرهن على جيوبهن " الخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أي يغطي به الرأس ، والجيوب جمع جيب وهو الصدر ، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن ، أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن ونحورهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي ، على خلاف ما كانت عليه حال النساء في الجاهلية " .

ويوضح الشيخ "محمد متولي الشعراوي" (٤) حكمة تشريع الحجاب مناقشاً المرأة في ضرر التبرج .

"والمرأة التي تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتنها .. عليها ألا تعترض على منح هذه الحرية لغيرها .. فإن أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف عن مفاتنها .. لتجذب إنسانا وتفتنه .. فعليها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف زينتها ومفاتنها لتجذب زوج هذه المرأة أو ابنها . "

---

(١) سورة النور : آية ٣١ .

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٦١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – إبداع سنة ١٩٩٣م

(٣) وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يبين عدم فرضية النقاب .

(٤) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٨٧ ، مؤسسة أخبار اليوم ، الإيداع ١٩٩٠م .

ويبين الشيخ "الشعراوي" للمرأة أن الهدف من الحجاب يعود عليها [1]:-

"إن الهــدف هــو صيانة المجتمع كله من الفتنة ·· وإبقاء للاستقرار والأمن بالنسبة للمرأة ·· حتى لا يخرج زوجها من بيته وهي لا تعلم هل ستفتنه إمرأة أخرى فيتزوجها ·· أم أنه سيعود إلى بيته ؟

... لــو أن الله ســبحانه وتعالى لم يفرض الحجاب ، لكان على المرأة أن تطالب به ..لأنــه أكبر تأمين لها ولحياتها ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظــار إليهــا بالكشف عن زينتها ·· وهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنظار زوجها فيعرض عنها .. "

"قاســم أمين" لا يرفض هذا الحجاب ، بل نراه يؤيده (يقول) [2].. " لم نر حاجة للتكلم عن الحجاب من الجهة الدينية فإن ما أوردناه في كتاب (تحرير المرأة) من النصوص القرآنية صــريح في إباحة كشف الوجه واليدين ، ومعاملة النساء للرجال ، وقد وافقنا على ذلك كثير مــن عــلماء المسلمين الذين نقلنا آراءهم · أما أن فريقا آخر من الفقهاء استحسن التشديد في الحجاب فهذا رأي لا يلزمنا الدين باتباعه . "

وكما هو واضح هو يوافق على ارتداء الزي الشرعي ويرفض النقاب ·

ويستشــــهد بكلمة "رشيد رضا" تؤيد رأيه : " وقد كتب صاحب مجلة " المنار " كلمة في الحجاب نوردها هنا تأييداً لرأينا قال : وأما الأمر الثالث ، وهو حكم الشرع في هذه المكالمة ، فالمعروف أن الشرع إنما حرم الخلوة بالمرأة الأجنبية ·

وأخــبار الصدر الأول مستفيضة بمكالمة النساء للرجال وحديثهن معهم في الملأ دون الخلوة ، وكفاك أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن اللاتي أمرن بالمبالغة في الحجاب ، كــن يحدثــن الرجال ، حتى أن السيدة عائشة كانت قائدة عسكر ومدبرة له في موقعة الجمل المعروفة وما أخال أن مكابراً يقول إنها لم تكن تكلم أحداً منهم إلا ذا محرم " [3]

على أننا قبل أن ننتهي من الحديث عن الحجاب فلا بد من كلمة حول الحجاب والنقاب.
.. ويوضح "الشيخ الشعراوي" رأيه الخاص في هذه المسألة .. " وما دامت المسألة تدور كلها عــلى ألا تكون المرأة فتنة للرجال .. ولا دعوة لهم إلى المفسدة .. فإننا – ومع الخط العام - نقول : إن كان وجه المرأة جميلاً .. جمالاً فتاناً .. يمكن أن يأتي بتأثير على كل من يراها..

---

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن : ص ٨٩ ، ٩١ ·

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧ المقدمة ، جـ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، إيداع سنة ١٩٩٣م

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧ ، ٨ ·

ففـــي هذه الحالة يجب أن تستر وجهها .. أما المرأة العادية .. فلا ضرورة لأن تستر وجهها وكفيها .. ولذلك أقول عن النقاب .. إن النقاب لا مفروض ولا مفروض .. "[١]

أمـــا "الشيخ محمد الغزالي" فيناقش بوجهة نظر رجل الدين الداعية موقف الغرب من النقاب يقول [٢]: " وأعود إلى التجربة الكبيرة التي سوف يمر المسلمون بها في إنجلترا وغير إنجلترا بعد أن يبنوا مدارسهم الخاصة ! ترى هل سيلزمون الطالبات بالنقاب ؟

إذا حـــدث ذلك فسيكون قضاء على الدعوة الإسلامية والصحوة الإسلامية ، ولن يقبل رجـــل أو امـــرأة الدخـــول في هذا الدين ! إن الأوروبيين يعرفون ملابس الفضيلة في أزياء الراهبات عندهم وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعي عندنا ، وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا ، وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه ٠

أمـــا إخفاء الأيدي في القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النقب ، وجعل المرأة شبحاً يمشي في الطريق معزولاً عن الدنيا فذاك ما لم يأمر به دين .! "

ومنشأ الحجاب (يقصد النقاب) في نظر" قاسم أمين" هو[٣] ٠٠

" ولما كان من المحال ألا تعرض ضرورة تقضي على المرأة بالخروج من منزلها في بعض الأحيـــان أراد أن يتـــبعها - يقصـــد الرجل - بالحجاب حيث سارت فألزمها بستر وجهها إذا خرجت .

هـــذا الحجـــاب الذي قرره الرجل في الأصل على زوجته تعدى بعد ذلك إلى البنات والأمهات والأخوات وإلى عموم النساء ، لأن كل إمرأة هي زوجة أو كانت زوجة أو مستعدة لأن تكون زوجة .

وليـــس من الغريب بقاء الحجاب بعد زوال السبب الذي أوجده أي بعد خروج المرأة عن ملكية الرجل .. اقتضت سنة التدريج أن تعيش النساء في حالة وسط بين الرق والحرية .. يكبر على الرجل أن يعتبر المرأة التي كانت ملكاً له بالأمس مساوية له اليوم .. وزعم أن الله لمـــا خلق الرجل وهبه العقل والفضيلة وحرمها من هذه الهبات .. يلزم أن تعيش غير مستقلة تحـــت سيطرة الرجل وأن تنقطع عن الرجال وتحتجب بأن تقتصر في بيتها وتستر وجهها إذا خرجت حتى تفتنهم بجمالها أو تخدعهم بحيلها ، وإنها ليست أهلا للرقي العقلي والأدبي فيلزم

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٩٧ ٠

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٧ ، دار الشروق ط السادسة شوال ١٤١٦هـــ ، مارس ١٩٩٦م قال هذا الحديث تعقيباً على مؤتمر عقد في لندن حول مستقبل التعليم الإسلامي في إنجلترا وكان المتحدث البريطاني " مستر جاك سترو " دافع فيه عن الإسلام وأنه أعطى للمرأة حقوقاً منها التعليم والدعوة إلى الدين وغيرها وقد شكر الغزالي صنيعه ثم علق بما سبق ٠

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٣٥

أن تعيش جاهلة ، وذلك هو السر في ضرب الحجاب ، وعلة بقائه إلى الآن ، فأول عمل يعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب ومحو آثاره . "

ويوافــق "فريد وجدي" رأي "قاسم أمين" وهي – موافقة ضمنية – حين يرى أن صاحب القــرار في قضية المرأة هو الرجل " **ومن ضمن البراهين المحسوسة على أن حجب المرأة وكشــفها من حقوق الرجل مباشرة هو أن محرري النساء إذا أبدوا أفكارهم وطلبوا طلباتهم لا يوجهون الخطاب إلا للرجل نفسه** "(١)

ويستشـــهد بما كتبه قاسم أمين نفسه حين يتحدث عن تحرير المرأة يحدث الرجل عما يخــص المرأة " فقد كتب حضرة مؤلف " المرأة الجديدة " يقول (٢): " **وإنما تكتب لأهل العلم وعــلى الخصــوص الناشــئة الحديثة التي هي مستودع أمانينا في المستقبل فهي التي بما اكتسبته من التربية العلمية الصحيحة يمكنها أن تحل مسألة المرأة المقام الذي تستحقه من العناية والبحث .** "

وكان "فريد وجدي" قاسياً حين جعل المرأة كقطعة أثاث حين قال : (٣)

" **هــل بعــد هــذا برهان قاطع على أن مقادير النساء بيد الرجال يوجهونها كيف يشاؤون ويتصرفون في شؤونها بما يريدون ..** "

ورفــض "فــريد وجدي" الدعوة إلى استقلال المرأة لأن الاستقلال يكون بين عنصرين متكافئين لا مكملين لبعضهما كالمرأة والرجل فقد شبهما بالماء ..

" **أن مــثل الســاعين فــي ذلــك كمثل الساعي في إيجاد الاستقلال بين العنصرين المكونين للماء الأكسجين والهيدروجين** "(٤)

وبعــد أن وصــل "فــريد وجدي" إلى هذه النتيجة يخفف من حدة نبرته ويجعل المرأة والرجل مشتركين معا في القرار .. " **إذا تقرر هذا كله وثبت أن الرجل والمرأة غير مستقلين أمــام بعضــهما ، بــل هما شيء واحد فمسألة احتجاب المرأة أو ابتذالها صار بالأقل حقاً مشتركاً بين الرجل والمرأة فليس لها وحدها أن تنبذه بدون إقرار الرجل على نبذه .** "(٥)

ويوضح "فريد وجدي" العلاقة الطردية – من وجهة نظره – بين الحجاب وارتفاع شأن الأمم بما حدث في القديم لدولة الرومان حين احتجاب النساء "**برع الرومانيون في كل شيء ،**

---

(١) محمــد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١١٣ : ط الأولى ، مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٣١٩ هـ ، ١٩٠١م نقلاً عن المرأة الجديدة ص ٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١١٣

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ١١٨ – في الأصل أيدروجين .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢٠ .

نحــتوا الــتماثيل العظيمة وشيدوا الهياكل الفخيمة ، وفتحوا البلاد وملكوا العباد واستبدوا بصولجان الملك والعظمة دون سواهم من الأمم " .(١)

وبالمقارنـــة فقــد انهدم ملك الرومان ما أن خرجت المرأة لمجالس اللهو وتدخلت في شــئون البلاد .. " **حتى صار لهن الصوت الأول في تنصيب رجال السياسة وخلعهم فلم تلبث دولـــة الــرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري .. حتى أن القـــارئ للــتاريخ ليندهش أن ذلك الصرح الروماني الباذخ قد هدمته المرأة حجراً بعد حجر بيديهــا الرقيقــتين** " – ويبرر وجدي فعلتها – لا سوء نية منها ولا لكونها مستعدة للإفساد بل لافتتان الرجال بها وتناظرهم عليها . "(٢)

وســـوء النية بالمرأة قد أبرزه الكاتب الغربي " لويز برول" في تحليله لأسباب الفساد السياســـي " فســـاد الأسس السياسية وجد في كل زمان.ومن الغريب المدهش أن مظاهره في الـــزمن الســـابق مشـــابهة تماما لمظاهره في الزمن الحاضر ، بمعنى أن المرأة كانت العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة " (٣)

والحـــق فقــد دافع"فريد وجدي" عن المرأة من تلك التهمة .. قال " **كان الأجدر بهذا الكـــاتب العمـــرانى أن لا يلصـــق تهمة الإفساد بالمرأة لأن الرجل هو الذي أفسدها وجعلها أحبولة للإفساد لمحض أمياله الدنيئة .**(٤)

وقد كرر" فريد وجدي" دفاعه فيما سبق حين وصف الرجل الروماني الذي أخرج المرأة من حجابها قال : " **فتمكن ذلك العنصر المهاجم لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن وخدش طهارتهن ورفع حيائهن ...** "(٥)

ويصور" فريد وجدي"حال النساء بعد حياة الترف والبذخ في زمن فساد العهد الروماني إلى نقيض من الأسر وهضم الحقوق ومن ذلك ما لا يستطيع وصفه .. يقول :(٦)

" **وإنى لو أردت أن أشرح للقراء كيفية تحقيق الجرائم على النساء والآلات المختلفة والأساليب الشيطانية للتعذيب لما وجدت من نفسي الجلد على وصف هذه المظالم المرعشة**

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٢٥ .

نـــرى فـــريد وجدي مدافعاً عن المرأة من تهمة هدم الأخلاق ألا ترون معي كيف يناقش ويرفع من شأن المرأة ويبعد عنها كل التهم والإهانـــات التي يلصقها بها الغرب فلا تلبث المرأة القارئة له أن تشعر أنه معها يدافع عنها وإن اختلفت معه في بعض الوجوه فكل ما يكتبه كفيل بأن يجعلها تثق فيه فهو الأب ، الأخ ، الزوج ، هو الرجل الذي تحتاجه المرأة .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢٤ .

(٦) المصدر السابق : ١٣٠ .

ثـم لـو كلفت أحد النقاشين برسم الهيئات بذاتها تمثل النساء في حالة صب القطران على أجسـامهن أو ربط أرجلهن في خيول مختلفة وتركها وشأنها تركض إلى كل جهة لتمزقهن تمزيقاً ، أو ربط جماعة منهن في سارية وتحتهن نار هادئة مدة أيام ليمتن على تلك الحالة يتساقط لحومهن وشحومهن ... "

كما رأينا حالة من الظلم البين بعد الحرية التي تمتعت بها النساء يأبى "فريد وجدي" أن يصورها لبشاعة الأمر عليه وعلينا وإن كان وضحها بما يثير الاشمئزاز .

وبعد أن وصل من خلال المناقشة والتحليل إلى أن أسباب الظلم الواقع على المرأة من قـبل الرومان شعورهم إنها سبب الفساد بعد ما أخرجوها بأيديهم وزينوا لها الفساد .. يناشدنا "فريد وجدي" .. " **فإذا كان حال المرأة كذلك في يد الرجل فاحتجاب المسلمة خير كفيل لها من الوقـوع في مثل هذه الحالة فقد حاطها الإسلام بقوانين حكيمة رسخت في أعماق القلوب لا يستطيع المسلمون هدمها إلا إذا غيروا دينهم وبدلوه كله . "**[1]

إنـه يعيـد الحديـث ويلح على المقارنة بين حال المسلمات والنساء في الغرب وما تعرضـن له من تعذيب ، وهذا فيما أرى لأن الداعين إلى خروج المرأة يقلدون الغرب ، فهو يبين لهم سوء حال الغرب المزعم تقليدهم .

ويقيم "قاسم أمين" مزايا وعيوب الحجاب - يعني إحتجاب المرأة عن الرجل - يقول:-[2]

" أمـا الحجـاب فضـرره أنه يحرم المرأة من حريتها النظرية ويمنعها من استكمال تربيـتها ويعوقهـا عن كسب معاشها عند الضرورة ، ويحرم الزوجين من لذة الحياة العقلية والأدبيـة ولا يـأتي معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن . وبه تكون الأمة كإنسان أصيب بالشلل في أحد شقيه . "

" ومـزاياه تنحصر في أمر واحد هو أن يقلل الزنا حيث يحول بين الصنفين ، ويمنع الاختلاط بينهما في الظاهر ، وإن لم ينزع الميل إليه من النفوس ، فيكون ما يسمونه عفة على حد ما قيل : إن من العصمة ألا تحد ، فالأجساد في صيانة ، وأغلب القلوب في خيانة ! . "

أمـا فوائـد الحجـاب عند "فريد وجدي" هي .. " .. **أن الحجاب هو الضامن الوحيد لاستقرار المرأة والكامل الفرد لحريتها ورد سيطرة الرجال .. "**[3]

" يراني القراء لا اختار الحجاب للنساء طلباً لعفتهن ولا أريد أن أطلبه لهذا الغرض لأنـه هضـم لحقوق ذلك الجنس الرقيق صاحب العواطف الفاضلة فإن الغريزة الأدبية لدى

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٣ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة ١٢١ .

النساء اسمى منها لدى الرجال يقيناً وأعراضهن أطهر من أعراضهن في الجملة وإنما اختاره لأنه الحصن الحصين الذي يأمن فيه النساء غائلة الرجال وشرتهم ...
فإنهم إعتماداً على أن ليس في تركيبهم - يقصد الرجال - ما يفضحهم لو خرقوا سياج العفة يوماً أو كل يوم تراهم يتكالبون بنهمة إفراطية على إغراء النساء بكل حيلة وبكل وسيلة .[1]

ويوضح "فريد وجدي" سبب تقليد المرأة المسلمة للمرأة الغربية :-

" الذى يلقي نظرة على حالة المرأة المسلمة اليوم يجدها قد تجردت من جميع تقاليدها القديمة ، واتجهت صوب تقليد المرأة الغربية بل بزتها . والذي يعني بتعليل هذا التطور السريع يجده آتيا من قبل الرجال ، وهؤلاء ما انحطوا إلى هذه الدركة من فقد الغيرة إلا من تسرب روح الفلسفة المادية إليهم. "[2]

ويستنكر "الشيخ الشعراوي" دفع الرجال المرأة إلى التبرج ..

" والغريب أنك تجد بعض الرجال أشد تحمساً ودفعاً للمرأة لإبداء زينتها وعدم التحجب وإلى الاختلاط بالرجل . ونحن نقول لهؤلاء الرجال : إن الله قد وضع لكم القانون الذي يحمي زوجاتكم وبناتكم .. فإذا كنتم تدفعون بعض النساء للتبرج .. فإنكم قد وضعتم باستباحتكم ؛ النظر إلى زوجاتكم وبناتكم .. إن الله قد حماكم من هذا .. ولكنكم استبحتموه فلا تلوموا إلا أنفسكم إذا إنحرفت الزوجة أو الابنة .. "[3]

واستمرار لمناقشة قضية العفة والاحتجاب يناقش "فريد وجدي" أقوال جريدة المقطم،

" لأنه ثبت باستقراء حوادث العالم أن الرجل هو المغري للمرأة على خدش وجه الأدب حتى أن جريدة المقطم التي نددت بالحجاب من وجهة عمرانية في ٨ فبراير ١٩٠١م تشهد بهذه الحقيقة الجلية فقد قالت " وتاريخ كل هيئة اجتماعية يشهد أن الرجل هو المهاجم لفضيلة العفة والمرأة هي المدافعة عنها "[4]

---

(١) محمد فريد وجدي : المرآة المسلمة : ص ١٣٧

يعتبر "د.يونان لبيب رزق "فريد وجدي مثبط لهمم الداعين إلى تحرير المرأة يقول :

ويصب جردلاً من الماء البارد على الحماس الذي أبدته المرأة المصرية لتشارك في الحياة العامة عندما يخلص في هذا المقال بأن القائلين بخروج المرأة إلى ميدان الحياة والعمل لا يريدون لها سوى ارتياد النوادي والمجتمعات والملاعب والمتنزهات والحفلات المتألقة بالأنوار والمجالس التي يأخذ سناها بالأبصار .. "

(الأهرام:ص٢٧الحلقة٢٧٦ من "المرأة المصرية في حياة الأمة" بقلم د.يونان لبيب رزق في١١مارس١٩٩٩م)

(٢) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٦ نقلا من مجلة الأزهر (نور الإسلام سابقا) رمضان سنة ١٣٦٦هـ

(٣) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن : ص ٩٦ .

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٧ .

وفـــي عــدم أهمية الحجاب كمحافظ لعفة المرأة تقول جريدة المقطم [1]: " في الهيئة الاجــتماعية لا يثــبت للحجاب فضل في حفظ العفاف والشاهد على ذلك أنه ليس بين الكتاب كــاتب يدعـــي أن بــنات الريف اللاتي لا يحتجبن وأن عرض الفلاحة والبدوية غير مصون كعرض المحجبة " .

ويــرد "فريد وجدي" معتمداً على نظريات علم النفس يقول :[2] " .. **لا ينكر أحد ذلك، ولكــن لا يحســن أن يغيب عن فكرنا أن الفلاحة والبدوية المكشوفتين ، هما في أحط أدوار تــنازع البقاء والحرب المعاشية. وقد أثبت البسيكولوجيا (علم النفس) أن الإنسان وهو في تلك الحالة لا يكاد يفكر إلا فيما يحفظ شخصه من العطب وبناء على هذا فمثل هاتي النسوة ليس لديهن وقت تثور عليهن فيه عوامل اللهو وترغمهن على الخضوع لمؤثرات أهوائهن . فــتراهن يشتغلن مع أزواجهن أو آبائهن طول النهار حتى إذا جاء الليل طالبتن أجسامهن بالراحة من جهادهن الهائل ولذلك ترى الفلاحة أو البدوية بمجرد نوالها ما يغنيها من المال تجعل همها الأول وضع الحجاب على وجهها والتستر عن أعين الرجال . "**

يــناقش "الشيخ الشعراوي" المسألة من وجهة نظر أخرى فيدافع عن الاحتجاج بعمل المرأة في الريف .. " قد يقال إن المرأة في الريف تعمل في الحقل وفي المنزل .. نقول نعم ، ولكنها تعمل مع بنات جنسها .. أو أشقائها أو محارمها .. وكلهم يعمل معها . فإذا كانت يوماً متعبة أعانوها .. وإذا كان العمل كثيراً .. فهي يمكن أن تعود إلى بيتها متى شاءت .. والعمل في البيت وفي الريف عمل جماعي .. تتعاون فيه المرأة مع جاراتها وصديقاتها .. كل منهن تساعد الأخرى ولا يكن العمل شاقاً أو متعباً "[3]

أمـــا قول المقطم : " ولما كان الرجل هو العنصر المهاجم لفضيلة العفاف عند انحلال ربــط الآداب والمرأة هي المدافعة عنها .. فالعقل يقتضي تقوية قواها العقلية مع قواها الأدبية وتوسيع إدراكها واختبارها حتى تعرف كيف تحفظ منزلتها من الفضيلة والكمال . "

فيجيب عنه "وجدي" بقوله : " **إن هذا النوع من التربية يستحيل أن يعطي لكل امرأة بل لن ينال إلا بنات المثرين فقط ، لأنه يستدعي سنوات عديدة في المدارس تستلزم ثقل البنت**

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٣٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

يشبه هذا حال بعض النساء في المجتمع الحالي من العمل من أجل تحمل تكاليف وأعباء الحياة مع الرجل .

(٣) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ١٠٢

ذهـبا [1]وبذلـك يـبقى أكـثر من تسعة أعشار البنات عارياً من مثل ذلك التهذيب الفلســفي أي معرضــات للانصــياع لحيل العنصر المهاجم أي الرجل وبناء عليه ؛ فإن هذا الحجاب المعنوي الذي يشير إليه أنصار الابتذال أشد على المرأة من ذلك الحجاب الرقيق بما لا يقدر – يستفهم في تعجب قائلا – لماذا لا يهبون المرأة حجابها المادي لتكتفي هي والرجل مؤونة هذا الجهد الهائل . "[2]

"ففـريد وجدي" يرى أن الحجاب يحمي المرأة من الرجل ويحميها من نفسها وهراء أن نــرفع الحجاب ثم نقول لها صوني نفسك من الرجل وانتصري عليه وعلى شهواتك فهذا ظلم بين .

ويــردد" قاســم أمين" أن للحجاب أضراراً من ذلك .." أنه يحول بين المرأة واستكمال تربيــتها " [3]... ويوضـــح قاسم أن العمل وتطبيق ما درسته هو المقصود باستكمال تربيتها "فمزاولة الأعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الأمور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب ، كــل هذه الأشياء هي منابع العلم والآداب الصحيحة ، بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرَجات وأمامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط إلى أسفل الدرجات " [4]

أما فريد وجدي فيؤكد أن الحجاب لا يمنع المرأة من استكمال تربيتها .

" أمــا الحجــاب .. ففوائده أنه يمتع المرأة بحريتها الحقيقية وقد علمت ما هي تلك الحــرية ويمكنها من استكمال تربية نفسها ؛تربية أموية . ويعوقها عن مشاركة الرجال في أعمــالهم وهــو الأمــر الذي نخر عظم هذه المدنية المادية ، بشهادة علمائها في القارتين الأوروبيــة والأمــريكية ، ويجبر أهلها وحكومتها على ضمانة معاشها بالطرق الحكمية ، ويمتع الزوجين بلذة الحياة الزوجية ، ويتأتى معه وجود أمهات قادرات على تربية أولادهن تربية إسلامية ، وبه تكون الأمة كإنسان صحيح البنية له أعضاء ظاهرية وأخرى باطنية. [5]"

ونجد رأي "الشيخ الشعراوي" يشبه لحد كبير رأي فريد وجدي يقول الشيخ الشعراوي عن فضل الحجاب :–

---

(١) هــذا كان في بداية القرن العشرين، وقد حلت هذه المشكلة على يد الأستاذ طه حسين عندما دعا إلى مجانية التعليم فهو صاحب الكلمة المشهورة ؛ العلم كالماء والهواء .

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٩٧

(٤) المصدر السابق : ص ١٠٥ .

(٥) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٤٨

" الحجاب بالنسبة للمرأة .. إنه لصالحها ولأمنها .. وليحفظ لها بيتها وزوجها .. وأنه من مصلحة المرأة مثل غيرها – أن يكون الحجاب عاماً .. وألا يختلط الرجال والنساء ، وأن المــرأة التي تسمح لنفسها .. بأن تفتن أزواج غيرها بدعوى الحرية أو غير ذلك .. لا بد أن تسمح لغيرها بأن تخطف منها زوجها ... "(١)

"والشيخ محمد الغزالي" .. جمع بين رأي كل من قاسم أمين وفريد وجدي حين ينادي بالتربية (السلوكية) مع الالتزام بالحجاب كزي شرعي مع خروج المرأة .

" إن الحجــاب المشــروع ، وغــض البصر ، وإخفاء الزينات والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء في أي اختلاط فوضوى ، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمي والاجــتماعي والعســكري – عند الحاجة – كل ذلك يؤتي ثماراً طيبة في بناء المجتمع على الفضائل ."(٢)

ونــنهي الحديــث عن الحجاب بتعقيب"فريد وجدي" على مقال مستشرق يوضح حال المرأة المسلمة في المغرب العربي ، يقول المستشرق :-

" أمـــا حالة هؤلاء النسوة فتلوح لهن عادية لاشية فيها . أما اللاتي يتألمن منها اللائى يردن أن يدفن لذة الحرية التي لا تصلح لها بيئتهن ، ولا يصلحن هن لها ، والعربيات وإن كن عـــلى جـــانب عظيم من الذكاء ، فإن نفوسهن قد ألفت العادات التي نشأن عليها ، وإن كانت تربيـــتهن الحديثة قد جعلتهن كالمنحطات على مكانتهن . وقد عرفت شابتين عربيتين كلتيهما حاصلة على الدكتوراة في علم الحقوق ، دخلتا الحريم بالزواج بعد عودتهما من جامعة باريس عن طيب نفس ولم تخرجا منه وليس هذا بالأمر النادر ... فعلى المرأة الأوروبية التي يسعفها الحــظ بأن تقبل في الحريمات باعتبار أنها صديقة لأهلها ، أن ترى من الواجب عليها أن لا تحـــاول جــذب أخوتهـــا العربيات إلى قبول فكرة التحرير. فهذه قد تكون غلطة بسيكولوجية واجتماعية ...(٣)

ولكـــن يجـــب عـــليها أن تعتبر صواحباتها المسلمات الجميلات اللاتي يشبهن ملكات بيزنطة ، مخالفات لها في الشعور ، فيجب أن تعاشرهن وأن تحترم أسلوب حياتهن ، دون أن

---

(١) محمد متولي الشعراوي : المرأة في القرآن الكريم : ص ٩٧ .

اعتقد أن المقصود هو الاختلاط الفاسد الذي لا يراعي فيه تعاليم الدين .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٤١

(٣) هذه المقالة كتبت بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الدعوة إلى تحرير المرأة .

تسعى في بذر بذور الآراء التي لم تستعد عقولهن لقبولها . "[١]

هذا عن الجانب الموضوعي في المقالة أم عن التلويح من بعيد لحجاب المرأة أي عدم خروجها يقول :-

" أمـــا أعظم ما يمكن أن يعمل لهن فهو العناية بأمر صحتهن ، وإشراك الأزواج في هذه العناية .. ذلك لأنهن مصابات بفقر الدم بسبب معيشتهن في الظل ... "[٢]

ويعقب وجدي مستنكرا الاتهام بأنهن أسيرات المنازل :-

" فـــإن تـــلك النســـوة إن كـــن محجبات فهن لسن بمحبوسات ، وكل من زار البلاد المغـــربية يعرف ذلك كل المعرفة ، ولكن كتاب الفرنجة يعادون الحجاب ، ولا يقصرون في اتهامه بكل نقيصة ويقلدهم لدينا من يأخذون أخذهم ويزيدون عليهم في مناوأته . "[٣]

ويتعجب"وجدي"مما آل إليه حال النساء مع السفور ويتساءل أين دعاة التحرير ؟

<u>ثانيا التعليم :-</u>

ثـــاني القضايا التي تفرعت عن دعوة تحرير المرأة ، ضرورة تعليم المرأة ، هل هو حقها أم لا ؟!

وإذا اعترفنا بأحقيتها في التعليم ، فما هو نوع التعليم المناسب الذي يجب على المرأة أن تتلقاه ليناسب تكوينها ووظيفتها في الحياة .

وتعليم المرأة يلزمه ويكمله ويسبقه التربية وهي مفتاح لتعليم الفتاة .

أشـــار كـــل مـــن"قاسم أمين" و"فريد وجدي" لضرورة التربية وفسرها كل منهما حسب مقصـــده وهدفـــه الخاص ، و"فريد وجدي" يؤكد في بادئ الأمر حق المرأة في حريتها ولكنها حرية مشروطة بالاعتدال .

يقول : " نعم لم تخلق المرأة لتستعبد فيجب عليها أن تجاهد لنوال حريتها المعتدلة . ولكـــن بـــأي سلاح .. ليس ذلك السلاح إلا معرفتها خطارة وظيفتها وسمو مقام الهبة التي

---

(١) مقـــال نشـــر في جريدة (جورنال دو جنيف) السويسرية بعنوان (حالة المرأة العربية في الحريم) عربه فريد وجدي ونشره في المجلد الحادي عشر من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٩هـــ ، ص٥٧١ وما بعدها نقلا من مناقشات وردود ، محمد فريد وجدي ، جمع محمد رجب البيومي ص ١٨٨

(٢) المصدر السابق : ص ١٨٨

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ١٨٩ ، ١٩٠

قسم د.يونان لبيب رزق تفاعل المرأة مع الدعوة إلى تحريرها إلى ثلاثة أطوار (بالنسبة للصحافة) ، الأول : موقف المتفرج من أبان الدعوة الأولى على يد قاسم أمين سنة ١٨٨٩ م ، ثم الطور الثاني : التوقيع في الصحف بأسماء مستعارة على مقالاتهن ، والطور الثالث : الـــتوقيع بالأسماء الحقيقية وعلى حد تعبيره (فأسقطن بذلك الحجاب الذي طالما فرض حتى على أسمائهن !) أنظر الأهرام " مقالة المرأة المصرية في حياة الأمة " ص ٧ بتاريخ ١١ من مارس ١٩٩٩ م

منحـــتها والعمـــل على حسن التصرف بها . هذا السلاح يجعلها موضوع التجلة والاحترام ومحـــل الإجلال والإعظام لأنها تعتبر عندئذ مليكة لأزمات الإحساسات وسلطانة على منازع الطـــباع فهـــي إن شـــاءت جعلت الحكومة ملوكية وإن شاءت قلبتها جمهورية وإن شاءت عملـــتها اشـــتراكية وما ذلك إلا بتربية الأطفال على حسب أميالها وسوقها إياهم إلى الغاية التي تتمناها ... "[1]

ويشير "وجدي" إلى عدم جدوى تعليم المرأة أمام خطورة وأهمية التربية ..

" أمـــا كـــان يجـــدر بالدكتورة أو المهندسة أن تكون والدة مهذبة تلد خمسة دكاترة وخمسة مهندسين ينفعون النوع الإنساني ويكثرون النسل ويعملون على فلاح الأمـة . "[2]

ويؤكـــد فريد وجدي الضرر اللاحق بالأطفال من جراء جهل الأم .. " ولو كان في بلادنا إحصائيات كاملة لعلمنا منها أن أكثر الأطفال يموتون من جهل الأمهات بشروط التربية الطفلية . " [3]

وهو في هذا يتفق مع رأي "قاسم أمين" القائل بضرورة تربية المرأة ثقافياً لتحافظ على أســـرتها .. " يمكنني أن أقرر بوجه الإجمال حقيقة أود أن يطلع عليها كل أب وأم ، وهي أن جميـــع العيوب التي تشاهد عند الأطفال . مثل الكذب والكسل والحمق ، هي ناشئة من جهل أبويـــه بقواعد التربية وأن من السهل إزالة هذه العيوب بالوسائل الأدبية وقد يتوصل لإزالتها بالوسائل الطبية . "[4]

ويوضـــح "فريد وجدي" دور المرأة في المنزل وتربيتها لأبنائها واتفاق هذا مع تكوينها ويشاركه "قاسم أمين" في أهمية هذا الدور يقول [5]: " نصرح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هي أن تتزوج وتلد وتربي أولادها ".

ولكـــن قاسم لا يغفل مع هذا الدور الهام أهمية التعلم يقول : " إنما الخطأ في أن نبني عـــلى ذلـــك أن المـــرأة لا يلزمها أن تستعد بالتعليم والتربية للقيام بمعاشها وما يلزم لمعيشة أولادها إن كان لها أولاد صغار عند الحاجة " .

وبعـــد سنوات من النقاش الذي دار حول تعليم الفتاة أثيرت اتهامات بأن التعليم أفسد الفـــتيات فأنبرت أقلام تدافع عن تعليم الفتاة موضحة أن العيب في التربية لا في التعليم ومن

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٤٠ .

ينـــبه وجـــدي المرأة إلى السلاح الذي تملكه وهي غافلة عنه ، فهذا السلاح قد يصل بها إلى العدل الذي تريده أو الظلم للرجل ولكنه يقول إن الله بما خص به المرأة من صفات ، يجعلها تستخدمه بطريقة سليمة ، إن هي فطنت إلى ذلك وأوافقه على قوة هذا السلاح .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢

(٣) المصدر السابق : ص ٢٧

(٤) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ٧٧ .

(٥) قاسم أمين : المرأة الجديدة : ص ١٠٢

ذلك باحثة البادية "ملك حفني" تقول [1]: " " التربية الحسنة : هي التي تعود الإنسان من صغره احترام الغير إذا استحق الاحترام ولو كان عدوا . فالتعليم لم يفسد أخلاق الفتيات . وإنما هي التربية الناقصة تلك التربية – في الحقيقة – يجب أن تكون من أعمال البيت لا المدرسة، ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التي تؤهلها لإحسان تربية الأطفال ، فقد وجب علينا أن تضاعف مجهوداتنا لإصلاح شأن أنفسنا أولا ، ثم إصلاح النشىء ؛ ولا يتم ذلك في لحظة كما يتوهم. ومن الظلم أن نلقي مسئولية الفساد كلها على المدرسة ؛ فإن المدارس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها محل الذنب . بل العيب في الأسر . "

ومن مقترحاتها صدور لائحة تشريعية تحمي الفتاة والمجتمع وتحافظ على تعاليم الإسلام في آن واحد من مواد هذه اللائحة .. " تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة .. إطلاق الحرية في تعليم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد .. اتباع عادة نساء الأتراك في الأستانة في الحجاب والخروج " .[2]

ونجد مقترحات باحثة البادية توافق كل مسلم حريص على دينه فها هو "الشيخ محمد الغزالي" يؤكد أهمية التربية واتباع تعاليم الدين ..

" إن الإسلام الحق هو الدواء الناجح ، والعناصر التي يقدمها لقيام مجتمع طاهر ، تصان فيه الأعراض ، وتسود أرجاءه العفة تبدأ من البيت ، فالصلوات تنتظم أفراده كلهم الصبية والرجال ، ويراقب أداؤها بتلطف وصرامة ، وتراعي شعائر الإسلام في الطعام واللباس والمبيت والاستئذان ، واستضافة الأقارب والأصدقاء ..

والشارع ليكون إسلامياً ينبغي أن يتعاون الجالسون والمارون فيه ، على سحق الكلمة البذيئة ، والنظرة الجريئة ، وعلى مطاردة العصيان والعرى بما في الوسع ،كما حددته الشريعة في قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. "[3]

تردد الرأي في تعليم البنات بين متشدد محافظ يفضل عدم تعليمها الكتابة ، وبين ميسر يرى أن التعليم فريضة ومكرمة ودور المرأة الأساسي هو الزواج والأمومة والبيت ، فهذا هو الدور الذي أعدها الله له .

يرى "محمد عزة دروزه" أن حق المرأة في التعليم .. " ليس من شأن هذا أن يمنعن النساء من التعليم والتثقيف ، والجهد في سبيلهما لأن ذلك يرفع من قيمتهن ويزيد من فهمهن للحياة من جهة ، ويساعدهن على القيام بمهنتهن بكفاءة من جهة أخرى ، وليس من شأنه كذلك

---

(١) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٧ ، ط الثامنة يونيو ١٩٨٦م ، رمضان ١٤٠٦هـ – مكتبة عابدين – القاهرة .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٨ .

(٣) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٤٣ .

أن يمـنعهن مـن ممارسـة نشاطات عديدة اجتماعية بل وسياسية في نطاق الاعتدال وخدمة المجتمع "[١]

وعلى هذا فكل عمل يخل بالرسالة الزوجية والأمومة للمرأة يخرج من صفة المشروع ولو كان في حد ذاته مشروعاً .

والشـيخ "محمـد الغزالي" يرى ضرورة تعليم الفتاة وأن من يرفض هم الجهلة الذين يتحدثون بلسان الإسلام ظلماً وهو يصف حالة المرأة في بداية الدعوة إلى تعليمها .. يقول :[٢]

" والناس يكرهون الأنثى لضعفها ، وهم الذين استضعفوها ، وضنوا عليها بما ينضج مواهـبها ويسـاعدها عـلى إعطاء الثمر الطيب !! وقد عاصرت أياماً كان تعليم الأنثى فيها جـريمة أو كان ذهابها إلى المسجد منكراً ! وكان الملتصقون بالدين يبخسون حقوقها المادية والأدبية جهرة ! ولا تزال بقايا من أولئك المتدينين الجهلة تظلم الإسلام بسوء الفهم والعرض في شتى الميادين .."

وبعـد الاتفـاق على مبدأ حسن التربية وضرورة التعليم ، يبقى نوع التعليم ؛ما الذي تحتاجه المرأة لتتعلمه ؟ هل كل فروع العلم ، أم نوع خاص ، دون سواه ؟

فـنرى قاسم أمين يفخر بالمرأة الأمريكية التي تعددت علومها يقول :[٣] " يكفي للبيان ارتقاء شأن المرأة الأمريكية أن نقول إنه تبين من الإحصائية التي عملت في سنة ١٨٨٠م أن النساء المحترفات بالعلوم والأدبيات فقط بلغ عددهن خمسة وسبعين في المائة .. "

ولكن فريد وجدي لا يقتنع برأى "قاسم أمين" .. يقول[٤] " **لكن حضرته لم يشر إلى ما جره هذا الأمر من المفاسد الاجتماعية القتالة ، تلك المفاسد التي يعلمها كل واقف على كنه الحـركة هناك من الإحصائيات الصحيحة** " ... ويستشهد بآراء المرأة الغربية نفسها فيما جره عليهن التعليم .. يقول : " نورد هنا ملاحظة (مدام دوافرينو) ... **ولكن يظهر أنه كلما أمعنت المـرأة فـي التوسـع بالفنون والعلوم زاد الرجل في طلاقها يمتد فيها إلى حد غريب غير موجود في هذه البلاد الإسلامية وسواها .** "

ويشير فريد وجدي إلى التعليم في مدارس الغرب وتجاهلهم لأهم ما يجب تعلمه [٥].

" **.. فـتراهم يعلمونهن بالتدقيق علوم الكيمياء والطبيعة والرياضة ومع كل هذا تجد أن الشابة التي نالت قصب السبق في العلوم والتي تضلعت في جميع مواد البروجرام جاهلة**

---

(١) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٨ .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بيت التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٦٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٣ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٩٦ .

لـــلدرجة القصـــوى بأبســط الــنظافات المنزلية" ويستشهد وجدي برأي كاتب فرنسي جول سيمون.. " **كنا نشكو من التفريط في التعليم فصرنا نشكو من الإفراط فيه** " .

ويبين "الشيخ محمد الغزالي" فساد النظم الغربية التي تلقت منها المرأة التعليم :-

" ولقـــد كـــانت قـــبل الاستعمار الحديث أمية لا تقرأ ولا تكتب ، وفرضت عليها هذه الأميـــة باسم الإسلام المفترى عليه ! فلما اجتاحت بلادنا الحضارة المادية المعاصرة ، فتحت أبواب المدارس للمرأة .. فلم تتعلم فيها حقائق التراث الغالي ومناقب المرأة في عصرها الأول .. كلا لقد غزا عقلها الفكر الأوروبي ، ونهجه الشارد ، فإذا نحن أمام تقاليد لا تستر ومناهج لا تنفع ، بل قد تضر [١]!! .."

" ويـــناقش فريد وجدي أي أساليب التعليم أصلح لحال النساء [٢]:- " **وجب علنيا أن نـــبحث على أحكم أسلوب نؤدي به للمرأة هذا الواجب التهذيبي عملاً بقول مؤسس العمران الإلهي صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)** ".

ويوضـــح وجدي علة رفضه لأساليب التعليم الغربية فهو ليس تعنتاً أو رفضاً للغرب لكونـــه غرباً بدليل[٣] .. " **لو رأينا ذلك الأسلوب الصحيح عند أية أمة من الأمم مهما كانت منافية لنا ديناً ودنيا فلا نتأخر عن تقليدها فيه بدون تعصب؛ طاعة لترجمان الحكمة الإلهية صلى الله عليه وسلم .. " خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت** "

ويجب علينا قبل أخذ هذه الأساليب أن نختبرها "**فالأولى أن لا نتهافت على أخذ شيء قـــبل سبر غوره بمسبار العقل والحكمة عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن كيس فطن حذر** " .

فإن وجدنا ضالتنا عند أية أمة من الأمم أخذناها على الرأس والعين ونكون قد قمنا بواجب ديني فإن " الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها " .

وإن لـــم نجدهـــا وجـــب علينـــا أن نعمل قرائحنا ومواهبنا في ابتكار ذلك الأسلوب المنطـــبق عـــلى الفضيلة والفطرة ، وأن نستنزل على أرواحنا الرحمة الإلهية ، لتهدينا إلى أحســـن الســـبل وأقومها ، فإن الله أكرم من أن يتركنا نجاهد وراء الحقيقة عبثاً فقد وعدنا ووعده الحق بالهداية ، حيث قال : " .[٤] وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

---

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٩٠

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ١٩١

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٢

(٤) سورة العنكبوت : آية ٦٩

وبعد توالي الأعوام ، يرد فريد وجدي على أحد رسائل الشباب ، فقد سأله أحدهم عن تعلم المرأة ، وعملها ومخالطة الرجال ، ونستشف من رده ، تغيير وجهة نظره على مدار أعوام تناهز الثلاثين وتزيد يقول :(١) " **إن الإسلام لم يضع للنشاط العقلي للمرأة حداً ؛ فأباح لهـا أن تتوسع في العلوم ما أمكنتها الفرص من ذلك ، وما ساعدها عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبث علمها في الناس ، ولم يخطر على الرجال الأخذ عنها ، بل روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء " يريد عائشة أم المؤمنين ، وقد روت ما رأته من سنته وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذه عنها الرجال ، وكانوا يقصدونها ليستزيدوها علماً ، وما كانت هي تضن عليهم بذلك .. فلما استبحر العلم فيهم ، ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأساً في تلقي المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إن بلغت درجة الاجتهاد ، وجوز بعضهم أن تلي القضاء ، وأن تفتي المسلمين .** "

ويتفق "الشيخ محمد الغزالي" مع فريد وجدي في كون أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قدوة لنساء المسلمات يقول الغزالي (٢): " وكانت - رضي الله عنها - تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت .. وعلم عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحيح ، ورد ما يشيع من خطأ ، وكان رسوخها في فهم القرآن ، وفقهها في السنة النبوية ، وإطلاعها الواسع على أدب العرب ، يجعلها المرجع الثقة أبدا .

ألا تكون هذه السيرة الناضرة أسوة للنساء المسلمات في شتى الإعصار ، والأمصار؟ أم نقول للنساء : أقعدن في البيوت ، لا شعر ولا نثر ، ولا دين ولا دنيا !! "

ويشير "د.عبد الله شحاتة" إلى بعض النماذج من النساء المتعلمات والمعلمات في تاريخنا الإسلامي ، يقول :-(٣)

" حفلت كتب الأدب والتاريخ بذكر نماذج متعددة لنساء فاضلات ، بلغت مرحلة متفوقة في الثقافة والعلم ،وهذه أمثلة منهن :- زينب عبد الرحمن الشعري ، كانت عالمة جليلة وقد أخذ عنها أعيان العلماء رواية وإجازة ، وممن أجازها الحافظ أبو الحسن الفارسي ، وأبو القاسم الزمخشري صاحب تفسير الكشاف ، وقد أجازت هي ابن خلكان وكان صغيراً تشجيعاً له .

---

(١) محمد فريد وجدي : من معالم الإسلام : جمع ومراجعة د.محمد رجب البيومي ص١٣٣ ، نقلاً عن مجلة الأزهر ، المجلد السادس .جـ السابع - رجب ١٣٥٤هـ - الدار المصرية اللبنانية سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٩١ ، ٩٢

(٣) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٨٢

عنيدة جدة أبي الخير التيناني الأقطع ، وكانت تجلس للتدريس فيجلس أمامها خمسمائة تلميذ من الرجال والنساء .

ويكفينـا فـي هذا المقام أن نذكر أن ابن عساكر عد أساتذته الذين أخذ عنهم ، فكان منعهم إحدى وثمانون إمرأة كما قال ياقوت في معجم الأدباء " .

وبعـد هدوء الجدال حول حق المرأة في التعليم ، يستمر الخلاف حول ما يجب على الفـتاة تحصـيله من العلم ، فما يراه أحدهم أن ذلك الفرع – من العلوم – بعينه لا يعود بفائدة عـلى المرأة نرى آخر يقول بأهميته بل وكونه أنسب للمرأة -وهي في اعتقادي آراء نسبية– مـن هذه الصور المتناقضة : يقول "البهي الخولي" (١): " وإذا كانت الظروف تدعونا إلى أن يكون من الفتيات طبيبات أو مدرسات ، فلا بأس بذلك ، لأنا نستحسن أن يكون الطبيب الذي يعـالج المـرأة امرأة مثلها ، والمدرس الذي يعلمها امرأة أيضا . أما تعليم الحقوق والكيمياء والهندسـة العليا ، فضرب من الترف لا يكون إلا على حساب المهمة الأصلية التي أعدت لها الفتاة ."

ويوضـح رأي الإسـلام فـي هذه العلوم التي يستنكرها هو؛ إرضاء للحق والحقيقة. يقول : " إن شيئا من تلك العلوم ليس محرماً على البنت في الإسلام ، ولكن المصلحة – قطعاً – في أن تدرس غيره مما يعود عليها بالمنفعة في مهمتها الأصلية . "

ويكرر أن بعض العلوم يكون ضررها أكثر من نفعها " لقد دخلت الفتاة كلية الزراعة وكلية العلوم وكلية الصيدلة .. فماذا جنت الفتاة بنجاحها في كلية الزراعة وكلية الصيدلة؟ .. لم تجن إلا أنها خرجت من نطاق الرقة ومشاعر الأنوثة إلى الإسترجال الخشن " .

وفي حين يرفض البهي الخولي هذه العلوم يمدحها "عبد المتعال الجبري" يقول : (٢)

" وطالمـا كان لدى الفتاة فراغ فشغله بالتعليم واجب .. وفي كل كلية جامعية ومعهد عال ، يوجد من الأقسام ما يتفق قليلاً أو كثيراً مع وظيفة المرأة الطبيعية . فكلية الزراعة بها قسم للصناعات الغذائية .. وهكذا . "

كما لا يرى "د.عبد المتعال الجبري" ضرراً في تطبيق ما تتعلمه الفتاة ما دامت تحافظ على تعاليم الإسلام في سلوكها يقول(٣) : " وقد درجنا على أن نرى الفلاحة تعمل مع زوجها فـي تـربية الدواجن بالمنزل ، وقد تساعده في الحقل في زيها المحتشم ، ولم يثر واحد من العـلماء عـلى هـذا . ولئن عملت المهندسة الزراعية في مزرعتها ، أو مزرعة زوجها ، بالأسـلوب العـلمي في زي إسلامي لم يكن هنالك مانع ولا اعتراض ، اختلف أسلوب العمل

---

(١) البهي الخولي : بين البيت والمجتمع : نقلاً من عبد الله شحاته : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٩٩ ، ١٠٠

(٢) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٤ .

فـي المجـال الـزراعي طـبقاً للاخـتلاف بين ثقافة الفلاحة الزراعية .. وثقافة المهندسة الزراعية.."

وفـي حين يرفض البهي الخولي تعليم المرأة لعلوم الطب والصيدلة ، نرى د.عبد الله شحاته"يراها أنسب العلوم للمرأة ، ويقول : (١)

" فـالطب والصيدلة والتعليم والمحاسبة والكتابة أكثر انطباقاً على المرأة الجامعية من هندسـة الطرق والميكانيكيات أما غير الجامعية فأمامها الغزل والزخرفة والخياطة والتطريز والرسـم والـتجارة والعمل الديواني والهاتف والبريد ومثل ذلك ، وهو أنسب لها من الحدادة والنجارة والطباعة "

ثالثا : العمل :-

إن قضية العمل هي التالية لقضية التعليم ومقترنة بها لا محالة .

وقد اعترف فريد وجدي بأحقية المرأة في التعليم ، ولكن موقفه من العمل اختلف ، يقول (٢):-

" .. إننا لا نظن أن توغل المرأة في العلوم والآداب يجعلها مكروهة لدى الرجل ، ولكن الذي يجعلها قبيحة مزدارة هو مزاحمتها له في عمله الخارجي ليس إلا !.. "

وقـريب مـن هـذا الرأي قول "د.عبد الله دروزه" يقول (٣): " إذا سمح للمرأة بنشاط موسع، زاحمـت الرجال ، ولن تكون المرأة بديلاً عن الرجال ؛ لأن ذلك يكون قلباً لأوضاع الطبيعة والجنسية والشرعية . "

ويوضح"فريد وجدي" أن طبيعة المرأة وتكوينها «ينافي الخروج إلى معترك الحياة:(٤)

" انظر المرأة في إحساساتها تجدها مثال الرحمة والشفقة ونموذج الرقة والدعة ثم انظر لها فـي عواطفها ، تجدها ميالة لتضحية نفسها في سبيل غيرها ، مستعدة بفطرتها لعمل الخير والبر وهذه كلها صفات تنافي أهوال العالم الخارجي تمام المنافاة لأن الحياة الخارجية نضال وضراب وقتال وقراع للقوة ، فيها الشأن الأول وعلى القسوة في كل مناحيها المعول"

---

(١) عبد الله شحاتة: المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٩

ولا ننسى ونحن نتحدث على التعليم أن نذكر فضل رفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وطه حسين ، أولئك الذين حثوا على تعليم المرأة ، وقد عانى أخيرهم برميه بالإلحاد ، يوضح محمد الغزالي ١٩-٢٠ هذا الأمر قائلا :- " إنني عاصرت أوائل عمري معركة نشبت بعد مـا اكتشف أن الدكتور طه حسين أذن لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب ، عندما كان عميدا لها .. كان موقف الإيمان — أو بتعـبير أدق — موقـف المؤمنين أن ذلك لا يجوز ، أما الطرف الآخر ، والذي سمي بالملاحدة ، فهو الذي ناصر تعليم المرأة إلى أعلى المستويات ، أي إنصاف للإسلام في هذه المعركة السخيفة ؟ الدين مع الجهل ، والإلحاد مع العلم ؟ إلى متى نسمح لأناس يكذبون على الأرض والسماء باسم الدين؟ " .

(٢) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٦٣ .

(٣) نقلا عن عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٧٨

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٩٣

" إن كل ما في المرأة يدل على أنها يجب أن تعيش في عالم غير عالم الرجل ، وإلا فتكون كما يقول عنها الأستاذ (جيوم فريرو) .. جنساً ثالثاً بين الرجال والنساء من مميزاته شحوب الوجه وعبوسه ودوام الكآبة والماليخوليا . "(١)

ويرى "قاسم أمين" أن العمل قد يكون ضرورة " ما الحيلة إذا كان نظام الوجود يقضي بأن كثيرا من النساء يعيشن في الوحدة والانفراد ويسعين ويعملن لكسب قوتهن وقوت أولادهن وبعض أقاربهن من القواعد والعاجزين عن الكسب . "(٢)

ولكن يرى "وجدي" أن تلك المشكلة قد أوجد الإسلام لها حلا يقول : **" إذا علمت أن اشتغالهن خارج بيوتهن خلل اجتماعي خطير ، فالذمة وحب الجماعة تقضي علينا ألا نسعى في زيادة انتشاره بتسهيل سبله ،بل توجب علينا الإنسانية أن نعمد إلى مداواته بكل وسعنا وبجهد استطاعتنا ، ونقلد الرجال الغيورين على مستقبل النوع الإنساني في أوروبا وأمريكا بالإشارة على الحكومات بسن القوانين الكافلة لراحة هذا الجنس الرقيق"** ثم يتساءل قائلا : **" فلننظر الآن إلى مدنية الديانة الإسلامية لنرى هل فيها ما يضمن حياة هذا الجنس من مخالب الجوع والفاقة ؟ "**

ثم يجيب بقوله **" نعم إنها ضمنت ذلك بقولها إنه لو مات زوج المرأة ولم يكن لها عائل من أقاربها عموما وجب على بيت المال أن يقوم بنفقاتها في كل ما تحتاج إليه هذا ما تقوله المدنية الإسلامية " .**

وبعد أن ذكر ما يؤيد رأيه من الإسلام أتى بما يؤيد هذا من الغرب حتى لا يكون لمعترض حجة ، يقول : **" قال أجوست كونت في كتاب (النظام السياسى) وفي حالة عدم وجود زوج ولها أقارب يجب على الهيئة الإجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة .**

ويتشابه رأي "العقاد" مع رأي فريد وجدي حين قال الأول (٣)" وإذا اتخذنا حالة المرأة النافعة لنفسها ولنوعها مقياساً المجتمع الأمثل فخير ما يكون عليه هذا المجتمع إذن أن تكون المرأة فيه مكفولة المؤنة في أمومتها وأن تكون لها كفاية الأمم التي تؤهلها لتزويد الأمة .. بجيلها المقبل على أصلح ما يرجى من سلامة البدن وسلامة الفكر وسلامة الطوية ."

ولكنه يرى أن الإسلام لا يمنع عمل المرأة للضرورة يقول (٤): **" وقد تلجأ المرأة غداً كما تلجأ اليوم إلى كسب الرزق ودفع الحاجة ، والاعتصام بالعمل من الضنك والتبذل ، فإذا سيقت المرأة إلى هذه المآزق ، فليس في أحكام الإسلام حائل بينها وبين عمل شريف**

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٩٥

(٢) المصدر السابق : ص ٨٠ ، ٨١

(٣) عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ١٩٣ ، نقلا عن المرأة في القرآن ، عباس العقاد .

(٤) المصدر السابق : ص ٧١

تزاول له المرأة ، وليست كثرة العاملات في الغرب اليوم وقلتهن في الشرق لمانع من موانع الإسلام وأحكامه ، وإنما هو الفارق بين مجتمع ومجتمع وبين أطوار وأطوار . "

ويؤكد هذا المعنى "البهي الخولي" ، بقوله [1]: " إن الدين لا يحرم على المرأة أن تعمل ، ولكنه يحرم أن تهجر ميدانها الطبيعي بدون عذر ، وهو ميدان لا يجدي فيه سواها ، إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاءة ومقدرة ، حيث لا حاجة إليها "و إباحته للعمل مشروطة يقول " فلتغشى المرأة ميدان العمل العام ، ولكن عند الضرورات التي تجعل عملها فيه أجدى على الأمة من بقائها في ميدانها الطبيعي .. أما التقليد السخيف ، دون مراعاة لطبائع الأشياء فتفاهة ونكسة لا نرضاها للمرأة أياً كانت مسلمة أو غير مسلمة . "

وكذلك يقول "د.محمد دروزه" [2]: " يجب ألا يتعارض نشاط المرأة الاجتماعي والخارجي مع رسالتها الأولى في بيتها .. الحق عندنا .. أن يكون اضطلاع المرأة بالأعمال التكسبية في نطاق ضيق من جهة ومنوطاً بالدرجة الأولى بالحاجة والضرورة من الجهة الأخرى . "

يقول "قاسم أمين"[3] : " لهذا يمكننا أن نؤكد أن عدد النساء المحترفات لا بد أن يزداد في كل سنة عن الأخرى ؟ لأننا سائرون في الطريق الذي سارت فيه أوروبا قبلنا " ، ويعترض عليه" فريد وجدي" قائلاً [4]: " **نهبط عن عرش عزنا إلا لترك الأصول المؤصلة لسعادة الحياتين ، وتلك أمم ربطت آحادها ، روابط الجنسية أو الوطنية ، ورسخ في أذهانها أنها لم ترتق إلا بترك التعاليم الدينية . "**

"ففريد وجدي" يرى أن تقليد الغرب المطلق هو دعوة إلى العلمانية ثم يتساءل في استنكار " **وهل يمكن حدوث هذا التحول الذريع ما دام العلم التجريبي يرينا كل يوم أن ديننا هو إكسير شفائنا ، ومرهم سائر جراحنا وهو الأمر الذي أدركه مثلنا كثير من مشاهير علماء الغرب . "**

والشيخ" الغزالي" يرفض تقليد الغرب في الأمور البعيدة عن ديننا : " أما السباق العام في مرضاة الله بالإيمان والعمل ، فميدان مفتوح للرجال والنساء ، يتصدر فيه الأتقى والأذكى

---

(١) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٢ نقلا عن المرأة بين البيت والمجتمع " البهي الخولي " عالم معاصر ؛ انتقل إلى جوار الله في ختام القرن الرابع عشر الهجرى ، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة ، واشتغل بالدراسة الإسلامية الجادة المتبصرة زماناً.

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٧٩

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة : ص ٧٢

(٤) المصدر السابق : ص ٧٣

" مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ " (١).

ويستدل "د.علي عبد الواحد وافي "على أحقية المرأة في العمل من التاريخ الإسلامي ، يقول(٢) : " وقد ساوى الإسلام كذلك بين الرجل والمرأة في حق العمل . وقد كانت النساء في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقمن بكثير من الأعمال في داخل بيوتهن وفي خارجها . وإليك مثلا أسماء بنت أبي بكر (وهي أخت عائشة أم المؤمنين وزوجة الزبير) فقد كانت تقوم بكثير من الأعمال اللازمة لزوجها وأسرتها في داخل بيتها وخارجه ، وفي ذلك تقول هي نفسها : " كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحتش له ، وكنت أخرز الدلو وأسقي الماء ، وأحمل النوى على رأسي من أرض له على ثلثي فرسخ "

ومن هذه الرواية يدلنا "د. عبد الله شحاتة" على الأعمال التي تناسب المرأة ، يقول(٣): " والعلماء يستنبطون من هذا النص جواز عمل المرأة في الغزل ، ويقاس عليه كل عمل شريف يناسب المرأة ، فخياطة الثياب وأعمال الإبرة ، والتريكو ، والعمل على ماكينة الخياطة ، وماكينة التريكو ، وتفصيل الملابس الجاهزة ، والقيام بأي حرفة أو مهنة ؛ عمل مشروع أو مرغوب، ما دام ذلك مناسباً للمرأة ، وداخلاً في حدود إمكاناتها " ،

أما المحظور في عمل المرأة هو : " إذا ترتب على عمل المرأة مخالطة الرجال مخالطة تؤدي إلى ريبة أو فتنة ، تحول العمل إلى مكروه أو محرم بحسب حالته ،

وإذا ترتب على عمل المرأة تعطيل لجهد الرجل أو كفاءته صار العمل غير مشروع لهذا وينبغي أن تخرج المرأة إلى العمل في ثياب ساترة ، ملتزمة الجد والحياء والأدب الإسلامي وأن تعود إلى بيتها فور إنتهاء العمل ، وأن تضع لنفسها خطة تعتمد على رجوعها إلى منزلها عند تحقيق الكفاية ، فالضرورات تبيح المحظورات ، ولكنها تقدر بقدرها . ومما يبيح العمل أن تكون المرأة متفوقة تفوقاً باهراً في أمر من الأمور ، ويترتب على عملها نفع عام للجماعة . "

---

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافد : ص ١٩٥

سورة النحل : آية ٩٧ .

(٢) عبد الله شحاتة : المرأة بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، نقلاً من المرأة فى الإسلام لعليّ عبد الواحد وافى وهو أستاذ معاصر له دراسات متعددة فى علم الاجتماع وفقه اللغة والدراسات الإسلامية.

(٣) المصدر السابق : ص ٢٠٦

ويوضح "الغزالي"[1] دور المرأة في معاونة الرجل ، ورفع شأن الأمة معا :-

" إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما (فرديناد وإيزابيلا) رجل وامرأة تكاتفا على إسقاط علم التوحيد ! وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف يستطعن خدمة الإيمان كما استطاعت المشركات خدمة الضلال ، فلماذا يحال بينهم وبين هذه الخدمة ؟

ما أجمل أن يطاوع الزوجان ، وأن يتعاونا على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ! ما أجمل أن يكون الزوجان أديبين ، أو كريمين ، أو شجاعين ! فإن قعدت بأحدهما سورة عارضة ، أو وسوسة هابطة أسرع إليه الآخر فأخذ بيده وسدده على الطريق . "

عارض "فريد وجدي" في بداية دعوة قاسم أمين وأتباعه خروج المرأة إلى العمل ومخالطة الرجال ، ولكن المرأة لم تصغ إليه أو إلى غيره من الأقلام ؛ التي حثتها على البقاء في مكانها الأصلي ؛ البيت .

وتنتقل دعوة تحرير المرأة إلى مراحل أكثر عمقاً وخطورة ، فتخرج إلى التعليم ثم تخرج إلى العمل في شتى المجالات ، ويصبح لها دور ملموس فتخرج قضيتها إلى أبعد من مجرد السماح لها بالعمل إلى الوجود السياسي ومطالبتها بالمشاركة الفعالة .

ويفاجئنا "فريد وجدي" بآرائه الجريئة ؛ فيوافق المرأة على مطالبها ، بل يرى أحقيتها، ويدلل على ذلك من التاريخ الإسلامي الحافل بالقدوة والمثل الأعلى ، فترتفع أصوات تطالبه بتفسير واضح عن عدوله عن رأيه الأول مناشدة له بالثبات على مبدئه فيرد عليها وجدي بهدوء العالم الرزين وبمنطق الإقناع .

ومن هذه الأصوات، في يوم الدستور ذكريات يرويها "عبد العزيز فهمي باشا" وقد تطرأ في حديثه عن المرأة ومطالبها السياسية فعاتب وجدي قائلا [2]: " لقد قرأت في الأهرام رأياً للأستاذ فريد وجدي في تأييد هذه المطالب ، ولعله يراجع نفسه بعد ذلك فيما كتب ، لحاجتنا إلى تكريس النساء وقتهن لتربية جيل من الرجال يعي حقوقه السياسية ويتشبث بالمحافظة عليها ، وبذلك تكون المرأة المصرية قد ساهمت من طريق غير مباشر في تدعيم الحياة السياسية التي تطالب بها بطريق مباشر . "

ودفاع وجدي عن آرائه المتغيرة ، يتركز في ثلاث نقاط :-

١- عدم تراجعه عن رأيه وقد أعلن من قبل الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة .

٢- لا وجود للاعتراض خوفاً من الاختلاط ، لأن المرأة قد خرجت بالفعل .

٣- الدفاع عن الدين حتى لا تعلق به الشبهات ونخسر الجيل القادم .

---

(١) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ٨٢ ، ٨٤

(٢) مقالة بقلم عبد العزيز فهمي باشا : المرأة والحقوق السياسية ، جريدة الأهرام ص٥ يوم الخميس في ١٧ من جمادى الأولى ١٣٦٨هـ ، ١٧ من مارس ١٩٤٩ ، السنة ٧٥- العدد ٢٢٨٣٤

أمـــا في دفاعه الأول يقول[١] : " **فماذا قرر الإسلام للمرأة من حقوق ؟ " قرر لها أن يحســن أبوها تربيتها ، وأن تعلم ، ولم يضع لتعليمها حداً ، بل صرح أنها في حالة نبوغها يباح لها أن تدرس للرجال ، وأن تفتيهم ، وأن تتولى القضاء والمحاماة وهذه مزايا لم تنلها المرأة الأوروبية إلا في القرن العشرين .**

وقرر لها أن تحضر اجتماعات الخير ودعوة المسلمين ، وجرى العمل على ذلك في فجـر الإســلام ، فأخذ منه العاملون على إنهاض المسلمين ، ضرورة إشراكها في الأمور الاجتماعية العامة ، كما أخذوا من قوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم " كل النظم الدستورية التي لم تحدث إلا في القرون الأخيرة ، "[٢]

ويــتعجب" وجدي" من تغير ردود أفعال القراء فحديثه عن الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة لم يتغير ، يقول :-

" **فمـــا بال بعضهم ، حين ذكرنا أن الإسلام يسمح للمرأة بحقوق دستورية يرون في ذلك أمراً نكراً ، فهل كان تدريس المرأة العلم للرجال ، وتوليها القضاء والإفتاء فيهم ، والمـــرافعة أمـــامهم لا ينافي مهمة الأنوثة في نظرهم وينافيها أن تمثل جنسها في مجــلس الـــنواب والشيوخ بين جماعة موفوري الوقار والرزانة ، دعتهم المصلحة العامة للتشاور وإبداء الملاحظات والوصول بنظم الحكم إلى لباب العدالة ".**

ويســـتدل مـــن السنة على صحة رأيه : " روى البخاري ومسلم ومالك وأبو داود عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [٣]: " **إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المســـجد فلا يمنعها " أقول : وكان المسجد عندهم محل الاجتماع للصلاة والعلم والسياسة " قـــال بـــلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، فأقبل عليه عبد الله رضي الله عنه فسبه سباً ما سمعت مثله قط ، وقال أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول والله لنمنعهن " .**

---

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٣٨

وهـــذا الـــرأي يوافق رأي وجدي السابق بأن المرأة تستطيع أن تتحكم في الأمة فتجعلها جمهورية أو ملكية ، وذلك من خلال تربية الـــرجال (٩٨، ٩٩ ، محمد فريد وجدي : المرأة المسلمة) وقد كان لفريد وجدي رأياً سابقاً قبل نصف قرن يتعجب من مطالب المرأة بحقوقها السياسية ، وسنورد نموذجاً لهذا ليرى القارئ مدى التغير الذي لحق بأفكار وجدي يقول : " فقل لي بأبيك كيف يكون حال المرأة السياسية وهي في دور الوحام إذا هب أعضاء البرلمان عقب المجادلة في موضوع إلى الملاكمة والصياح كما يحصل كثيراً ، أو كيف يكون حالها من الانفعال والتحمس إذا قامت في وسط الأحزاب تثير العواطف وتستنزل المراحم لنسخ قانون أو تحوير مادة من لائحة وقـــام خطيـــب مصـــقع ففسق أقوالها وسفه حلمها ، وبرهن للمجلس بألف دليل على أنها على شطط عظيم كما يحصل كثيراً بين السياسيين ؟ إلى أي حال يؤول أمرها إذا كانت حاملا وإلى أي درجة يفسد لبنها إذا كانت مرضعاً ."

(٢) محمـــد فريد وجدي : الحقوق الدستورية للمرأة ورأي الشريعة الإسلامية فيها : جريدة الأهرام : في ٦ من أبريل ١٩٤٩، العدد ٢٢٨٥٤، سنة ٧٥ ، ص ٣

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٩

قـال الـنووي هـذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث وهي ألا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يسمع صوتها ، ولا بثياب فاخرة ، ولا مختلطة بالرجال ولا شابة ونحوها ممن يفتن بها " .

ويـرى" وجدي" أن الرأي الذي طرحه النووي هو الحل الذي يوفق بين تعاليم الإسلام وخـروج المرأة يقول[1] : " **كل هذه الشروط معقولة وممكنة ، فإن للحكومة الدستورية أن تشترط لمن يتولين النيابة من النساء كل هذه الشروط ، وإذا كان قد ساغ للنساء أن يلبسن الجلباب في الجامعات والمرافعات ويفتخرون بها ، فيسوغ لهن كذلك أن يلبسن مثل ذلك في المجالس النيابية .**

وكما أن الحكومة حرة في تحديد أسنان من يصلحون للنيابة من الرجال ، فهي حرة كذلـك فـي أن تحـدد مـن يصلحون للنيابة من النساء سناً متقدمة ، تنقطع معها الفتنة ، ويضمن فيها نضوج العقل وتوافر الحكمة . "

وكمـا أن السنة يستمد منها الدليل كذلك فحياة الصحابة مليئة بالنماذج التي تؤيد رأي"وجدي" يقول[2] : " **فقد ثبت أن عمر أمير المؤمنين دعا أهل الحل والعقد يوماً ليستشيرهم في نظام رغـب أن يسنه ، فلما اجتمعوا عرض عليهم أن تقصر مهور النساء على القدر الذي حدده رسـول الله صلى الله عليه وسلم مهراً لبناته وهو أربعمائة درهم،وذلك لأن الناس كانوا قد بـالغوا فيها إلى حد رآه إسرافاً فنهضت المرأة من بين الحاضرين وصرحت له بأن ما هو بسبيله من هذا الأمر مناقض للقرآن وتلت عليه قوله تعالى :** ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾"[3]

وفي هذا دليل ضمني على أن قيم المهور تطلق ولا تحد بحده ، فأطرق عمر رأسه وقال : حتى النساء أفقه منك يا عمر ! وصرف نظره عما كان شرع فيه "

ويـتخذ من هذه الرواية ذريعة وحجة لاشتراك المرأة في العمل السياسي يقول [4]: " فـلا نـلام بعد هذا أن اعتبرنا هذه الحادثة قدمة تتخذ مثالاً لما يجب أن تكون عليه الحال في الحكومة الدستورية . "

---

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٨٩

(٢) محمد فريد وجدي : الحقوق الدستورية للمرأة ، ص ٣ ، السنة ٧٥ – العدد ٢٢٨٣١ – الأثنين ١٤ من مارس ١٩٤٩ م – ١٤ جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ .

(٣) سورة النساء : آية ٢٠ .

(٤) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية : الأهرام في ٦ من أبريل ١٩٤٩ – العدد ٢٢٨٥٤ لسنة ٧٥

أمـــا الحجــة الثانية : خروج المرأة بالفعل إلى ميدان الحياة يقول [1]" أما حجتي في الدفاع عن حقوق المرأة الدستورية فهي أن المجتمع المصري أصبح يسنح اشتراك المرأة في أعمال الرجال متأسياً بالأمم الغربية ، بل أصبح يدفعها في هذا التطور بجميع المغريات ، بل أصـــبح الذين كانوا يتأثمون أن تخرج نساؤهم بدون حجاب ، لا يتحرجون أن يخرجوا معهم سافرات لا لقضاء الحاجات ولكن إلى السينما والتياترات .

وبعــد أن كـــان الأبـــاء يضنون ببناتهم عن التردد على دور التعليم بعد العاشرة من أعمارهن يتسابقون إلى إرسال بناتهم إلى أوروبا للانتظام في سلك جامعاتها لتلقي العلم .."

وقد كتب أ."توفيق الحكيم" مقالة يقول فيها [2]إن اشتراك المرأة في الانتخاب قد يعرضها إلى مـــا يعيبها أو يخرجها من النظرات أو العبارات . فلم يترك"وجدي" هذه المقالة تثبط الهمم وتهبط العزائم ، وتسائل مستنكرا : _ " **فكيف يسوغ أن نحرمها من حق خولها إياه الشرع ، وهو شهود اجتماعات المسلمين للنظر في المصالح العامة ، وقد جرى عليه العمل في صدر الإســـلام ، ولم يعترض عليه أحد ، فهل من المصلحة لهذه الأمة أن تحرم المرأة هذا الحق بحجـــة أن نفـــراً من أهل الفجور يتبعوهن إلى لجان الانتخاب ، ويبادلوهن النظرات المريبة والعبارات المعيبة !**

ألا يحدث مثل هذا المنكر نفسه لدينا في كل مجال يوجد فيه رجال ونساء ، كالمحاكم الشرعية والأهلية والمجالس الحسبية والمستشفيات وغيرها ؟ "

" ولم يقل عاقل بضرورة إبطال كل ذلك صيانة للآداب ، بل قالوا بوجوب الأخذ على أيدي العابثين والعابثات لها ، ومجازاتهم على هذه المخزيات "[3]

الحجة الثالثة : الدفاع عن الإسلام :

" **إن الذين كرهوا مني المبادرة إلى تأييد المطالب الدستورية للنساء على اعتبار أنها مخالفـــة لـــتعاليم الإسلام ، يغيب عنهم أني فعلت ذلك لمقاومة رأيهم هذا ، توقياً من ضرره وســـوء وقعـــه ؛ لأن المرأة المصرية ستنال هذه الحقوق لا محالة على مثال ، نساء الأمم الإسلامية الكبرى .** "[4]

ويذكر أمثلة " **فأمة الباكستان وتبلغ نحو سبعين مليوناً ، والأمة الإندونيسية وتربى عـــلى الســـتين مـــليونا من المسلمين قد خولتا نسائهما الحقوق الدستورية ، وأسندتا إلى**

---

(١) المصدر السابق في ١٤ من مارس ١٩٤٩

(٢) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩٠

(٣) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية ص ٣ الأهرام في ٦ من أبريل ١٩٤٩ م

(٤) المصدر السابق

بعضــهن وظــائف خطيــرة ، فالأولى تمثلها في هيئة الأمم المتحدة سيدة ، والثانية عهدت إحدى وزارتها إلى آنسة "[1]

ثــم يكمل حجته " ... فلإن يثبت أن هذه الحقوق مما سمحت لها به شريعتها ، خير مــن أن يثــبت أنها مما لا تسمح به . وفي ثبوت الوجه الأول سمعة للإسلام بعيدة الأثر ، تدحض كثيراً من التهم التي ألحقها به خصومه مخدوعين بما عليه بعض أهله من مخافاتهم للترقي ، واستعصائهم على الأخذ بأسبابه " .[2]

أمــا الفائدة التي يتمناها وجدي من تخويل المرأة لحقها الدستوري يقول : [3]" وهو إجــراء يتوقع منه خير عظيم للجنس النسوي ، لأنه يفتح أمام النساء أبواب العمل الجدي ، ويشعرهن بنبئات ما كن يشعرن بها وهن معزولات عن الشئون الإجتماعية ... "

ويشارك "محمد الغزالي "فريد وجدي الرأي في ضرورة تصحيح صورة المرأة وبيان الحقــوق الــتي منحها لها الإسلام يقول" الغزالي" : [4]" كنت في ملتقى الفكر الإسلامي عندما تحدث السفير الألماني عن الإسلام وقال للحاضرين يجب أن تصححوا أوضاع المرأة عندكم ! فإن صورة المرأة الإسلامية تنفر الأوروبيين من الدخول في الإسلام !!

والرجل – بعد ما شرح الله صدره للإسلام – يقول للمسلمين : أحسنوا عرض دينكم ، ولا تصــدوا عنه الآخرين بسوء الفهم وسوء العمل ! لنفرض أن رجلاً كل رأسماله في السنة حديث الحاكم في المستدرك أن المرأة لا تتعلم الكتابة ، أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا تــرى رجــلاً أو يراها رجل ، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة والمــتروكة يعــرض الإسلام على أهل أوروبا أو أمريكا ، هل يدخل في الإسلام أحد ؟ هل يحترم الإسلام رجل وتحتفي به امرأة ؟؟ "

ويختم "وجدي" حجته بضرورة حماية الدين من أي شبهة تثار حوله يقول : [5]

" إن إشراك المرأة في المجالس النيابية ، أمر محكوم به ، وقد لا يمضي عقدان من السنين حتى يعم أكثر البلاد الإسلامية ، فليبرأ رجال الدين بأنفسهم أن يتهموا بأنهم يضعون أمامه العراقيل ، فتتولد في نفوس النساء والرجال شبهة على الدين قد يصعب اقتلاعها عنها ، وهــم يعــلمون أن التربية والثقافة قد أنشأت جيلاً من النساء لا يقل عن الرجال ثقافة ،

---

(١) محمد فريد وجدي : المرأة والحقوق الدستورية : الأهرام ، بتاريخ ١٤ من مارس ١٩٤٩ م

(٢) المصدر السابق: ص ٣ – في ١٤ من مارس ١٩٤٩

(٣) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩١

(٤) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ص ١٥

(٥) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٣٩١

والتسليم بما مانعوا فيه بقوة بعد حصوله بالفعل ، لا يقع موقعاً حسناً لدى أحد من المعاصرين " .

ثم يوجه كلمة أخيرة إلى رجال الدين يقول [1]: " فحذار من توريط الدين فيما هو منه براء ، وخاصة في هذا الزمن الذي اكتظت فيه الشبهات في العقول ، وحاكت في الصدور فلا يصدن رجال الدين ما يرونه من تهتك بعض النساء والرجال ، عن أن يظهروا سماحة الإسلام على أكمل وأجمل ما يكون ، وأن يتخذوا لعلاج ما يشكون منه من تبرج بعضهن، الوسائل المناسبة له . "

والحديث عن الشبهات المثارة حول المرأة في الإسلام ، يذكرنا بقول "محمد الغزالي" ورأيه في قاسم أمين ، يقول :-

" كنت أتحدث في أحد الأندية عن حقوق المرأة المسلمة ، فقلت : إن لها حق الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتدريس هدايات الإسلام ومجادلة الملحدين فيها ... فإذا شخص يقول لصاحبه : كنا نظن هذا المحاضر رجلاً صالحاً ، فتبين أنه ألعن من قاسم أمين ![2] وتذكرت ما قاله أحمد موسى سالم عن قاسم أمين ، وعن الدور الذي قام به في الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافي الفرنسي الذي حمى واشتد في عصره ...

وقد بدأ بهجوم من أرنست راينان ، رد عليه جمال الدين الأفغاني ، ثم تلاه هانوتو الذي رد عليه محمد عبده .[3]

.. وكان دور قاسم أمين في هذا الحوار جاهزاً وكان محوره الأساسي هو المرأة في الشريعة الإسلامية ، وكانت المبارزة التي خاضها مع الخصم الفرنسي الثالث " دوق داركور " الذي أصدر سنة ١٨٩٣م كتابا عنوانه " مصر والمصريون " تناول فيه حياة المجتمع المصري أيام الحكم المملوكي والتركي ، وهي فترة بلغت ستة قرون عجاف تراجعت فيه خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية ، مما جعل " دوق داركور " يبسط قلمه بالأذى ، ويرسم صورة قاتمة وبذيئة للشعب كله ، ويخص المرأة بمزيد من التجريح والزراية ... ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام المتأبية على الترقي والحضارة .. !!

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : ٣٩١ .

(٢) محمد الغزالي : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : ١٧ : ١٩

(٣) لا يجوز شرعا أن نلعن مسلماً .

وقد تولى فريد وجدي الرد على هانوتو وقد أفرد لهذا مؤلفاً بدأه باستحسان رد محمد عبده على هانوتو وأنه لم يبق إلا نقطة واحدة تولاها وجدي بمزيد من التوضيح نقول " وهي ما نقله من أن الإسلام يجب احترامه لأنه كقنطرة تمر عليها الشعوب من الوثنية إلى المسيحية أما نحن فنريد الآن أن نبرهن له ولأمثاله الواهمين في الإسلام بأنه ليس بدين تمهيدي بل هو غاية ما سيصل إليه النوع الإنساني في مستقبل القرون "محمد فريد وجدى : وما قاله هانوتو ص ٥٥ ، مصر ١٣١٨ هـ

ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمته ؟ سارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه ، وشرح حقوق المرأة في الإسلام ، وما كفله الدين لها من كرامة مادية وأدبية ، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا ، وبين تبذل المدنية الحديثة وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك .. ! .

ويــرى "الغــزالي" أن قاسم أمين كان موفقا في رده .. " إن ما فعله قاسم أمين كان محكوماً بأمرين أولها الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدريه الرئيسين ، والآخر : الاعتذار عن تخلف المرأة بأنه من تقاليد غريبة على التوجيه الإلهي ؛ ناشئة عن أخطاء الشعوب ! " .

وكما أن لمشاركة المرأة في السياسة معترضين كتوفيق الحكيم ، وأنصار كمحمد فريد وجـدي نجـد من النساء من توافق المرأة على حقها ولكنها تعارضها في الأسلوب ، فها هي "د.عائشــة عبد الرحمن "(بنت الشاطئ) تعترض على تقليد الغرب دون النظر إلى المبررات تقــول[1] : " وقد استكملت هذه الحركة كل مراحلها في الغرب ، وأنتجت أثارها قبل أن نبدأ نحن خطواتنا الأولى ... فالتجربة أمامنا كاملة : بمقدماتها ونتائجها بأسبابها وأثارها ، لكن قومنا اكتفوا بأن يحملونا على تقليدها ، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة النظر فيما انتهت إليه كما لم يعنهم من قبل ، أن يعرفوا موجهاتها ودواعيها . "

" لعــل التقــليد ، هو الخطأ الأول الذي شوه الحركة النسوية فيما قطعت من خطوات وأخشى أنه ما يزال يشوه كل خطوة جديدة لها ...

فلــتدع داعية منا إلى أي مطلب تتعلق به ، وليرد عليها من شاء بما شاء ، على ألا تكون حجة هذا أو تلك ، أن قوماً غيرنا فعلوا كذا وكيت أو نبذوه ، فلنا كيان ذاتي ، وشخصية متميزة صاغتها عوامل طبيعية وتاريخية خاصة ، كما لنا ظروف وحاجات وأهداف يستحيل أن تشبه ما للدول الصناعية في الغرب الطامح المستعمر ، أو تماثلها ظروف البادية وحاجاتها في شبه الجزيرة منذ قرون وأعمار ! "[2]

اتفــق مع د.عائشة بنت الشاطئ في ضرورة عدم التقليد ، والأخذ بما يفيد من الغرب ويناسب مجتمعنا وظروفنا مع مراعاة قيم ديننا الحنيف .

ولكني أرفض عدم النظر إلى العرب في شبه الجزيرة ؛ لأنهم قدوة لنا نحن كمسلمين ، أخذنا ديننا من الرسول الذي نزلت عليه الرسالة في شبه الجزيرة والنساء المسلمات قدوة لنا ، بمــا أتيــح لهن من الخروج للجهاد والتعلم والمشاركة الاجتماعية ، بحدود تتفق مع الدين وظــروف مجتمعهن فإذا انسلخنا من هذا المجتمع الذي عاش في شبه الجزيرة ، أصبحنا بلا قــدوة ، وإذا امتنعنا عن الأخذ بما يفيد من الغرب أصبحنا بلا مستقبل ، فأرى أني أوافقها في

---

(١) عائشة عبد الرحمن : الأهرام : ١٥ من أبريل ١٩٤٩ – سنة ٧٥ – العدد ٢٢٨٦٣ بعنوان " ارتجال "

(٢) د. عائشة عبد الرحمن : الأهرام : ١٠ من أبريل سنة ١٩٤٩ ص ٣ بعنوان " التقليد "

عدم التقليد عن غير وعي وأعترض لأني أرى أن الآخرين بمثابة تجارب لنا ، نستفيد منها ، ما وافق ذلك ظروفنا وديننا .

ويتفق رأي د.عائشة عبد الرحمن في رفض التقليد لمجرد التقليد دون اعتبارات أخرى مع رأي فريد وجدي القائل " **إن تلاحم الشرق بالغرب جعل بعض المتسرعين يرون نقل عادات الغرب ، كما هي دون نظر إلى واقع المجتمع الإسلامي ، وقال أننا نقلد الغرب دون أن يوجد التناسب المتطابق بين المقلِّد والمقلَّد ، لأن الباحث المدقق في أحوالنا الاجتماعية يجد أن حافظة الأمة الإسلامية ، لا تتشابه في كل وجه بحافظة الأمم الغربية التي تدعى الآن إلى احتذائها فتكون النصيحة بالتقليد نصيحة بالاستخذاء والتلاشي** . "(١)

وكما أن هناك أقلاماً ، ناقشت قضية المرأة بعقل وتبصرة ودراية بتعاليم الدين ، وتاريخ المسلمين ، فتحاول التوفيق بين الآراء ..

رأينا : أقلاماً تتعصب لفريق دون الآخر من ذلك :-

قول "د.أمال كامل بيومي السبكي" عند حديثها عن قضية حجاب المرأة وقد أغضت من شأن فريد وجدي تقول(٢) : " أول تلك القضايا قضية حجاب المرأة ، فقد استماتت المرأة في الدفاع عن حقها في السفور بالشكل الذي جاء به القرآن والسنة (٣).. لكن الكثير حارب هذه الدعوة سواء من الأزهريين أو رجال الدين وحتى السياسيين البارزين ، كلهم دافعوا عن الحجاب .

وبعضهم اعتبرها قضية حياته كمحمد فريد وجدي - ذلك الصحفي والأزهري البارز (٤)الذي كتب مؤلفاً خصيصاً لهذا الغرض ؛ ناهض فيه السفور وهاجم فيه قاسم أمين ، بل إنه اتهمه بالكفر والإلحاد ، ومن ثم أحل سفك دمه " .

ولا أدري من أين جاءت الكاتبة بهذا الاتهام الخطير ، فقد طالعت ما كتبه وجدي في هذه القضية سواء في كتابه الذي استعانت به المؤلفة (المرأة المسلمة) أو مقالاته المتناثرة ، **التي وقعت تحت يدي ، فما وجدت شيئاً مما تذكر عن اتهامه قاسم أمين بالإلحاد وسفك دمه ! وربما يكون هذا الرأي من وجهة نظرها هي .**

---

(١) محمد فريد وجدي : مناقشات وردود : ص ٢٩ .

(٢) آمـال كامل بيومي السبكي : الحركة النسائية في مصر بين الثورتين ١٩١٩ – ١٩٥٢ م ص ١٣٩ : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٦ م

(٣) لا أدري كيف يتفق السفور مع القرآن والسنة إلا إذا كانت تقصد خروج المرأة وعدم ارتداء النقاب

(٤) لم يكن وجدي أزهرياً ولكنه كان رئيس تحرير مجلة الأزهر .

وشخصية وجدي المجادل والمناقش تنفي هذا ، فهو مشهود له بالنزاهة والموضوعية حتى أشاد به أحد خصومه .[١]

وأخال "البيومي" يرد على ذلك الاتهام حين قال [٢]: " لأن الكاتب الكبير قد تعهد قضية المرأة المسلمة بالشرح والتوضيح منذ أخرج الأستاذ الكبير رحمه الله كتابيه " تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة " إذ كان أول ما نقد المخالف من آرائه ، نقداً موضوعياً حاز ارتياح المنصفين وأقــول نقــداً موضوعياً لأن بعض الغلاة ممن واجهوا صاحب تحرير المرأة ، تركوا اللباب المعــترض عليه إلى السباب والتهكم ، فضاعت نقداتهم جوار ما يتلبسها من شطط لا تعرفه آداب المناظرة والبحث .

والعجيــب أن الأستاذ وجدي رحمه الله قد قابل مثل هذا الهجوم المتعسف حين بسط وجهة نظره في الأربعينيات بصدد حق المرأة في الانتخاب . "

والكاتبة – آمال كامل – تعترف بنفسها بفضل وجدي الذي اتهمته منذ قليل تقول :[٣]

" وللإنصــاف فإن هذا الكاتب وبالذات في الثلاثينيات أصبح من الداعين إلى تحرير المــرأة ، وأيــد – كما سبق ذكره – بعض مواقفها وناصرها في آرائها وشجعها على خوض المجالات الدولية بحضور المؤتمرات النسائية . "

ولكن الكاتبة تعود لتقول مستنكرة [٤]: " لكنه لم يغير رأيه مطلقاً في موضوع الحجاب" ، لا أدري لِــمَ تــريد الكاتــبة أن يغير رأيه ، إن كان الحجاب ما يقصد به من ارتداء الزي الشرعي كما ذكرت الكاتبة من قبل " نادى قاسم أمين بسفور المرأة على أن يكون هذا السفور كما ورد في القرآن ، وذكر في السنة بأن تغطي المرأة كل جسمها ما عدا وجهها وكفيها .. " فهــذا لــم يرفضه وجدي ، ولا يوجد نص صريح يعترض فيه على هذا ، بل اعترض على الاختلاط وخروج المرأة وقد رجع عن هذا بشرط اتباع تعاليم الإسلام .

---

(١) المقصود ، زكي مبارك وسيرد ذكره بشيء من التفصيل

(٢) محمد رجب البيومي : مقدمة كتاب من معالم الإسلام

(٣) آمال السبكي : الحركة النسائية بين الثورتين ١٩١٩ – ١٩٥٢م ص ١٤٤

(٤) المصدر السابق

وهــنا أذكر ملاحظة : فقد دعا قاسم أمين وسعد زغلول ، وغيرهم إلى السفور بالمعنى الشرعي ، أي عدم ارتداء النقاب ، ثم فوجئنا بصــورهم في ملفات " قضية تحرير المرأة " في مجلة حواء – فوجئنا بصور بناتهم وزوجاتهم غير مرتديات للزي الإسلامي بل متبرجات دون حــتى غطــاء للرأس وأنا هنا لا أحاسبهم (حاشا لله) ولكن أولئك الرجال دعوا إلى رفض الحجاب بدعوة معينة ، وهي كشف الوجــه ، ثم رأتهــم المــرأة المصرية قد تخلوا حتى عن الزي الإسلامي ، لذا فأنا ألتمس العذر لكل من هاجمهم في هذه النقطة الخاصة بالحجــاب ، فحتى تكون مصدق يجب أن يناسب قولك فعلك ، كذلك أدافع عن الأئمة والشيوخ ، الذي حرص البعض أن يزجوا بأسمائهم مؤيدين لقاسم أمين واتباعه فلا أظنهم وافقوا على أفعالهم الخاصة بالزي الإسلامي والالتزام به .

ونعـود إلى "د.محمـد رجب البيومي" [1]وتقييمه لدور فريد وجدي في قضية المرأة المسـلمة " وممـا يدعو إلى الارتياح أن كثيرا ممن كانوا يعارضون الأستاذ فريد وجدي في اتجاهه ، فقد أطالوا النظر في كتابه إطالة الفحص الدارس ، حتى اقتنعوا بأفكاره ، وفيهم من ذوي الصـدارة الفكرية من يشار إليهم بالبنان فقد ألقى الأديب الكبير الدكتور منصور فهمي كلمة إضافية في الأربعينيات تحت عنوان (نساؤنا بين التقليد والتجديد) [٢]...

تحدث فيها عن قاسم أمين وما طرأ من فهم سيئ لآرائه ، ثم اتجه وجهة الأستاذ فريد وجـدي فسار مع أفكاره سير المحبذ الموافق ، واستشهد بنصوص من كتاب (المرأة المسلمة) وأنكر ما أنكره الأستاذ وجدي من التبذل وفساد الذوق ومحاولة التغرير بالمرأة حين تخدع بما يقـال عـن الاختلاط في المصنع والمتجر مزاحمة بالمنكب في نضال غير متكافئ ، قائلا بصدد ذلك :-

وقد صدق الأستاذ وجدي فيما كتب ، فمحاكاتنا للغرب ، تدفع نساءنا الحديثات في كل ميـادين العمـل الاجتماعي ويغرر بهن ليسرن في هذا السبيل ، من غير قيد ولا حذر ، وقد توقع الكثير من علماء الاجتماع سوء عاقبة هذا التمادي في التغرير بالمرأة ، وتوريط المجتمع فـي كـوارث خلقية واقتصادية ، حتى أن " أوجست كونت " وهو رأس من رؤوس فلاسفة الغربيين كان يرى أن من واجب الهيئة الاجتماعية أن تضمن للنساء حياة ناعمة مريحة ، إذا أعوزهن من يكفلهن من الأقارب والأزواج ، ليتجهن وجهتهن فيما خلقن له من إسعاد الأسرة ودعم أساسها ، وهو ما يساير تعاليم الإسلام " .

لقد كان كتاب " المرأة المسلمة " المثار الأول لمن يريد رأي الإسلام في قضية المرأة وكـان الأسـتاذ وجـدي من النزاهة والإنصاف بحيث أنزله معارضوه حينئذ منازل التقدير والإعجاب . "

إنصاف المرأة في الإسلام :-

لقـد أنصـف الإسلام المرأة ، ولم يجد منصف يقرأ القرآن ويتدبر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته وحياة الصحابة إلا وسيعترف بمكانة المرأة في الإسلام .

ولم يشهد بهذا أهل الدين الإسلامي وحسب ، بل شهد كذلك المستشرقون .

شهادات المنصفين :-

" اعـترف كـثير من المستشرقين المنصفين - والمستشرقات بالمنزلة العالية ، التي كانت تتبوأها المرأة المسلمة .. تقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) :

(١) محمد فريد وجدي : من معالم الإسلام : المقدمة بقلم د. محمد رجب البيومي : ص ٣

(٢) المصدر السابق : نقلاً من مجلة الرسالة — العدد ٤٠٦ — ٤ من أبريل ١٩٤١م

" وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ، ويلقين المحاضرات في المســاجد ويفســرن أحكام الدين ، فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء ، ثم تنال مــنهم تصريحاً لتدرس هي بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشيخة ، كما لمعت من بينهم أديبات وشاعرات ، والناس لا ترى في ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد " .(١)

ويعقــب "د.علي عبد الواحد وافي" تعقيباً على ما سبق : " ومن هذا يظهر أن الإسلام قــد هيــأ للنساء على العموم فرصاً للتربية الراقية ، من انتهزتها منهن بلغن أعلى المراتب ، التي قدر للرجال بلوغها ، فلم يكن السبب في الجهل الذي كان فاشياً بين النساء المسلمات في الجيــل الماضــي راجعاً إلى النظم التربوية في الإسلام ، وإنما كان السبب في ذلك انحراف المسلمين مما سنه الإسلام من نظم في شئون التربية والتعليم ٠

وإذا كــانت الأمــم الإسلامية قد اتجهت في العصر الحاضر إلى تربية البنت وتثقيفها فإنهــا بذلك تأت بدعاً من العمل في تاريخها ، وإنما أحييت سنة صالحة سنها النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بها الخلفاء والأمراء من بعده . "(٢)

يقول الإمام "محمد عبده" (٣)" إن هذه الدرجة التي رفع الله النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده وهذه الأمم الأوروبية التي كان من تقدمها في الحضارة ، أن بالغت في احترام النساء وتكريمهن ، وعــنيت بتربيتهن ، وتعليمهن الفنون والعلوم ، لا تزال دون هذه الدرجة ، التي رفع الإسلام النساء إليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها دون إذن زوجها ، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية ، من نحو أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف ، وقد كانت النساء في أوروبا منذ أكثر من خمسين سنة بمنزلة الأرقاء كل شيء ، كمــا كــن في عهد الجاهلية عند العرب ، بل أسوأ حالها ، وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصــرت مدينتهم عن شريعتنا في إعلاء شأن المرأة يفخرون علينا ، بل يرموننا بالجهل في معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم أن ما نحن عليه هو أثر ديننا ."

ويــرجح "د.عــبد المتعال" ثورة المرأة الأوروبية على الرجل إلى نظرها إلى المرأة المســلمة والحقــوق الــتي كفلها الإسلام لها ، بعد أن اضطرت الأوروبية إلى الخروج أبان النهضة الصناعية في أوروبا .

---

(١) د.عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٨٤

(٢) المصدر السابق

(٣) د.عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ٨٧ – ٨٨ نقلاً من تفسير المنار ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

أما ثورة المرأة في الشرق فجاءت من الاستعمار ، والبعد عن تعاليم الإسلام .

يقــول [1]: " ولمــا كان الغزو الاستعماري الغربي للدول العربية والإسلامية ، حين غــاب عــنها الإســـلام - رأينا إلى جانب الإرهاب سلاح المدفع ، عملية التحطيم للمجتمعات العـــربية الإســـلامية بتمزيقها فكرياً ، وحول المصالح الطائفية والحزبية . ومن بين عمليات الـــتمزيق الفكـــري وإظهار سمو النظم الغربية ، وسقوط النظم الإسلامية ، فتسب المستعمر وأبواقـــه إلى الغرب ؛ احترام المرأة ، وإلى الإسلام احتقار المرأة وتضييع حقوقها . وهكذا رمتني بدائها وانسلت " يقصد الغرب الظالمين للمرأة .

ويقــول "د.أحمد الكبيسي"[2] " كان العالم الإسلامي - خلال النصف الأول من القرن العشرين نهباً موزعاً بين المستعمرين .. وقد حاول المستعمر قطع صلة الأمة بتراثها وحاول دفع المرأة المسلمة إلى التخلي عن الحجاب ، والتحرر من أحكام الدين ، وتقليد الغرب ، حتى قـــال اللورد كرومر : لن أخرج من مصر حتى أهدم ثلاثاً : القرآن والكعبة والأسرة المسلمة. ومن خلال أعمال كثيرة نشطت حملات التبشير ، وحملات نسائية في محاولة استمالة المرأة المسلمة إلى طريق الغرب والتخلي عن السلوك الإسلامي ."

(١) عبد المتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي : ص ١٣١

(٢) أحمـــد الكبيســـي : المـــرأة والسياسة في صدر الإسلام : ص ١٢ - مكتبة العين أبو ظبي نقلا من يقظة الفكر الغربي في مواجهة الاستعمار الأستاذ أنور الجندي ص ٢٠٧ ، نقلا من عبد الله شحاتة : المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر : ص ٢٠٧

ملف خاص عن دعاة تحرير المرأة : [1]

رأيـت أنه إقراراً للحق بعد توضيح رأي الإسلام ومناقشة علمائه لأهم القضايا التي اختصـت بالمـرأة أن أنهـي هذا المبحث بسجل يحمل نبذ قصيرة لرموز الدعوة إلى تحرير المرأة ؛ واحتراماً لآرائهم ، رغم اختلافنا مع بعضهم أحيانا – أن نذكر هذه الأسماء – مبتدئين بالرجال ، فلولاهم لما ظهرت النساء تطالب بالحرية والمساواة ، فالرجل هو الأب ، الزوج ، الأخ هو الذي ساند الابنة والزوجة والأخت ٠

رفاعة الطهطاوي : ولـد ١٨٠١م ، تعـلم في الأزهر ، وسافر إلى باريس عام ١٨٢٦م يعتـبر كـتابه (المرشد الأمين لتربية البنين والبنات) بمثابة المرجع الأول في حركة تحرير المرأة – حيث تطرق إلى حق المرأة في التعليم ، كما دعا إلى عمل المرأة يقول :

" فالعمل يصون المرأة عمالا يليق ، ويقربها من الفضيلة ، فإن فراغ أيديهن من العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل ، وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل .. وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء " توفي عام ١٨٧٣م ٠

علي مبارك : ولـد عـام ١٨٢٣ في قرية برتيال الجديدة التابعة لمركز دكرس، محافظـة الدقهـلية ، ساهم في إنشاء مدرسة السيوفية للمعلمات عام ١٨٧٣ ، سميت فيما بعد (مدرسـة السـنية) له الفضل في إنشاء مدرسة " القربية " أول مدرسة ابتدائية مصرية لتعليم البـنات ، له كتاب " علم الدين " نادى فيه بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل على أن يتم ذلك بالتدريج ، توفي عام ١٨٩٣ بعد أن أعطى إشارة البدء لانطلاق حركة تحرير المرأة " ٠

محمد عبده : ولـد في منتصف القرن التاسع عشر – كان له اهتمام خاص بقضية المرأة في المجتمع المصري فيما يتعلق بقضايا الأسرة من أهمها ؛ نادى بتقيد حرية الرجل في الطـلاق ، حفاظاً على ترابط الأسرة . كان للإمام موقف محدد وصريح حول تعدد الزوجات الذي نهى عنها بسبب ظروف المجتمع المصري.توفى ١٩٠٥.

قاسم أمين : ولـد عام ١٨٦٣ – نادى بضرورة تحرير عقل المرأة من الحجاب الفكري والآراء المغلوطة التي سجنت خلفها سنوات كبرى ، وقد أثار كتاباه ضجة وهما تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة " ، وتوفي عام ١٩٢٨م ٠

سعد زغلول : ولد عام ١٨٦٠ م – سمح للمرأة بالمشاركة في حزبه ، وفي ثورة ١٩١٩ خرجت لجنة الوفد النسائية برئاسة هدى شعراوي ، ولم يتوان سعد عن مناصرة هدى

---

(١) مأخوذ بتصرف من مجلة حواء في عدد مارس ١٩٩٩ – احتفالاً بمرور مائة عام على دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة عام ١٨٩٩م

شـــعراوي ورفيقاتهـــا في كل ما كانت تتطلع إليه لتحقيق أمانيهن في تحرير المرأة فكرياً من الحجاب الذي فرض على عقلها سنوات ٠

أحمد لطفـي السيـد : ولد في ١٥ من يناير سنة ١٨٧٢ مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية ، نادى بتحرير المرأة ، وناصر قضيتها منذ أن بدأت حركة التحرير . كان له الفضل الأول في التحاق الفتيات بالجامعة أثناء رئاسته لها ، توفي عام ١٩٦٣ م .

طه حسين : ولد في نوفمبر ١٨٨٩م بمحافظة المنيا كان له الفضل في التحاق أول طالبة بكلية الآداب ، متحدياً التقاليد وإيماناً بأهمية تعليم المرأة ٠

ناصـــر د.طه حسين حركة النساء في التحرر من قيود الجهل وجاهد لإتاحة الفرصة للمرأة لتنال قسطها من التعليم ، وكان أول من نادى بمجانية التعليم الذي حققته الثورة فيما بعد ممـــا أتاح الفرصة لآلاف الأسر من إلحاق بناتهن بالتعليم بعد أن كان مقصوراً على الأولاد؛ لضيق ذات اليد لمعظم الأسر المصرية .

ومن الرموز النسائية :-

زينـب فـواز : إحـــدى الرائدات المجهولات في تاريخ النهضة النسائية ، عاصرت عائشـــة التيمورية ، بل سبقت ملك حفني ناصف وقاسم أمين في أفكار حول تحرير المرأة ، ولــــدت تقريـــباً عـــام ١٨٦٠م بالجـــنوب اللبـــناني وجاءت في العاشرة إلى مصر واستقرت بالإســـكندرية ، شـــاركت في القضايا السياسية والفكرية وكان أبرزها مشاركتها للإمام محمد عـــبده فـــي الرد على مزاعم هانوتو ٠ وتفنيد اتهاماته للمسلمين والإسلام ، وقادت المعارك والمناظرات دفاعاً عن المرأة ومطالبة بحقوقها ٠٠ توفيت عام ١٩١٤م .

ملك حفـني ناصف : مواليد القاهرة ٢٥ من ديسمبر عام ١٨٨٦م ، أول من نالت دبلوماً من مدارس الحكومة المصرية (دبلوم المعلمات السنية) وأول خطيبة ، وأول من مثلت النســـاء في مؤتمر عام ١٩١١م ، لها كتاب بعنوان (النسائيات) يضم مقالاتها .. كانت شاعرة مفوهة ، اهتمت بالتعليم وقضايا المرأة من خلال منظور الدين ٠

نـبوية موسى : ولـــدت في ١٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٦م ، رائدة تعليم البنات في مصر ، حصلت على دبلوم المعلمات عام ١٩٠٨ ودبلوم المدرسة السنية عام ١٩٠٦م٠

لهـــا رواية تاريخية بعنوان " توب حتب " أو " الفضيلة المضطهدة " أصدرت جريدة الفـــتاة عـــام ١٩٣٧م وفـــي خـــتام حياتها جعلت مدارسها وقفاً خيرياً للتعليم وقدمتها لوزارة المعارف .

هدى شعراوي : ولـــدت ٢٣ من يونيو سنة ١٨٧٦ بمدينة المنيا ، أول امرأة تقود مظاهـــرة نسائية عام ١٩١٩م ، شاركت في ١٤ مؤتمراً دولياً ، نجحت في رفع السن الأدنى

لــــزواج الفـــتاة إلى ســـتة عشر وللفتى ثمانية عشر ، بالإضافة لمحاربتها تعدد الزوجات ، ومطالبتها بحق المرأة في التعليم والعمل والانتخابات ، كانت تعلم الفتيات في مصر والخارج على نفقتها الخاصة .

درية شفيق : ولــدت فـــي ديسمبر عام ١٩٠٨ في مدينة طنطا ، حصلت على الليســـانس والدكـــتوراة من فرنسا ، قامت بتأسيس حزب " بنت النيل " السياسي عام ١٩٤٨م وكـــان من أهدافه تعديل قانون الانتخاب ، لتمكين المرأة من المساهمة مع الرجال في الدفاع عن أرض الوطن . وقد أسست فاطمة راشد أول حزب سياسي نسائي عام ١٩٤٤م ،

أمينة السعيد : ولــدت عـــام ١٩١٠م فـــي أسيوط أول طالبة تدخل قسم اللغة الإنجـــليزية بكـــلية الآداب ، اســـتطاعت خلال مشوارها مع المرأة تغيير بعض مواد قانون الأحـــوال الشخصية ، فمنعت إجبار المرأة على الذهاب لبيت الطاعة بالبوليس ، تولت رئاسة مجلة تحرير حواء عام ١٩٥٥ ، ورئاسة مجلس دار الهلال وغيرها ، وأصبحت وكيلة لنقابة الصحفيين وعضواً بالمجلس الأعلى للصحافة ، توفيت في ١٤ من أغسطس سنة ١٩٩٥م ،

سهير القلماوي : ثالث خريجة في الجامعة تحصل على الدكتوراة في الآداب ، وأول رئيسة لقسم اللغة العربية من السيدات ، وأول رئيسة للمؤسسة العربية للتأليف والنشر (الهيئة العامـــة للكـــتاب فيمـــا بعد) خاضت العديد من المعارك الأدبية والفكرية ، مثل قضية الثقافة الغربية وأنصارها من مؤلفاتها " النقد الأدبي ، فن الأدب والمحاكاة" من الجوائز التي حصلت عليها؛ جائزة الدولة للآداب عام ١٩٥٢م ،

لطيفة الزيات : لها مواقف سياسية وطنية كثيرة ، ومن دفاعها عن حقوق الإنسان وحريـــته ؛ دخـــلت السجن مرتين الأولى عام ١٩٤٦م والثانية عام ١٩٨١م شغلت عديد من المناصــــب ، منها رئيس قسم النقد المسرحي بمعهد الفنون المسرحية ورئيس لجنة الدفاع عن القضايا القومية ، وغيرها.

هؤلاء شخصيات نسائية مسلمة ولكن حركة التحرير لم تقتصر على المسلمات ولكنني اخترتهن لمناسبة البحث .

الخلاصـــــة

لقـــد شغلت قضية المرأة المسلمة عقل ووجدان فريد وجدي ، فتابعها منذ ظهور أول صرخة تطالب بتحرير المرأة على يد قاسم أمين فاهتم أول ما اهتم بحجاب المرأة.. الحجاب بمفهومـــه كـــزى إسلامى ، واحتجاب المرأة عن الرجل ، وعدم السماح لها بالعمل حتى إذا أعوزتها الحاجة ، فعلى المجتمع الإسلامي أن يتكفل بحياة كريمة لها لصيانتها وأولادها . وما أن توالـــت الأعوام ، وخرجت المرأة بالفعل ، لم يجد وجدي بداً من مساندتها على ألا تخرج عن ما حدده لها الشرع وسمحت به تعاليم الإسلام .. فبين لها ما العلوم التي يجب أن تتعلمها ، ومـــا أنسب المهن إلى طبيعتها ، وإن كان تخلى عن حذره فدعا لها بالاشتراك في المجالس النيابية ، مخيباً بعض الآمال التي كانت ترى فيه مسانداً لبقاء المرأة في المنزل.. ولكنه دافع عن رأيه مستمداً حججه من التاريخ الإسلامي .

وهـــو في هذا يتراءى أمامي كمن رأى المرأة يطلب منها السباحة في بحر عميق لا نهاية له ولا حدود هو الحياة . حذرها في بداية الأمر خوفاً عليها ، وذكرها بقدراتها المحدودة وأنـــه يكفيها أن تتعلم مبادئ السباحة حتى لا تغرق .. ولكنها أصرت على خوض التجربة ؛ فهو حقها .. فلم يتركها عقاباً لها وأدرك أنه لو تركها سيكون عقاباً له ولأمة الإسلام .. وقرر أن يرافقها في خطواتها .. إن سمع تصفيق من شياطين الغرب ، يشجعوها على الاستمرار .. خاف وخشى أن تنجذب إليهم تاركة دينها .. معتقدة أنه ظالم ، متجني عليها .. فيأخذ هو في التصـــفيق معلناً ومؤيداً بما يتاح له من أدلة شرعية على نجاحها على أن تلتزم تعاليم الدين ، وهـــي تســـبح .. فتطمئن إليه ، فهو على كل حال بتياره الدينى يمدها بالراحة النفسية، التي يحتاجها كل إنسان من كون الله بجانبه ، يسدد خطاه وأنه بعمله لا يعصاه .

وأخيـــرا . فقـــد تـــناولت آراء وجدي و آراء قاسم أمين وبعض العلماء سواء أكانوا رافضـــين أم مؤيدين لأحدهما أو كليهما ، مثل محمد متولي الشعراوي - محمد الغزالي - عبد الله شحاتة .

وخـــتمت المـــبحث بملف خاص يشتمل على بعض أسماء دعاة التحرير من الرجال والنساء وأهم النقاط التي تناولتها في المبحث هي :-

١- الحجاب .

٢- التعليم .

٣-العمل .

٤- الاشتراك السياسي .

٥- رأي الإسلام .

٦- نماذج من آراء فريد وجدي .

المبحث الثانى

الأدب الجاهلى

كانت قضية الأدب الجاهلي في مطلع القرن العشرين ؛ مثاراً للجدل والاختلاف بين الأدباء والمفكرين ، بداية بقضية الشعر الجاهلي التي أثارها طه حسين في العشرينيات ، ثم النثر الجاهلي ، والنظرية التي تبناها زكي مبارك بعده بسنوات.

وقد أثارت هذه القضية "محمد فريد وجدي" ككاتب ، ومفكر إسلامي ؛ كغيره من الكتاب . لن نتناول قضية الأدب الجاهلي من وجهة النظر الأدبية .. ولن نأتي بكل ما تناوله فريد وجدي بالمناقشة ، لكننا سنشير ونركز على ما يتصل بالإسلام والقرآن خاصة ، لنرى كيف اهتم فريد وجدي بكل ما له صلة بالدين كالقضايا الأدبية التي نحن بصددها الآن .

ونبدأ المبحث ببيان ما المقصود بالأدب ؟ وما المراد بالجاهلي ؟ لنعرف ما الزمن الذي نتحدث عنه وندرك صلة الأدب فيه بالقرآن ، والعصر الإسلامي .

أدب جاهلي

كلمة أدب كما يقول شوقي ضيف هي :- " من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية ، وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدنية والحضارة.

وقد اختلفت عليها معان متقاربة ، حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم ، وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين ، سواء أكان شعراً أم نثراً ." (١)

ثم يحدد د. شوقي ضيف ؛ ما المقصود بالعصر الجاهلي ؟

"قد يتبادر إلى الأذهان أن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع ، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية ، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية ، وهي الحقبة التي تكاملت للغة العربية منذ أوائلها خصائصها ، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي.(٢)

ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال : " أما الشعر العربي ؛ فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة .. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"(٣)

---

(١) شوقي ضيف : العصر الجاهلي : المقدمة : ط الثالثة – دار المعارف بمصر.

(٢) المصدر السابق : ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٨ . نقلاً من الحيوان للجاحظ ، ط الحلبي ، جـ ١ ، ص ٧٤ .

"وينـــبغى أن نعرف أن كلمة الجاهلية التى أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذى هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هى مشتقة من الجهل بمعنى السفة والغضب والنزق، فـــهى تقـــابل كلمة الإسلام التى تدل على الخضوع والطاعة لله جل وعز وما يطوى فيها من سلوك خلقى ، ودارت الكلمة فى الذكر الحكيم والحديث النبوى والشعر الجاهلى ، بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب ، ففى سورة البقرة [١] : "قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾

وفى سورة الأعراف [٢] " خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾

وفى سورة الفرقان [٣] " وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾

وفى الحديث النبوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر وقد عير رجلاً بأمه " إنك امرؤ فيك جاهلية " . وفى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا. "[٤]

وفى تفرقة بين الشعر والنثر قسمى الأدب يقول"محمد عبد المنعم خفاجى":-

" فالشـــعر هو الكلام الموزون المقفى ، والنثر هو ماخلا من الوزن والقافية . والشعر يعتمد على الخيال والعاطفة ، ويثير الشعور والوجدان . والنثر غالباً مما يعتمد على الحقائق ويركن إلى صدق التعبير ، وقد يعتمد على الخيال ويتعمد إثارة العواطف ، ويصاغ فى أساليب شبيهة بأســاليب الشـــعر فيسمى شعراً منثوراً ."[٥] وبعد عرض نبذة عن مفهوم الأدب الجاهلى نبدأ بالقسم الأول من هذا المبحث وهو الشعر الجاهلى ونتناول فيه بعض النقاط التى وقف عندها (أو لديها) فريد وجدى فى مناقشته لكتاب طه حسين " الشعر الجاهلى "

---

(١) سورة البقرة : من آية ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٩٩ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٤) شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ٣٩

ويقول محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه الشعر الجاهلى ، ص ١٢٣ — "كلمة جاهلى من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم لما كان عليه العرب من أمية ، أو من الجهل ضد الحلم ، لما كانوا عليه من سفه وطيش وإسراع إلى الانتقام ، وشن الحروب لأوهى الأسباب."

(٥) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١٠٧

القسم الأول : الشعر الجاهلى

القسم الأول : الشعر الجاهلى

يوضح "وجدى" فى مقدمة كتابه " نقد كتاب الشعر الجاهلى " عن ظروف تأليفه له . فبداية إنه استحسن إصدار طه حسين لمؤلفه " الشعر الجاهلى " ولكنه لاحظ به بعض الأخطاء يقول :- " هذه الحلقات المتصلة من الحوادث التى أثارها هذا الكتاب حفزتنى إلى الإطلاع عليه فرأيت أخطاء اجتماعية وبسيكولوجية وفلسفية لا يصح السكوت عليه."

وألفيت الدكتور لاضطراره إلى تصيد الأسباب التى حملت ذووى النفوس المريضة على اختلاق الشعر ونسبته إلى الجاهليين ، قد عول على كتب المحاضرات ، وهى قرارة الأكاذيب ، ومستنقع المفتريات من كل نوع "[(١)]

وأهم خطأ ارتكبه "طه حسين" من وجهة نظر "وجدى" .. " طامساً لمعالم أكبر ثورة اجتماعية حدثت فى العالم ، ألا وهى ظهور الديانة الإسلامية ، وما استتبع انتشارها من سقوط دول وقيام دول ، ... وطروء عهد جديد على الإنسانية ، انتقلت به درجات كثيرة فى معارج العلم والفلسفة والأخلاق والعمران. " [(٢)]

ومع ذلك ينفى "فريد وجدى" شبهة التعمد عند طه حسين فى هدم أثر الثورة الإسلامية.

" لا ندعى هنا أن الدكتور طه حسين قصد إلى تشويه جمال هذه الثورة الكبرى فى كتابه ولكنه بغلوه فى تحرى أسباب الاختلاق ، على الجاهلين التقط من كتب المحاضرات جميع ما فيها ما يتعلق بالاختلاق !

"يصعب علينا أن نرى واحداً منا يضع كتاباً بالغرض قليل الخطر ، هو إثبات أن الشعر الجاهلى مختلق ، يكون أثره على قارئه أن يحتقر هذه الثورة الكبرى ، ويستخف برجالها الذين أخذوا حظاً من تمثيلها ، والاضطلاع بأعبائها ، وقد آتت العالم ببركات لا يزال يعترف لها بها إلى اليوم ."[(٣)]

ويعرض "وجدى" منهجه فى نقد كتاب "الشعر الجاهلى "

" إنى ما كدت أتم قراءة كتاب الدكتور طه حسين حتى وجدتنى مدفوعاً لوضع نقد عليه ، استهدف به غرضين : (أولهما) مناقشته فى المسائل التى تتعلق بتكوين الأمة

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١ ، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر ١٩٢٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢ .

الإســلامية ، ولا يــتفق حكمه فيها والمقررات التاريخية ، ولا الأصول الاجتماعية ، وأرى الإغضاء عنها ضاراً كل الضرر بنابتة هذا الجيل ، وهم فى هذا الدور من الانتقال السريع.

(وثانيهمــا) مقابلة أول ثمرات الجامعة المصرية ، بما تستحق من العناية ، وهذه العناية لا تعنى فى عالم العلم ، غير النقد والتمحيص."(٤)

ومن أهم القضايا والنقاط التى اهتم بمناقشتها "فريد وجدى": وهى :- أولاً منهج طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى .

ثــم يشــير إلى ما وضحه طه حسين فى منهجه . " نحن بين اثنين إما أن نقبل فى الأدب وتاريخه ما قاله القدماء ، وأما أن نضع علم المتقدمين كله موضع البحث بل الشك.

أريد ألا نقبل شيئاً مما قال القدماء فى الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وتثبت إن لم ينتها إلى اليقين ، فقد ينتهيان إلى الرجحان ."(١)

وقــد استحســن "فــريد وجدى" منهج تمهيد طه حسين لكتابه يقول :- وقد انتحى فيه مذهباً لا نقول حسناً فحسب ، بل نقول هو المذهب الوحيد الذى لا يصح الجرى على خلافه ، .. هذا مقتضى النهضة الأدبية التى تندفع فى تيارها اليوم.

.. فتمهيد الدكتور طه حسين هو المنتظر من أستاذ الآداب فى الجامعة ولو جرى على خلافه لاعتبر غير خليق بمكانه منها "(٢)

ولكن فريد وجدى اعترض عليه فى : " وكل الذى نأخذه على الدكتور طه حسين فى هــذا الــتمهيد ذهابه إلى أن الشك الذى اعتراه فى الشعر الجاهلى حادث أدبى جديد ، وأن العلماء الأقدمين ، كان قصارى مما عملوه فى الشعر الجاهلى أنهم اختلفوا فى روايته بعض الاختلاف..."

ويــبرر وجدى اعتراضه قائلاً :- " والحقيقة أنهم نظروا فيه وشكوا فى نسبته إلى الشعراء الذيــن عينهم الرواة وقرروا أن هؤلاء ، قد كذبوا على القدماء ، حتى اختلط القديم بالجديد ولم يعد من الممكن تمييز بعضه عن بعضه الآخر "(٤)

ومن الشواهد التى أيد بها وجدى رأيه .. " قال الأصمعى : أقمت فى المدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة "

"وقال العلامة ابن سلام فى كتابه طبقات الشعراء : زاد الناس فى قصيدة أبى طالب

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٢ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦ .

(٤)المصدر السابق : ص ٥ ، ٦

التى قالها فى النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يدرى أين منتهاها " (١)

ويكمـل وجدى مآخذه على منهج طه حسين " ونأخذ على الدكتور طه حسين أيضاً تحامله عـلى الطائفة التى سماهم بأنصار القديم ، وذهابه إلى أنهم مطمأنون إلى ما قاله القدماء ، وأنهـم أغـلقوا عـلى أنفسهم باب الاجتهاد فى الأدب ، فإن كان يقصد بهذا القول أنهم لا يجرؤون على أن يفعلوا فعله فى نقد الشعر وتمحيصه فقد وجب علينا أن نرده إلى الصواب فيـه ، ولا نجـد أفعـل فى إقناعه من نقل ما كتبه الأديب المشهور الأستاذ مصطفى أفندى صـادق الـرافعى فى كـتابه " تاريخ آداب العرب " (الذى نشره فى ١٩١١م أى قبل خمس عشـرة سنة) فقد جاء فيه قوله (لما جاء الإسلام ، واندفع به العرب إلى الفتوح ، اشتغلوا عـن الشـعر بالجهـاد والغزو حيناً من الزمن . فلما راجعوا روايته بعد ذلك وقد أخذ منهم بالسـيف والحيـف ، وذهب كثير من الشعر وتاريخ الوقائع بذهاب رواته ، صنعت القبائل الأشعار ونسبتها إلى غير أهلها. تتكثر بها وتعتاض مما فقدته ، وأخذ عنهم الرواة "(٢)

ويؤيـد رأى وجـدى "د. شـوقى ضيف" قائلاً : " إذا تركنا المستشرقين إلى العرب المحدثين والمعاصرين ، وجدنا مصطفى صادق الرافعى يعرض هذه القضية ، قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى عرضاً مفصلاً فى كتابه " تاريخ آداب العرب " الذى نشره فى سنة ١٩١١ م ولكـنه لا يـتجاوز فى عرضـه – غالبا – ما لاحظه القدماء ، ونحن نحمد له استقصاءه لملاحظـاتهم كمـا نحمد له ما وقف عنده من شعر الشواهد للمذاهب النحوية والكلامية ، فقد لاحظ ما دخل هذا الشعر من بعض الوضع ، وهو وضع سجله القدماء أنفسهم ولم يفتهم التنبيه عليه"(٣)

وبعد أن أتى"وجدى"بخلاصة منهج طه حسين القائم على منهج ديكارت " أى الشك " يقـول مادحـاً .. معا تبأ فى ذات الوقت . " أنا لا أتمالك نفسى من أن أقول صراحة أن هذا الكلام ثمين ، ولا أغالى إن قلت إنه أعرق فى الإسلام من كل كلام قرأته قبل هذا ، ولا يعيبه إلا شـىء واحد ، وهو أنه مفرغ فى قالب الخروج على الجماعة على حين أنه مذهب القرآن الـذى هو دستور هذه الجماعة ، فلو كان قال إنه سيعالج البحث فى الأدب العربى وتاريخه ناسـياً قوميته وكل مشخصاتها ، ودينه وكل ما يتصل به وغير ما يتقيد بشىء ، ولا مذعن

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ص ٦

(٢) المصدر السابق : ص ٧ .

(٣) شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ١٧٠ .

وقد لفتت هذه القضية ، قضية انتحال الشعر الجاهلى أنظار الباحثين المحدثين من المستشرقين والعرب ، وبدأ النظر فيها نولدكه ، وكان مرجليوث أكبر من أثاروا هذه القضية فى كتاباته إذ كتب فيها مقالاً مفصلاً ، نشره فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو سنة ١٩٢٥م. ولا يزال المستشرقون إلى اليوم يختلفون فى قبول هذا الشعر بحذر والشك فيه شكاً معتدلاً أو متطرفاً ، وممن أدلى بدلوه منهم فى هذا الموضوع بلاشير فى الجزء الأول من كتابه : تاريخ الأدب العربى . (شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ١٦٦ ، ١٦٨ .

لشيء، إلا مناهج البحث الصحيح ، جارياً بذلك على مذهب القرآن (لاديكارت) لكانت كلماته هذه عدت أجمل تفسير لآيات الكتاب التى وردت خاصة بمنهج البحث عن الحقائق" (١)

ويتساءل"فريد وجدى" ، ما الذى يمنع طه حسين من القول بأنه يتبع منهج القرآن لا ديكارت ؟ ويجيب قائلاً :- "فإن كان المانع الأنفة من الاتباع ، فالاتباع حاصل ديكارت ، فهل من مرجح للأنفة من اتباع محمد وعدم الأنفة من إتباع ديكارت ؟ وهل فرق فى التبعية ، بين أن يقول هذا قرآنى وهذا ديكارتى ؟ "(٢)

ويقرر"وجدى"أنه لا يأنف من تبعة المذاهب الإصلاحية ولكنه يفضل القرآن لأسباب منها :- " أن ديكارت رجل فرنسى ليس بينى وبينه أية علاقة من جنس أو لغة أو صلة من أى نوع كانت. وأما القرآن فهو كتاب الأمة التى أنا منها .. وقد سبق ديكارت بعشرة قرون ، وأسلوبه أدق من أسلوبه ، وأجمع لوجوه الاحتياط منه. "(٣)

ويفند وجدى ما يحتاجه طه حسين ليرى هل يغنى القرآن بمذهبه أم لا من ذلك :-

أولاً : يرى الدكتور طه حسين أن صواباً أو خطأ إن المتقدمين قد شايعوا أوهامهم وأهواءهم فى تقرير ما قرروه عن العلم فلا يريد مجاراتهم فيه . والقرآن يؤيده فى مذهبه هذا فهو ينعى على المتأثرين بالأهواء ، والآخذين بالظنون فقال : " (٤)

إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾

ثانياً : " يطلب الدكتور طه حسين أن يتوخى فى بحثه عن الحقيقة نسيان قوميته وكل مشخصاتها وقد محق القرآن القوميات ومشخصاتها فقال : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ (٥)

وشرح رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية بقوله " لقد اذهب الله عنكم رجس الجاهلية وتفاخرها بالآباء.كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى ولا فضل لأعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح "(٦)

ثالثاً : يقول الدكتور طه حسين (إنا إذا لم ننسى قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين "

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ١٠ ، ١١.

(٢) المصدر السابق : ص ١١ .

(٣) المصدر السابق : ص ١١ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٢ . سورة يونس : آية : ٦٦ .

(٥) سورة الحجرات : آية ١٣

(٦) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ص ١٢٠ .

ويجيبه وجدى قائلاً : " **كيف نضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف وهذا الدين نفسه يزجرنا عن المحاباة وإرضاء العواطف فيقول** " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ "[1]

رابعـاً : ويقـول [2] الدكـتور طه حسين " لنجتهد فى أن ندرس الأدب الجاهلى غير حافلين بـتمجيد العـرب أو الغـض منهم ، ولا مكترثين بنصر الإسلام أو النعى عليه ، ولا معنيين بالملاءمـة بينه وبين نتائج البحث العلمى والأدبى ، ولا وجلين حين ينتهى بنا هذا البحث إلى ما تأباه القومية ، أو تنفر منه الأهواء السياسية ، أو تكرهه العاطفة الدينية "

ويرد عليه وجدى[3] مؤيداً مع التحفظ :-

" **نقـول إن هـذا الكـلام لا غـبار عليه وهو مذهب كل طالب للحقيقة إلا قوله ولا مكـترثين لنصـر الإسـلام أو النعى عليه ، فإن مثل هذا القول لا يصح إطلاقه على دين لا مرمى له إلا ايصال الإنسان إلى الحقيقة ...** "

ويـلخص فريد وجدى رأيه قائلاً :- **إننا نعد منهج الدكتور طه حسين فى البحث .. من أكمل المناهج ، بل هو المنهج الوحيد الذى ينطبق على أصول الفلسفة العصرية المنتجة إلا ما ارتكبه من غمط حق الإسلام فى هذا الموطن .**

فإنـه إن كـان يعـرف مكان الإسلام من هذا المنهج كان الأولى به أن يقول إن المتقدمين ارتكـبوا مـا ارتكـبوه من إفساد الأدب والعلم بعدم جريهم على المنهج الذى يحضهم عليه القـرآن وإنـه سـيجرى عـلى ذلـك المنهج الذى يوافق ما جاء بعده بألف سنة كمنهج روجرباكون وديكارت وغيرهما "[4]

وينـبه وجـدى مؤكداً " **وإن كان لا يعرف الإسلام كان يجب عليه أن يلم به قبل أن يخـط حـرفاً فى الأدب العربى فإن علاقته بآداب هذه الأمة وعقليتها وتأثيره فيهما مما لا يمكن إنكاره أو عدم الاعتداد به على أية حال .** " [5]

ويوافـق أ."محمـد خضـر حسين"رأى فريد وجدى فى عدم جدة منهج ديكارت ؛ فهو منهج معروف عند علماء الشرق يقول [5]" إذا كان منهج ديكارت يرجع إلى أن الشك أساس الفلسفة وتعرف الحقائق وألا يسلم بشيء إلا بعد أن يفحصه العقل ،فإن هذا المنهج ليس بالغريب عند.

---

(١) سورة النساء : آية ١٣٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٥

(٣) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٥ .

(٦) السيد محمد خضر حسين : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢٦ ، ٢٧ ، مطبعة السلفية – القاهرة ١٣٤٥ هـ .

علماء الشرق ... ، وممن صرح بهذا المسلك أبو حامد الغزالى حيث قال فى "المنقذ من الضلال " إن اختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم اختلاف الأمة فى المذاهب وكثرة الفرق ، بحر عميق غرق فيه الأكثرون .. ولم أزل فى عنفوان شبابى منذ راهقت البلوغ إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين – أقتحم لجة هذا البحر .. واتفحص عقيدة كل فرقة واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لأميز بين محق ومبطل ومستن ومبتدع .. وقد كان العطش إلى درك الحقائق دأبى وديدنى .. وحتى انحلت رابطة التقليد وانكسرت عنى العقائد الموروثة "

وقد أفصح عن مثله الفيلسوف ابن خلدون " وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات "

ثانياً :- تمثيل القرآن للعصر الجاهلى وعدم تمثيل الشعر الجاهلى له :

" يقول حضرته إن الشعر المسمى بالجاهلى لا يمثل حياة الأمة العربية قبل البعثة المحمدية "

ويوافقه وجدى قائلاً :- " **ونحن لا يسعنا إلا موافقة الأستاذ على ذلك ... ولئن كان الرواة الأولون قد حفظوا عن الجاهليين شعراً صحيحاً فإنما هم قد تحروا فيه مالا يصادم الإسلام تأثماً من نقل أخبار المشركين وإذاعة ضلالاتهم الاعتقادية.** "[(١)]

ويقول الدكتور طه حسين : " إن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية ، وأصح تمثيلاً لها من الشعر المسمى بالجاهلى " [(٢)]

"ووجدى" يتفق معه فى كون القرآن مرآة للجاهلية يقول :- " **أما أن القرآن يعتبر أصقل مرآة لما كان عليه عرب الجاهلية من النقائص والعيوب الاجتماعية والمنكرات العادية فنعم ... فهو يمثل حياة الجاهليين من وجهة نقائصهم وسيئاتهم تمثيلاً لا يدانيه فيه شعر ولا تاريخ . وكيف لا يكون كذلك وهو إنما جاء لنقلهم مما هو عليه إلى حال أرقى منه درجات ، وتهيئتهم لأن يحيوا حياة صالحة تأخذهم إلى معارج الارتقاء**"[(٣)]

ويخالفه " **من وجه كفاية القرآن وحده فى تجلية ما كان عليه العرب من الصفات المحمودة ، وليس له أن يعرض لذلك وهو فى مقام دعوتهم إلى دين يقلب وجودهم**

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٣١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق : ٣١ .

الاجتماعى رأساً على عقب ، ويهدم ما هم عليه من أساسه ، ويقيم على أنقاضه صرحاً جديداً لحياة جديدة لم يعرفوها إلى ذلك الحين. "[١]

كما يذكر أننا لا نعرف الصفات الحميدة للعرب إلا من الشعر الجاهلى فإذا تركناه تركنا جزءاً مهماً مكملاً للحياة الجاهلية : **يقول " وما دام الشعر المنسوب لهم ، وفيه المختلف والصحيح . قد أجمع على نسبة هذه الصفات لهم فيمكن الاعتماد عليه فى تكميل بناء تاريخهم . إلا فنكون قد حكمنا بعدم إمكان الوصول إلى هذا التاريخ على الإطلاق ."[٢]**

ويؤيد "د. محمد عبد المنعم خفاجى" فريد وجدى فى أنه لا غناء عن الشعر لتمثيل حياة الجاهليين : يقول[٣] " الشعر الجاهلى يمثل حياة الجاهليين ، ويرسم ألوان معيشتهم ، ويروى عاداتهم ويتحدث عن أديانهم ويصف بيئتهم ولون ثقافتهم.

وهل هناك ريب فى أن الشعر الجاهلى يصف البيئة الجاهلية وصفاً دقيقاً ، وهل هناك شك فى أنه سجل لتاريخهم وأخبارهم وأيامهم.

ويقول" نيكلسون" فى كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) : إن الأدب الجاهلى المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام الجاهلية تصويراً أقرب ما يكون عن الدقة فى مظاهره الكبرى .

ويقول" ثوربيك الألمانى" : يمكن تعريف الشعر الجاهلى بأنه وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها فقد صور العرب أنفسهم فى الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزويق ولا تشويه.

وقال" نولديكه" المستشرق الألمانى فى كتابه عن الشعر العربى القديم : إن عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بالدقة نقلاً عن أشعارهم وفى الشعر الجاهلى ما يفتن القارئ من أوصاف الحياة والعادات فى البادية.

ويقول" لطفى جمعه" فى كتاب الشهاب الراصد :يدل الشعر الجاهلى فى جملته فى نفوس ناظميه وحياتهم ، ثم قال : والشعر الجاهلى أشد ما يكون اتصالاً بحياة القوم وتاريخهم وأكثر ما يكون تمثيلاً ، ووصفاً لبيئتهم ، بل أنه أصدق مثال لحياة العرب أنفسهم ، فأثر تلك البيئة الطبيعية والمحيط الاجتماعى ظاهر فى شعورهم بجانب بلاغتهم النادرة.

وهل هناك أكثر من الدلالة على الحياة الجاهلية أكثر من الشعر الجاهلى نفسه الذى هو ديوان العرب ومستودع تاريخهم ومرآة حياتهم وصناعاتهم وعاداتهم . "

---

(١) المصدر السابق : ص٣١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٢ .

(٣) محمد عبد المنعم جفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ٣٤٣ ، ط ١٩٤٦م ، ١٣٦٨ هـ مطبعة حجازى بالقاهرة ، مكتبة الحسين التجارية .

ثالثاً : قوة الحياة العقلية والدينية والسياسة عند عرب الجاهلية

وقـف فريد وجدى وقفة طويلة مع مقولة طه حسين : " إن القرآن يمثل لنا فى عرب الجاهلية حياة دينية قوية ، وقدرة على الخصام والجدال ، وإنهم كانوا أصحاب علم وذكاء وعواطف رقيقة ، وعيش فيه لين ونعمة ، وإنهم كانوا على اتصال قوى بمن حولهم من الأمم قسمهم أحزاباً وشيعاً ، وكانوا يعنون بسياسة أمتى الفرس والروم ، وعلى اتصال اقتصادى بغيرهم من الأمم ، وإنهم تجاوزوا باب المندب إلى بلاد الحبشة ، وتجاوزوا الحيرة إلى بلاد الفرس ، وتجاوزوا الشام وفلسطين إلى مصر ، وإنهم كانوا متأثرين بالسياسة العامة ومؤثرين فيها ، وبذلك فقد كانوا أمة متحضرة راقية لا أمة جاهلة همجية . ثم قال وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن قد ظهر فى أمة جاهلة همجية ؟ "(١)

وقد أعلن وجدى مخالفته لرأى طه حسين فى هذه القضية ، ثم قسمها إلى جزئيات ، وسنشير إلى كل جزئية فى لمحة خاطفة لعدم الإطالة .

أولاً : قوة الحياة العقلية والدينية عند عرب الجاهلية

يقول وجدى : " **لا جدال فى أن العرب كانوا قبل البعثة المحمدية على دين هو الوثنية على أخس أشكالها لا كوثنية اليونان ذات الميتولوجيا المتأنقة فى الخيال ، ولا كوثنية المصريين والهنود والصينيين الثرية فى الأصول ، الداعية إلى تطهير النفس ، والتجرد من عالم المادة والتغلغل فى الحياة الروحية بفرض الرياضيات ، وإيجاب العبادات . وقد دفعت الأديان الوثنية أصحابها إلى كثير من العلوم والفنون .** "

أما العرب فكانت وثانيتهم ساذجة مبهمة قليلة السلطان على عقولهم لم تدفعهم لأى صناعة من الصناعات التى يدفع إليها التدين ، ولولا أصنام كانوا أقاموها فى مكة يحجون إليها فى كل عام مرة لساغ عدهم من الأمم المجردة عن العاطفة الدينية . "(٢)

" **وليس أدل على تدهور وانحلال القبائل العدنانية فى نجد والحجاز أيضاً من تركهم جيش أبرهة عامل الحبشة يتوغل فى بلادهم على عزم هدم الكعبة دون أن يلاقى أية مقاومة أين هذا من غيرة اليونان حين اعتزم الملك اكسيركسيس ملك الفرس فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح على اكتساح بلادهم فقاوموه شبراً شبراً حتى أصلوه فى مضايق الترموبيل نار**

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٣٣ .

وقد اهتم فريد وجدى بهذه القضية اهتماماً كبيراً فلم يترك مناسبة ، تم فيها ذكر هذا الموضوع إلا وأفاض وأطال مثل ما نجد فى السيرة المحمدية سابقاً ، وفى النثر العربى لا حقاً .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٣ .

حـرب طاحـنة لم يجد معها مناصاً من الارتداد على عقبه رغماً عما كان معه من الجيوش الجرارة والعدد المجتاحة .. "[1]

ومن خلال الآيات القرآنية يستدل وجدى على عدم قوة الحياة العقلية الدينية

يقول " لكن عرب الجاهلية قابلوا الدعوة الإسلامية بسلاح العاجز وهو قولهم إنهم لا يسـتطيعون أن يتخلوا عن دين آبائهم الأولين . وكل ما فعلوه بعد ذلك إنهم كانوا يتعجبون من التوحيد فقالوا كما حكاه عنهم القرآن : أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ "[2].

ولا يخـفى أن الـتعجب مـن وحدانية الله لا يدل على شيء من الذكاء والتواصى بالصـبر عـلى آلهتهم لا يتجاوز المقاومة السلبية ، مقاومة الجهلة الأغبياء . وتصريحهم بـأنهم لم يسمعوا بهذا التوحيد فى الملة الآخرة يدل على سذاجة لا يعذرون عليها على أية حال "[3]

ويكمـل وجـدى مناقشته : " نعم قد كان لبعض العرب ذكاء وفهم ، وعيش فيه لين ونعمـة، ومن سكان المدن منهم ؛ كانوا على شيء من الحضارة ، ولكنهم كانوا على حال من الانحلال الأدبى والاجتماعى لا يرجى لهم معه قيام . فكانوا من الدين على وثنية منحطة خاليـة مما يموهها من المعابد الفخمة ، والهياكل الضخمة ، والسدنة الراقية ، والمرشدين الـروحية ، وكـانت عـبادتهم تنحصر فى حج البيت والتصفيق والصفير فيه ، وكان لديهم السفاح ذائعاً ، وشرب الخمر شائعاً ، ولعب الميسر مباحاً ، وتعدد الزوجات إلى مالا حد له سـائغاً ، وحـرمان النساء من الميراث ، بل وراثتهن كما تورث الأنعام والتحكم فيهن حقاً مقرراً ، وإجبار فتياتهن على البغاء طمعاً فى أجورهن عملاً محللاً ، وكانوا مع ذلك يدعون اليتيم ولا يتحاضون على طعام المسكين ، ويأكلون التراث أكلا لما ، ويحبون المال حبا جماً كـل هذا صرح به القرآن ، وشهد به عليهم ، وجههم به على رؤوس الأشهاد . يلوح من هذا لأول وهلة أن العرب لو كانوا على وشك نهضة لما صادفت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم منهم كل هذا النفور ولما كانت حجتهم المثلى فى رفض الدين قولهم [4]: "وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم" مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٤٢ .

(٢) سورة ص : آية ٥ ، ٦ ، ٧

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٣٦ .

(٤) سورة الزخرف : آية ٢٣ .

"قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ" (١)

فـإن الأمـم المتحفزة للنهوض لا تدفع المجددين بمثل هذا الأصل الدال على أقصى درجات الجمود. بل عهدناها تكتسب شعوراً حاداً يسوقها لكراهية ما كان عليه آباؤها الأولون ، وقد تغـلوفتنسلخ من حقهم وباطلهم ، وحسنهم وقبيحهم على السواء ، وتترامى فى أحضان كل جديد حتى ما كان ضاراً بها كما يشاهد فى تركيا ومصر اليوم . "(٢)

وأخيـراً يجيـب على التساؤل الذى طرحه فى بداية المناقشة وهو ما سر التطور الذى لحق بالأمة العربية بعد الإسلام ؟ يقول " **فالفضل فى التطور العظيم الذى دخلت فيه الأمة العربية فأصـبحت به منقذة العالم من براثن الجهالة والهمجية يرجع إلى الروح المحمدية التى بثت الحياة فى هذه الأشباح الجامدة فحركتها لطلب الحياة الصحيحة من كل مظانها ، وبثت هذا الشـعور فيمن حولها من الجماعات حتى استحقت خلافة الله فى الأرض كما استحقتها قبلها** أمم لا صلة بينها وبين العرب فى شىء قوله تعالى : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ "(٣)

رابعاً : **قصة هجرة إسماعيل إلى مكة**

يقول الدكتور طه حسين : "إننا مضطرون أن نرى فى قصة هجرة إسماعيل إلى مكة ونشـوء العرب المستعربة بها نوعاً من الحيلة فى إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبيـن الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى وأقدم عصر يمكن أن تكون نشأت فيـه هذه الفكرة إنما هو العصر الذى أخذ اليهود يستوطنون فيه شمال البلاد العربية . فنحن نعـلم أن حروباً عنيفة شبت بين اليهود وبين الذين كانوا يقيمون فى هذه البلاد وانتهت بشىء مـنالمسـالمة والملاينة فليس ببعيد أن يكون هذا الصلح منشأ هذه القصة التى ستجعل اليهود والعرب أولاد أعمام " .

ثم قال : " أمر هذه القصة إذن واضح فهى حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام واستغلها لسبب دينى ، وقبلتها مكة لسبب دينى وسياسى أيضاً " (٤)

---

(١) سورة لقمان : آية ٢١ .

محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٥ .

(٣) سورة النور : آية ٥٥

(٤) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ، ص ٤٦ .

ويـــرفض وجدى هذا الرأى ويقول مدافعاً عن رأيه : " **لو كانت هذه القصة حيلة من اليهود افتعلوها ليعيشوا مع العرب بسلام آمنين لكانوا ، حين اجمعوا على الهجرة إلى بلاد العرب ، جعلوا ترويجها بين العرب باكورة أعمالهم لا أن يبدأوا هجرتهم بالحروب العنيفة حتى إذا طحنـــتهم المعـــارك ســـنين ابتكروها لتكون سبباً فى اجتلاب عطف خصومهم عليهم . وهل ابـــتكارها بعـــد تلك المعارك الطاحنة لا يثير فى نفوس العرب الشك فى صحتها ، بل الجزم بأنها حيلة يراد بها خضد شوكتهم ، وثلم حميتهم ؟**

ثـــم إننا نقول إن قريشاً لم تعمل قط على ترويج نسبتها إلى إبراهيم وإسماعيل لعدم وجود أى دليل على ذلك . "[١]

وافترض"وجدى"عدة أسباب لذلك منها ؛ عدم اهتمام قريش بالتوحيد لوثنيتها ، وكثرة القبائل التى تشترك معها فى أبوة إسماعيل وغيرها.

" **ومما يدل دلالة تكاد تكون محسوسة على أن قريشاً لم يطف بخيالها هذا الترويج قط عدم عنايتها بتسمية أولادها بإبراهيم أو إسماعيل وأنت خبير أن هذه التسميات ذات دلالات قوية عـــلى تطـــور الحوادث الاجتماعية حتى أنها وحدها لتشير إلى مبلغ تشييع الشعوب لبعض الأفـــراد الممتازين ، أو إلى دور انتقال جديد ، أو إلى اتجاه الأمة نحو مثل أعلى فى الحياة الأدبية .** "[٢]

يـــناقش وجـــدى قول طه حسين " إن قصة هجرة إسماعيل إلى مكة نوع من الحيلة لإثبات الصلة بين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة .

فيعقـــب متساءلاً : **أكان الإسلام لأجل أن يقوم بما انتدب له من هداية العرب ودفعهم إلى مســـتوى الأمـــم الحية ، فى حاجة إلى انتحال الصلة بينه وبين اليهودية حتى يصح أن يقال إنه استغل هذه القصة لمنفعته الشخصية ؟**

الـــلهم إنـــنا لا نـــرى وجهاً للحيلة فى إثبات الصلة بين الإسلام واليهودية ولا بين القرآن والتوراة ، فإن كان فى القرآن ذكر عن اليهودية والتوراة ففيه ذكر عن النصارى والإنجيل ، بل هو قد ذكر النصارى والإنجيل وعيسى والحواريين والرهبانة بكثير من العطف فقال . "

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ "[٣]

وقـــد ذكر أيضاً الصابئة والمجوس والدهريين ومنكرى البعث وغيرهم. ذلك لأن الإسلام قد جـــاء بإصـــلاح ديـــنى عام للأمم كافة فكان لابد من ذكر الأديان والتنبيه على ما فيها من

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى: ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق: ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) سورة المائدة : آية ٨٢ .

الانحـــراف عن جادة المنطق للتأثير فى أهلها كما يضطر الفليسوف إلى ذكر مذاهب أسلافه ونقدها . "[١]

يقول الدكتور طه حسين : " إن ورود أسمى إبراهيم وإسماعيل فى التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى فضلاً عن إثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة إسماعيل ابن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها "[٢]

ويجيـــبه وجدى قائلاً :- " معناه إنه لا يمكن إثبات وجودهما إذا جرى التاريخ على أســلوبه فى إثـبات وجود الرجال ، وتحقيق الحوادث المعزوة إليهم ، مستقلاً عن نصوص الكتب السماوية ، فالتاريخ يطلب فى إثبات وجود الرجال أدلة حسية ، وآثاراً مادية فوق ما تذكــره عنهم الكتب الدينية وبخاصة بالنسبة للأفراد المتغلغلين فى القدم كإبراهيم وإسماعيل .. ونحن نرى أن هذا الموقف من العلوم فى الاستقلال عن النصوص الدينية ضرورى لها ؛ لتســتطيع أن تــؤدى وظيفــتها مــن التحرير والتمحيص مطلقة الحرية ، فى دائرة العلل الطــبيعية. فلا يجوز لحفظة الأديان الصحيحة أن يكرهوا هذا الاستقلال لها فأنها بما تتأدى إليــه مــن نتائج علمية محققة من طرق مادية محضة تؤيد الدين وتصدقه فتنساق النفوس لحــبه والأخــذ بــه ، والتأدب بأدبه ، خلافاً لما إذا كانت العلوم تابعة للدين فإنها تقع تحت وصـــاية قادتـــه أى تحت وصاية رجال ليسوا من أهلها ، فيرون فى كل حركة من حركاتها انحرافاً ، وفى كل رأى من آراء الباحثين فيها تطرفاً .

فيقـــع التنازع بين الهيئتين فإن انتصر رجال العلوم عملوا على ملاشاة الدين وأهله. فتفاديا من هذا التنازع الضار بالأديان والعلوم معاً ، تراضى الناس على أن يسير كل منهما مستقلاً فى طريقه .

والقول بأن إبراهيم وإسماعيل لم يثبت وجودهما تاريخياً ليس معناه ، أن التاريخ قرر بأنهما لـــم يوجدا ، ولكن معناه أنه لا يستطيع إثبات وجودهما إثباتاً ينطبق على أسلوبه الحسى ، وهذا العجز من العلم لا ينفى أنهما كانا موجودين ، وأنهما بنيا الكعبة .

فنحن نحترم هذا العجز من العلم ، ونشجعه على الاعتراف به ، بل ولا نقبله منه أن يدعى علم مالا ينطبق أسلوبه عليه ، وإدراك مالا تصل وسائله إليه.

ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نلاحظ على الدكتور طه حسين أنه لم يحسن التعبير عن رأيه فى هذه المسألة فقد كان يستطيع أن يقول مثل ما قلنا فلا يلومه أحد." [٣]

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٩ ، ٧٠ .

ثم يستدل وجدى من خلال المحسوسات على وجود إبراهيم وإسماعيل من ذلك يقول : **" ولو حذفنا من التاريخ كل شخص لم ترد على وجوده أدلة حسية ، وآثار مادية لحذفنا أكثر رجاله المشهودين ، ولم يبق منهم إلا أسماء معدودة . على أن إجماع أمة برمتها كاليهودية على تسمية نفسها بالإسرائيلية نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إبراهيم من منذ وجودها ، وإجماع أمة أخرى وهى العربية على اعتبار بعضها من ذرية إسماعيل مما لا يصح أن يقابل بالتحفظ إلا إذا وجدت قرائن تدل على غير ذلك. "**(١)

وقد أثارت هذه القضية " وجود إبراهيم وإسماعيل " الشعور الدينى لدى المصريين.

يقول "محمد عبد المنعم خفاجى " وقد حدثت ضجة إثر نشر كتاب " الشعر الجاهلى" فنشره الدكتور باسم الأدب الجاهلى بعد أن حذف منه بعض فقرات مما يمس الشعور الإسلامى "(٢)

خامساً : <u>أسباب انتحال الشعر</u>

يرجع طه حسين أسباب انتحال الشعر إلى أسباب سياسة ودينية قال الدكتور طه حسين : " المؤثر الذى طبع الأمة العربية بطابع لا يمحى مؤلف من عنصرين قويين جداهما الدين والسياسة . ولا سبيل إلى فهم التاريخ الإسلامى إلا إذا وضحت مسألة الدين والسياسة توضيحاً كافياً. فإن العرب لم يستطيعوا أن يخلصوا منذ ظهر الإسلام من هذين المؤثرين فى لحظة من لحظات حياتهم فى القرن الأول والثانى. " (٣)

ويدافع وجدى عن العرب فى هذا قائلاً(٤):- **" لم يكن العرب بدعاً من الأمم فى الاشتغال بالدين والسياسة فليس فى العالم أمة قديمة أو حديثة ، لم يعمل هذان المؤثران فى حياتهما عملاً مستمراً.**

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٧١ .

(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ٣٤١

" ويبدوا أنه كان متأثراً برأى الدكتور مرجليوث الذى يقول " وحقيقة الأمر فى قصة إسماعيل إنها دسيسة لفقهاء قدماء اليهود تزلفاً إلى العرب وتذرعاً منهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس " محمد عبد المنعم خفاجى – الشعر الجاهلى – ص ٤٠١

"وألف فى نقد هذا الكتاب عدة مؤلفات أهمها :-

أ- الشهاب الراصد للأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى وقد طبعه عام ١٩٢٦ م

ب- النقد التحليلى للأستاذ الغمراوى .

جـ- نقض مطاعن فى القرآن الكريم للأستاذ الكبير محمد عرفة .

د – نقض كتاب الأدب الجاهلى للشيخ الخضر حسين .

هـ – نقد الأدب الجاهلى للخضرى بك"

محمد عبد المنعم خفاجى – الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى – ص ٣٤١ .

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٥ : ٨٧ .

" بـل لم يستطيعوا أن يخلصوا منهما إلى اليوم ، ولن يخلصوا منهما ما دامت للروح حاجة فيما وراء المحسوسات ، وما دامت بهم حاجة إلى حكومة حكيمة تدبر أمورهم ، وإلى مكان يشغلونه بين الأمم .

فهذه الخصال كانت لجميع شعوب العالم . فاليهود قد ظهروا باليهودية واعتزوا بها واتصلت حيـاتهم بهـا اتصـالاً وثيقاً ، وما خرجوا من مصر وتاهوا فى شبه جزيرة طور سيناء ، وفـتحوا فلسـطين ، وتنقلوا فى أدوار الاجتماع تحت حكم القضاة ثم الملوك إلا تحت تأثير الديـن والسياسة .. والمسيحيون قد ظهروا بالمسيحية واعتزوا بها ، واتصلت حياتهم بها اتصالاً محكماً .

فـأى أمـة من الأمم القديمة والحديثة عرضت على عقلك أمورها فلا تجدها تخلو عـن الـتأثر بهذين المؤثرين إلا ما يعرف عن بعض الأمم الأوروبية منذ نحو قرن ، فإنها بدأت تدفع تأثير الدين عنها ، والمراد بالدين هنا رجاله والقائمون عليه ، إلا الدين نفسه ، فالنفوس والعقول لا تزال فى شغل شاغل به نفياً وإثباتاً ، بحثاً وتمحيصاً ."

أشكال الجهاد بين النبى وقريش (من الأسباب السياسية لانتحال الشعر)

يقول الدكتور طه حسين " بدأ الجهاد بين النبى وقريش جدلياً ثم لما هاجر إلى المدينة ووجـد له فيها أنصاراً اعتمد الجهاد على السيف وتجاوز الخلاف كون الإسلام حقاً أو باطلاً إلى النزاع على حكم الأمة العربية أو القبائل الحجازية ومصير الطرق التجارية " (١)

ويعقب "وجدى" سارداً أحداث السيرة بداية من جهاد النبى صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى الإسـلام ومجادلة قريش له وهجرة بعض أصحابه إلى الحبشة ثم الهجرة إلى المدينة بعد إسلام الأوس والخزرج ومؤزارتها وللمسلمين إلى أن تم فتح مكة.

ويصـل وجدى من هذا كله إلى تبرير الغزوات التى قامت بها قريش ضد المسلمين "فغزوة بدر حدثت بسبب ما أشيع من أن المسلمين استولوا على تجارة قريش فخرجت فرقة تقدر بألف رجل لاستردادها.

وغزوة أحد شنها المشركون للأخذ بثأر من قتل منهم فى بدر ، وغزوة الخندق كانت بإغراء نفـر مـن اليهـود ... حرضـوا قريش على غزو المدينة واستئصال شأفة المسلمين فيها وتعهدوا أن ينضم اليهود إليهم . فلبت قريش دعوتهم.

ولـم يؤثـر عـنها – قريش – فى تلك الوقائع الثلاث الماضية مثل ما يؤثر عن الطوائف الموتورة فى دينها ودنياها من غليان الصدور بالسخائم ... وإبلاغ الحرب إلى أقصى شدتها

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ٨٧ .

.. والذهاب بالصبر والثبات إلى مثل ما يروى عن المستبسلين والمستمتين في الدفاع عن وجودهم. " (١)

ويكمل وجدى نقاشه مقللاً من شأن قريش المشركة " سمعنا أن قريشاً استنفرت بعض من حولها من العرب للحرب ليعينوها على الأخذ بالثأر أو لنصرة أوثانها ومعبوداتها ولكن لـم نسمع قط أنها استنفرت البعيدين عنها كما يفعل الذين تلتهب فى قلوبهم نيران الحمية . ولـم تذكـرهم بضرورة تأمين الطرق التجارية ، ولم ينقل إلينا إنها قامت بنشر دعوة حارة ضد المسلمين ، تصلح لجمع كتلة من المحاربة تتمكن بهم من عمل شئ جدى ، ذلك لأنها لـم تكـن مـن العـرب عـلى ما وصفها به الدكتور طه حسين ، ولم يكن لانقطاع الطرق الاقتصادية فى نظرها كبير خطر يدفعها للاستماتة فى الدفاع عنها."

ويتسـاءل وجدى " أليس يدل على هذا الفتور من قريش فى حرب رسول الله صلى الله عـليه وسلم وعجزها عن جمع أكثر من عشرة آلاف من العرب المخالفين لها على أنها لـم تكـن كما يقول الدكتور طه حسين منيعة الحوزة ، عزيزة الجانب ، تحدث نفسها بجمع كلمة العرب لتكوين دولة وثنية مستقلة تطرد الأجانب من بلادها؟ " (٢)

يقـول الدكـتور طـه حسين " وهذا أدى إلى نشوء عداوة بين قريش وأهل المدينة ، واصطبغت هذه العداوة بالدم يوم انتصر الأنصار على قريش فى بدر "(٣)

ويحلل"وجدى" هذا الرأى من الوجهة الاجتماعية

" ونحـن نقـول(٤) " إمـا نشوء عداوة بين قريش وأهل المدينة فصحيح ، وسببها نصـرتهم للنـبى صـلى الله عليه وسلم أما قوله واصطبغت هذه العداوة بالدم يوم انتصر الأنصـار على قريش فى بدر فكلام إن ساغ من ناحية كتابية شعرية ؛ فلا يسوغ من وجهة اجـتماعية علمية تتطلب تتبع الأسباب والعلل وغزو الحوادث إلى عواملها الحقيقية. والحق إن الذى انتصر فى بدر هى قريش المسلمة على قريش الوثنية . وأما الأنصار فكان مكانهم فى هـذه الحـوادث . مكان المعين الممالئ ليس غير .. فإذا صح لقريش أن تحقد فلتحقد عـلى أبنائها محمد وأصحابه الذين كفروا بآلهتها ، وانفصلوا عن جامعتها ، وأخذوا بديانة غير ديانتها ، وانتهجوا فى الحياة طريقة غير طريقتها ، واعزوا أصدقاءها على عداوتها.

هـذا ما يقتضيه علم الاجتماع الذى يربط العلل بمعلولاتها ، والأسباب بمسبباتها.. ولكـن الدكـتور طـه حسين رتب هذه المقدمات وتسامح فى درس علل هذه الحوادث على

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى: ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩١

(٣) المصدر السابق : ص ٩١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٩١ .

الأسلوب العلمى ، وخالف العرف وطبيعة الأشياء لخدمة غرض أدبى محض هو تعليل الاختلاق فى الشعر الجاهلى. فكان مثله كمن يشعل مدينة برمتها ليأخذ منها قبساً . وليس هذا من العمل الصالح فى شىء."

يقول طه حسين [1] : " فنظر زعيمها وحازمها أبو سفيان فى الأمر فرأى أن يصانع ويدخل فيما دخل فيه الناس لعل هذا السلطان السياسى الذى انتقل من مكة إلى المدينة ، ومن قريش إلى الأنصار أن يعود إلى قريش ، إلى مكة مرة أخرى "

ويرد وجدى [2] " **فهو كلام خال من التحقيق العلمى ، ومتسامح فيه كل التسامح .. أوقد استسلم أبو سفيان ودخل فيما دخل فيه الناس ، وقام بهدم بعض الأصنام بأمر النبى صلى الله عليه وسلم وحارب معه ومع خلفائه أعداء الإسلام ، وعرض نفسه للهلكة فى هذا السبيل حتى فقد عينيه فلا يصح أن يقال عنه إنه كان حازم قريش ورجلها الفذ ، وإنه كان ينتظر أن يعود لقريش الوثنية مجدها القديم. أى مجد يصح أن يتمنى عوده وهو نفسه يعمل على تقويضه وإزالة معالمه.فأى قريش كان يريد أن ينتقل إليها ذلك السلطان السياسى ؟ أولئك العامة المستضعفين الذين بقوا فى مكة بعد الفتح ، أم أولئك الرجال الكبار ، والقادة المحنكين أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى عبيدة .. إلخ من القرشين الذين كانوا بالمدينة يدبرون ذلك السلطان الإسلامى ويعملون بأنفسهم وأموالهم على تقوية شوكته وإعلاء كلمته ."**

يقول د . طه حسين [3]: " لم تكن العواطف والمنافع الدينية أقل من العواطف السياسية أثراً فى تكلف الشعر وانتحاله وإضافته إلى الجاهليين فكان يقصد به إلى إثبات النبوة وصدق النبى ، وكان هذا النوع موجهاً إلىعامة الناس ... ومن هذا كل ما يروى من الشعر الجاهلى ممهداً لبعثة النبى. "

ويوافقه وجدى ولكنه يعترض على الطريقة التى طرحت بها هذه القضية والسبب **" أنه يشعر القارىء غير الملم بتاريخ الدين الإسلامى أن الذى وضع هذه الأشعار قادة الدين للتأثير به على العامة . "[4]**

وبين وجدى من يكون وراء ذلك [5] " **وهما صنفان (أولهما) أعداء الدين لإفساده بإدخال عنصر الغلو فيه ، وإلصاق الخرافات به . و(ثانيهما) جهلة المتدينين ظناً منهم أن**

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ٩٢ : ٩٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٢٨ .

(٤) المصدر السابق : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٥) المصدر السابق : ١٢٩ : ١٣٠ .

الكـــذب فى هذا المعنى حلال لاشية فيه . وربما عدوه وسيلة للمثوبة الحسنة عند الله . وقد نـــبه قـــادة الديـــن عـــلى هذين الأمرين وعدوهما من العبث بالدين ، والنكوب عن طريق المؤمـــنين .. على أن طبيعة الدين الإسلامى تأبى هذا الغلو فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم لكثرة ما ورد فى الكتاب والسنة من النهى عنهما" ، ومن الآيات التى استدل بها وجدى قوله تعالى(١) " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ "
وقد نص القرآن .. على أن النبى لا حول له ولا حلية .. قوله تعالى(٢)" لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)"
ومن السنة النبوية قال لقوم جاءوه فقالوا أنت سيدنا : فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا سيدنا فـــأن السيد الله وقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم إيضاحاً فقال : إنا فيما لم يوح إلىّ كأحدكم" وقد نبه عليه السلام على أن الأحداث الطبيعية لا تحدث لميلاد أحد ولا لوفاته فقال : الشمس والقمر آيتان الله ،لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فإن رأيتم ذلك فاذكروا الله.
فكـــل مـــا يـــروى إذن مـــن إرهاصات ، التى سبقت النبوة ، ومن الأشعار التى عزيت إلى الجاهـــليين ؛ أكاذيب لا يصح الالتفاف إليها . ويكفى فى إسقاطها إنها ركيكة المبانى ، سقيمة المعانى ، ظاهر عليها طابع الوضع ، تدل على أن مختلقيها ليسوا من الشعر فى شيء ، وأنها تنافى أصول الإسلام."

"ويضاف إلى هذا الباب كل ما ورد على ألسنة القصاص معزواً إلى الأخبار والرهبان الذين كانوا يتوقعون بعثة النبى صلى الله عليه وسلم : فكل ما روى عنهم أحاديث خرافة تنافى طـــبيعة الدين الإسلامى ، وتدل بذاتها على أن مختلقيها مضار العقول ليسوا حتى من المهارة فى التلفيق على شيء ."

ويتفق أ. "محمد حسين" مع وجدى فى تأييده لحديث طه حسين يقول محمد حسين :(٣)
" لا نـــرى نحن وغيرنا مانعاً من أن يكون العرب المسلمون قد تأثروا للدين وحرصوا عليه وأجهدوا نفوسهم للاعتزاز به والتحفظ عليه . ولاضير أن يكونوا قد عملوا فى السياسة لإعلاء كلمته ورفعة شأنه "
وكذلـــك يـــتفق "محمد حسين" مع وجدى فى نقطة الاختلاف يقول(٤) " ولكننا لا نرى أن أولئك المخلصين للدين والعاملين بالنفس والمال لاعتزازه يبيحون لأنفسهم ليمهدوا للنبوة من القلوب مقراً... فإن أتهم الشيخ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بانتحال الشعر يقصد صحة النبوة.

---

(١) سورة الكهف : آية ١١٠ .

(٢) سورة الغاشية : آية ٢٢ .

(٣) محمد حسين : الشعر الجاهلى والرد عليه : ٧٦ ، ط ١٩٢٩ م القاهرة .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٦ .

فقد كذب نفسه وكذب الحقيقة. والواقع يخرسه. وقد اعترف بأن الصدر الأول من الإسلام كان أهله متأثرين بالدين حريصين عليه . فكيف انقلب ذلك إلى أن يفتروا ويختلقوا ؟ وفى هذا أكبر خـلاف لما نهى الدين عنه ؛ ثم ما داعى أن يرتكبوا الأثم والنبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعث والدين ظهر ولم يكن ينتظر ممن أصر على العناد أن يتأثر بالشعر ؟

وقـد كان بين هؤلاء الجاهلين من الشعراء والرواة . وليس فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلا السيد والشريف والأمير والنبيل . فما داعى أن ينزل أولئك عن كرامتهم وأنسابهم ؟ وما الباعث بهم إلى انتحال الشعر وبين أيديهم المعجز من آيات الذكر الحكيم ؟

أترى الشيخ يعرف أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . هم حفظة الدين ورواة شريعته ؟ وإذا جـاز وقـوع الكذب منهم فى غير الدين جاز أيضاً منهم فى الدين . وتكون النتيجة أن الإسلام كذب ؟ أو يعرف أن من يقول مضلل وكافر ؟ " (١)

سادساً : إثبات عربية ألفاظ القرآن

ومـن الآراء التى اتفق فيها وجدى مع طه حسين يقول (٢) " **وأما ما قاله الدكتور طه حسـين عـن وضـع الوضاعيين للأشعار ونسبتها للجاهلين لإثبات عربية ألفاظ القرآن ، وللانتصار على الخصوم فى فهم معانى القرآن ، فهذا كله صحيح ، ولكنه لم يجرؤ عليه إلا أهل البهتان من المشتغلين بالقرآن وعلماء السوء الذين يودون الظهور على خصومهم بأى سـلاح كان. وقد عرف ذلك النقدة الأقدمون ونبهوا إليه ، ولم يغفل هذه الملاحظة الأستاذ مصطفى صادق أفندى الرافعى فى كتابه آداب العرب.**"

ولم يفصل وجدى فى الرد ؛ اعتماداً على أن ما كتبه مصطفى الرافعى كافٍ .

وفى حيـن أيـد وجدى رأى طه حسين السابق ، اعترض د. "أحمد محمد الغمراوى" قـائلاً:- " ويلتحق بهذا النوع من المزاعم ما زعمه من إنهم كانوا يستعينون على فهم القرآن بشـعر يضـعونه! كـأن القرآن كان لعبة بينهم ، أو كأن تفسير القرآن كان بأيدى الشعراء والنحاة، أو كأن لم يكن فوق الشعراء والنحاة عند أمثال المنصور والمهدى والرشيد والمأمون طـبقة من أهل الفقه والتفسير لا تعتمد فى علمها على نحوى ولا شاعر ، ولا تقر شاعراً ولا نحوياً ولا إنساناً كائناً من كان على التلاعب بالقرآن ! أو كأن أمثال المنصور والمأمون كانوا مـن قـلة الهيبة بحيث يجترأ عليهم به ومن قلة الغيرة على حرمتهم ، إن لم يكن على حرمة الدين ، بحيث لا ينزلون بالمجترىء أشد العقاب . "(٣)

---

(١) محمد حسين : الشعر الجاهلي والرد عليه : ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٣٣ .

(٣) أحمد محمد الغمراوى : النقد التحليلى : ص ٢٣٥ ، مطبعة السلفية ط ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م.

" كـــانت هناك استعانة بالشعر الصحيح على تأويل القرآن ، ولم يكن الشعر المستعان به جاهلياً كله ، بل كثيراً منه إسلامياً ، إذا كان هو لا يشك ، وهو ما هو فى عربية القرآن ، بعد ثلاثة عشر قرناً ونصف من نزوله فأحر بأولئك العرب وهم أخبر كثيراً بالعربية وأقرب جـــداً من عهد النبى ألا يشكوا فى شيء من عربية القرآن خصوصاً والقرآن نفسه يمن على العـــرب بعربيته فى غير ما آية فيه ، ويتخذ من عربيته حجة يخرس بها من ألحد فيه أنه من تعليم أعجمى قوله تعالى[1]: " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾

فلم يكن فى العرب ولا فى الموالى من يشك فى عربية شيء من القرآن ولكن كان فيهم من لا يفهم كل آية من آيه ، أو كل لفظة فكان يسأل ، وكان يجيب والسائل كان يسأل عن شاهد على صحة التأويل لا على صحة اللفظ ، ومن ذلك أسئلة نافع بن الأزرق وأسئلة غيره .. "[2]

وهذه الوجهة الأخيرة التى انتحاها "الغمراوى" يؤيدها "محمد حسين خضر" بقول ابن الانبارى " وفى القـــرآن كـــلمات غريـــبة يحتاج المفسر عند بيان معناها إلى الاستشهاد بشيء من كلام العرب حتى يعلم طالب العلم أن التفسير لم يخرج عن حدود اللسان العربى فيطمئن إلى صحة التفســـير لا إلى أن القـــرآن عربى ، فإن هذا لا يشك فيه أحد مطلق الرجلين يطوف أنى شاء ويلتقى بمن شاء "

لـــم يستشـــهد العلماء على كل كلمة من كلمات القرآن بشيء من شعر العرب ؛ فإن أغلب كلامه ظاهر لا يحتاج فى تقرير معناه أو وجه إعرابه إلى شاهد . "[3]

---

(١) سورة النحل : آية ١٠٣ .

(٢) أحمد محمد الغمراوى : النقد التحليلى : ص ٣٣٤ .

(٣) محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢٠٤ .

سابعاً : دين إبراهيم

يقول د/ طه حسين (1) وشاعت فى العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب فى عصر من العصور . ثم اعرضت عنه وانصرفت إلى الأوثان . فأحاديث هؤلاء الناس قد وضعت لهم وحملت عليهم حملاً بعد الإسلام لتثبت أن للإسلام فى بلاد العرب قدمة وسابقة

ويعقب وجدى (٢) **أن الأمر الذي يستغربه الدكتور طه حسين وهو أن للإسلام أولية كانت قبل أن يبعث النبى ، وأنه خلاصة الدين الحق الذى أوحاه الله إلى الأنبياء من قبل ، هذا الأمر قد قرره القرآن نفسه ، وجد فى بثه فى العقول ، ونشره فى الشرق والغرب ، لا المجادلون من المسلمين الذين كانوا يجادلون أصحاب الملل الأخرى .**

وهذا الأمر نفسه هو المبرر الوحيد لأن يتقدم الإسلام إلى الأمم ، وهى تموج فى خضم زاخر من الديانات ، بعنوان أنه دين عام لجميع العالمين ، وأن الآتى به هو خاتم النبيين .. هذا هو مصدر القوة الخارقة للعادة التى أوجد بها الإسلام لنفسه مكاناً بين الأديان ، وسوغت له أن يصف نفسه بأنه دين أخر الزمان .

واستدل وجدى بالعديد من الآيات التى تؤيد قوله (٣) ، **قرر القرآن بأن الله شرع هذا الدين لجميع الأمم فالإسلام ليس بجديد حتى يُتردد فى قبوله ، بل هو الأصل الأقدم الذى أُمرت بالأخذ به الأمم كافة فانحرفوا عنه بغياً بينهم** : قال تعالى (٤) " شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

ويؤيد "محمد حسين خضر" رأى وجدى يقول (٥) " القرآن هو الذى ينبئنا بأن الإسلام يهدى إلى الدين الحق كان عليه إبراهيم وغيره من الأنبياء ، وإذا ذكر إبراهيم عليه السلام فلأنه أقدم الرسل الذين لم يزل فى الأمم من ينتمى إلى شريعتهم ، أو لأن نبوته يعترف بها اليهود والنصارى والوثنيون من العرب جميعاً ، أو لأن الإسلام يوافق آداب شريعته أكثر مما يوافق التوراة والأنجيل "

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٣٣

(٢) المصدر السابق : ١٣٤

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى ، ص ١١٣

(٤) سورة الشورى : آية ١٣

(٥) محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢١٠ ، ٢١١

ثامناً : الشعوبية

يستخلص مما كتبه الدكتور طه حسين فى الشعوبية " أن الفرس والعرب كانوا من التحاقد والتضاغن ، حتى بعد أن جمع بينهم الإسلام ، وأن هذه الخصومة أحدثت آثاراً بعيدة المدى فى حياة المسلمين السياسية والأدبية . فكان شعراؤهم يتعصبون للأحزاب السياسية لا عن إخلاص وحسن نية ، بل لجر المغانم ، وكسب الدراهم . وقد تذرعوا بذلك إلى ثلب أشراف قريش وقرابة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد قولوا العرب الجاهليين مالم يقولوه من الشعر فى مدحهم والإشادة بذكرهم . واضطروا العرب لأن ينحوا نحوهم فى وضع الشعر المناقض لمزاعمهم .

ثم استحالت الخصومة بين الأمتين بعد سقوط الدولة الأموية إلى خلاف علمى حمل الفريقين على الإغراق فى انتحال الشعر والأخبار الكاذبة ، ذكر الدكتور طه حسين كل هذا ولم يستثن طائفة ولا جيلاً ، فلا يتمالك القارئ نفسه من الازدراء بالفريقين . " (١)

ثم يوضح "وجدى" السبب فى آراء طه حسين السابقة :-(٢)

" أن الدكتور طه حسين فى بحثه عن مصادر الشعر المختلفة المنسوبة للجاهليين وفى تحريه عن علل هذا الاختلاق ، اضطر أن يعول على كتب المحاضرات كالأغانى والعقد الفريد والبيان والتبين وغيرها ، ولا ندرى كيف فاته أن هذه الكتب أدبية فكاهية قاصرة على البحث فى أطوار فن واحد يكثر فيه الخلط والخليط .

فلا مذهب ديكارت ولا أى أسلوب فلسفى فى الأرض ، يسمح لواحد من شيعته فى القرن العشرين أن يصدر على أمة كان لها أكبر الآثار فى العالم مثل هذه الأحكام المنافية لطبيعة الأشياء اعتماداً على مثل هذه المصادر التى لو سلط عليها نقد جدى لنفى تسعة أعشار ما فيها لعدم موافقته للمألوف ، وشطراً من العُشر الباقى لنقص سنده التاريخى " .

ويقرر وجدى أنه لا ينكر أن هناك نفراً من العرب ونفراً من الفرس شاعت بينهم العصبية الجاهلية يقول :-(٣)

." نحن لا ننكر أن نفراً من الشعراء الذين أصولهم فارسية ، ونفراً آخرين من أبناء جلدتهم الذين لم يتأدبوا بأدب الإسلام فى مسألة الجنسية .. كما لا ننكر أن رجالاً من العرب الذين لاحظ لهم من الإسلام إلا الالتحاق بأهله ، لم يقفوا مع نص الدين فى إماتة الفوارق الاجتماعية ، قام الفريقان بإحياء سنة الجاهلية .. ولكن أين د. طه حسين من هذا المثل الأعلى الذى

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٤٧

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٨

(٣) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٤٩

أوجـده الإسـلام من إدماج الأمم بعضها فى بعض ، وسل ما بينها من السخائم الموروثة منذ أجيال وتأليفه منها دولة قامت لأول مرة فى تاريخ البشر على المبادئ لا على الجنسيات " .

ويعطى وجدى بعض الأمثلة على صدق رأيه يقول :-[1]

" والدليل على أن أمر الشعوبية كان بين القلة والأغلب وخاصة فى القرون الثلاثة الأولى . ما كـان مـن أمر الأئمة والعلماء من الموالى ؛ الحسن البصرى الذى يعتبر إمام أئمة هذه الأمة والمـرجع الأعـلى للدين والعلم والفتيا ، كان فارسياً من الموالى وكان رأس التابعين والمقدم عـليهم سـعيد بـن جبير وهو أسود اللون وقد ولاه الحجاج إقامة الصلاة فى الكوفة إذ ذاك مُعشـش العرب وقبة الإسلام ، وكان سليمان الأعمش الإمام المشهور عبداً أعجمياً .. وكان أبو حنيفة صاحب المذهب فارسياً وقد لقبه العرب أنفسهم بالإمام الأعظم ، فإن كان صحيحاً ما قالـه الدكـتور طه حسين عن الموالى وجب أن يكون المسلمون منذ ألف وثلاثمائة سنة إلى اليوم من الغفلة والغباوة والبلادة فى الحضيض الأسفل ، إذ أخذوا دينهم عن قومهم من الطراز الذى وصفه الدكتور طه حسين بإضمار الخصومة للمسلمين الأولين وبكراهة الإسلام وتفضيل المجوسية عليه .. لايقول بهذا عاقل .. "

هـذا كـان عرضاً موجزاً لأهم ما ناقشه "فريد وجدى" رداً على كتاب الشعر الجاهلى "لطه حسين" وخاصة ما يمس الدين . ونختم هذا ببعض الآراء عن الشعر الجاهلى :-

يقـول "شـوقى ضيف" [2] " والحق أن الشعر الجاهلى فيه موضوع كثير ، غير أن ذلك لم يكن غائباً عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد ، تناولوا به رواته عن جهة وصيغه وألفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلى وخارجى دقيق .

ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحرى والتثبت ، فكان ينبغى ألا يبالغ المحدثون من أمـثال مرجليوث وطه حسين ، فى الشك فيه مبالغة تنتهى إلى رفضه ، إنما نشك حقاً فيما يشك فيه القدماء ونرفضه ، أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثلِ أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضبى والأصـمعى وأبى زيـد ؛ فحرى أن نقبله ماداموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغى أن نخضـعه للامـتحان وأن نرفض بعض ماورووه على أسس علمية منهجية لا لمجرد الظن ، كأن يروى لشاعر شعر لا يتصل بظروفه التاريخية ، أو تجرى فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف إليه شعر إسلامى النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمساً " .

ويقـول "محمد حسين خضر"[1] " أما الذين يريدون أن يكونوا فى البحث على بينة فإنهم يضعون هذه الأشعار وما يتصل بها من الأخبار موضع النقد ، فما وجدوا فى رواته أو فى ألفاظه أو فى

---

(١) محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى : ص ١٥١

(٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى : ص ١٧٥

(١) محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى : ص ٢١١

معانــيه ، مــا يدل على وضعه ، أو يجر إلى ريبة ، اطرحوه أو ارتابوا فى أمره ، وما وجدوه سليماً من كل جانب قبلوه ، وتناقلوه " .

الخـــــــــلاصـــــــــة

فى هذا القسم الخاص بالشعر الجاهلى قد تم عرض فقرات من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ، تتــناول قضايا معينة ، ثم تابعتها بتعقيب فريد وجدى واستشهدت ببعض الآراء لبعض الكتاب والأدبــاء الذيــن تــناولوا هــذه القضايا سواء بالتأييد أو الرفض كشوقى ضيف ، أحمد محمد الغمراوى ، محمد عبد المنعم خفاجى ، محمد حسين ، محمد حسين خضر .

والنقاط التى تناولتها على الترتيب هى :

١- منهج طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى .

٢- تمثيل القرآن للعصر الجاهلى وعدم تمثيل الشعر الجاهلى له .

٣- قوة الحياة العقلية والدينية والسياسية عند عرب الجاهلية .

٤- قصة هجرة إسماعيل إلى مكة .

٥- أسباب انتحال الشعر .

٦- إثبات عربية ألفاظ القرآن .

٧- دين إبراهيم .

٨- الشعوبية .

القسم الثانى : النثر الفنى

النثر الجاهلى

إن النثر الفنى الجاهلى موضوع أثار جدلاً كان بعضه عنيفاً ليس بين رجال الأدب وحسب ، بل ورجال القانون المهتمين بالأدب . وهذا لعلاقته الوثيقة بالقرآن كما سيتضح من نظرية زكى مبارك الذى تبناها وأثارت من حوله هذا الجدل .

وقبل الدخول فى المناقشات نطل بإطلالة سريعة على ماهية النثر :-

" النثر بمعناه العام هو : الكلام المرسل الذى أطلق من قيود الوزن والقافية وهو أنواع ثلاثة :

نثر عادى : هو الذى يستخدمه عامة الناس فى لغة تخاطبهم .

نثرعلمى : هو الذى تصاغ به الحقائق العلمية بمجرد إبرازها والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية .

نثر فنى : هو الذى يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث العادية ولغة العلم الجافة إلى لغة فيها فن ومهارة وروية . ويوفرون له ضروباً من التنسيق والتنميق والزخرف ، فيختارون ألفاظه.

وينسقون جمله ، وينمقون معانيه ، فيكون النثر الفنى بهذا المعنى : لوناً جميلاً من الإنشاء العالى للتعبير عن خلجات النفس ، وومضات العقل وخطرات الشعور وهو ما أطلق عليه فى دائرة المعارف البريطانية اسم : الكتابة الراقية " **Highly writing** " وهذا النوع هو موضع عناية النقاد ودارسى اللغة والأدب فى كل زمان ومكان .[١]

ويقسم د. "محمد عبد المنعم خفاجى"[٢] النثر إلى نوعين : " أحدهما ما يدور فى كلامنا المألوف إذا تحدث الناس بعضهم إلى بعض فى حاجاتهم ومصالحهم ، إنما هو كلام عادى لم يقصد أصحابه فيه غالباً إلى الإجادة ولا إلى جمال فنى ، وإنما أرادوا تأدية ما فى نفوسهم من المعانى وتحقيق ما تقتضيه منافعهم من الأغراض .

والثانى : هو ما يسمى نثراً فنياً وهو ما حوى أفكاراً منظمة ، فى عرض جميل جذاب وصياغة جيدة السبك فصيحة الأسلوب ، وهذا هو الذى يعد قسيماً للشعر فى باب الأدب ، وأهم أنواعه : الخطابة ، والكتابة الفنية والكتابة عند الأوروبيين ؛ وصف أو قصص وعند العرب : رسائل وقصص ومناظرة وجدل وتاريخ " .

ونختم بتعريفات النثر ما قاله أ. "شوقى ضيف" فى تعريف النثر عامة والجاهلى منه خاصة.

النثر الجاهلى[٣] :- "النثر هو الكلام الذى لم يُنْظَمْ فى أوزان وقواف ، وهو على ضربين :

أما الضرب الأول فهو النثر العادى الذى يقال فى لغة التخاطب ، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجرى فيه أحياناً من أمثال وحكم " .

---

(١) عبد الحكيم بلبع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه : ص ١١، ١٢ ،ط الثانية لجنة البيان العربى – القاهرة

(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١٠٧

(٣) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى: ص ١٥ : ط الخامسة – دار المعارف ١٩٦٥ م

" وأمـــا الضرب الثانى فهو النثر الذى يرتفع به أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة . وهذا الضـــرب هـــو الـــذى يُعَنى النقاد فى اللغات المختلفة ببحثه ودَرْسه وبيان ما مر به من أحداث وأطوار ، وما يمتاز به فى كل طور من صفات وخصائص ، وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين ، همـــا : الخطابة والكتابة الفنية – ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفنى – وهى تشمل القصص المكتوبة كما تشمل الرسائل الأدبية المحبّرة . وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة .

ومن يرجع إلى العصر الجاهلى وأخباره يجد هذا الضرب الأخير من النثر يلعب دوراً مهماً فى حيـــاة العرب حينئذ ، إذ كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص من فرسانهم ووقائعهم وملوكهم .. " .

الشعر أم النثر أيهما أسبق فى الوجود :

ليســت مما يهمنا ولكننا سنشير إليها . : " أما القدماء من علماء الأدب ونقاده فى اللغة العربية فيرون أن النثر أسبق من الشعر : لأن الأول مطلق والثانى مقيد ، والمطلق أسبق وجوداً من المقيد ، وأسهل تناولاً لخلوه من الوزن والقافية .. " (١)

يقـــول ابـــن رشيق : " وكان الكلام كله منثوراً ، فاحتاجت العرب إلى التغنى بمكارم أخلاقها ، وطيـــب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها.. فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ." (٢)

" ويرون أن النثر هو أول ما ظهر من فنون الأدب ، ثم نشأ الرجز ، ثم الشعر .

واســـتمر هـــذا الرأى سائداً إلى أن ذاعت فى أوروبا أخيراً نظرية جديدة خلاصتها ؛ أن الشعر أســـبق فى الوجود فى جميع الأمم من النثر الفنى ، وممن آمن بها ودافع عنها فى فرنسا المسيو مرســـيه ..... وممن أذاع هذا الرأى وآمن به ودافع عنه الدكتور طه حسين وبعض أدبائنا الذين ثقفوا ثقافة أجنبية .

يقـــول أنصار هذا الرأى : إننا نسلم أن النثر العام سبق الشعر فى الوجود الأدبى ولكننا لا نسلم ابداً أن النثر الفنى – وهو ما حوى أفكاراً منظمة فى عرض جميل جذاب مؤثر ، وصياغة جيدة الســـبك فصـــيحة الأسلوب – قد سبق الشعر فى الوجود ، بل العكس هو الصحيح ، فالشعر هو الذى سبق النثر الفنى .(٣)

" والحق أن النثر وجد أولاً ثم تحول إلى النثر الفنى ، ثم نشأ بعد ذلك الشعر ، ويؤيد هذا الرأى إجماع كثير من المستشرقين على أن السجع كان المرحلة الأولى التى عبرها النثر إلى الشعر فى الأدب العربى القديم .

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجى: الشعر الجاهلى : ص ١٣٥ ، دار الكتاب اللبنانى ببيروت ، الطبعة الثانية

(٢) المصدر السابق نقلاً من العمدة لابن رشيق .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجى : الشعر الجاهلى : ص ١٣٦ ، ١٣٧

والنـــثر الجاهــلى ينقسم إلى أمثال وحكم ووصايا وخطب ومنافرات ومغامرات ، ومحاورات ، ونثر الكهان ".(١)

وبعد فقضية النثر الفنى ونشأته ووجوده فى العصر الجاهلى ظلت محل جدال بين الأدباء والكــتاب على صفحات الجرائد والمجلات وكان المحاور الأساسى هو زكى مبارك الذى يرى وجود نثر فنى فى العصر الجاهلى ؛ هو القرآن .

وسنطرح المناقشات والمجادلات التى كانت بين زكى مبارك وفريد وجدى ولن نغفل كذلك بعض الأقلام التى شاركت برأيها .

- ناقش لطفى جمعة ما نشره زكى مبارك وآراءه حول وجود نثر فنى فى الجاهلية .

يقول "زكى مبارك" (٢) معقباً على رأى لطفى جمعة فى مؤرخى الإسلام " كنت قلت أن مؤرخى الإسلام من المسلمين كانوا يحرصون على إثبات أن الإسلام هو الذى خلق العرب خلقاً وأنشأهم إنشـــاء فنقــلهم من الظلمات إلى النور ومن العدم إلى الوجود .. فرأى الأستاذ لطفى جمعة أننى بذلك أنسب إلى مؤرخى الإسلام التعصب والنفاق .

فأنـــا حيـــن أذكر أن المؤرخين المسلمين كان يهمهم أن يهونوا من حياة العرب قبل الإسلام لا أرميهم بالتعصب ولا النفاق لأنهم ينساقون بفطرتهم إلى مثل ما ينساق إليه المؤرخون فى جميع الشعوب ... مثل أمر الإنجليز سيقولون أن مصر كانت فى ضيق وذل قبل أن يأتوا إليها. وكذلك الفرنسيون مع الجزائر وهكذا .

" الأســـتاذ "لطفى جمعة" يسألنى مارأيى(٣) فى مؤرخى الإسلام من الأفرنج وقد أجمعوا على أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . ومنهم هوجرونيه وجولدزيهر ومرجرليوث .

ويرى الأستاذ لطفى جمعة أن هذا ليس فى مصلحتهم السياسية ولا الدينية . وكنت أحسب الأستاذ أبعـــد نظراً من ذلك ، فإن المستشرقين الذين يغضون من شأن العرب قبل الإسلام ، لهم مآرب سياسية ودينية .

فهـــم يـــريدون أولاً أن يقتنع الناس بأن العرب من الأجناس الهمجية التى لا تصلح للمدنية ولا تعرف ما السياسة وما النظام .

فإذا تم لهم ذلك عادوا فبحثوا كيف أمكن للعرب أن يسودوا مع أنهم شعب همجى وضيع وعندئذ يقولـــون إن ذلك كان بفضل الإسلام . ثم ينتقلون فيبحثون للإسلام عن أصول سريانية وعبرانية وآراميـــة ، وبهـــذا يقررون أن الإسلام نفسه لم يكن من الوثبات العربية وإنما كان فى أصوله

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١١٠

(٢) زكى مبارك : جريدة البلاغ – فى ٤ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الجمعة – ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ – العدد ٢٤٩٢ السنة التاسعة . مقالة بعنوان [قد جدت الحرب بكم فجدوا ، نقض ما كتبه الأستاذ لطفى جمعة فى إنكار النثر الجاهلى]

(٣) زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ ، مساء الجمعة ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـــ

أجنبياً عن أولئك القوم المتوحشين ثم ينتقلون نقلة ثانية فيثبتون أن العرب لم يكن لهم نثر فنى ولا حياة عقلية إلا حين اتصلوا بالفرس والروم !! "

ويدافـع زكى مـبارك عـن وجهـة نظره [1] " وفى دفع هذه الضلالات يتشرف كاتب السـطور بأنه هاجم أولئك المستشرقين فى عقر دارهم وفى جامعة باريس حين أثبت أن العرب كـان لهـم نـثر فنى قبل الإسلام وأنهم نضجوا أدبياً وسياسياً واجتماعياً قبل أن يعرفوا الفرس والروم ، وأن أصدق شاهد على وجود ذلك النثر الفنى هو القرآن " .

- مناقشة أخذ العرب الزخرف الأدبى عن الفرس واليونان :

يقـول د. "زكى مـبارك" [2] " إن وجود النثر الفنى ، يفترض نوعاً من الزخرف يهتم به علماء البلاغة " .[3]

يعقـب "لطفى جمعه" " وإنما كان قوله هذا ليصل به إلى مقارعة الأستاذ مرسيه وأتباعه ، الذين قالوا بأن الزخرف الأدبى ، وصل إلى العرب من الفرس واليونان ، وسواء أكان الزخرف وصل إلى العـرب من الفرس أم اليونان ، فقد غاب عن ذهن الأديب أن الزخرف الذى قال به مرسييه وغيره من علماء المشرقيات وأرباب النقد ، إنما يقصد به الزخرف الذى تحلى به النثر العربى بعد الإسلام . "

ويدافـع "زكى مبارك"[4] " أصل البحث كان أن فى القرآن خصائص فنية صارت فيما بعد مدداً لكـتاب الـبلاغة والبيان . فلا عبرة إذن بما يدعيه المستشرقون وأشياعهم من أن العرب نقلوا أصول البلاغة عن الفرس واليونان .. .

وأنـا قد فصلت فى هذه المسألة وبينت أن صلة العرب بمن جاورهم قبل الإسلام كانت أضعف مـن أن تترك فى شعورهم ونثرهم آثاراً قوية كالتى عرفت بعد أن اتصلوا بالفرس والروم بعد الإسلام . "

وقد سبق أن أكد "لطفى جمعة" على عدم وجود نثر فنى جاهلى يقول :-[5]

---

(١) زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ . مساء الجمعة – ٢١من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ

(٢) المصدر السابق

(٣) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ ، مساء الأحد –٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ – العدد ٢٤٩٤ السنة التاسعة مقالة بعنوان (من النثر الفنى الجاهلى إلى رسالة محمد عليه السلام)

(٤) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١م – مساء الجمعة – ٢٨من ربيع الثانى ١٣٥٠هـ – العدد ٢٤٩٥ السنة التاسعة – بعنوان [إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً – نقض أقوال الأستاذ لطفى جمعه .

(٥) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ م – مساء الأحد – ٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ

" ألا فليعلم الدكتور زكى أن العرب فى جاهليتهم كانوا أميين إلى درجة ذات خطورة ، فلم يحفظوا عن طريق الكتابة شيئاً يستحق الذكر ، ويبتعد عن الحقيقة بعداً شديداً ، كل من يقول إن الإسلام كان تاجاً لنهضة علمية وأدبية وسياسية وأخلاقية واجتماعية ، فقد أثبتنا من التاريخ والعلم أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا على شىء من مؤهلات المدنية والنهضة ، بل كانوا على العكس فى حضيض من العصبية الحمقاء والمطامع الأشعبية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل والاستهزاء بروابط الألفة القومية ، ولم يكونوا يستطيعون تكوين أمة تماثل الحبشة أو سوريا أو العراق . "

ويرد "زكى مبارك" [(١)]

" الظاهر أننا سنضطر فى كل مرة ، إلى أن نصحح أغلاط الأستاذ لطفى جمعة فى فهم طبائع الاجتماع . فالعصبية الحمقاء كانت عند العرب المسلمين أقوى منها عند العرب الجاهليين والمطامع الأشعبية وحب الانتقام والتفريق بين القبائل ، كل ذلك كان من العيوب المألوفة بعد الإسلام ، وتلك العيوب تعد من أمهات الفضائل فى حياة الأمم والشعوب ، فإن الطمع والعصبية من دلائل الحياة والنهوض ، وخاصة فى الأمم البدوية التى يقوى نشاطها بالتحاسد والتنازع والشقاق . "

" وقد تنبه إلى هذا المعنى بديع الزمان الهمذانى حين أشار إلى أن البهائم لا تكاد تختلف ، كما أن الأسود لا تكاد تأتلف ، فى رسالته التى فضل بها العرب على الفرس رداً على من غض شأن العرب لا يغالهم فى العداوة والبغضاء . وأنت تستطيع اليوم أن تتخذ الطمع والعصبية دليلاً على حيوية الأمم القوية ، وليس هناك من فارق إلا أن التنازع كان قديماً بين القبائل وهو اليوم بين الأحزاب . "

ويخلص د. "زكى مبارك"[(٢)] إلى أن هدف لطفى جمعة من إنكار وجود نهضة أدبية فى الجاهلية هو " إنك أيها الرجل تسرف فى الغض من عرب الجاهلية ليصح ما تدعيه وما ادعاه الملايين قبلك من أن الإسلام وحده هو الذى خلق الأمة العربية . ولكنى لا أستطيع فى ضوء العلم الحديث أن أتصور ذلك ، وإنما أفهم أن العرب كانوا أمة وصلت بعد تطورات عديدة إلى الصلاحية للملك ، فلما جاء النبى عليه السلام نهض بهم ، فنهضوا ووجههم إلى الفتح والسيطرة فوصلوا فى زمن قليل إلى ما كان يريد . "

- **وفى دور النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى تغيير عرب الجاهلية** يقول "زكى مبارك" :-[(٣)]

---

(١) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الجمعة ٢٨ من ربيع الثان ١٣٥٠ هـ

(٢) المصدر السابق

(٣)زكى مبارك : البلاغ : ٤ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الجمعة ٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ .

" ولــو كان يكفى أن يكون الإنسان نبياً ليفعل ما فعله النبى محمد صلى الله عليه وسلم لما رأينا أنبياء أخفقوا ولم يصلوا لأن أممهم لم تكن صالحة للبحث والنهوض . "

ويــرد عليه "لطفى جمعة"[١]:- ولكن ما حيلتك وحيلة الكتاب أمثالك إذا كان هذا هو الذى حدث فعــلاً وأن رجــلاً فرداً مثل النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى نسيت إنه كان أشرف العرب وأشهرهم بمكارم الأخلاق وحدة الذهن وقوة التدبير وسعة الحيلة وقناعة النفس وعفة اليد واللسان وطهارة الذيل ، تسمع يا أستاذ . أن رجلاً فرداً مثل النبى محمد عليه السلام هو الذى نقل بمعونة الله وحسن توفيقه أمة العرب من العدم إلى الوجود ... "

ويعقب "زكى مبارك"[٢] مدافعاً عن نفسه :-

" كانت هذه الفقرة فرصة صالحة ليلقى علينا الأستاذ لطفى جمعة درساً فى الشمائل النبوية ، وقد بســط القول فى أخلاق الرسول ، وآدابه بحيث لا مزيد لمستزيد . وقد صورنا بصورة من ينكر عظمــة الرسالة المحمدية ، ولبس على حسابنا ثياب الأتقياء المرشدين . فبأى ضمير أيها الرجل تحــاول أن تصــورنا بصورة من ينكر الرسالة الإسلامية . كيف ساغ لك فى دينك وإيمانك أن تحــرض علينا الجماهير باسم الدين[٣] ، وأنت تعرف فى دخيلة نفسك أن المنهج الذى ننهجه هو الطــريق العلمى المستقيم الذى لا عوج فيه ولا التواء . أفتحسب أننى لمن يقيمون وزناً للترهات والأباطيل حتى أسلك ذلك المسلك ، فى وقت وجدنا فيه من علماء الدين من يوافقوننا على أنه لا بأس من دراسة القرآن دراسة أدبية يغض فيها النظر عن الوجهة الدينية .

ألا فلتعــلم أنى من الجرأة بحيث أصر على أن منزلة النبى عليه السلام من العرب كانت منزلة البــناء الــذى لا يقيم القصر بدون أحجار ، فالعرب كان لهم وجود أدبى وعقلى واجتماعى قبل النبوة ، ومن أجل ذلك نفعت فيهم جهود الرسول . "

هذه صورة لما كانت عليه المناقشات مع زكى مبارك ومعارضيه حتى تدخل محمد فريد وجدى فى المناقشة فاتسمت بطبع أكثر هدوءاً ومناقشة أكثر عمقاً .

يبدأ "وجدى" مقاله بعنوان العرب والإسلام والقرآن " مادحاً أسلوب زكى مبارك شاكراً له منهجيته . يقول[٤] " **وإنى لمعجب بتمسكه بالأسلوب العلمى الدقيق ، وبجهاده فى نقل المباحث الأدبيــة مــن مجــال الظنون والأوهام إلى مجال النظر المباشر المجرد عن الملابسات الدينية**،

(١) محمد لطفى جمعة : البلاغ : ٦ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الأحد – ٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـــ .

(٢) زكى مبارك : البلاغ : ١١ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الجمعة – ٢٨ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـــ .

(٣) حاولت أن أبعد النقد الذاتى (الشخصى) من كلمات زكى مبارك ولطفى جمعة ، ولكنها كانت غالبة فى مقالاتهما .

(٤) محمد فريد وجدى: البلاغ : ٢٠من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الأحد – ٨من جمادى الأولى ١٣٥٠هـــ –العدد ٢٥٠٨ السنة التاسعة (العرب والإسلام والقرآن) وقد ظل هذا العنوان لا يتغير على مدى ست مقالات بين وجدى وزكى مبارك .

والـتقاليد . وهى الطـريقة الـتى وضع أساسها الأستاذ الفاضل الدكتور طه حسين فكان كلا الرجلين مجددين للأدب العربى ، واضعين له أعلاماً نيرة يستهدى بها الباحثون . "

وبعـد المـدح يأتى القدح وهو للحق ليس قدحاً بل اعتراضاً على نقاط بيّنها وجدى فى تهذيـب بـالغ مـبرراً كتابته لهذه المقالات قائلاً[١]:- " ولسنا ننكر أن سلوك هذه الجادة على وضـوحها واسـتقامتها لا تخلو من المضال التى تستدرج الباحثين إلى ما لا يتفق والأسلوب الذى يحرصون على تطبيقه ، فيضربون فى متاهاتها بمعزل عن الأعلام العلمية ، ويكون مثلهم فى تصـرفهم فى تطبيق الأسلوب كمثل خصومهم الذين يخبطون فى بحوثهم بغير دليل . وقد وقـع فى هـذا الأمـر وضعة الأسلوب العلمى أنفسهم من أول (باكون) إلى (ديكارت) إلى (أجوست كونت) فى العصر الحديث .

وقـد لاحظـت عـلى حضرة الدكتور طه حسين شيئاً من ذلك فى كتابه عن الشعر الجاهلى ، وألاحـظ مثله فى هذا البحث الطريف للدكتور زكى مبارك ، ولذلك رأيت أن انبه إليه القارئين حرصاً على تقرير الحقيقة ."

ومن النقاط التى اتفق فيها" فريد وجدى" مع "زكى مبارك" هى كالآتى:-[٢]

أولاً : " نقـل المباحث الأدبية من مجال الظنون والأوهام إلى مجال النظر المباشر المجرد عن الملابسات الدينية والتقاليد . "

ثانيـاً : " أن حقيقة الحياة الأدبية عند العرب الجاهليين لا يصح أن تؤخذ عن الذين كتبوا فيها من المؤلفين الأولين الذين تأثروا بالروح الدينية ونحوا فى وصفها نحواً يتفق وروايات رجال ليس مرماهم تقرير الحقائق ولكن الأغراب والزلفى من الحاكمين . "

ثالـثاً : " جعل مجال البحث عصر النبوة نفسه فهو العصر الذى اعتركت فيه التقاليد الجاهلية والديـن الجديـد ، وكانت حلقات الاتصال بين الدورين تامة لا يشوبها فراغ يتقحم منه الخبط والوضع والتزوير ."

وهـذه الأصول الثلاثة يعدها أ."زكى مبارك" غنيمة يسعد بها يقول[٣]" وموافقة الأستاذ على تلك الأصول تعد أول مغنم ظفرت به ونحن فى بداية المعركة ، ويكاد يلهينى هذا المغنم عما انتظره إن جد الجد من طيبات الغنائم والأسلاب . "

ويوضح د."زكى مبارك" أصل الخلاف قائلاً :-[٤]" يرجع أصل الخلاف إلى رغبتى فى نقض ما أصـر عـليه فريق من المستشرقين ، وشايعهم عليه الدكتور طه حسين من أن النثر الفنى عند

---

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٠ من سبتمبر ١٩٣١ .

(٢) زكى مبارك ك البلاغ : ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ — مساء الثلاثاء –١٧ من جمادى الأولى ١٣٥٠ — العدد ٢٥١٧ — السنة التاسعة بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) — مناقشة أقوال الأستاذ فريد وجدى .

(٣) زكى مبارك : البلاغ ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ .

(٤) المصدر السابق .

العرب لم يعرف إلا فى أواخر العصر الأموى ، حين اتصل العرب بالفرس واليونان ، فن اكتسبه العرب بعد الإسلام . ومن رأى المسيو مرسيه أن العرب يدينون فى نثرهم إلى الفرس ، وكان ذلك رأى الدكتور طه حسين ثم عاد فقرر أن العرب يدينون فى نثرهم إلى اليونان . وبعد تأملات طويلة اهتديت إلى أن للنثر العربى أصولاً أخرى غير الأصول الفارسية ، وتلك الأصول هى النثر عند الجاهليين وبذلك يكون النثر الأموى نثراً تطور عن النثر الجاهلى ، ولم ينقل نقلاً عن نماذج النثر الفارسى ، ثم بحثت عن الشواهد فرأيت القرآن أوضح شاهداً وأصدق دليلاً . "

وحجة هؤلاء الباحثين أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم وجود أدبى ولا عقلى ؛ وأنه يمكن فقط الاعتراف بأنه كان عندهم شعر ، لأن الشعر فن ساذج يوجد عند الأمم الهمجية ، ولا كذلك النثر فإنه لغة العقل ، والعرب فى رأيهم كانوا قبل الإسلام يعيشون عيشة أولية **primilif** لا يعرفون فيها كيف تكون طرائق البيان تلك حجتهم ، وذلك أصل الخلاف"[١] .

وقد لخص كل من د." زكى مبارك" و"فريد وجدى" آراءهما فى قضية النثر الجاهلى وإليك أهم النقاط :-

أولاً : النهضة الأدبية التى لحقت بالعرب بعد الإسلام يقول[٢] فريد وجدى :-

يتهمنا الدكتور زكى مبارك بأننا نذهب إلى " **أن العرب نهضوا فجأة بلا تطور ، وأن البناء أقام القصر بلا أحجار ، لأنه كان قوى الروح متين الإيمان .** "

ويعقب وجدى " **فهل يعتبر الدكتور انقياد العرب لمحمد ودخولهم فى ملته نهوضاً فجائياً بلا تطور ؟ لا ليس هذا بنهوض ، ولكنه بداية للنهوض ، وأن الداعى إليه والقائم به كان النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد شرع يستكمل مقوماته من أصغرها شأناً متدرجاً بهم إلى ما فوقها كما يربى المعلم الطفل ، ويستدرجه من الصغريات إلى الكبريات شيئاً بعد شىء.**

أمـا رأيت النبى قد بدأ بتعليمهم الأوليات والبسائط كالنظافة وآداب المعاشرة والزيارة والتحية وحقـوق الجوار .. هذا غير ما كان يهذب به عقولهم من تعويدهم النظر فى الكائنات والتأمل فى عجائبها ويلطف به طباعهم من تلقينهم العطف على الضعفاء ، والبر بالفقراء ، ويقوى به أخلاقهم من إيثار العدل والمساواة والإنصاف ، ويعدل به عوجهم من كراهة الظلم والإجحاف ،

---

(١) ويقول زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى ص ٣٨.

وكان ينتظر أن ينتبه المسيو مرسيه ومشايعه الدكتور طه حسين إلى أن العصر الذى وسموه بالأولية عند العرب هو القرن الخامس للميلاد . وفى ذلـك العصـر كان النثر الفنى موجوداً عند أكثر الأمم التى جاورت العرب أو عرفوها كالفرس والهنود والمصريين واليونان ، وليس بمعقـول أن يكون لتلك الأمم نثر فنى قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، كأن العرب انفردوا فى التاريخ القديم بالتخلف فى ميادين العقل والمنطق والخيال .

(٢) محمد فريد وجدى : البلاغ :٨ من أكتوبر ١٩٣١- مساء الخميس – ٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ – العدد ٢٥٢٧ السنة التاسعة – بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) مناقشة أقوال الدكتور زكى مبارك .

ومجانبة العنف والإرهاق ، ويوطد به جماعتهم من حملهم على التعاون والتكافل .. إلى غير ذلك من الخلال التى تدرس اليوم فى مدارسنا الإلزامية للأطفال ، وتعتبر من البسائط والأوليات لكل تربية نفسية . فلما تم للنبى ما أراد من إقامتهم على طريق الأحياء شرع يدفعهم دفعاً هيناً للكفاح ، وهو الشئ الوحيد الذى ألفوه ومرنوا عليه ، فبدا بمعاكسة تجارة قريش وهى فى طريقها إلى الشام لينشئ لهم من الحصول على المغانم رغبة فى التماسك ، وحباً فى التعاون ، ترشيحاً لهم لتحقيق الآمال البعيدة ، والتطلع للحصول إلى الغايات الشريفة .. فلما استحصد أمرهم ، وقويت شوكتهم ، وذاقوا حلاوة التعاون على تحقيق المطالب ، دفعهم النبى هنا وهناك ليدوخوا له القبائل .. فأصبحت لهم دولة وصولة ولكن على أبسط الحالات ، وأقربها إلى بساطة البداوة .. فهذه الحالة كما ترى بداءة نهضة وضع أساسها محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذ يتعهدها كما يتعهد البستانى البذرة التى يستنبتها . وإلا فأنى كانت لهم مقومات الحياة الاجتماعية من علوم وفنون وصنائع ومدارس ومعاهد وكتب ومؤلفين .. "

وبعد أن وضح "وجدى" الدور التربوى الذى قام به محمد صلى الله عليه وسلم يتساءل مستنكراً[1] :-

" فأين الطفرة والفجاءة فى هذا كله ، وقد عاش المسلمون أكثر من قرن وهم عيال على سواهم ، حتى بدأ حفاظهم يدونون أحاديث الرسول ، وعلماؤهم يفسرون الكتاب الكريم .
وأسعف الله العرب بالفرس فكانوا خيراً وبركة للإسلام والمسلمين ، إذ تولوا هذه المقومات بما هم عليه من القابلية للتدوين والتأليف .. وما لبث المسلمون قرناً ثانياً حتى تولدت فيهم رغبة شديدة إلى التوسع فى العلم فقاموا بترجمة كتب اليونانيين فى الطب والهيئة والكيمياء والزراعة وسائر العلوم ، فتم لهم بعد نحو ثلاثة قرون استكمال مقومات الاجتماع والعمران ، فأين أثر الفجاءة فى هذا التطور التدريجى البطئ ، الذى وضع بذرته الأولى الرسول الأمين .
هذا هو السير الطبيعى لكل نهضة أدبية واجتماعية ، لا ما يفترضه الدكتور زكى مبارك من أن العرب كانوا قد دخلوا قبل الإسلام فى نهضة منذ ثلاثة قرون[2] حتى عن أثرها فيهم لم نجد غير الانقسام ، وفساد الأخلاق ، والسطو والتلصص والفجور . "

---

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٨ من أكتوبر ١٩٣١ – مساء الخميس ٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ .

(٢) وفى البلاغ : ٨ من أكتوبر ١٩٣١.

" فرض زكى مبارك أن العرب أعدهم الأيام لذلك والفتح فى تطور طويل لا يقدر بأقل من ثلاثة قرون .. ولنقيدها أن ثلاثة قرون التى نفترضها لتطور الأمم العربية لا يراد بها مطلق تطور لمطلق ملك ، وإنما يراد بها الحقبة التى سبقت ظهور الإسلام ، والتى كان من آثارها أن نرى مجموعات للشعر الجاهلى الموثوق بصحته وللنثر الجاهلى الذى يمثله القرآن " .

ثانياً : اعتبار القرآن نثراً جاهلياً

يــرى الأستاذ زكى مبارك "**أن استدلالنا بالقرآن على وجود النثر الفنى عن أهل الجاهلية غير مقــنع ، لأن القــرآن إن كان وحياً سماوياً أو فيضاً وجدانياً من آية طريق روحانية فلا يجوز الاســتدلال به على ما يظن لدى أهل الجاهلية من نثر ، لانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وماهو بشرى**[1] ".

ويجيبه "زكى مبارك"[2] " بأننا لا نقول بانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وما هو بشرى وليس من حقــه أن يفــرض علينا المذهب الروحانى ، فى حين أننا صارحناه بأننا نكتب للناس جميعاً من ماديين وروحانين والسبب فى هذا هو أساس البحث العلمى ، لأن المقدمات يجب أن تكون مسلماً بها من الجميع ، لتُقبل النتيجة لدى الجميع ..

والأستاذ يعرف أن الناس لم يتفقوا على رأى فى المسائل الروحية والمادية .. ومن هذا نرى أن القول بانقطاع الصلة بين ما هو إلهى وما هو بشرى يبعدنا عن التفاهم والاتفاق ."

ومن الأسئلة التى ناقشها زكى مبارك مع وجدى فى هذا الأمر ، يقول زكى مبارك:-[3]

هــناك افتراض : ذلك بأن الأستاذ يقول : " وإن كان القرآن ليس بوحى ولا بفيض وجدانى من طــريق روحانية بحتة ؛ فلا يجوز الاستدلال به أيضاً فى هذا الموطن ، لأن هذا الكتاب اعتبرته أمــة بأســرها كتاباً إلهياً معجزاً للأنس والجن مجتمعين فهل يسمح لنا الأستاذ بأن نقول إن هذا تــناقض ! إنــك تفــترض أن يكون القرآن ليس وحياً سماوياً وفى الوقت نفسه نرى أنه مع هذا الافتراض لا يصح الاستدلال به على وجود النثر الجاهلى لأن أمة بأسرها اعتبرته كتاباً إلهياً .

إن المنطق يقضى علينا بقبول إحدى اثنتين :-

الأولى :الاطمئنان إلى أن القرآن " وحى من السماء " وهذه مسألة أقبلها كمسلم ، وأتغاضى عنها مؤقتاً كباحث ، لأنى أكتب للمسلمين وغير المسلمين .

الثانية : إن القرآن ليس بوحى . وعند هذا الافتراض لا قيمة مطلقاً لأن تعتبره أمة بأسرها كتاباً ســماوياً . ولا عــبرة بما يقدره الأستاذ من أن هذا الإجماع منهم فى نهاية الأمر دليل محسوس عــلى أنه كان بالنسبة لهم نسيج وحده فى أسلوبه ونظمه وإن كان من طراز لا عهد لهم به ولا قدرة لهم عليه . ".

---

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٢ من سبتمبر ١٩٣١ – مساء الثلاثاء – ١٠ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ – السنة التاسعة بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) .

(٢) زكى مبارك : البلاغ : ١٣ من أكتوبر ١٩٣١م–مساء الثلاثاء – ١ من جمادى الثانية ١٣٥٠هـ – العدد ٢٥٣٢ السنة التاسعة بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) – مراجعة آراء الأستاذ فريد وجدى .

(٣) المصدر السابق .

ويكمل "زكى مبارك" استدلاله الماضى :-[1]

" لا عبرة بهذا لأن إعجاز القرآن ليس مرجعه إلى الصياغة الفنية ، وإنما مرجعه إلى ما فيه من القوة الروحية ، فقد يتساوى كلامان من ناحية النظم والأسلوب ثم يرتفع أحدهما ويهبط الآخر (والسبب) لأن سر الفصاحة يرجع إلى روح الكاتب والشاعر والخطيب .. "

ويتساءل"ما هى خصائص القرآن اللفظية ؟ إنها فى جملتها من نوع الكلام المرسل والمسجوع وقد حاكاها كثير من المتأخرين أفتظن أن القرآن أعجز الناس لأنه يسجع حيث لا يسجعون وينطلق حيث لا ينطلقون (ويجيب) هيهات أن يكون ذلك !

إنما أعجزهم القرآن لما فيه من قوة الروح ، وما فيه من الأحكام الخالدة فى تقدير النفس الإنسانية ، وهذا مصير كل أثر أدبى كان لبابه من روح الحق والصدق والإخلاص .

ولن ترى البلاغات تعيش فى الأمم بغير ذلك ، لأن المحسنات اللفظية تجرى فى البلاغات على نحو ما تجرى البدع فى الأزياء . تقبل حيناً وترفض حيناً ، تبعاً لاختلاف العصور والأذواق .

أما المعانى القوية التى يوحيها العقل والقلب والروح فى حرارة وإيمان فهى الأثر الباقى من عبقريات الكتاب والخطباء والشعراء . وتكون النتيجة أن القرآن نوع من الكلام يمثل لغة العصر الذى جاء فيه لأنه جرى على لسان رسول بلغ رسالته بلسان قومه ، وفهمه أولئك القوم لأنه من جنس ما كانوا يقولون ويكتبون ، ثم أعجزهم ذلك الكتاب بما فيه من المعانى النبيلة والأغراض الشريفة التى لا يتفق وجودها بسهولة ، لأنها من خواص الرجال الملهمين ، ومن هنا صح التحدى ، لأنه ليس فى وسع أحد أن يأتى بكتاب كالقرآن حين يقترح عليه ذلك"

وقد لخص د. زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى نظريته ، لذا سأستعين بها لتوضيح ما يقصده يقول :-[2]

" الخلاصة أن القرآن نثر ، وأنه دليل على أن العرب كان عندهم نثر فنى قبل الإسلام فكان لهم بذلك وجود أدبى متين قبل أن يصلوا بالفرس واليونان ولا ينبغى الاندهاش من عد القرآن أثراً جاهلياً ، فإنه من صور العصر الجاهلى : إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعابيره ، وهو بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرده بصفات أدبية لم تكن معروفة فى ظنهم عند العرب يعطينا صورة للنثر الجاهلى ، وإن لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية عند غير النبى من الكتاب والخطباء ...

أننا حين نحكم بأن القرآن من شواهد النثر الجاهلى ليس معناه أن نقول إن القرآن لا يعلو فى قيمته عن الآثار الجاهلية ، ولكن معناه أن القرآن فى أساليبه وطرائق تعبيره يسلك مسالك الجاهليين لأنه نزل لهدايتهم ، من العبث أن يخاطبوا بغير مايفهمونه . "

---

(١) زكى مبارك : البلاغ : مساء الثلاثاء – ١٠ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ .

(٢) زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع . ص ٤٣ ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

ولايرد وجدى فى تلخيصه سوى بالإشارة إلى زكى مبارك ليعود إلى قراءة ما كتبه يقول:-[1]

" أمـــا أن يكـــون القرآن كتاباً إلهياً أو وضعاً بشرياً ، وعلى كلتا الحالتين لا يبلغ الدكتور زكى مـــبارك مـــنه بغيته من الاستدلال به لانقطاع الصلة بين الإلهى والبشرى إن كان الأمر الأول ولتســـجيل العرب على أنفسهم العجز المطلق عن تحديه إن كان الأمر الثانى . وهل فى العالم كتاب دينى يخرج عن هذين الافتراضين ! فرأى الدكتور أن هذامنى تناقض وأننى أدخلت الدين فى البحث العلمى .

وقـــد قـــلت إن إقرار العرب بأن القرآن كلام معجز ، حتى لو لم يكن كذلك يسجل عليهم أنهم رأوا فيه أسلوباً ونظماً يخالفه ما كان لديهم من جميع الوجوه .

فـــلم يرتض الدكتور زكى هذا الافتراض ، ولست بمجبره على أن يرتضيه ، ولكنى أزيد عليه بأن أسلوب القرآن ونظمه ، بل حكمته وروحه ، لا يزال نسيج وحده فى العربية إلى اليوم . ألا تـــراه يظهر متميزاً فى ديباجته ، متلألئاً فى لونه الخاص به ، معلناً عن نفسه بروعته فى كل كلام يوضع فيه ، مهما بلغ من إحكام الصنعة وسحر البيان ، وإنه لمتميز حتى فى خطب النبى نفســـه . وهـــو الذى كان صدره مهبط وحيه ، ومشرق نوره ، وفى خطب أصحابه ، وخطب التابعين ، وتابعيهم إلى اليوم . "

هـــذا رغمـــاً عن أنهم اتخذوا تلاوته طول حياتهم ورداً ، وتدارسوا آياته تدارساً ، بل حفظوها عـــن ظهـــر قـــلب حفظاً . وقد مضى على هذه الأمة أربعة عشر قرناً ، وهو شغلها الشاغل ، ومرجعها فى علومها وآدابها وعباداتها ، ومع كل هذا الشغل المتواصل لا يزال القرآن ممتازاً عـــن كل كلام بديباجته ونظمه ، ومتوحداً فى معناه وأسلوبه ، وهذا لم يمنع أن لسان متقدمينا ومتأخريـــنا العربية ، وأنه أقرب إلى الإفهام من كل كلام سواه فلم يعجز القرآن العرب لما فيه مـــن قـــوة الروح فقط ، فإنه من هذه الناحية معجز فى كل زمان ومكان ، ولكنه كان ولا يزال معجزاً بلفظه ومعناه ، وفيما قدمناه من الدلائل غناء للمتدبرين ."[2]

وبعـــد أن عرضنا فى إيجاز المناقشات التى دارت بين زكى مبارك وفريد وجدى وسبقه محمـــد لطـــفى جمعة وآراءهما مشتركة فى إنكار النثر الجاهلى ورفض كون القرآن نثراً نرى هـــناك مـــن يساند زكى مبارك على صفحات البلاغ هو محمد عبد المطلب محاولاً التوفيق بين رأى زكى مبارك ومحمد فريد وجدى .

---

(١) محمد فريد وجدى : البلاغ : ٢٠من أكتوبر ١٩٣١ مساء الثلاثاء – ٨ من جمادى الثانية ١٣٥٠هـــ العدد ٢٥٣٩ – بعنوان (العرب والإسلام والقرآن) تلخيص إزاء تلخيص .

(٢) قد مر بنا رأى فريد وجدى فى الإعجاز الروحى والتأثير النفسى للقرآن ولكنه لا ينكر الإعجاز البلاغى وإن كان يراه ثانوياً (على حد تعبيره)

يبدأ محمد عبد المطلب بتحديد معنى النثر الفنى يقول [1] " تبين لى أن المسألة إنما هى عراك فى غير معترك لأنه لابد لهم أن يحددوا معنى النثر الفنى ومتى تحدد المعنى ارتفع الخلاف.. فالنثر لا مـــرية هو ماقابل النظم ، والفنى نسبة إلى الفن ومعنى الفن فى اللغة معروف وهو النوع أو الحال أو الضرب من كل شئ ومنه فنون البناء وفنون الأموال وفنون الكلام وفنون العلم .

فـــإن أرادوا مـــن الفن الأدب يكون المعنى النثر الأدبى ، وإن أرادوا من الفن العلم كان المعنى النـــثر العلمى ، ونحن لا ننازعهم أى المعنيين أرادوا ، لأنهم إن أرادوا الأول دخل فيه كل كلام بـــليغ مـــنظوم من خطابة وكتابة وإن أرادوا الثانى دخل فيه كل كلام احتوى علماً أو كان مبعثه العـــلم . ومن أنكر على العرب فى جاهليتهم أو إسلامهم بلاغة ما ليس بمنظوم من الكلام ؛ فقد أنكر وجودهم لأن البلاغة من لوازم اللغة فى كل أمة وكل أمة توجد معها لغتها من أول وجودها فاللســـان العربى موجود ببلاغته فى العرب من أول وجودهم فى لغة تخاطبهم وفيما هو مأثور منها على أى معنى قلبت النثر الفنى .

فـــإن أردت منه الأدب فهو عند الجاهليين فى خطابتهم وحكمهم وأمثالهم وما عثر عليه من قليل كتـــبهم ، فلا معنى لتخصيصه بنوع من الأنواع ، وهذا هو الذى يريده الدكتور زكى ، وإن كان قد شق على نفسه بتجاهله وإعراضه عما روى من هذا النوع واقتصر على الاستدلال بالقرآن .

وإن أرادوا منه العلم ، فحكم الجاهليين علم ، وأمثالهم علم ، وما أثر عنهم من قليل الكتب علم ، وكل كلام يفيد علماً لا يصدر إلا عن عقل . ويدلنا على هذا العقل عند العرب ما اعترفوا لهم به من الشعر على رغم مازعموه من قصره على العاطفة .

وهو يوافق زكى مبارك قائلاً :-[2]

" النـــثر الفنى من آثار العرب فى جاهليتهم وإسلامهم ، وزمن المولدين منهم ، يثبته القرآن كما قـــال الدكـــتور زكى واقتصر عليه ، وافقته على هذا فيه ، وزدت عليه أن بين أيدينا مما رواه الثقات من الأمة ما يدل عليه ، وإن كان قليلاً .

أن كـــتب النـــبى صلى الله عليه وسلم ، وكتب أصحابه ، والخلائف من بعده ، وهى كثيرة جداً بأيدينا نماذج تدل على عرفان العرب للنثر البليغ ، فإنهم ما تعلموا كتابة الكتب من القرآن ، ولا هى مأخوذة عنه ، وإنما هى كتب كانوا يكتبونها جرياً على سنة موروثة عن العرب ، من قبلهم ، تشبه كل الشبه ، ذلك القليل الذى أثر عن أهل الجاهلية .. "

ويعقب على رأى فريد وجدى ملتمساً له الأعذار :-[3]

---

(١) محمد عبد المطلب : البلاغ : ١ من أكتوبر ١٩٣١ – مساء الخميس – ١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠هـ – العدد ٢٥١٩–السنة التاسعة بعنوان (عراك فى غير معترك)

(٢) محمد عبد المطلب : البلاغ : ١ من أكتوبر ١٩٣١ مساء الخميس ١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠ .

(٣) المصدر السابق .

" بــقى أن الــتفت إلى الأستاذ فريد وجدى ، فيما قرره ، من عدم وجود النثر الفنى فى الجاهلية ، وما استند إليه من الأسباب .

" فأشكر له أولاً ذلك المرمى الذى رمى إليه ، فى ذنيك المقالين وهو فرط اعترافه بمعجزة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، ذلك المرمى الذى نعرفه به من قبل ونحمده ويحمده الله له ، سواء أوافق الصواب فيه ، أو لم يواته البحث بالوفاق .

والذى يرميه إليه الأستاذ الجليل – يقصد فريد وجدى – بإثبات أن العرب لم يكونوا على استعداد للملك ، وهو معجزة الرسول فى إعدادهم للملك ، من غير أن يكون فيهم الاستعداد له، إنما يثبت بمدعانا أكثر مما يثبت بمدعاه ، لأن إخضاع الأمة المستعدة للملك ، ذات الوجود ، ونضج العقل فى الحيــاة . أبــلغ وأعجــب من إخضاع أخرى ، هى فى حياتها الأولية أينما وجهتها الزعامة توجهت ، لا تعرف ما المعارضة ولا تفقه ما الخلاف ."

" عــلى أن قريشاً وهى التى استدل بأمرها على ما يقول كان نظام حياتها فى الجاهلية أشبه شىء بــنظام الملك وإن لم يكن فيهم الملوك . فقد كانت فيهم وكانت الممالك التى حولهم تعترف لهم بذلك وتقرهم عليه . "

" فأمــا الأدلــة التى ذكرها الأستاذ فلا تنهض لإثبات ما يقول به من عدم وجود النثر الفنى من الوجهــة العقلية وكل ما تثبته إنما هو شدة المعارضة ولجاجهم فى خصومة الرسول صلوات الله عــليه وكذلك ما ذكره من تسفيه الذكر الحكيم لأحلامهم وغضه من عقولهم ، فإنما هو من فنون التشهير بهم والتشنيع عليهم لما كان لهم من اللدد فى الخصام ولا يقول أحد بأن لدد الخصام من طــباع الــبله المغفلين من الناس . فإنك لا ترى للعقل البشرى طوراً هو أعلى ما فيه من طوره الحاضر ومع ذلك هم إزاء الدين أضل حالاً من قريش والعرب فى القديم . "(١)

ونختم قضية النثر الجاهلى بآراء لبعض الأدباء والكتاب ونبدأ برأى "طه حسين" .

يقول :(٢)" لابد من أن نتفق قبل كل شئ على ما يفهم من لفظ " النثر " عند مؤرخى الآداب ، كما اتفــق على ما يفهم عندهم من لفظ " الشعر " فأما إن فهم من النثر كل كلام لا ينظمه وزن ولا قافية . فليس من شك فى أن قد كان للعرب الجاهليين نثر منذ عصور قديمة جداً ، وليس من شك فى أنهــم تخاطبوا بالإشارات والكلمات والجمل المقتضبة قبل أن يظهر فيهم الشعور الفنى الذى يحملهم على أن يتغنوا ويقرضوا الشعر . "

---

(١) وقد اثنت البلاغ – فى آخر عدد ٢٠ من أكتوبر ١٩٣١ – على كل من زكى مبارك ووجدى تقول :-
رأى القراء أن كلاً من الأستاذ محمد فريد وجدى والدكتور زكى مبارك عرض آراءه عرضاً كافياً ثم لخصها بعد ذلك تلخيصاً وافياً . وقد أثنى كل من قرأ كتاباتهما على عمقهما فى البحث وأدبهما فى المناظرة وعنايتهما بتبيين جزء من تاريخ الأدب العربى ، يجب أن يكون معروفاً ... ونثنى عليهما ونشكرهما بقدر ما بذلا من الجهد وأفادا به قراء البلاغ .

(٢) طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ص ٣٢٥ : دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

ثم يستطرد قائلاً :

ولكن هذا النوع من النثر إن أهم أصحاب اللغة وعلم النفس فهو لا يغني مؤرخ الآداب في قليل ولا كثير . "

" وكل ما يمكننا أن نستخلصه من هذا النثر الذى يضاف إلى الجاهليين إنما هو شئ واحد . وهو أن مـــن الممكن أن يكون هذا النثر قد حاول قليلاً أو كثيراً تقليد ما كان للعرب فى جاهليتهم من نثر ، فحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلى ، دون أن يحفظ لنا نصاً من نصوصه . والذين يريدون أن يدرسوا تاريخ النثر العربى الصحيح مضطرون إلى أن يردوه لا إلى نثر جاهلى بل إلى القـــرآن وحده فنحن نعلم إلى أى حد بعد التأثير الأدبى للقرآن فى نفوس العرب حتى أصبح المثل الأعلى الذى يحتذيه الكاتب والمحاور والخطيب والشاعر أيضاً .[1]

ويقول د. "عبد الحكيم بلبع" [2] " أما هذه الآثار النثرية المختلفة التى تنسب إلى الجاهليين ، فيكاد مؤرخو الأدب جميعاً يتفقون على عدم صحة شئ منها ، وأنها لم تصل إلينا بطريقة ثابتة أو مـــريحة حتى يمكن الاطمئنان إليها من الناحية العلمية ، وجعلها وسيلة ترسم لنا صورة النثر الجاهلى ، وتعين لنا أساليبه وخصائصه وفنونه .

ويوضح د. بلبع السبب فى فقدان النثر الجاهلى " ولعلهم متفقون كذلك على أن السبب فى عدم الثقة بهذه النصوص هو أن وسائل التدوين التى تحفظ الآثار الأدبية لم تكن ميسرة فى ذلك العصـــر الجاهلى ، وعلى فرض معرفتهم لها - يقصد الكتابة - لم يستخدموها فى تدوين آثارهم الأدبيـــة ، بل استخدموها فى أغراضهم السياسية والتجارية إذن فكل ما أثر عن العصر الجاهلى من نثر لا ينبغى الاطمئنان إليه . وأغلب الظن أنه من عمل الرواة الذين دسوا على العرب كثيراً مما ينسب إليهم . "

ويؤيد هذا الرأى د. "شوقى ضيف" :-[3]

" فالعـــرب استخدموا الكتابة فى العصر الجاهلى لأغراض سياسية وتجارية ، ولكنهم لم يخـــرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزعم أنه وُجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية . ومن المؤكد أن الكتابة لم تكن حينئذ تؤتى بجانب أغراضها السياسية والتجارية أغراضاً أدبيـــة أو فـــنية مـــن تجويد وتحبير ، إذ لم تكن أكثر من كتابة ساذجة أدّت أغراضاً خاصة فى عصرها ، وانتهت بانتهاء هذا الغرض . "

ولا ينكر د. "شوقى ضيف" وجود نثر عاماً ، بل يرى أن هناك أنواعاً من النثر كانت

---

(١) طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ص ٣٣٠ .

(٢) عبد الحكيم بلبع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه : ص ١٤ .

(٣) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى : ص ١٩ .

موجـودة وهى [1] " وممـا لاشك فيه أنه لا يوجد تحت أيدينا وثائق ، نستطيع أن ندعى بها أن الجاهـليين عـرفوا الكـتابة الفنية ، إنما الذى نستطيع أن ندعيه لهم حقاً – عن طريق الوثائق الصـحيحة . –هـو الأمثال ، فقد أكثروا من ضربها ، وهناك كتب مشهورة تتخصص ببحثها . وبجانب الأمثال نعرف أنه كانت لهم خطابة وخطب كثيرة ، وقد أخذت الخطابة عندهم صورتين : صـورة اجـتماعية عامة فى منافراتهم ومفاخراتهم ومجامعهم وأسواقهم وحروبهم ، وصورة خاصة فى سجع الكهان وما كان ينزلق على ألسنتهم أثناء تكهنهم . "

ويقـول "محمد عبد المنعم خفاجى" [2] " هذا وينكر بعض المستشرفين ومن تابعهم وجود نـثر فنى جاهلى لأن عيشة العرب الأولين لم تكن توجد النثر الفنى لأنه لغة العقل ، على حين سمحت بالشعر لأنه لغة الخيال والعاطفة ، وهذا الرأى خطأ ، بدليل ما يأتى :–

أ– كان عند كثير من الأمم القديمة كالفرس والهنود وقدماء المصريين نثر فنى قبل الميلاد بكثير فلم لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون .

ب– وجود الكتب الدينية يستدعى وجود نثر فنى .

ج– بقـاء بعـض من النثر الجاهلى فى مصادر الأدب العربى وأمهات كتب كالأغانى والأمالى وسـواهما ، أمـا الكثير منه فقد ضاع لعدم تدوينه بالكتابة التى لم تكن معروفة فى الجاهلية إلا للقليل النادر من الناس . "

---

(١) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى : ص ٢٠ .

(٢) محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى : ص ١١٠ .

الخــــلاصــــــة :

عرضــت فى هــذا الجــزء الخاص بالنثر بماهية النثر وأيهما أسبق للوجود الشعر أم النثر. ثم طرحــنا قضــية النثر الجاهلى وضياع الكثير منه والاعتماد على القرآن باعتباره نثراً جاهلياً. وصــاحب هذه الدعوة هو زكى مبارك ويؤيده محمد عبد المطلب ومعارضه فريد وجدى ويؤيده محمد لطفى جمعه. وتدور المناقشات حول :-

١- وجود نثر فنى جاهلى .

٢- حالة العرب قبل الإسلام فى تطور واستعداد لاستقبال النبوة .

٣- اعتبار القرآن نثراً جاهلياً .

ثم ختمنا هذا العرض بالإشارة إلى آراء بعض الأدباء فى قضية وجود نثر جاهلى .

وننهى بهذا مبحث الأدب الجاهلى الذى يتكون من :-

أولاً : تمهيد لمعنى الأدب الجاهلى بقسميه .

ثانياً : الشعر الجاهلى .

ثالثاً : النثر الفنى .

الخاتمة والمصادر والفهرست

الخاتمـــــــــــــــــــــة

وبعـــد هذه الرحلة الطويلة آن لنا أن نصل إلى منتهاها . ومع أهم النتائج وهى مرتبة حسب فصول الرسالة .

الفصل الأول :

١- منهجه فى تفسير القرآن الكريم

جمـــع فـــريد وجدى فى تفسير القرآن بين منهجى النقل والعقل مع الاهتمام بالجانب الاجتماعى الذى ميز مدرسة محمد عبده ؛ فاستعان بأدوات التفسير التى تجمع بين المأثور والمعقـــول وهى (القرآن – الحديث – أسباب النزول – القراءات – الناسخ والمنسوخ – التأويل – البلاغة) . كما اهتم بالمقاصد الشرعية والإعجاز العلمى ، كما اهتم بالإصلاح الاجتماعى المتمثل فى المرأة والأسرة .

وقد وصف أحدهم منهجه بالمنهج الإجمالى ، ووصفه آخر بالهدائى .

الفصـــــــل الثانـــى

٢- مباحث قرآنية

معجزة الإسراء والمعراج

اعـــتمد فريد وجدى على الربط بين العلم والدين ؛ ليقرب إلى العقل ما عجز عن إدراكه ،فـــاتخذ كغيـــره مـــن العـــلماء بعض التطورات العلمية كوسيلة لتقريب معجزة الإسراء والمعـــراج إلى الأذهان . ولكنه لم يصل فى النهاية إلا إلى القول بأن الإسراء تم بالروح والجسد معاً والمعراج تم بالروح فقط. فهو لم يختلف مع غيره فى الحكمة المستنبطة منه ،بل اختلف فى كيفيته .

٣- قضية الإعجاز القرآنى

لـــم يغفل فريد وجدى الجانب البلاغى فى الإعجاز ، ولكنه يرى أنه ثانوى وأن للقرآن تأثيراً روحياً يفوق هذا التأثير البلاغى .

ولـــم يكن بدعاً فى ذلك ، بل التفت إلى هذا الرأى كثيرون منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى عهد العلماء المحدثين أمثال : أمين الخولى ومحمد الغزالى .

- **الوحدة الموضوعية**

٤- دافـــع فريد وجدى عن عدم مماثلة القرآن فى ترتيبه بالكتب الوضعية بتنزيه كلام الله عن مماثلة كلام البشر ؛ ولكنه حاول إثبات وجود وحدة بين آيات القرآن مثل مقالاته التفسيرية فى مقدمة تفسيره

ترجمة معانى القرآن الكريم

٥- تحمل فريد وجدى النصيب الأكبر فى الدفاع عن الدعوة إلى ترجمة معانى القرآن مع الشـــيخ محمـــد مصـــطفى المراغى . وإن كان قد جانبه الصواب فى إعلانه موافقته لدعـــوة تـــركيا إلى الترجمة ومناصرته لها وتجاهله أو إغفاله نواياها العلمانية ، مما أثـــار ســـخط بعض العلماء وعامة المسلمين . ويغفر لوجدى سمو هدف الدعوة إلى الترجمة وقد كللت بالنجاح فى نهاية المطاف .

الفصل الثالث : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة

٦- السيرة المحمدية

اســـترعى انتباه فريد وجدى بعض المواقف فى السيرة المحمدية مبيناً لأوجه الإعجاز والتأييد الإلهى لنبيه ملزماً نفسه بالجانب العلمى والفلسفى .. مضمناً إياه علم النفس والاجتماع .

٧- رد على بعض شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم

تـــناول فريد وجدى الرد على العديد من الشبهات التى آثارها المستشرقون حول محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام معتمداً على المنهج العلمى فى المناقشة والتحليل .

الفصل الرابع بين الدين والأدب والاجتماع

٨- المرأة المسلمة

أولى فريد وجدى قضية المرأة فى الإسلام عناية خاصة بادئاً بكتاب المرأة المسلمة ثم مقالاته المتـــناثرة عـــبر نصـــف قرن . مغيراً رأيه من رفضه خروج المرأة إلى السماح لها بالعمل والاشتراك فى المجالس النيابية مستمداً آرائه من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى .

الأدب الجاهلى

٩- الشعر الجاهلى

اعـــترض فـــريد وجدى على طه حسين فى استخدام منهج ديكارت القائم على الشك واقترح الاعتماد على القرآن مذهب التمحيص.

- كما اعترض على كون قصة هجرة اسماعيل إلى مكة اختلاقاً.
- وانكـــر كذلـــك أن تكون الشعوبية بين عامة المسلمين والفرس ، بل هى بين قلة من المسلمين وقلة من الفرس بدليل اندماج كثير من المسلمين مع العرب وتفوقهم فى كثير

مـــن المجـــالات مثل : الحسن البصرى،أبو حنيفة ووافق طه حسين فى تمثيل القرآن للعصر الجاهلى ولكن مع تمثيل الشعر الجاهلى له أيضاً.

١٠- النثر الفنى

ناقش وجدى وجود حياة أدبية فى العصر الجاهلى.

- وافق فريد وجدى زكى مبارك فى جعل مجال المبحث عصر النبوة نفسه فهو العصر الذى اعتركت فيه التقاليد الجاهلية والدين الجديد.
- اعــترض على رأى زكى مبارك بوجود تطور أدبى فى العصر الجاهلى على اعتبار زكى مبارك أن القرآن نثر جاهلى يشبه النثر الجاهلى فى أساليبه.
- رأى وجـــدى أن أسباب النهضة الأدبية التى لحقت بالعرب بعد الإسلام سببها الروح المحمدية والدين الجديد.

التوصيـــــــــــات.

ومن خلال مرافقتى لفريد وجدى كلماته ومؤلفاته أوصى بما ياتى :-

١- إعـــادة طبع المؤلفات القديمة حتى لا يحرم جيل قادم من فكر قدير يحتاج إلى البحث والتحليل.

٢- الاقـــتداء بصـــنيع د. محمـــد رجب البيومى فى جمع المقالات المتناثرة فى الجرائد والمقـــالات " لفريد وجدى " على أن تجمع حسب الموضوع ، مع مزيد من التحقيق والتحليل.

٣- عدم إهمال الرموز الدينية الفكرية التى حركت وأثرت فكر وثقافة أمة.

وأخيـــراً إن أحسنت فهو فضل من الله عز وجل بمنه وإحسانه وأشكر جهد أستاذى مصطفى الصاوى الجوينى الذى رافقنى كلمة كلمة فما مل ولا ضاق حلمه.

وإن قصرت فهو من نفسى العصية التى لا تملك الكمال فهو لله وحده.

وأبـــرأ أســـتاذى من كل نقص لحق برسالتى ؛ فقد لازمنى فى بحثى ملازمة الأب يعلم طفله السير فما أكاد أخطو حتى يهلل مستبشراً وما يخالنى اتعثر حتى يمد يده مسرعاً ، فسرت فى رحـــاب عـــلمه وتوجيهاتـــه لا آلو جهداً إرضاءً له وإرضاءً للعلم ولا أحمل هماً لثقتى بأنى بجواره فى أمان وفى رحاب الله الثقة المنتهاه.

فحمداً لله حمداً يليق بنعمه علينا ومغفرة واسعة تشملنا وتمحو نقصنا وزللنا.

واتوجه بالشكر لكل من ساعدنى بقول أو فعل وجزاه الله عنى وعن العلم خير الجزاء.

المصادر والمراجع

١- إحسان عباس : فن السيرة : دار بيروت للطباعة والنشر ط ١٩٥٦م .

٢- أحمد جمال العمرى – دراسات فى التفسير الموضوعي للقصص القرآنى.
مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

٣- أحمد زغلول صادق : المنهج الجديد فى مناهج المفسرين
بنها – مطابع أونست – ط ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

٤- أحمد محمد الغمراوى : النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى .
مطبعة السلفية القاهرة ط ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٩م.

٥- أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي المجلد الخامس
إحياء التراث العربى – بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٦- آمال كامل بيومى السبكى : الحركة النسائية فى مصر بين الثورتين (١٩١٩ – ١٩٥٢م)
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٨٦م

٧- أمين الخولى : مناهج التجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب
الأعمال الكاملة الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١٩٩٥م.

٨- أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين
الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١٩٧٤م.

٩- رفعت فوزى : أحاديث الإسراء والمعراج دراسة توثيقية.
مكتبة الخانجى – مطبعة السعادة ط ١٩٨٠ – ١٤٠٠ هـ.

١٠- زكى مبارك : النثر الفنى فى القرن الرابع
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

١١- سعيد محمد حسن : حقائق الإسراء والمعراج
مؤسسة روز اليوسف ط ١٩٧٧م

١٢- السيد محمد حسين خضر : نقض كتاب فى الشعر الجاهلى
مطبعة السلفية القاهرة ط ١٣٤٥ هـ

١٣- شوقى ضيف : العصر الجاهلى
دار المعارف بمصر ط الثالثة

١٤- شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى
دار المعارف القاهرة

١٥- طه حسين : فى الأدب الجاهلى
دار المعارف بمصر : ط ١٩٦٤
١٦- طه حسين : على هامش السيرة
دار المعارف الطبعة التاسعة عشر ط ١٩٩٢م
١٧- عباس محمود العقاد : حياة قلم (المجموعة الكاملة)
المجلد الثاني والعشرون السيرة الذاتية دار الكتاب اللبنانى بيروت ط الأولى ١٩٨٢م.
١٨- عبد الله شحاته : المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر
الهيئة المصرية العامة للكتاب إيداع ١٩٩٣م.
١٩- عبد الله شحاته : منهج الإمام محمد عبده فى تفسيره القرآن الكريم
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ط ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م.
٢٠- عبد الحكيم بلبع : النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه
لجنة البيان العربى - القاهرة - ط الثانية
٢١- عبد الحليم محمود : الإسراء والمعراج
سلسلة البحوث الإسلامية - السنة السادسة - العدد ٨٠ .
رجب ١٣٩٥ - يوليو ١٩٧٥م - ط القاهرة - الهيئة العامة للشئون - المطابع الأميرية
٢٢- عبد الحليم محمود : الحمد لله هذه حياتى - دار المعارف - إيداع ١٩٨٩ - ط الرابعة
٢٣- عبد الكريم الخطيب : إعجاز القرآن والإعجاز فى دراسات السابقين. " دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها " دار الفكر العربى ط الأولى ١٩٧٤م .
٢٤- عبد المتعال الجبرى : المرأة فى التصور الإسلامى .
مكتبة عابدين القاهرة ط الثامنة يونيو ١٩٨٦م - رمضان ١٤٠٦هـ .
٢٥- عبد المتعال الصعيدى : النظم الفنى فى القرآن.
المطبعة النموذجية - مكتبة الآداب بالجماميز ١٩٧٥م.
٢٦- عفت محمد الشرقاوى : الفكر الدينى فى مواجهة العصر " دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير فى العصر الحديث"
مطبعة قاصد خير - مكتبة الشباب إيداع ١٩٧٦م.
٢٧- فهد عبد الرحمن سليمان الرومى : اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر المجلد الثانى ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فى المملكة العربية السعودية.

٢٨- فهـد عـبد الـرحمن سـليمان الرومى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير
مؤسسة الرسالة حـ١ ط الثالثة ١٤٠٧ هـ
٢٩- قاسم أمين : المرأة الجديدة
الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية إيداع ١٩٩٣م.
٣٠- محمد إبراهيم شريف : اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم
دار التراث القاهرة ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م.
٣١- محمد رجب البيومى : البيان القرآنى
دار النصر ط ١٩٧١ م.
٣٢- محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الكريم حـ ٩
مطبعة المنار الطبعة الأولى ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م
٣٣-محمد سليمان : حدث الإحداث فى الإسلام الإقدام على ترجمة القرآن
الطبعة الثانية .
٣٤- محمد حسين : الشعر الجاهلى والرد عليه .
القاهرة - ط ١٩٢٩ م
٣٥- محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون حـ ١ - حـ ٣
دار الكتب الحديثة . حـ ١٣٨١ هـ-١٩٦١ م .
٣٦- محمد حسين هيكل : حياة محمد
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة ط الثالثة - ١٩٩٦ م
٣٧- محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره
معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية ١٩٧٠ م
٣٨- محمد عبد المنعم خفاجى : الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى
مطبعة حجازى القاهرة - مكتبة الحسين التجارية
ط ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م
٣٩- محمد عبد المنعم خفاجى : الشعر الجاهلى
دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط الثانية
٤٠- محمد الغزالى : فقه السيرة
دار الريان للتراث ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
٤١- محمد الغزالى : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة
دار الشروق - ط السادسة شوال ١٤١٦ هـ - مارس ١٩٩٦ م

٤٢- محمد الغزالى : نظرات فى القرآن : ط ٣ - ١٣٨٢ هـ -١٩٦٢ م- دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق العفيفى
٤٣- محمد فريد وجدى : الإسلام دين الهداية والإصلاح
مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
٤٤- محمد فريد وجدى : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومى
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٤٥- محمد فريد وجدى : فصول من سيرة الرسول
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومى
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى شوال ١٤١٧ هـ - مارس ١٩٩٧ م
٤٦- محمد فريد وجدى : المرأة المسلمة
مطبعة الترقى شارع عبد العزيز بمصر - ط الأولى ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م .
٤٨- محمد فريد وجدى الرد على هانوتو ط١٣١٨ هـ
٤٩- محمد فريد وجدى : المصحف المفسر
دار الشعب القاهرة ط ١٩٧٧ م
٥٠- محمد فريد وجدى : مناقشات وردود
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومى
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م
٥١- محمد فريد وجدى : من معالم الإسلام
جمع ومراجعة وتقديم د . محمد رجب البيومى
الدار المصرية اللبنانية ط الأولى ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م
٥٢- محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى
مطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر ط ١٩٢٦ م
٥٣- محمد قطب : دراسات قرآنية
دار الشروق بيروت
٥٤- محمد متولى الشعراوى :المرأة فى القرآن الكريم
مؤسسة أخبار اليوم ايداع ١٩٩٠ م
٥٥- محمد متولى الشعراوى : المعجزة الكبرى الإسراء والمعراج
مؤسسة أخبار اليوم مكتبة الشعراوى الإسلامية ط ١٩٩٠ م

٥٦- محمد محمود حجازى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم
دار الكتب الحديثة عابدين القاهرة – مطبعة المدنى القاهرة
ط ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
٥٧- مصطفى حلمى : نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى
دار الأنصار ط دار البيان ١٩٧٧ م
٥٨- مصطفى الصاوى الجوينى : التفسير الأدبى للنص القرآنى
دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨ م
٥٩- مصطفى الصاوى الجوينى : منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه
دار المعارف ط الثالثة ايداع ١٩٨٤ م
٦٠- مصطفى صبرى :القول الفصل
ط ١٣٦١ هـ عيسى البابى والحلبى
٦١- منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين
ط الأولى ١٩٧٨ م دار الكتاب اللبنانى بيروت – دار الكتاب المصرى القاهرة – مطبعة نهضة مصر

الدوريات

٦٢- الأخبار : العدد ٤٨٤ - السنة العاشرة - السبت
٩ من جمادى الأخرة ١٣٧٣ هـ - ١٣ من فبراير ١٩٥٤ م
٦٣- الأخبار : العدد ١٤٧٥٨ – السنة ٤٨ – الأربعاء
٨ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ ١٨ من أغسطس ١٩٩٩ م
٦٤- الأزهر : المجلد الثانى عشر – محرم ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م
بقلم محمد فريد وجدى
٦٥- الأزهر : ملحق الجزء الثانى من مجلة الأزهر ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م
مطبعة المعاهد الدينية
" الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية "
بقلم محمد فريد وجدى
٦٦- الأزهر : ملحق مجلة الأزهر – ربيع الثانى ١٣٥٥ هـ - يونيو ١٩٣٦ م
مطبعة الرغائب – ط الثانية
" بحث فى ترجمة القرآن وأحكامها بقلم " محمد مصطفى المراغى .

٦٧- الأهـرام : العــــدد ٢٢٨٣١ لسنـــة ٧٥ - الأثـنـيـن

١٤ من جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ / ١٤ من مارس ١٩٤٩ م

بقلم محمد فريد وجدى " المرأة والحقوق الدستورية

٦٨- الأهـرام : العــــدد ٢٢٨٣٤ السنـــة ٧٥- الخـمـيـس

١٧ من جمادى الأولى ١٣٦٨ هـ - ١٧ من مارس ١٩٤٩ م

٦٩- الأهـرام : العــــدد ٢٢٨٥٤ السنـــة ٧٥ - السـبـت

٦ من أبريل ١٩٤٩ م

بقلم محمد فريد وجدى " الحقوق الدستورية ورأى الشريعة الإسلامية فيها"

٧٠- الأهـرام : العــــدد ٢٢٨٥٨ السنـــة ٧٥ - الأربعـاء

١٠ من أبريل ١٩٤٩ م

بقلم عائشة عبد الرحمن " التقليد "

٧١- الأهـرام : العــــدد ٢٢٨٦٣ السنـــة ٧٥ - الأثـنـيـن

١٥ من أبريل ١٩٤٩ م

بقلم عائشة عبد الرحمن " ارتجال "

٧٢- الأهـرام : العــــدد ٢٤٥٥٤ السنـــة ٨٠ - الأربـعـاء

٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٠ من فبراير ١٩٥٤ م

بقلم محمد يوسف خليفة

٧٣- الأهـرام : العــــدد ٢٤٥٦١ السنـــة ٨٠ - الأربـعـاء

١٣ من جمادى الثانية ١٧ من فبراير ١٩٥٤ م

بقلم محمد عبد الغنى حسن " محمد فريد وجدى تراثه فى الفكر الإسلامى الحديث"

٧٤- الأهـرام : العــــدد ٢٤٥٨٩ السنـــة ٨٠

١٢ من رجب ١٣٧٣ هـ ١٧ من مارس ١٩٥٤ م

بقلم أبو الوفا المراغى " فى ذكرى الأربعين الفيلسوف المصلح محمد فريد وجدى "

٧٥- الأهـرام : العــــدد ٤١٠٠٢ السنـــة ١٢٣ - الخـمـيـس . ص ٧

١١ من مارس ١٩٩٩ م- الحلقة ٢٧٦ من المرأة المصرية فى حياة الأمة

بقلم يونان لبيب رزق

٧٦- الأهـرام : العــــدد ٤١١٧١ - السنـــة ١٢٤ - الجـمـعـة . ص ٢

١٦ من جمادى الأولى ١٤٢٠ هـ -٢٧ من أغسطس ١٩٩٩ م

بقلم إقبال حسنى

٧٧- البلاغ : العدد ٢٤٩٢ السنة التاسعة مساء الجمعة
٢١ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ - ٤ من سبتمبر ١٩٣١
بقلم زكى مبارك " قد جدت الحرب فجدوا ، نقض ما كتبه الأستاذ لطفى جمعة فى إنكار النثر الجاهلى "

٧٨- البلاغ : العدد ٢٤٩٤ السنة التاسعة مساء الأحد
٢٣ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ - ٦ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد لطفى جمعة " من النثر الجاهلى إلى رسالة محمد عليه السلام "

٧٩- البلاغ : العدد ٢٤٩٩ السنة التاسعة مساء الجمعة
٢٨ من ربيع الثانى ١٣٥٠ هـ - ١١ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً – نقض أقوال الأستاذ لطفى جمعة "

٨٠- البلاغ : العدد ٢٥٠٨ السنة التاسعة مساء الأحد
٨ من جمادى الأولى ٢٠ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن "

٨١- البلاغ : العدد ٢٥١٠ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١٠ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ٢٢ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن "

٨٢- البلاغ : العدد ٢٥١٧ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١٧ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ٢٩ من سبتمبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " العرب والإسلام والقرآن مناقشة أقوال الأستاذ محمد فريد وجدى "

٨٣- البلاغ : العدد ٢٥١٩ السنة التاسعة مساء الخميس
١٩ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ١ من اكتوبر ١٩٣١ م
بقلم محمد عبد المطلب " عراك فى غير معترك "

٨٤- البلاغ :العدد ٢٥٢٦ السنة التاسعة مساء الخميس
٢٦ من جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ ٨ من اكتوبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن – مناقشة أقوال الدكتور زكى مبارك "

٨٥- البلاغ : العدد ٢٥٣١ السنة التاسعة مساء الثلاثاء
١ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـ ١٣ من اكتوبر ١٩٣١ م
بقلم زكى مبارك " العرب والإسلام والقرآن مراجعة الأستاذ فريد وجدى "

٨٦- البـلاغ : العـــــدد ٢٥٣٨ السـنـــــة التـاسـعـــة مســاء الثلاثــاء
٨ من جمادى الثانية ١٣٥٠ هـــ ٢٠ من اكتوبر ١٩٣١ م
بقلم محمد فريد وجدى " العرب والإسلام والقرآن تلخيص إزاء تلخيص "
٨٧- حـــواء : عـــــدد مـــارس ١٩٩٩ م
٨٨- الزهـــراء : كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر – فرع البنات – العدد الحادى عشر ١٤١٣ هــ – ١٩٩٣ م
بقلم عفاف على شكرى " ترجمة معانى القرآن "
٨٩-الهـــلال : العـــــدد ١٤٠ – جمادى الآخرة ١٣٨٢ هــ – نوفمبر ١٩٦٢ م
تقديم كتاب الإسلام دين الهداية والإصلاح لـــ محمد فريد وجدى
بقلم طاهر الطناحى .
٩٠- الهـــلال : العـــــدد ١٥١ جمادى الأولى ١٣٨٣ هــ – اكتوبر ١٩٦٣ م
بقلم عباس محمود العقاد " رجال عرفتهم "
٩١- مختارات الإذاعة والتليفزيون – م ٢٨ – العدد الرابع – ١٦ من يناير ١٩٦٥ م
ملحق العدد ١٥٥٧ – بقلم محمود شلتوت " محمد الرسول الأعظم "

المعاجـــــــم

٩٢- دائرة المعارف الإسلامية. المجلد التاسع مادة تفسير
بقلم أمين الخولى دار الشعب
٩٣- دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى عشر
الرئاسة العامة لتعليم البنات – كلية التربية – بنات جدة
٩٤- دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر المجلد السادس
الطبعة الثالثة – دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٧١ م
٩٥- دائرة معارف القرن العشرين والرابع عشر المجلد السابع
الطبعة الثالثة –دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٧١ م
٩٦- كنز العلوم واللغة – مطبعة الواعظ مصر – ط ١٣٢٣ هــ – ١٩٠٥ م
٩٧- مختار الصحاح : الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى –عنى بترتيبه السيد
محمود خاطر – دار النهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة
٩٨- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : للرافعى أحمد بن محمد بن على المفرى
الفيومى حــ١ ط السادسة – المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩٢٦ م .

٩٩- أمانى الرمادى : الإنتاج الفكرى حول القرآن الكريم بالإنجليزية والفرنسية فى القرن العشرين : دراسة بيبلوجرافية . رســـالــــة ماجــســتــيــر ١٩٩٣ م

١٠٠- رشيدة مهران عيسى : فن السيرة والترجمة الذاتية فى أدب طه حسين رسالة ماجستير ١٩٧٥ م .

الفهـــرست

استــــدراك

الصفحـــــة	السطـــر	الخطـــــــأ	الصــــــــواب
ث	١٠	لحافظة	لمحافظة
س	١٥	١٣٢٨ هت	١٣٢٨ هـ
س	هامش رقم ٣	ص (١)	ص ١١١
ش	١٥	الوحديات	الوجديات
ط	١٨	أو القضايا	والقضايا
ص-٢٦٠-٢٧١	١٣-١١-٨	الفصل الثالث : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة	الفصل الثالث : السيرة المحمدية
ص-٢٦٠-٢٧١	١٥-١٢-٩	المبحث الأول : السيرة المحمدية	المبحث الأول : السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة
٤	٤	؟	؛
٤	٥	؟	،
٤	٢٣	التقوى	التقوي
٥	٣	الإجتماعى	الاجتماعى
٨	هامش ٧	ص	ص ٨١٥
١٣	٢٠	بالشئ	بالشيء
١٩	٢	مجاز تربيتها	مجاز عن تربيتها
٢٢	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدى : المصحف المفسر
٢٦	هامش ٢	المصدر السابق	محمد فريد وجدى : المصحف المفسر
٢٧	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدى : المصحف المفسر
٢٧	٨	المحبوبة	المحجوبة
٣٣	آخر هامش	أثاره	آثاره
٣٤	١٧	بآراء	آراء
٤٢	هامش ٣	سير جئها	سيرجئها
٤٤	٩	أختار	اختار
٤٦	١٨	وجوب معارضتنا	وجوب عدم معارضتنا
٤٧	٣	إذن العقل	إذن فالفعل
٥١	٢١	شئ	شيء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٢	هامش ١	احاديث الاسراء	أحاديث الإسراء
٥٣	١٠	شئ	شىء
٥٤	٥	شئ	شىء
٥٥	٨	شئ	شىء
٥٦	٨	شئ	شىء
٥٦	١١	تستعص	تستعصى
٥٦	١٢	على	علىً
٥٦	هامش س١٢ ،١٣	شئ	شىء
٦٨	٢٠	والبيان	فى البيان
٦٨	٢٤	إنه أفصح	إنى أفصح
٦٩	١٤-١٥	شئ	شىء
٦٩	٢٢	الدراس	الدارس
٧٢	هامش س٢	وتصوره لا	وتصوره بصورة لا
٧٨	١٨	شئ	شىء
٧٩	هامش ١	الجاميز	الجماميز
٨٢	هامش ٢	تشريفاً لهم	تشريفا له
٨٣	٦	ميدانها	ميدانهما
٨٦	٢	شئ	شىء
٨٧	هامش س٤	اعتمد	اعتمدا
٩١	٤	الصحف	المصحف
٩٥	هامش س٣	الخلاقة	الخلافة
١٠١	١٧	قرءاتها	قراءتها
١٠٢	١٧	اصل	أصل
١٠٤	٦	الراية	الدراية
١٠٥	١٧	ألسنتهم ن	ألسنتهم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٦	هامش س٤	إن الفرسية	إن الفارسية
١٠٨	٢	ألالاعيب	الألاعيب
١٠٨	هامش ١	ترجه	ترجمة
١١٠	٨	أننا نجوز	أننا لا نجوز
١١٢	١١	شئ	شيء
١٣٢	١٠	الرئيسى	الرئيس
١٣٥	٨	البشرية	التبشرية
١٣٥	٩	يدعون الإسلام	يدعون إلى الإسلام
١٣٦	١٢	هذ هذا الأمر	هذا الأمر
١٣٧	٢٢	علية	عليه
١٤٧	٨	ثلاث عشر سنة	ثلاث عشرة سنة
١٥٠	٢٢	طفره	طفرة
١٥٢	هامش ٥	ص ١٦٣ – ١٦٤	ص ٢٦٣ – ٢٦٤
١٥٣	١٤'	تكرار (انتقاله إلى الرفيق الأعلى.... صلى الله عليه وسلم)	
١٥٣	٢٢	شئ	شيء
١٦٠	١	بشئ	بشيء
١٦٠	٧	موضوعة	موضوعه
١٦٣	٦	موافقتها	موافقته
١٦٤	٥	لجنهم	لجهنم
١٦٤	٧	شئ	شيء
١٦٧	٣	يتخذونه	يتخذون
١٧٤	١	الإجتماع	الاجتماع
١٧٩	٣	إمرأة	امرأة
١٨٠	١٧	إمرأة	امرأة
١٨٤	هامش ١	المرآة	المرأة
١٨٨	هامش ٧	١٨٨٩	١٨٩٩

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٤	١٨	الإسترجال	الاسترجال
١٩٧	١	تزاو له	تزاوله
٢٠٤	هامش س٥	نقول	يقول
٢٠٩	١١	تأت بدعاً	لم تأت بدعاً
٢٠٩	١٩	الأرقاء كل شئ	الأرقاء فى كل شيء
	٢٠	بل أسوأ حالها	بل أسوأ حالاً
٢٢٥	هامش ١	المصدر السابق	محمد فريد وجدى : نقد كتاب الشعر الجاهلى
٢٣٠	٣	أسمى	اسمى
٢٣٧	٣	فأحر	فأحرى
٢٤٤	١١	إنشاء	إنشاءً
٢٤٦	١٧	لا يغالهم	لا يغالهم
٢٤٨	هامش ٢	مبارك ك	مبارك
٢٥٠	٤ ،	الشئ	الشيء
٢٥٣	١١	متلآلئا	متلألئاً
٢٥٥	٢١	شئ	شيء
٢٥٦	٤ ، ١١	شئ	شيء

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥
ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

سُورَةُ الفَاتِحَةِ
مَكِّيَّة وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها
شعبة الدراسات الإسلامية

محمد فريد وجدى مفكراً إسلامياً

رسالة ماجستير مقدمة من

الطالبة : صباح إبراهيم بيومى سليمان

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى الصاوى الجوينى
أستاذ الدراسات الإسلامية والبلاغية
أستاذ متفرغ بجامعة الإسكندرية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

إهداء

إلى أسرتى :-

والدى رحمه الله : سرت فى طريق الغلم كما أردت.

والدتى : أعطتنى ما حرمت منه.

أخواى وأخواتى.

إلى معلمى ووالدى :-

أ.د . مصطفى الصاوى الجوينى

جميعكم لكم فضل علىِّ

لذا أهدى إليكم هذا العمل المتواضع.

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إلـــه إلا هـــو الحى القيوم ، استغفره وأتوب إليه ، وأعوذ به من الزلل والخطأ والنســيان وأصلى وأسلم على أشرف الخلق والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى هديه ونوره نسير.

لقد وسعت مدرسة محمد عبده آفاق الأرض بحثاً وسعياً وراء الحق فناصرها من اقتنع بمــبادئها وحاربهــا مــن خالفهــا . فكانت لها حسنات عسى أن تكفر ما عليها من سيئات . فأخــرجت للعــلم جيــلاً من الرواد. حاربوا بالقلم الفساد. فكانت كلماتهم شتى وهدفهم واحد. فأثــرت الفكــر الإسلامى بما أشاعته من روح التجديد فى الأزهر والمحافظة على الدين .. فأشـــهرت كلماتها سلاح ضد المستشرقين والجامدين فى الفكر من المسلمين وكشأن المحارب لابد له من زلات؛ فهكذا حملت بين طيات مبادئها العيوب والمميزات ، الإيجابيات والسلبيات. ولقــد تــناولت الأقلام الكثير من شخصيات هذه المدرسة بالنقد والتحليل وأظهرت مالها وما عليها.

ولكن كثيراً ما تنسى شخصية الرجل الذى عاش يشغله هم واحد وغاية لا يحيد عنها ؛ الدفاع عن الإسلام ورفع رايته . هو "محمد فريد وجدى" تحلى بصفات المؤمن الأصيل. ما أن تقلب فى مؤلفاتــه حتى يشعرك. أنه المفكر الموسوعى ، فلا تصاحب فكره فى أى قضية تشاء إلا وأســرك حسن أسلوبه ، وجذبك بمخاطبته لعقلك ، ودفع خصومه بأدبه الجم ، وقلمه العف ، وحتى لا يسع بعضهم إلا أن يشكروه وكأنه يتمثل قوله تعالى[1] " ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ " تمثل القرآن فى قلبه ، فنطق به قلمه ولكنه بشر [2] " وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ " فهو يخطئ ويصيب .

وقبل أن أعرض لخطة البحث وأهم المشكلات والصعوبات التى واجهتنى يطيب لى أن أعرف تلك الشخصية المشهورة المغمورة فى ذات الوقت وأن ألقى بأشعة نور تزيل الغيوم حول هذا المفكر والكاتب الإسلامى ، الذى لا يكاد يعلم بوجوده إلا القلة القليلة المثقفة من جيلى الحالى ، ونوابــغ الفكــر فى الجيــل الســابق ، فما حدثت أحد عن هذه الشخصية إلا وتعقد حاجبيه استغراباً ودهشة من هذه الشخصية التى لا يكاد يسمع لها صدى.

---

(١) سورة فصلت : آية ٣٤ .

(٢) سورة يوسف : من آية ٧٦ .

اسمه(١)

محمد فريد وجدى بن مصطفى وجدى بن على رشاد.

مولده

ولد فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وإن اختلف بعد فى تعيين سنة مولده ، فهناك من جعلها سنة (١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م)(٢) وهناك من تقدم بها عن هذا التاريخ ثلاث سنين ، فجعلها سنة (١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م)(٣)

نشأته

ولد فى مدينة الإسكندرية ، وتنقل بينها وبين دمياط ، ثم استقر فى السويس مع والده الذى كان يلى منصب وكيل المحافظة بها ، ثم عاد واستقر فى القاهرة.

أسرته

من أسرة تركية الأصل (٤) ، من أسر الطبقة الوسطى ، فهى أسرة محافظة وكان أبوه من أوساط الموظفين ، ولكنه رجل مهتم بالعلم ، حفى بأهله ، وكانت له فى داره مكتبة تضم الكثير من كتب الدين والأدب وفنون المعرفة المختلفة ، بالعربية والفرنسية والتركية.

ويرى د. طه الحاجرى أن عناية والده بمجالسة العلماء والمثقفين كانت لتكوين فريد وجدى فكرياً وثقافياً.

تعليمه

تلقى تعليمه فى الإسكندرية حيث إنها مسقط نشأته الأولى " و المدارس التى تلقى تعليمه فيها : مدرسة إسماعيل أفندى حقى ، و مدرسة حمزة قبطان ، ومدرسة مسيو فالو ، كما ذكر أنه أدخل المدرسة الأولى وهو فى الرابعة من عمره ، فأمضى بها أربعة أعوام ، ثم

---

(١) محمد فريد وجدى : المصحف المفسر : ط ١٩٧٧ ، دار الشعب .

(٢) محمد يوسف خليفة : الأهرام : العدد ٢٤٥٥٤ — السنة ٨٠ — ٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٠ فبراير ١٩٥٤ — الأربعاء ص ٥ـ خير الدين الزركلى : الأعلام : ص ٢٢٠ ، جـ ٧ ، ط الثالثة.

(٣) - عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : جـ ١١ ،دار احياء التراث العربى ببيروت لبنان ، ص ١٢٦

- أنور الجندى : محمد فريد وجدى . رائد التوفيق بين العلم والدين ص ٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١٩٧٤ .

يقول " قبل أن ينتهى القرن الماضى بخمس سنوات ظهر شاب فى العشرين من عمره "

- ويرجح د. محمد طه الحاجرى التاريخ الأول (١٢٩٥ م — ١٨٧٨ م) لما ذكره فريد وجدى عن نفسه فى دائرة معارف القرن العشرين والقرن الرابع عشر. وما ذكره طاهر الطناحى فى تقديمه لكتاب " الإسلام دين الهداية والإصلاح" طبعة دار الهلال.

(محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى : ص ١٨)

(٤) هذا ترجيح من طه الحاجرى وقد ذكر أنور الجندى " هو الموسوم بأنه أصل تركى أو جركسى" " أنور الجندى — محمد فريد وجدى : ص ٢٢)

انـــتقل منها إلى المدرسة الثانية ، وبقى فيها حتى أتقن القراءة والكتابة ، ثم تحول بعد ذلك إلى المدرسة الثالثة وظل بها إلى أن نقل أبوه مصطفى بك وجدى ، إلى مدينة القاهرة .

وكما يتضح " أنها كانت مدارس خاصة ، كما يدل على ذلك تسميتها بأسماء أصحابها"[١] وفى عـــام ١٨٩٢ م تقريــباً "نقل مع أسرته إلى القاهرة ، فلم يكمل تعليمه الثانوى فى المدرسة الفرنسية وألحقه أبوه بالتعليم النظامى " المدرسة التوفيقية "، وهى مدرسة ثانوية ولكنه انتقل إلى دميــاط بعد بقائه عامين فى القاهرة ؛ مما لم يجعله يكمل تعليمه فى المدرسة التوفيقية ١٨٩٤م. وإلى هنا انقطعت صلته بالمدارس أو انقطعت أخبارنا عنها . " [٢]

العوامل المؤثرة فى تكوين شخصيته

منها عوامل غير مباشرة مثل :-

١- "**أحــداث الاحــتلال الإنجليزى** ، منذ قدوم الأسطول البريطانى الفرنسى وإرسائه بميناء الإسكندرية ، فى أواسط مايو ١٨٨٢ م "[٣] وما ترتب عن ذلك من مذابح وحرائق هذا غير " حركة الهجرة التى نستطيع أن نرى صورة واضحة منها فيما كتبه الأستاذ الإمام الشــيخ محمــد عــبده عنها فى مذكراته ، إلى غير ذلك من مشاهد الاحتلال ومنكراته والأصــداء المختــلفة الــتى كانت تردد عنه ، وما كان يثيره ذلك كله فى نفوس الناس وأحاسيسهم وأحاديثهم . "

" لقــد كانت هذه المرحلة الأولى من حياة محمد فريد وجدى تمثل فى الحياة المصرية الصراع بين الشخصية الإسلامية المصرية والاستعمار الإنجليزى . وكان هذا الصراع أقوى ما يكون - أول أمــره عــلى الأقــل- فى مدينة الإسكندرية ، فهى التى تلقت الصدمة الأولى ، وهى التى اســتهدفت لكثير من نتائجها ، وتعرضت لكثير من ردود فعلها ؛ وجدير بذلك أن يكون له أثره فى إرهاف مشاعره . وتفتيح مداركه ، وتكوين شخصيته ."[٤]

٢- تنقله مع أسرته أثناء مراحل التعليم

" لقــد كان لهذه النقلة[٥] أثر كبير فى حياة الفتى محمد فريد وجدى ، لا من الناحية التى ذكــرناها ، وهى الاضطراب بين نظامين ، والحيرة بين أسلوبين ، فحسب ، بل فوق ذلك من ناحيــة أنها حدثت فى سن التفتح العقلى ، والتوثب الوجدانى ، فكان لها أثرها فى إثارة مواهبه وحفز ملكاته فلم يعد الأمر أمر محاولة الملاءمة والتوفيق بين ما نشأ عليه من نظام تعليمى

---

(١) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ١٩ ، ٢٢

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢١ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١ .

(٥) يقصد طه الحاجرى : المرحلة الثانوية من تعليمه .

ومـــا عليه أن يواجهه من نظام آخر ، يريد أن يعقد صلته به ، وإنما تضاف إلى هذا الملاءمة بين ما يدفعه إليه طموحه العقلى وتوثبه الذهنى ، وبين هذه البرامج التعليمية المحدودة الجافة فى المدرسة التوفيقية [١]

٣- حادثة الشك فى العقيدة

" عــلى أن الشــك الديــنى لدى الأستاذ فى نشأته الأول قد هيأ له هذا القدر الهائل من الــثقافة ؛ إذا تعرض فى صباه اليانع إلى هواجس عاصفة ، زعزعت يقينه وكدرت أفقه – كما سجل ذلك على نفسه"[٢]

يقــول[٣]" الذى أدى بى إلى الشك فى كل شىء حتى الدين وعلومه . فقد كنت فى سن السادســة عشــرة طالباً فى المدرسة التحضيرية وكان أبى مصطفى وجدى موظفاً فى الحكومة المصــرية ، وحدث وقتئذ أن اختير وكيلاً لحافظة دمياط ، فكان لابد من انتقالى مع عائلتى إلى هذه المدينة التى اشتهر أهلها بدماثة الأخلاق ، والتفقه فى الدين وميلهم إلى الآداب ! ولما نزلت هــذه البــلدة مع أبى . أقبل علماؤها وكبار أهلها يرحبون به ، فكان يجتمع فى دارنا عدد كبير مــنهم ، وكانت تدور أثناء المجلس عدة مناقشات دينية وجدت فيها مجالاً للبحث والتفكير. غير أننى كنت إذا ناقشت أحد العلماء فى مسألة تتعلق بالكون والخلق أسرع بى لقفل باب المناقشة ، وأمرنى بألا أخوض فى المسائل الدينية أو أبدى فيها رأياً ، فكنت أمتعض لذلك ، وأرى أن فيه حجراً على العقل بلا مسوغ وأخذت أبحث عن السبب الذى أدى بهم إلى هذا الجمود ، وقلت فى نفســى لابد أن يكون ما يدرسونه من الكتب عقيماً .. ومن هنا تزلزلت عقيدتى ، وشرع الشك يتســرب إلى نفسى حتى صرت لا أرتاح إلى رأى واحد يتضمنه كتاب ، ولا اقتصر على فكرة معينة يجتهد بعض العلماء فى إثباتها بما أدلى من قوة الحجة وساطع البرهان . وجعلت أتناول بالقــراءة والدرس جميع الكتب الدينية والكونية والاجتماعية ، وسائر ما يتعلق فيها بعلم النفس وأكببت على ذلك عدة سنين ، فاكتسبت علماً غزيراً ، واتسع أمامى نطاق الحياة ، وجال نظرى فى الكائــنات جــولات أفادتنى فيما أتناوله بالبحث والدرس حتى صرت لا أقتنع بفكرة دون أن أعنى بدرسها وتمحيصها معتمداً فى ذلك على تجاربى الذهنية التى مرت بى "

---

(١) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ٢٥ .

(٢) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجب البيومى ، ص ٨ .

(٣) طاهر الطناحى : مقدمة الإسلام دين الهداية والإصلاح ، دار الهلال ، العدد ١٤٠ – جمادى الآخرة ١٣٨٢ هـــ – نوفمبر ١٩٦٢م ، ص ٩ ، ١١ .

" وقد أفادني هذا " الشك " استقلالاً فى الفكر ، واعتماداً على النفس ، ورغبة فى استيعاب ما يقع بيدى من الكتب على اختلاف أنواعها بصبر وجلد ، كما أفادنى دقة فى البحث حتى أزال الشك عنى ، وارتاحت نفسى إلى عقيدة ثابتة "

صفاته

" كان مؤمناً ، عالماً ، أديباً ، صحفياً ومصلحاً اجتماعياً . كان لفريد شخصيات متعددة كاملة لم تطغَ إحداها على الأخرى ، كان مؤمناً ، ملك الإيمان جوانب نفسه ونواحى نفسه ، وكان مؤمناً عن بصيرة وفهم لا عن عصبية وتقليد ، أقبل على الإسلام يتدارسه ويتفهمه ويتعمقه ، ويتذوق ما فيه من سمو وجمال وكمال " (١)

"وكان معتنياً بصحته ، مراعياً لسلامة الجسم والنفس عاملاً بما يقول : نموذجاً طيباً بسلوكه كما كان نموذجاً طيباً فى تفكيره وتأليفه " (٢)

" أما خلقه – فالقدر الذى أعرفه عنه – إنه كان يؤثر العزلة والانطواء على نفسه ، وقل أن يرى فى حفل أوناد ، وقد يكون ذلك طبعاً أو نتيجة خبرة وتجربة ، وكان كثير الصمت قليل الكلام كدأب العلماء يشعرك حين تتحدث إليه إنك المفيد والمستفيد ويقول الذين أكثروا الصلة به أن بطبعه حدة لكن لا تخرجه عما يجمل بعقلاء الرجال ، ومع أنه حضرى النشأة وفى سعة من العيش فقد كان محافظاً على تقاليده الشرقية بل مسرفاً فى الحفاظ عليها . " (٣)

بعض ملامح حياته

" كان يعمل كثيراً فى شبابه وكهولته نحو ست عشرة ساعة فى اليوم حتى إذا جاوز الخمسين وضع لنفسه نظاماً لم يتغير ، فكان يستيقظ فى السابعة صباحاً ، ويمارس شئونه العلمية ، والطباعية حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم يتغذى فى منزله ويستريح إلى الساعة الرابعة . ثم ينهض ليزور والدته ، وفى الساعة السادسة يطالع جرائد المساء ، ثم يقابل زواره ساعة واحدة ، فينهض بعدها ليرتاح نصف ساعة ، ثم يعود لزيارة والدته مرة أخرى . وفى نحو منتصف الساعة العاشرة يأوى إلى مضجعه . تلك سنة سار عليها بعد الخمسين فى جميع فصول السنة" (٤) ."ولم يكن يرتاد دور السينما أو المسارح وكان يعتذر عن شهود الحفلات والاجتماعات كلها. ولم يعرف أنه اصطاف مرة فى إحدى مدن الشواطىء أو سافر إلى

---

(١) أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ – السنة ٨٠ – ١٧ مارس ١٩٥٤ م – ١٢ من رجب ١٣٧٣ هـ مقالة بعنوان "فى ذكرى الأربعين الفليسوف المصلح محمد فريد وجدى "

(٢) د . منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين : ص ٣٧٢ ، ط الأولى ١٩٧٨ م ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى القاهرة . بيروت . مطبعة نهضة مصر .

(٣) أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ – السنة ٨٠ .

(٤) طاهر الطناحى . مقدمة الإسلام دين الهداية والإصلاح : س ٢ .

الخارج[1] " وكان يستقبل زائريه ، كل يوم بعد صلاة المغرب – لمدة ساعة – يتحدث إليهم ، ويجيب على أسئلتهم ويدلى برأيه فيما يثار من موضوعات فى الصحف اليومية "

مواقف فى حياته

يقول العقاد عن عمله بتحرير الدستور مع فريد وجدى:-

"وانـنى لأحمـد الله إن كانت بداية عملى المنتظم فى الصحافة مع رجل كالأستاذ وجدى رحمـه الله قليل النظير فى نزاهته وصدقه وغيرته على المصلحة القومية واستعداده للتضحية بماله وراحته فى سبيل المبدأ الذى يرعاه ولا يتزحزح عنه قيد أنملة "[2]

"ولو وفته صحافتنا لقالت غير مسرفة ولا غالية أن الصحافة المصرية لم تعرف كاتباً بـلغ مبـلغه مـن الزهد فى المنافع وتغليب الواجب على كل منفعة ، ولو جر عليه الخراب والهـزيمة.ولا أعدد مواقفه فى هذه الفضيلة فهى كثيرة ، ولكننى أكتفى منها بموقفين عرضا لى،وهو فى أشد الحاجة إلى المال ، والصحيفة مهددة بالإفلاس السريع . وهما :-[3]

كـان عضـواً فى مجلس الحزب الوطنى فاعترض على مصطفى كامل ،لأنه اقترح عـلى الحزب أن يوجه خطاباً إلى وزير الخارجية البريطانية ، ورأى أن يوجه الحزب هذا الخطـاب إلى وزارات الدول جميعاً كى لا يكون فى التخصيص شبه اعتراف لانجلترا بصفة ممتازة فى البلاد المصرية . وأصر مصطفى كامل على رأيه وجاراه الحزب على ذلك ،فبسط فـريد وجدى مسألة هذا الخلاف وكتب مقالاً أو مقالين يؤيد بها وجهة نظره ، فانصرف أتباع الحـزب عـن الصحيفة وعرضت مسائل أخرى بعد ذلك أغضبت الخديو وطائفة من رجال الدين ، فكسدت الصحيفة ومنيت بالبوار .. وحول هذا الوقت ، حدث الانقلاب الدستورى فى الدولـة العـثمانية واحتاج حزب تركيا الفتاة إلى "لسان حال عربى " لكاتب مشهور فى العالم الإسـلامى من غير تصريح بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التى اشتهر السلطان عبد الحميد بـالدعوة إليهـا ، وأرسل الحزب وسطاءه إلى الأستاذ وجدى يساومه على مبلغ شهرى (لعله ألف جنيه) ويرجوه أن يحذف من صدر الصحيفة شعارها المثبت تحت عنوانها وهو (لسان حال الجامعة الإسلامية) وله أن يكتب فى الدفاع عنها ما يشاء بغير صيغتها الظاهرة .

فـرفض الأستاذ وجدى هذه المعونة وهو مثقل بالديون ، لأنه يأبى التوجيه ويشفق أن يوجه إلى غير ما يعنيه ، وإن لم يكن فى جوهر السياسة خلاف،وغضب الخديو فى تلك الأيام على

---

(١) الزركلى : الأعلام : ٢٢١ .

(٢) عباس محمود العقاد :حياة قلم : ص٨٩، المجموعة الكاملة ، المجلد الثانى والعشرون .السيرة الذاتية.دار الكتاب اللبنانى بيروت ط الأولى ١٩٨٢ م

(٣) عباس محمود العقاد : الأخبار : العدد ٤٨٢ ، السنة العاشرة ،٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـ ، ١٣ من فبراير ١٩٥٤ م – السبت ، ص ٤

توفيــق البكرى لمنعة أصحاب الطرق الصوفية من السير مع ركب المحمل على حسب العادة المرعية فى ذلك الاحتفال ، فتصدى الأستاذ وجدى لتأييد السيد توفيق وحمد له تعطيل هذه البدع ، وأحــب السيد توفيق أن يكافئ الصحيفة على حسب المألوف فأرسل " اشتراكه " مع من يسأل عن أحوالها المالية ... فكان الجواب " إيصالاً " بقيمة الاشتراك ورداً لبقية المبلغ وشكراً مقتضباً يحول دون الاسترسال فيما وراء الاشتراك والسؤال . ولم تمض أسابيع حتى عجزت الصحيفة عن شراء الورق ، وثقلت عليها الديوان ، وكان فى وسع الأستاذ وجدى أن يغلقها ويدع ما فيها من آلات الطباعة لسداد ديونها ، ولكنه قبل أن يغلقها دعا إليه تاجر الورق واتفق معه على سعر كــل كــتاب من كتبه ، فهبط ثمن الكتاب الذى كان يباع بمائة قرش إلى نحو عشرة قروش .. وعلى هذا الاتفاق أعطى كل دائن وكل موظف نسخاً من تلك الكتب التى كان قد طبعها لحسابه ، واشــترط عليه أن يسلم حامليها جميع أثمانها نقداً بغير تسويف ، ثم أعلن إغلاق الدستور بعد الاطمئنان على سداد كل مليم مستحق .

ولقــد كانت أزمة الصحيفة أثراً من آثار " المبدأ " الذى لا ينحرف عنه الرجل قيد شعرة ، وهو الجهر بالرأى ولو خالف القوة والكثرة وخالف أحب الناس إليه "(١)

أسلوبــــه

"كـــان فـــريد أديباً يمتاز بأسلوبه الفنى الدقيق العميق . كما يمتاز بسلامة العبارة ، وكان يردد فى كتاباته ألفاظاً غريبة على القارىء العادى ويبدو لدقيق الملاحظة إنها فى خواصه وكان فيما يكتب عفاً نزيهاً لا تستفزه الخصومة ولا يطيش حلمه ولا قلمه ولا يزدهيه علمه ولا أدبه "(٢)

وطريقــته النقدية تدعو إلى الإعجاب والعجب معاً . إذ لم يسمح مرة ليراعة أن ينال شخوص ضـــحاياه على كثرتهم الغالبة ، بل اتجه إلى الآراء وحدها ، يعرضها كما ذكرها أصحابها فى أمانة وإحاطة ، ثم يدفع بالتى هى أحسن ، دفع المحيط الواثق دون أن تأخذه نشوة الفلج ، فيكيل لصاحبه ما يند عن آداب البحث ومقتضيات اللياقة ؛ بل إنك تراه يؤيد ما يتفق مع وجهة نظره تأييداً يغمره بالثناء والإطراء ، فلا تدرى أأنت أمام مهاجم أم مدافع!

---

(١) عباس محمود العقاد :رجال عرفتهم : الهلال : العدد ١٥١، ٢جمادى الأولى ١٣٨٣ أكتوبر ١٩٦٣م ص ١٦٠

(٢) أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد ٢٣٤٨٩ : سنة ٨٠

ولو سلك الناقدون مسلك فريد فى ردوده لضاق نطاق الجدل فى أقصر زمان ومكان ،وهيهات ! فإن التربية الحصيفة التى أرضعت الكاتب فى مهده الأدبى لا تتاح لغير القلة من النبلاء !! "[١]

اهتمامه بأعمال الشباب(٢)

"وقد تواضع كبار الكتاب على أن يهملوا آراء من لم يبلغوا مكانتهم الأدبية من الشبان ، فلا تجد أديباً كبيراً يناقش كاتباً مغموراً يتسنم الدرجات الأولى فى سلم إنتاجه ، ولكن الأستاذ وجدى يشذ عن هذا الترفع الأدبى المتداول ، فيتناول جميع ما يصدر فى ميدانه الإسلامى أياً كان كاتبه ، ثم يسلك فى نقده مسلكه مع ذوى الذيوع والصيت ، وتلك إحدى فضائل الرجل النفسية ، ولها دلالاتها الأكيدة على مقومات سلوكه دون نزاع . "

" وتتميز مساجلات (فريد وجدى) ومعاركه بأنه يبدأ فى أول بحثه بتلخيص واف كامل لآراء خصمه على نحو أمين . ثم يعرض لكل جزئية فيدحضها ،ثم يصل فى النهاية إلى الفكرة العامة فيقضى عليها ، وهو فى كل هذه المساجلات لا يخرج عن حدود الذوق والعلم..

فإذا ساجله أحد أغضى فى رده عن الأمور الخاصة ما لم تتصل بجوهر فكره "[٣]

ومن يدقق فى حياة محمد فريد وجدى يجدها مجموعة سلسلة من المساجلات والمناقشات تختلف فى الموضوعات وتتحد فى الهدف وهو الدفاع عن الإسلام وكل ما يمسه

آراء العلماء

يقول " عباس محمود العقاد[٤] " محمد فريد وجدى هو فريد عصره غير مدافع ! وتلك كلمة مألوفة طالت ألفتها حتى رثت وبليت وأصبحت حروفاً بغير معنى .. ولطالما قيلت عن عشرات من حملة الأقلام فى عصر واحد : كلهم فريد عصره ، وكلهم واحد من جماعة تعد بالعشرات .. فلا معنى لها فى باب العدد ولا فى باب الصفات ، ولا سيما صفات الرجحان والامتياز .. إلا أننا نقولها اليوم عن "محمد فريد وجدى " لنعيد إليها معناها الذى يصدق على الصفة حرفاً حرفاً ، ولا ينحرف عنها كثيراً ولا قليلاً حتى فى لغة المجاز .. فقد عرفنا فى عصره طائفة غير قليلة من حملة الأقلام ورجال الحياة العامة ، فلم نعرف أحداً منهم يماثله فى طابعه الذى تفرد به فى حياته الخاصة أو العامة وفى خلقه أو تفكيره ، وفى معيشته اليومية أو معيشته الروحية وأوجز ما يقال عنه فى هذه الحالات جميعاً أنه لم يخلق فى عصره من يتقارب المثل الأعلى والواقع المشهود فى سيرته كما يتقاربان فى سيرة هذا الرجل " الفريد " نعم :

---

(١) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجب البيومى :ص١٠

(٢) المصدر السابق :ص١٠

(٣) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص١٤٤

(٤) عباس محمود العقاد : رجال عرفتهم : الهلال ،العدد ١٥١ ،جمادى الأولى ١٣٨٣ ـ إكتوبر ١٩٦٣ م ، ص ١٥٨

الفــريد حــتى فى لغة الأجناس ، لأن اسمه فريد والفريد حتى فى عزلته ، لأنه كان فى عزلة النساك والرهبان عليماً غاية العلم بالتحليل والتحريم "

يقول " أبو الوفا المراغى[1] "

" كـــان فريد عالماً عصامياً فى علمه لم يتمم تعليمه فى جامعة أو معهد بل أتمه بنفسه وجلده وصبره وجهاده ، ولم يتخصص فى علم من العلوم فلا يقال هو عالم فى فن كذا بل كان عالمـــاً على نمط العلماء السابقين الذين لهم مشاركة فىكل معارف عصرهم ، إلا أنا كنا نلاحظ غلبة الاجتماع والفلسفة عليه ، فلا حرج إذا قلنا إنه فيلسوف أوعالم اجتماع "

ويقول " د . منيع عبد الحليم محمود " [2]

" كـــان حار الدفاع عن الحق ، شديد التمسك بما يعتقده صواباً سلس الأسلوب ، واضح الفكـــرة ، بعيـــداً بهدفـــه فى الحياة ... ولقد دخل فريد وجدى فى الحياة الفكرية الإسلامية فى عصره دخولاً حكيماً . لقد درس مشكلات العصر وكتب فى الكثير منها كتابات مستفيضة سواء تعـــلقت بإصـــلاح المجتمع أو المسائل الفلسفية أو الجوانب الروحية . وقد اضطره ذلك إلى أن يدخل فى جدل مستفيض مع الذين يرى أنهم ليسوا على الحق . "

ويقول " محمد رجب البيومى " [3]

" كانت رسالة الدفاع شاقة وعسيرة ، لا ينهض بها غير ذوى الكفاءة الثاقبة ، والأستاذ وجـــدى أول من تصدى للدفاع بأقطع سلاح لأنه جعل نفسه جندياً فى كتيبة مستشهدة لا تعرف الهوادة ، ومعها عدته من الإطلاع الشامل والخبرة بآفات الفكر المعاصر ، وعلل ما يستورد من الـــنظريات الخادعة . مع إلمام جيد ببواعث التّهجم ، وحيل التربص ، فإذا أضيف إلى ذلك كله عفـــة القلم ونزاهة الضمير ، والارتفاع من مهاوى الإسفاف ، كان المدافع منتصراً فى ميدانه ، لأن هـــدوء النـــبرة ، وتـــلمس العذر ، والمقابلة بالتى هى أحسن تدعو المتسرع إلى الاتئاد ، والغاضـــب إلى الهـــدوء لا سيما إذا كان هذا السلوك المثالى من كاتب يملك الإقناع ، ويعتصم بالبرهان ".

" وقـــد تهافـــتت كبريات المجلات والصحف على آثاره . ومنها بعض الصحف التى لا تؤيـــد منحاه ، ولكنها تفخر بأن تكون معرضاً لشتى الآراء فكان بحث الأستاذ بين شتى البحوث المختلفة ، بسمة فى ثغر وبرقاً فى غيم ، أما المجلات الملتزمة فإنها تجد فى ثمرات الأستاذ أكلاً شهياً يستطيبه القراء ، فهى تباهى به فى اعتزاز .. "

---

(١)أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد٢٥٤٨٩ ،سنة ٨٠

(٢) د . منيع عبد الحليم محمود : مناهج المفسرين : ص ٣٦٩

(٣) محمد فريد وجدى : من معالم الإسلام : ص ١١٢١٠ . مقدمة بقلم محمد رجب البيومى ط الأولى دار المصرية اللبنانية – ١٩٩٤ .

شهرته فى البلاد الإسلامية والغربية[1]

" والحــق أن فريد وجدى لم يكن لمصر وحدها ولا للعروبة وحدها ، ولكنه كان للفكرة الإســـلامية الصـــحيحة فى كـــل أرض يظـــلها لواء الإسلام . فالمسلمون فى جاوه وأندونيسيا والباكســـتان والأفغان وإيران وتركيا يعرفون محمد فريد وجدى ، كما يعرفه العرب فى مصر والجزيـــرة العـــربية السعودية وسوريا والعراق وبلاد المغرب وغيرها . ولقد شهد له إخواننا المسيحيون قبل المسلمين بالفضل والعلم والثقافة الواسعة . فالفيكونت فيليب دى طرازى المؤرخ الجـــليل يقول عنه فى كتابه الضخم " تاريخ الصحافة العربية " " اسم محمد فريد وجدى مقرون بالاحـــترام فى كـــل صـــقع انـــتهى إليه نفوذ العربية ، فهو العالم الذى صرف عمره بين القلم والقـــرطاس باحثاً ومؤلفاً وناشراً كل مفيد من التصانيف الوافرة العدد الجليلة القدرأما المستشرق الدكـــتور تشـــارلز آدمـــس (يخصـــه بما يقرب من أربع صفحات متتاليات عن كتابه الإسلام والتجديد فى مصر) فيثنى على جهود فريد وجدى فى نصرة الدين والدفاع عنه ، ويستشهد بما كتبـــته عنه مجلة الهلال من أنه فريد فى معرفته للجانب الاجتماعى من الحياة المصرية مما لا شك فيه أن فريد وجدى تأثر بآراء أستاذه الشيخ محمد عبده فى الإصلاح " [2]

عملـــــــه

" فى أوائـــل القرن العشرين نشرت له الصحف المصرية بحوثاً عميقة فى الفلسفة والاجتماع أثـــارت الإعجـــاب ، وحمـــلت الخديو عباس على استدعائه وإلحاقه بديوانه الخديوى فلبث فى وظيفته الجديدة يومين اثنين حيث تركها وفضل الحياة بين الكتب على حياة القصور"[3]

" وقـــد عهد إليه المرحوم الإمام المراغى رئاسة تحرير مجلة الأزهر بالرغم من غربته عن البيئة الأزهرية ، لما لمسه فيه من غزارة العلم والتعمق فى فهم الدين ، فلبث رئيساً بضعة عشـــر عاماً نشر فيها مئات البحوث الروحية والفلسفية ودافع فيها عن مبادئ الإسلام دفاعاً لم يسبقه إليه سابق . " [4]

---

(١) محمد عبد الغنى حسن : الأهرام : العدد ٢٤٥٦١ – السنة ٨٠ ، ١٣ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـــ – ١٧ من فبراير ١٩٥٤ م – الأربعاء . ص ٥ .

(٢) وقد علق السيد رشيد رضا فى الجزء الثانى من مجلة (المنار) أن فريد وجدى فى كتابه المدنية والإسلام تأثر بالشيخ محمد عبده فى كتابه رسالة التوحيد . (المصدر السابق) .

(٣) محمد يوسف خليفة : الأهرام : العدد ٢٤٥٥٤ – السنة ٨٠ – ٦ من جمادى الثانية ١٣٧٣ هـــ – ١٠ من فبراير ١٩٥٤ م والأربعاء – ص ٥ .

(٤) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ١٢ ، كما أورد د. طه الحاجرى أن فريد وجدى اشترك فى إصلاح الأزهر وقد أصدر مقالتين كتبهما فى جريدة المؤيد فى نوفمبر وديسمبر ١٩٠٦ – وقد اتجه فى هاتين المقالتين إلى نقض الأصل الذى يتوكأ عليه معارضوا الإصلاح . وهو أن الأزهر مدرسة دينية لا شأن لها إلا بعلوم الدين ، وذلك عنده وضع لا حقيقة له ولا سند يعتمد عليه .. وإنما هو وضع حادث فى عصور الانحطاط " المصدر السابق : ص ١٢ .

وفاتـــــه

" توفى فى جمادى الآخرة ١٣٧٣ هـــ – فبراير ١٩٥٤م " فى هدوء تام لم يشعر به أحد[١]

مؤلفاتـــــه

" لفريد وجدى ثلاثة أعمال كبرى (مؤلفاته)[٢] وصحفه ومقالاته المتنوعة "

١ – مؤلفاته :

١- الفلسفة الحقة فى بدائع الأكوان (١٣١٣ هــ – ١٨٩٦ م) مطبعة عبد الرازق.

" موضوعه بيان أسرار الوجود ، والحكمة الكامنة فى كل من وجوهه ، وفى كل صورة من صوره . وقد صنفه على عوالم الكون الأربعة :الإنسان والحيوان والنبات والجماد."[٣]

٢- تطـــبيق الديانـــة الإسلامية على النواميس المدنية (١٣١٦ هــ – ١٨٩٩ م) المطبعة العــثمانية. ســمى فيما بعد " الإسلام والمدنية" وصدر فى (١٣٢٢ – ١٩٠٤) الطبعة الثانية ١٩١٢ المطبعة الهندية .

" ويضـــع هذا الكتاب حجر الزاوية فى اتجاه فريد وجدى ، وفى الكشف عن الخط الذى بــدأ يعمقـــه ، وكـــان بذلك من أوائل من تحدثوا عن سلامة المقومات الفكرية الإسلامية ، وقدرتها على البقاء والاستمرار ، ودورها فى إنشاء الحضارة المعاصرة "[٤]

٣- الحديقـــة الفكـــرية فى إثــبات وجود الله بالبراهين الطبيعية (١٣١٨ هــ – ١٩٠١ م) مطبعة الترقى .

يبين هذا الكتاب " موقفه إزاء الفلسفة المادية وأهم قضاياه " التشكيك فى الألوهية " [٥]

٤- المــرأة المســلمة (١٣١٩ هــــ – ١٩٠٢ م) مطبعة الترقى ، الطبعة الثانية ١٩٠٥ والثالثة ١٩٢٠ مطبعة هندية .

أولى محمــد فــريد اهتماماً عظيماً بالمرأة المسلمة وحقوقها واستمرت كتاباته فى هذه القضية سنوات تقترب من نصف قرن . فقد كان " يرى أن الإصلاح الاجتماعى ينبغى أن يدور فى فلك الدين"

٥- الإســلام ، فى عصــر العلم (١٣٢٠ هــ – ١٩٠٣ م) الجزء الأول بمطبعة الترقى والجزء الثانى صدر ١٩٠٥ م مطبعة الشعب.

---

(١) أبو الوفا المراغى : الأهرام : العدد ٢٤٥٨٩ – السنة ٨٠ .

وقد علق طه الحاجرى على وفاته المنسية بأنه عاش فى عزلة ومات فى عزلة وربما عزلة حياته هى السبب فى عزلة موته .

(٢) نقلاً من أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص

(٣) محمد طه الحاجرى : محمد فريد وجدى حياته وآثاره : ص ٣٥ .

(٤) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص ١٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٩ . ر

يقول وجدى " فهو أصدق كتاب يمثلنى مناضلاً عن الفلسفة الروحانية والدين ، باعتبار أنهما الركنان القو يان من أركان الاجتماع والرقى " [1]

٦- كنز العلوم واللغة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٥ م والطبعة الثانية ١٩١٦ مطبعة الواعظ.

" دائـرة معـارف عامة ، تحتوى على فصيح اللغة العربية ، وخلاصات العلوم العقلية والنقلية والطبيعية والتاريخية والعمرانية ، وتراجم المشاهير . وفيها من الفوائد الطبية والعلاجية ، والوسائل الحيوية ، ما يحتاج إليه الإنسان فى سائر أحواله المعيشية[2]

٧- دائـرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين الميلادى (طبعة أولى ١٩١٠م - ١٩١٨) وطبعة ثانية ١٩٢٣ (عشرة أجزاء)

" كـتب فريد وجدى - وحده - دائرة المعارف وهو عمل ضخم ، شاق ، لا ينهض به، إلا العصـبة ؛ أولـو القوة فى العلم والمال ..[3] " وأعد لها مطبعة خاصة تخرج على الناس بإنتاج الكاتب وحده لا شريك له !! "[4]

٨- صـفوة العرفان فى تفسير القرآن ومقدمة ، طبع حجر مصر (١٣٢٣هـ - ١٩٠٥ م) طـبع باسـم المصحف المفسر ١٩٢٥ مطبعة (دائرة معارف القرن العشرين) تم طبعه بمطابع الشعب ١٣٧٧ هـ .

٩- الوجديـات مقـالات خيالية فى سبيل الدين واللغة والوطنية (١٣٢٨ هت - ١٩١١ م) مطبعة الواعظ الطبعة الثانية ١٩٢٨م .

١٠- مجموعـة الرسـائل الفلسـفية (الرسالة الأولى) (١٣٣٣هـ - ١٩١٦م) (فى معترك الفلسفتين المادية والروحية).

١١- كـتاب المعـلمين (منهج الدراسة لوزارة المعارف (١٣٣٥هـ - ١٩١٨م) مطبعة دار المعارف.

١٢- على أطلال المذهب المادى (مطبعة دائرة المعارف) ١٩٢١ ثلاثة أجزاء.

أبحـاث روحية " اتخذ منها حجة قوية يحارب بها من ينكرون الحقائق الغيبية فى عالم السـموات والأرض." وفى هذا المجال " قال عنه الأستاذ باول كراوس : أنه ملك كتاب العرب على الإطلاق" [5]

---

(١) أنور الجندى : محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين : ص ٢٢ .

(٢) محمد فريد وجدى : كنز العلوم واللغة : مطبعة الواعظ - مصر ، ١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م .

(٣) عبد الحليم محمود : الحمد لله هذه حياتى : ص (١)

(٤) محمد فريد وجدى : مناقشات وردود : مقدمة بقلم محمد رجب البيومى ، ص ٩ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٢ .

١٣- دستور التغذى ١٩٢١ م " حاول به رسم منهجه فى المذهب النباتى " .

١٤- نقد الشعر الجاهلى ١٩٢٦م مطبعة دائرة المعارف .

١٥- الإســلام دين عام خالد - ١٩٣٢م مطبعة دائرة المعارف ، وأعادت دار الهلال طبعه تحت اسم الإسلام دين الهداية والإصلاح ١٩٦٢م .

١٦- الأدلة العلمية فى جواز ترجمة القرآن ١٩٣٦ مطبعة الرغائب.

مـفقــودات

١٧ - (ســفير الإســلام إلى سائر الأقوام) نشرها ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٧م ولم أجدها فى دار الكتب.

١٨ - اللورد كرومر والإسلام (صدر ١٩٠٧م) ولم أجده فى دار الكتب .

٢- صحفه ومجلاته .

الحياة : صدرت عام ١٨٩٩ -١٩٠٠ ثم توقفت وعادت للصدور ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ وتوقفت وعادت للصدور ١٩١٤ - ١٩١٥ م.

الدستور : صدر فى ١٦ من نوفمبر ١٩٠٧ وتوقف سنة ١٩١٠ ثم أعيد ١٩٢٢ .. واستمر يصدر كجريدة أسبوعية حتى عام ١٩٣٣ م .

الوحديات : صدرت عام ١٩٢١ - ١٩٢٢ م .

٣ - مقـالاتـه المختلفة :

توزعت على عدد من الصحف والمجلات ومن أهمها :

مجلة المجلات العربية ١٩٠٦ - المقتطف ١٩١٩ - الأهرام من (١٩٣٠ - ١٩٤٦) - الهلال ١٩٢٩ -١٩٤١) - كل شيء (١٩٣٠ - ١٩٣٥) المعرفة (١٩٣١ -١٩٣٢) - الأخبار . (أغسطس ١٩٢٤ - الرابطة العربية (اكتوبر ٣٦ ويوليو ٣٨) . البلاغ (أغسطس ، سبتمبر ١٩٣١) الرسالة ١٩٤٥ - البريد الإسلامى (١٩٤١ - ١٩٥١) .

٤- مجلة نور الأسلام (الأزهر فيما بعد) من ١١ سبتمبر ١٩٣٣ إلى فبراير ١٩٥٢ م .

وقد جمع د . محمد رجب البيومى كثير من هذه المقالات فى كتب منها - المناقشات والردود - السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة - سيرة الرسول - من معالم الإسلام طبعة الدار المصرية اللبنانية .

خطة البحث

لقد آثرت أن يحتوى البحث على أنواع شتى من مؤلفات فريد وجدى لبيان تنوع أساليبه فى الكتابة واتساع ثقافته مع تعدد مصادرها وتسخيره لكل ملكاته الذهنية والعقلية إلى خدمة هدف واحد لا يحيد عنه ؛ هو خدمة الإسلام من خلال الربط بين الدين والعلم كوحدة واحدة لا انفصال بينها .

وسأعرض لخطة البحث موضحة المنهج الذى نهجته فى كل مبحث على حدة .

المقدمة

تضمنت خطة البحث وأهم الصعوبات التى واجهتنى مع التعريف ببعض ملامح شخصية فريد وجدى

الفصل الأول : منهجه فى تفسير القرآن الكريم

بدأ عرضه بإشارة إلى بداية التأليف والنشر ، ثم توضيح منهجه فى التفسير من خلال مقدمته مع نبذة عن أدوات ووسائل المفسر للقرآن من خلال آراء العلماء وتطبيق هذا على بعض النماذج من تفسير وجدى مع الالتزام بالشكل الذى اختاره " وجدى " وهو ذكر الآية ثم تفسير الألفاظ أو المعانى .

ثم تلى هذا الإشارة إلى بعض الخصائص التى احتوى عليها تفسيره وهى المقاصد الشرعية والإعجاز العلمى والمرأة فى الإسلام والتكرار مع بعض النماذج الموضحة .

وأخيراً آراء بعض العلماء فى تفسير وجدى وتصنيفهم له بالإجمالى مرة وبالهدائى مرة أخرى ثم النتيجة التى توصلت إليها .

الفصل الثانى : مباحث قرآنية

يتضمن أربعة مباحث تتعلق بالقرآن من عدة أوجه

المبحث الأول : معجزة الإسراء والمعراج

وقد تم عرض المبحث من خلال آراء بعض العلماء فى هذه المعجزة ومناقشتهم لكيفيتها وعرض رأى محمد فريد وجدى ومناقشة هذا الرأى من خلال آراء العلماء مع الإشارة إلى صحة أحاديث الإسراء والمعراج والحكمة المستنبطة من هذه المعجزة ويختتم المبحث بعرض لبعض الآراء التى تتحد فى المقدمات وتختلف فى النتائج تبعاً لمقاصد العلماء.

المبحث الثانى : قضية الإعجاز القرآنى .

عرض لهذه القضية من خلال آراء بعض العلماء الأقدمين والمحدثين الذين استشهد بهم فريد وجدى ، ثم مناقشة رأيه القائل بروحانية القرآن مع اعترافه بالإعجاز البلاغى وإن كان ثانوياً ، وذلك من خلال مناقشة د . عبد الكريم الخطيب ود . محمد رجب البيومى لآرائه .

ولمزيد من توضيح رأى فريد وجدى الخاص بالإعجاز الروحى ، النفسى تم عرض لآراء بعض العلماء الذين انتهجوا نهجه فى الإعجاز .

المبحث الثالث : **الوحدة الموضوعية**

تم مناقشة قضية الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم من خلال رأى فريد وجدى ومناقشة محمد محمود حجازى وعبد المتعال الصعيدى ومحمد رجب البيومى لهذا الرأى . وانتهى المبحث بعرض نموذج من المقالات التفسيرية .

المبحث الرابع : **ترجمة معانى القرآن**

بدأ المبحث بالإشارة إلى بداية ظهور الدعوة إلى الترجمة فى مصر منذ العشرينيات ثم تصاعدها فى الثلاثينيات مع الإشارة إلى الشكل السياسى الذى اتخذته منذ دعوة تركيا إلى الترجمة ، ثم عرض مشروع الترجمة سنة ١٩٣٦ م وآراء المؤيدين واعتراض الرافضين مع توضيح دور فريد وجدى فىهذه القضية ومشاركته الشيخ محمد مصطفى المراغى وأخيراً نماذج من مظاهر نجاح الدعوة إلى الترجمة .

الفصل الثالث : **السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة**

ينقسم إلى مبحثين : -

المبحث الأول : **السيرة المحمدية**

بدأ المبحث بنبذة عن السيرة ونشأتها مع الإشارة لصفات كاتب السيرة ثم عرض لبعض المواقف التى عنى فريد وجدى بتحليلها وبيان أوجه الإعجاز فيها واعتماده فى تحليله على علم النفس والاجتماع والفلسفة .

المبحث الثانى : **رد على شبهات المستشرقين حول محمد صلى الله عليه وسلم**

تم عرض لبعض الشبهات التى أثارها المستشرقون ضد الإسلام وخاتم المرسلين ، فتم عرض موجز لكل شبهة يليها دفاع فريد وجدى .

الفصل الرابع : **بين الدين والأدب والاجتماع**

المبحث الأول : **المرأة المسلمة**.

بدأ المبحث بعرض لقضية الحجاب ثم التعليم ثم العمل ثم الاشتراك السياسى للمرأة وذلك من خلال آراء فريد وجدى ومناقشته لقاسم أمين متضمنة أيضاً آراء لبعض العلماء فى القضايا السابقة .

المبحث الثانى : الأدب الجاهلى

يبدأ بتمهيد عن العصر الجاهلى ومفهومه ثم تقسيمه إلى قسمين :-

القسم الأول : الشعر الجاهلى

تم فيه عرض فقرات من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ثم تعقيب فريد وجدى عليها كما تم الاستشهاد ببعض الآراء التى تناولت كتاب طه حسين بالنقد والتحليل .

القسم الثانى : النثر الفنى

بدأ بتعريف النثر ثم عرض لقضية النثر الفنى ووجوده فى العصر الجاهلى ونظرية زكى مبارك بأن القرآن يعد نموذجاً للنثر الجاهلى . وتم عرض لمناقشة لطفى جمعة وزكى مبارك ثم المناقشة الطويلة بين زكى مبارك وفريد وجدى ثم تعقيب محمد عبد المطلب على المناقشات السابقة .

أهم الصعوبات والمشكلات

اعترضتنى بعض المشكلات والصعاب التى واجهت بحثى من أهمها :-

١-عدم وجود مصادر كافية تكلمت عن الشخصية أو ثقافتها .

٢- عدم إعادة طبع معظم مؤلفاته مما أدى إلى صعوبة التصوير من النسخ الأصلية لقدمها .

٣-تناثر مقالاته فى الجرائد والمجلات التى اندثرت واستهلكت أعداد منها حتى فى دار الكتب.

٤- كثرة كتابته فى الموضوع الواحد فى مصادر مختلفة مما يزيد من التشتت خاصة وجميع المصادر تكمل بعضها وقد أجد صعوبة فى الحصول على إحداها فيصبح الرأى مبتوراً لا يصح الاعتماد عليه ، مما جعلنى ألغى بعض المباحث أو القضايا لعدم اكتمال المصادر .

أهم المراجع والمصادر

هناك بعض المؤلفات التى لازمتنى فى بحثى حيث لا غنى لى عنها ، منها :-

١- المقالات التى جمعها د . محمد رجب البيومى فى أربعة كتب هم : -

أ- مناقشات وردود

ب - من معالم الإسلام

جـ- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة .

د- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

فكانت هذه الكتب قنديلاً بدد ظلمات الاستفهام حول هذه الشخصية فكملت الكثير مما ينقصنى وأضافت إلى القليل الذى حصلت عليه ثروة أغنت بحثى

٢- " محمد فريد وجدى " حياته وآثاره " لــ محمد طه الحاجرى . تابع فيه حياة فريد وجدى ومؤلفاته بالتحليل .

٣- " محمد فريد وجدى رائد التوفيق بين العلم والدين " لــ أنور الجندى ، كان مرجعاً هاماً لكل مرحلة من مراحل فريد وجدى الثقافية والعلمية ، فرافقنى فى بحثى دليلاً ومرشداً .

وأخيراً أوجه الشكر إلى أستاذى مصطفى الصاوى الجوينى .. أشهد الله أن بفضله اجتزت محن كثيرة ، مررت بها معه وهو أعلم بها ، فكانت العاصفة الهوجاء معه نسيماً لطيفاً والنار المتأججة برداً وسلاماً ..فشكراً له .. شكر مهما عظم لا يوفيه حقه وثناءاً مهما كثر لن يبلغ المبلغ الذى يستحقه . كان علمه كالبحر الزاخر ؛ أغرف منه ما وسعتنى الحيلة ، فما نضب وما ارتويت .